لقاءٌ مع التاريخ

مُقابلاتٌ أجراها المؤلّف مع
المرحوم الحاج إسماعيل علي إسماعيل جمال

محمد عبد الهادي جمال

لقاء مع التاريخ

فهرسة

مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

953.8 جمال، محمد عبدالهادي.

لقاء مع التاريخ: مقابلات أجراها المؤلف مع المرحوم، إسماعيل علي إسماعيل جمال/ محمد عبدالهادي جمال. - ط1. - الكويت: المؤلف، 2011م

368 ص، إيض، 21×29سم.

1 - الكويت - تاريخ 2 - الكويت - الأحوال السياسية

3 - الكويت - الأحوال الاجتماعية 4 - الكويت - الأحوال الاقتصادية

رقم الإيداع :131 /2011

ردمك : 8 - 66 - 99966 - 978

الطبعة الأولى

الكويت - ٢٠١٢م

لقاءٌ مع التاريخ

مُقابلات أجراها المؤلف مع
المرحوم الحاج إسماعيل علي إسماعيل جمال

تأليف وإعداد
محمد عبد الهادي جمال

الكويت - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديـــم

يتناول هذا الكتاب المعلومات التي استقيتها من مقابلاتي العديدة التي أجريتها مع جدي لأمي المرحوم الحاج إسماعيل علي إسماعيل جمال والتي غطت موضوعات متنوعة ابتداء من شؤون العائلة إلى الفريج إلى المناطق المحيطة به ، وكذلك الكثير مما يتعلق بالحياة الاجتماعية والشؤون السياسية والتاريخية والتجارية للكويت ، وما يحيط بها من بلدان . لذلك فإن جزءًا كبيراً من هذا الكتاب عائلي بامتياز ، ويمكن أن يشكل قاعدة عريضة من المعلومات المفيدة عن العائلة يمكن لشبابها الناشيء أن يستفيد منها ، حيث إن أغلبهم وبحسب ظني لا يعرف عن الأجيال التي سبقته إلا النزر اليسير . كما أنه في نفس الوقت يحتوي على الكثير من المعلومات التي تتناول النواحي المعيشية والاجتماعية في كويت الماضي وخلال فترة المائة السنة الماضية أو يزيد . وتأتي جميع معلوماته – ما عدا بعض التوضيحات والتعليقات – من التجربة الشخصية للمرحوم الحاج إسماعيل جمال ، والذكريات التي نقلته وهو يرويها إلى عصر الصبا والشباب ، الذي عاصر فيه أحداثاً تاريخية هامة ، وعايش شخصيات ذات أدوار مهمة في تاريخ الكويت ، على امتداد المائة عام الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر إلى نهاية القرن العشرين . وقد قمت بجمع هذه المعلومات وتبويبها وتدوينها بعد أن عُدت لسماع مقابلاتي التي أجريتها مع المرحوم الحاج إسماعيل جمال خلال الفترة من عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٩٢م ، وذلك بعد مرور حوالي ستة عشر عاماً على وفاته ، حيث بقيت تلك الأشرطة على امتداد تلك الفترة طي النسيان ، فرأيت أن أقوم بمراجعتها وتفريغها ونشر الجزء الأكبر منها والذي يعود بالفائدة على القاريء من عدة جوانب ، أهمها الاطلاع عن كثب على الوضع المعيشي والجانب التراثي والتاريخي والسياسي والاجتماعي للكويت والبلدان المحيطة بها والتي جالها المرحوم الحاج اسماعيل وخبَر الكثير من الأمور التي تخصها ، وبخاصة ما يتعلق بعلاقاتها مع الكويت خلال الفترة التي عاشها . وبالرغم من أن جل هذه المعلومات – إن لم تكن بمجملها – معروفة لدى الباحثين والمتابعين ، فإن كون سردها يأتي من مصدر عايشها أو استقاها حال حدوثها وتابعها في وقتها تعطيها نكهة خاصة وتضيف إليها بعض التفاصيل والجوانب التي قد لا يلتفت إليها المدوّن والكاتب للتاريخ ، الذي تختلف نظرته وربما أهدافه عن الشخص الذي يحكي ذكرياته وتجربته الشخصية دون العلم بأنها ستخرج إلى النور على صحائف مكتوبة في يوم من

الأيام . وهناك جانب آخر مهم أود أن أشير إليه وهو أن ذكريات المرحوم الحاج إسماعيل تشمل معلومات وذكريات مع أعداد لا بأس بها من الأشخاص الذين عاش معهم من الأصدقاء وأبناء الفريج والأحياء المحيطة والذين لم يسمع عنهم كثير من القراء والذين كان لهم دور اجتماعي واقتصادي وديني ، لكنهم لم يكونوا ذوي شهرة في مناطق الكويت الأخرى وعلى نطاق واسع .

كما أود أن أنوه للقاريء الكريم – الذي لا شك في أنه قد عرف من هذه المقدمة ومن قبلها من عنوان الكتاب – أن مصدر المعلومات التي بين دفتيه هي من شخصية واحدة ، ومن ثم فإن التركيز سيكون حتماً على هذه الشخصية التي صادف أن أجريت معها هذه المقابلات ، والتي فكرت أن أجمعها وأدونها فيما يكوّن كتاباً للذكريات ، محورها وركيزتها ومصدرها المرحوم الحاج إسماعيل جمال ، الذي كان واحداً من العائلة لا يختلف كثيراً عن أي فرد منها من كبار السن الذين عاصروه وهم كثر ، ومن المحتمل أن يتميّز عدد منهم عليه بذاكرة أفضل ونظرة أوسع وموقع اجتماعي وعائلي لا يقل عنه مستوى ، وعلاقات اجتماعية أوطد مع المجتمع المحيط بهم وبأبناء الأحياء والمناطق القريبة منهم .

وإني ختاماً ألتمس المعذرة من الجميع لعدم سماح الظروف لي باقتناص الفرص لمقابلة ومحاورة أحد غيره من كبار السن في العائلة أو أي شخصية أخرى ، بنفس الطريقة التفصيلية التي أجريتها معه لنسمع منهم ما يزيد في توسعة إطار المعلومات وإغناء الموضوع وتنوعه من جوانب كثيرة مكملة ومساندة ، وسماع وجهات نظر أخرى لما سنستعرضه من معلومات وأحداث في هذه الصفحات .

والله الـموفـــق ، ، ،

محمد عبد الهادي جمال

مقدمة

لقد تناولت خلال الثماني عشرة سنة الماضية عديداً من الموضوعات التي تهم قطاعاً لا بأس به من المواطنين ، وخضت في تفاصيل تلك الموضوعات ابتداء من الغزو الصدامي الغادر في كتاب « الكويت وأيام الاحتلال» إلى التراث الكويتي القديم في عدد من المؤلفات في مقدمتها « أسواق الكويت القديمة» و «الموانيء الكويتية بين الأمس واليوم» و «الحرف والمهن والأنشطة التجارية القديمة في الكويت » . كما تناولت في المؤلفات الثلاثة الأخرى موضوعات تعد مزيجاً من التاريخ والهواية وهي كتاب « تاريخ الخدمات البريدية في الكويت» و « تاريخ العملة والنقود في دولة الكويت » و « طوابع البريد العربية في قرن ونصف» . وقد استمتعت بالكتابة في هذه الموضوعات وأزعم أن كثيرين من القراء استمتعوا بقراءتها واستفادوا من المعلومات التي احتوت عليها كل بحسب اهتماماته .

وقد وجدت الكتابة عن شخص معين أصعب وأكثر تعقيداً من الكتابة عن أي موضوع عام مهما كان مجاله . كما أني أدرك أن نقل معلومات متنوعة ووجهة نظر شخص واحد في أحداث كثيرة قد لا تكون بالضرورة دقيقة أو متكاملة ، لكني مع ذلك وجدت جوانب جميلة تستحق الالتفات إليها وتدوينها- على الرغم من أنها تأتي من مصدر واحد- ذلك لأن هذا المصدر أو الشخصية يمثل جانباً مهماً من مكونات ذلك المجتمع الذي عاش في فترة شهدت تغيرات جذرية شملت كل ما يمت إلى ذلك المجتمع بصلة ، وتمثل انعكاساً لتفاعلاته خلال حقبة مهمة من الزمن مرت بها الكويت وشعبها المكافح خلال فترة امتدت لقرن كامل تقريباً ، وهذا ما يجعل من المفيد تسجيل جانب منها على االرغم من أن هذا الجانب قد لا يمثل بالضرورة الشريحة الكاملة من المجتمع الكويتي – الذي تعايش مع تلك المتغيرات – تمثيلاً كاملاً ، لكنها بلا شك تمثل جزءًا مهماً منه .

إن موضوع كتابي هذا هو تدوين لمعلومات تتعلق بكثير من الموضوعات استقيتها من خلال مقابلات عديدة أجريتها مع شخصية من عامة المواطنين ، لكنها مكافحة وتتصف بالجدية والاستقامة ، وقد عاشت تلك الشخصية خلال فترة امتدت من نهاية القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين ، في مجتمع بسيط في منطقة الوسط من مدينة الكويت حيث تتوسط هذه المنطقة منطقتي الشرق والقبلة وتضم الكثير من الأحياء والبيوتات الكويتية العريقة . ويمكن تحديد منطقة الوسط مجازاً من ناحية الشرق بشارع الميدان الممتد من ساحل البحر شمالاً إلى مقبرة وفريج الصوابر والمناطق القريبة منه جنوباً . أما غرباً فيمكن اعتبار السوق الداخلي الذي يمتد من «بهيتة» المقابلة لقصر السيف إلى ساحة الصرافين هي حداً لمنطقة الوسط . وتضم هذه المنطقة عموماً الكثير من المواقع المهمة كقصر السيف والفرضة وفريج الشيوخ وبراحة مبارك وفريج القناعات وجزءا من الأسواق الرئيسة كالسوق الداخلي وسوق التجار ، ومسجد السوق الكبير وقهوة بوناشي ودروازة العبد الرزاق والمدرسة المباركية والأحياء الملاصقة والقريبة لهذه المواقع .

وقد عاش ذلك الإنسان – شخصية كتابنا – عيشة عادية لا تتصف بالغنى ولا بالفقر ، وكافح كبقية الكويتيين جزءًا كبيراً من حياته في الفترة التي عاشها ، وخاصة في السنوات الأولى من القرن العشرين ، للحصول على لقمة العيش التي

كانت صعبة المنال للكثير من الكويتيين . وكان تعليمه كبقية السواد الأعظم من مواطنيه مرتبطاً بما درسه وتعلمه من الكتاتيب والمدارس التي كانت منتشرة في معظم الأحياء في المدينة . أما ثقافته العامة فيمكن القول إنها كانت واسعة ومتنوعة وعميقة . وقد اتصف بالذاكرة القوية التي لم تخنه طوال حياته التي تجاوزت مئة عام ، كما أنه كان دائم البحث عن المعلومة مهما كان نوعها أو مصدرها ، حيث نجح في ذلك بامتياز ، ويدل على ذلك نمط تفكيره وتحليله للأحداث المختلفة سواء السياسية منها أو الاجتماعية أو الدينية أو التجارية أو الاقتصادية .

وكان دائم السفر مولعاً به منذ شبابه ، إذ كانت أول رحلة له خارج البلاد وعمره حوالي ٦ سنوات (في عام ١٨٩٧م) كما كان سفره في أول رحلة تجارية وعمره حوالي ١٤ عاماً (في عام ١٩٠٥م) حين رافق والده لجلب المواد الغذائية بسفينة شراعية من مدن الساحل الإيراني إلى الكويت .

إن الحديث عن المرحوم الحاج إسماعيل جمال لا يمكن أن ينتهي في صفحات قليلة ، وذلك لحياته الحافلة بالأحداث التي عاصرها والتي سمع عنها من خلال جلساته مع والده وأصدقاء والده الذين كانوا يؤمّون ديوانية آل جمال ليلاً ونهاراً . لكنني أكتفي هنا بما ذكرت في هذه المقدمة لأختمها بالقول إن الكثير من الأحداث والوقائع التي سيطلع عليها القارئ مبنية على أكثر من أربعين مقابلة أجريتها معه ، وقد اعتمد على ذاكرته في سرد الأحداث والتصورات ، تلك الذاكرة التي رافقته إلى أواخر أيام حياته . وكانت أول مقابلة مسجلة أجريتها معه بتاريخ ١٩/ ٦/ ١٩٨٠م وآخر مقابلة بتاريخ ٣٠/ ٦/ ١٩٩٢م ، أي قبل وفاته بحوالي سنة ونصف . لذلك فإن المعلومات التي سأقوم بنقلها هي كما سمعتها منه وكما هي مسجلة في أشرطة سيتم نقلها إلى موقعنا الإلكتروني ليسمعها الجميع مع تفصيلاتها التي لم أقم بنقلها بالكامل في هذا الكتاب وهي لا تخلو من فائدة . وإني عندما أؤكد أن مصدري الوحيد للمعلومات هو الشخص نفسه ، والذي لم يكن يدور بخلده أنني سأنشرها في يوم من الأيام ، فإن هذا دليل على أن هذه المعلومات جاءت عفوية دون تصنع أو مبالغة وهو يتحدث لأحد أبنائه . ومع أني لا أستطيع إلا أن أترك مجالاً للنسيان أو الخطأ الذي يقع فيه كل إنسان فإن ذلك سيكون هو السبب الوحيد الذي قد يؤدي إلى احتمال عدم دقة بعض المعلومات ، وخاصة التي لم يعايشها بنفسه وقام بنقلها عن غيره من الأهل أوالأصدقاء أو ما تناقلته الناس لبعض الأحداث الكثيرة التي شهدتها البلاد أو التي مرت بحياته منذ شبابه . وإنني هنا أود التأكيد على أن المعلومات التي نقلها عن غيره – وبخاصة المعلومات العامة التي تتعلق بالأحداث السياسية وغيرها التي شهدتها منطقتنا في تلك الحقب– إن كانت تنقصها الدقة فهو بلا شك لم ينقلها بنفسه بل نقلها من مصادر قد تكون شهدت الحدث أو سمعت عنه في حينه . ولا يغيب عن القارئ أن الفترة التي عاشها في أثناء شبابه في بداية القرن العشرين كانت تعتمد على نقل المعلومة من شخص إلى آخر بطريقة التواصل الفردي ، إذ لم يكن المجتمع في ذلك الوقت قد عرف وسائل الإعلام الحديثة كما هو الحال في وقتنا الحاضر ، حيث لم تكن هناك وسائل حديثة لنقل الأخبار في منطقتنا كالمذياع أو التلفزيون ولا حتى الجرائد أو المجلات التي لم تكن تصل الكويت إلا بعد أن يمر على صدورها أيام عديدة أو ربما أسابيع . فقد كانت الجرائد والمجلات تصل من القاهرة أو بغداد عن طريق البر في وقت كانت السيارات لا تصل إلى الكويت إلا من البصرة ، مما يعني أن وصولها إلى

الكويت يمر عبر محطات عدة قبل أن تصل إلى يد القارئ في الكويت . أما المذياع فقد تعرف عليه الكويتيون بصورة أولية في بدايات الحرب العالمية الثانية عندما بدأت المقاهي باستخدام المذياع لجذب الزبائن لسماع الأغاني وأخبار الحرب العالمية الثانية في النصف الثاني من الثلاثينيات . لذلك فإن دقة المعلومة – وخاصة في الجزء الأول من الفترة التي عاشها – قد لا تصل بالضرورة إلى المستوى المطلوب أو المقبول في هذه الأيام . لذلك فإنني أكرر القول إن بعض المعلومات قد لا تكون دقيقة ، كما أنه لا يخفى على أحد أن سامع الخبر أو ناقله ربما يكون قد سمعه بصورة غير دقيقة وقام بنقله بأسلوبه الخاص مما أدى إلى بعض التغيير في المعنى أو الزيادة أو النقصان فيه . لهذا وجب علي توضيح ذلك وتأكيد إمكانية اختلاف الخبر الخاص بنفس الواقعة بناء على رؤية الناقل وتصوره لما رأى أو سمع ، ومن ثم فإن تحليل وتفسير ذلك الخبر يعتمد على طريقة نقله والظروف المحيطة بمتلقيه في حينه .

علاقتي ولقاءاتي مع الحاج إسماعيل

إن الحاج إسماعيل جمال هو جدي من ناحية والدتي وأنا أول حفيد له . وكان له ابنان – حسن وعبدالوهاب – توفيا ولم يبلغا العاشرة من العمر ، وبقي له ثلاث بنات ، والدتي وأختاها . لذلك تعلق حبه وعاطفته الشديدة بحفيده الذي كان ينتظره بفارغ الصبر ، إذ لم أبلغ السنة الأولى من العمر – كما نقلت لي الوالدة والجدة – حتى أصبحت أُفضّل المَبيت عنده في غرفته ، وكان ينقلني في منتصف الليل إلى غرفة والدتي عندما أجوع للرضاعة ، وما أن أشبع حتى أُصر على والدي أن يأخذني مرة أخرى إلى غرفة الجد والجدة اللذين كانا يتلقياني بكل حب وحنان لأعود مرة أخرى وبعد ساعات قليلة إلى غرفة الوالدة للرضاعة وهكذا دواليك حتى الصباح . ولم يكن يتضجر من ذلك حتى في ليالي الشتاء القارصة البرودة أو في الليالي الممطرة حيث كان يغطيني بعباءته – بشته – ليعبر الحوش (ساحة المنزل) التي كانت تفصل غرفته عن غرفة والدي ووالدتي . وكان يقوم بذلك بالرغم من هيبته وكبر سنه وكونه كبير العائلة والمسؤول الأول والأخير عن شؤونها ، حيث كان منزلنا يضم أكثر من ثلاثين شخصاً مكونين ست عائلات من إخوانه وأبناء عمومته . وعندما بلغت الرابعة أو الخامسة من العمر وضع لي سريراً في غرفته ، وصرت أنام في تلك الغرفة وأتناول الغداء والعشاء فيها وكذلك مذاكرة الدروس ، حتى انتقلت إلى القسم الداخلي في ثانوية الشويخ في عام ١٩٦٠م[1] . فقد كانت البيوت في ذلك الزمان مكتظة بالسكان من الإخوة والأخوات وأبناء العمومة والأخوال والخالات ، وكانت كل غرفة تضم الأب وأبناءه مهما بلغ عددهم ، ولم يكن أحد يحلم بالحصول على حجرة خاصة به إلا عندما يتزوج حيث يتم البحث له عن زاوية صغيرة أو فراغ في أحد زوايا المنزل أو ساحة صغيرة مهجورة في الحوش لتبنى له حجرة لتؤويه وزوجته .

---

(١) بدأت دراستي في ثانوية الشويخ في سبتمبر عام ١٩٥٨م وسكنت القسم الداخلي عام ١٩٦٠م .

وعندما سافرت للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٢م كان دائم السؤال عني من خلال مراسلات الوالد وإخواني وأخواتي معي . وقد أرسل لي مبلغاً من المال لشراء سيارة عام ١٩٦٣م في أثناء الدراسة وكذلك لشراء سيارة أخرى عند التخرج عام ١٩٦٧م .

وكنت بعد تخرجي قد سكنت في المنزل الذي بناه مع والدي في القادسية والذي تزوجت فيه . وكنت أجالسه يومياً ، ولا يكاد يخلو مجلسه من الحديث عن الماضي والأحداث التي تمر بها المنطقة من سياسة وأحداث يومية يتابعها عبر المذياع أو بالسؤال عن أخبار اليوم .

وعندما انتقلت إلى السكن في منزلي الخاص بمشرف عام ١٩٨٠م صار يزورنا يومياً دون انقطاع ، حيث كنت أخرج من العمل الساعة الثالثة مساء فكان يسبقني إلى البيت ليجلس معي في أثناء تناولي الغداء ويقضي معي حوالي نصف ساعة أو أكثر قليلاً يعود بعدها إلى بيته أو يكمل مشاويره اليومية الأخرى بزيارة أخته الوحيدة أو إخوانه . وكنت لا أفوت الفرصة في سؤاله عن كل ما يدور بخلدي من أسئلة عن الماضي وعن أيام شبابه وعن والده ووالدته ورحلاته الكثيرة إلى الهند والعراق وإيران والسعودية سواء للتجارة أو الحج أو الزيارة .

وفي سنواته العشر الأخيرة أو قبل ذلك بسنتين أو ثلاث بدأت التسجيل لعدد من تلك الجلسات التي كانت تعقد يومياً تقريباً في محاولة مني لتوثيق تلك المعلومات الثمينة التي تخص الكويت والمجتمع والعائلة ، والتي تعكس نمط المعيشة في الكويت وما حولها من بلدان في بدايات القرن العشرين . وكان جزء من التسجيل مسموعاً والآخر مسموعاً مرئياً . وقد حثني على ذلك عدد من الأصدقاء الذين أعجبوا بالمعلومات التي كنت أنقلها إليهم في جلساتنا سواء في العمل أو في الديوانية . وكان في مقدمة الأخوة الذين شجعوني على التسجيل قبل أن تفوت الفرصة الأخ والصديق العزيز السيد رشيد عبد المحسن الشرهان الذي كان ولا يزال من أكثر المهتمين بتاريخ الكويت وتراثها . وكان لتشجيع هؤلاء الإخوة أكبر الأثر في إقدامي على التسجيل ومتابعته بشغف ومثابرة .

لقد أغرمت بالجلوس مع المرحوم الحاج إسماعيل جمال والتحدث إليه لما كان في حديثه من عبق الماضي وطيبة أهله وجمال أيامه . وكان في كل جلساته يستحضر الماضي بكل ما فيه من أيام جميلة وأيام مغايرة . وكانت ذاكرته من حديد على الرغم من بلوغه مئة عام . وكنت كلما استفسرت منه عن موضوع معين أسهب في تغطيته وقدم من المعلومات ما كان يمكن أن تمتلئ به الصفحات ، وعرّج على كل ما يتعلق بذلك الموضوع من تفاصيل .

وعلى الرغم من أنني بدأت التسجيل لتلك الجلسات في وقت متأخر جداً من حياته - وذلك عند بلوغه السابعة والثمانين - فإن كمية المعلومات وتنوعها غطت مختلف الجوانب المعيشية والسياسية والتاريخية والاجتماعية التي سادت في أثناء فترة صباه وشبابه وصولاً إلى مرحلة الكهولة . وكان دقيقاً في وصفه للأحداث ، عميقاً في تحليله لها وردها إلى مسبباتها ونتائجها سواء كانت أحداثا سياسية أو غير ذلك . وكان

ضليعاً في تاريخ الكويت والمنطقة متابعاً لما يدور فيها من أحداث حتى أواخر أيامه ، واعياً لما كان يجري فيها ، متمكناً من تحليل الحدث ونتائجه ورده إلى أصوله .

وفي ختام هذه المقدمة أرى لزاماً علي أن أقدم خالص شكري وامتناني لما لقيته من تشجيع ودعم من قبل العديد من الجهات والأشخاص ، أذكر في مقدمتهم الإدارة العليا لبنك الكويت الصناعي ، وعلى رأسهم الأخ السيد عبدالمحسن يوسف الحنيف ، على السماح باستخدام الأجهزة والمعدات الخاصة بالطباعة والحفظ والتصوير للمعلومات الخاصة بالكتاب ، إذ لولا تقديم البنك لهذا الدعم لما ظهر الكتاب بهذه الصورة الدقيقة من الطباعة والتبويب والإنجاز الجيد الذي أعتز به . كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لسكرتارية إدارة المشاريع في بنك الكويت الصناعي التي عاشت معي فترة طويلة لطباعة وتنظيم الكتاب ومراجعته مرات عديدة . ولا يفوتني أن أقدم خالص شكري وتقديري لمركز البحوث والدراسات الكويتية على المراجعة اللغوية للكتاب وإظهاره بالقالب اللغوي المتقن . كما لا يفوتني أن أشيد بالدور المتميز للأخ العزيز السيد سمير خميس خليل سرحان لإشرافه على طباعة الكتاب ومتابعة إنجازه وبذل الجهود الكبيرة لإخراجه بالصورة التي هي بين يدي القارئ . كما أتقدم بالشكر والتقدير للأخ الدكتور جعفر يعقوب العريان على مراجعته الكتاب وإبداء الملاحظات القيمة والآراء السديدة التي استفدنا منها أكبر فائدة . كما أتقدم بالشكر الجزيل لأخي هاني عبد الهادي جمال الذي كان لملاحظاته في تصنيف الكتاب ومراجعة محتوياته والتعليق عليها وتقديم بعض الاقتراحات كبير الأثر في إنجازه بالصورة المطلوبة . كما لا يفوتني أن أقدم شكري الجزيل وتقديري للأخ السيد رشيد عبدالمحسن الشرهان على مبادرته بحثّنا على تسجيل لقاءاتي مع الجد والتي انطلقت على إثرها فكرة إعداد هذا الكتاب . والشكر وعظيم الامتنان موصول أيضاً للأخوة الكثر الذين لم يبخلوا علينا بالمعلومات الخاصة بأسماء سكان البيوت في الأحياء القديمة لمنطقة الوسط ، حيث كان لذلك أكبر الأثر في إثراء وتوثيق هذا الجانب من الكتاب ، والذي تطرق بالتفصيل إلى سكان كل حي ومواقع منازلهم في الفرجان والأزقة في منطقة وسط المدينة التي أصبحت الآن أثراً بعد عين . ويزيد عدد هؤلاء الإخوة على المائة ، مما يضطرني إلى أن أخص بالذكر منهم الإخوة الذين قضوا معي جلسات عديدة وبعضهم الآخر ساعات طويلة لتحديد أسماء سكان هذه البيوت ، مع عدم التقليل من الإسهام المهم الذي قدمه بقية الإخوة . أما الإخوة الذين أخصهم بالذكر فهم كل من سعادة الشيخ خالد الدعيج الصباح والسيد يوسف عبد الله الشاهين والحاج مبارك حسين دشتي والدكتور سليمان سعدون البدر والسيد محمد صالح المنصور والسيد محمد عبد اللطيف المطوع والسيد عبدالعزيز عبداللطيف المطوع والسيد جعفر كرم والسيد عبد الجبار منصور معرفي والسيد موسى جعفر معرفي والسيد عبد العزيز عبد الصمد حسين والحاج جعفر حيدر آل رشيد والسيد محمد علي الخرس والدكتور عبد المجيد جراغ والسيد عبد العزيز صالح الحمدان والسيد فرحان عبد الله الفرحان والسيد جعفر محمد الوزان والسيد عبد العزيز عبد الحميد خلف والسيد عبد الله محمود أسد والسيد حسين علي ناصر القطان والسيد علي سيد حسين الطباطبائي والسيد جليل سيد حسين الطباطبائي والسيد ناصر

فهد الدويلة والسيد خالد محمد غنيم الشهري والدكتور حسن الزيد وإخويه حسين وعباس والسيد فاضل علمدار والسيد جاسم محمد المزيدي والسيد جواد عبد الله المزيدي والسيد عبد العزيز عبد الله الوزان والدكتور موسى خداده والسيد عبد المطلب إسماعيل بهبهاني والدكتور عبد الحميد المهنا والسيد سعود مساعد الدهام والسيد منصور البقشي والسيد فهد مزيد الزايد والسيد فيصل عبد العزيز النوري والدكتور جعفر يعقوب العريان والسيد حسين محمد علي مقدس والسيد حمزة جعفر إصلاح والسيد مصطفى عبد الله الصراف والسيد راشد مرزوق الطحيح والمستشار جواد جاسم العبد الله والسيد علي محمد علي العريان والسيد أحمد سيد مندني سيد خليفة والسيد أحمد حسين العبد الرزاق والسيد صادق يلي والدكتور عبدالله حمد محارب والسيد محمد سعيد الدويسان والسيد عبدالرحمن عبدالله الدعيج والسيد عبدالله ناصر المنيخ والسيد شعبان حسين شعبان والدكتور مناف إسماعيل بهبهاني والدكتور محمد حسن نصير والسيد منصور بندر حسين والسيد سلطان المتروك والدكتور منصور غلوم والسيد صالح سالم الهران والسيد عبد الحميد عبد الله الشمالي والسيد عبدالمجيد سيد عبدالزراق الزلزلة والسيد عبدالكريم الأربش والسيد عيسى سلطان حسين والسيد عبدالله أحمد بوفتين والسيد عبدالله محمد بوخلف والسيد صالح نصار بولبقة والسيد سعد حسين الميلس وديوان السيد عبد المحسن الطويرش . كما أشكر عشرات الإخوة الآخرين الذين ساهموا في تزويدي بأسماء السكان في أحيائهم القديمة ، مما أسهم في إغناء البحث ، وإني إذ أقر أنه كان من واجبي أن أذكرهم جميعاً فرداً فرداً لكني على يقين من أنهم سيقبلون عذري لصعوبة ذلك لكثرة عددهم وضيق المساحة المتاحة لذلك .

وختاماً أود أن أقدم خالص شكري وتقديري لزوجتي وجميع أبنائي وبناتي على الجهود الكبيرة التي بذلوها والإسهامات الرائعة التي قاموا بإنجازها في تنظيم محتويات الكتاب وحفظ مادته وتبويبها في الحاسب الآلي وترتيبها وإظهارها بالمظهر اللائق ، من إخراج وتنظيم وكذلك القيام ببعض الرسومات الهندسية والتصاميم المناسبة ، وأخص بالذكر إبنتي ندين التي قضت معي عشرات الساعات لإنجاز تلك المهمة . فإلى هؤلاء جميعاً أقدم شكري وتقديري وامتناني .

وفي الختام أود أن استميح الإخوة سكان منطقة الوسط عذراً لأي نسيان أو خطأ غير مقصود ناتج عن عدم ذكر أسمائهم أو وضع أسمائهم في غير موضعها أو أسماء أحد غيرهم بطريق الخطأ في مواضع منازلهم ، حيث إن العمل الذي تم إنجازه معقد وذو تفاصيل كثيرة يصعب ضبطها أو التحكم فيها بالكامل . فإلى هؤلاء جميعاً أقدم اعتذاري في حالة أي خطأ أو نسيان راجياً منهم كريم المعذرة . كما أرجو ممن لديه أي إضافة أو تعديل ألّا يتردد في الاتصال بنا على الرقم ٥٥٩٠٠٣٠٩ ، أو البريد الإلكتروني mohamadjamal42@gmail.com

والله الموفق ، ،

المؤلف

محمد عبد الهادي جمال

المحتـــــوى

الفصل الأول:

العائلة والفريج وذكريات الطفولة ١٧

الفصل الثاني:

فترة الشباب والأوضاع السائدة آنذاك ١٠٣

الفصل الثالث:

لمحات من النشاط الاجتماعي في الماضي ١٦٩

الفصل الرابع:

إعادة تشغيل الكاركة وما بعد ذلك ١٩٥

الفصل الخامس:

شخصيات في ذاكرة الحاج إسماعيل ٢٣٥

الفصل السادس:

السنوات الأخيرة واستمرار النشاط الاجتماعي ٣٠٩

الفصل الأول

العائلة والفريج وذكريات الطفولة

تاريخ الولادة والعائلة

أول رحلة للحاج اسماعيل خارج الكويت

الدراسة وذكريات تلك الفترة

البيت القديم

لمحات من مدينة الكويت القديمة

الكاركة

معامل الهردة في الكويت

المناطق القريبة من الكاركة والمحيطة بها

الفصل الأول

العائلة والفريج وذكريات الطفولة

تاريخ الولادة والعائلة

ولد الحاج اسماعيل علي إسماعيل جمال عام ١٣١٠هـ (١٨٩١م) في نفس المنزل الذي ولد فيه والده الحاج علي اسماعيل جمال . ويقع ذلك المنزل في فريج جمال الذي هو جزء من فريج الفرج القريب من فريج الجناعات . وكان يطلق على ذلك الفريج في الماضي فريج بوعباس لوجود منزلين أو ثلاثة لتلك العائلة هناك إلى بداية القرن العشرين . ومن الفرجان – أو الأحياء – المحيطة به والمجاورة له فريج الفرج من ناحية القبلة وفريج الصاغة من ناحية الشمال وفريج العوازم من ناحية الجنوب وفريج الجناعات من ناحية الشرق .

وتجدر الإشارة إلى أن الحاج اسماعيل جمال عاش فترة حكم تسع حكام للكويت . فقد ولد في عام ١٨٩١م في عهد الشيخ عبد الله الثاني بن صباح ، الحاكم الخامس للكويت ، الذي توفي عام ١٨٩٢م ، وعاش الخمسةعشر عاماً الأخيرة من حياته في عهد الشيخ جابر الأحمد الصباح . وفيما يلي أسماء الحكام الذين عاصرهم :

الشيخ عبد الله الثاني بن صباح (توفي عام ١٨٩٢م) .

الشيخ محمد بن صباح (١٨٩٢م – ١٨٩٦م) .

الشيخ مبارك بن صباح (١٨٩٦م – ١٩١٥م) .

الشيخ جابر المبارك (١٩١٥م – ١٩١٧م) .

الشيخ سالم المبارك (١٩١٧م - ١٩٢١م) .

الشيخ أحمد الجابر (١٩٢١م - ١٩٥٠م) .

الشيخ عبد الله السالم (١٩٥٠م - ١٩٦٥م) .

الشيخ صباح السالم (١٩٦٥م - ١٩٧٧م) .

الشيخ جابر الأحمد (١٩٧٨م - ٢٠٠٦م)

ووالد الحاج اسماعيل هو الحاج علي بن اسماعيل بن مرواح ووالدته هي الحاجة شيخة بنت إبراهيم بن مرواح . وقد ولد والده ووالدته في نفس المنزل الذي ولد فيه الحاج إسماعيل وهما أبناء عم . وهو حفيد جمال بن حسين - كبير عائلة آل جمال - من ابنتيه مريم ، وهي أم والده علي ، وفاطمة ، وهي أم والدته شيخة . وكانت الأولى تلقب بأم علي والثانية بأم محمد . وكان للمرحوم جمال بن حسين بنت ثالثة هي خيرية وقد تزوجت الحاج إبراهيم عباس شمساه الملقب بخواجه إبراهيم وأنجبت منه ثلاثة أبناء هم حسين وأحمد وعباس وبنت اسمها خير النساء . كما كان للمرحوم جمال ابن واحد هو عبد الله جمال والد المرحومين حسين ومنصور وجمال ومحمد ومكية وصفية .

ويذكر أن جمال بن حسين كان يسكن في منزل بأحد الأحياء في منطقة القبلة وسكنت بنتاه مريم وفاطمة في منزل واحد في منطقة الوسط كان يأوي زوجيهما الأخوين إسماعيل وإبراهيم . فقرر جمال أن يسكن بالقرب من ابنتيه حيث كان يردد أنه لا يستطيع فراقهما ، فاشترى بيتاً ملاصقاً لبيت اسماعيل وابراهيم وتم فتح باب بينهما ، وكان المنزلان يطلان على حفرة كبيرة لتجميع مياه الأمطار يطلق عليها (حفرة حبيبوه)[1] . وكان ذلك في حدود عام ١٨١٠م تقريباً . ونظراً لتواجد الأسرة الكبيرة المكونة من الأب جمال وولده عبدالله وابنتيه مريم وفاطمة وزوجيهما في بيت واحد تقريباً وتحت سقف واحد ، وفي ظل ورعاية الأب الكبير جمال أخذ الناس يطلقون على جميع أفراد العائلة بأبناء جمال فتعارف الناس على ذلك وسمي الأحفاد - أبناء إسماعيل وإبراهيم - أبناء جمال ، فعرف محمد بن إبراهيم جمال وعلي بن اسماعيل جمال واستمر اللقب يطلق على الأحفاد وأحفاد الأحفاد وأحفادهم إلى يومنا هذا .

---

(١) حبيبوه تصغير لاسم حبيب أو حبيبه ، وهو اصطلاح كثير الاستخدام في الماضي بين صغار الأولاد والبنات .

وكان جمال بن حسين يعمل عطاراً يبيع الأدوية والأعشاب الطبية ويرشد المرضى لاستخدام الأنواع المناسبة منها لعلاج كل مرض ، ويقوم بخلطها وتجهيزها لهم . وقد ورثه ابنه عبد الله بنفس المهنة التي امتهنها أيضاً حفيده محمد بن عبد الله جمال المتوفى في عام ١٩٥٧م ، وكان يتخذ نفس الدكان الذي ورثه من والده وجده والواقع بالقرب من مسجد السوق الكبير ، حيث كانت تلك المنطقة تمثل السوق الرئيسي في الكويت في الماضي والذي تباع فيه جميع أنواع البضائع والسلع إلى بداية القرن العشرين . وكان الحاج جمال بن حسين الجد الكبير لعائلة آل جمال متمكناً في عمله كعطار . وكان يصف الأدوية المناسبة لكل مريض وطريقة خلطها بعضها مع بعض قبل تناولها . ويذكر أنه في أحد المرات أُحضر إليه أحد الأشخاص من عبيد آل عيدي وكان قد سقط وانقطع لسانه وظل معلقاً في حلقه فقام جمال بخياطته بخيط من البريسم (الحرير) بعد أن ثبته في مكانه ووضع على الجرح عسل النحل ووصف له الأدوية اللازمة للمساعدة في التئامه واستمر المريض في مراجعته إلى أن التأم اللسان .

أما عبد الله بن جمال فكان خطاطاً متميزاً يتقن نقش الحروف وتزيينها بزخارف جميلة . وقد ورث عن والده جمال مهنة العطارة واتخذ نفس الدكان لممارسة المهنة . ويذكر أن حريقاً كبيراً شب في السوق الداخلي عام ١٣٠٠ هجرية امتد إلى سوق العطارين المجاور لمسجد السوق الكبير من ناحية القبلة فقضى على كثير من المحلات ومحتوياتها ومن بينها دكان جمال . فقام الحاج عبد الله بن جمال بإعادة بناء الدكان وأحضر أحد النجارين الذي عمل له جرارات صغيرة في المحل خصصت كل واحدة منها لنوع من الأدوية ، وكتب بخط جميل اسم الدواء على كل جرارة في الدكان وقام بتلوين الجرارات . ويذكر أن محله كان يضم أكثر من ٣٠٠ جرارة تضم كل واحدة منها نوعاً خاصاً من الأعشاب والأدوية الشعبية ، وبقي ذلك الدكان كما هو إلى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي .

ومن القصص التي تذكر عن عبد الله بن جمال أنه كان يرافق في أحد المرات حسن عبدالرزاق النقي إلى منطقة الوطية (الواقعة على ساحل البحر في منطقة القبلة) ، حيث كان حسن عبد الرزاق يبحث عن مساحة مستوية من الصخر على ساحل البحر لقلع قطعة كبيرة مسطحة منها لاستخدامها كرحى للكاركة التي كان يملكها آنذاك لطحن السمسم وفي أثناء ذلك كان عبد الله جمال يتجول على الساحل فمر على مكان مستوٍ من

الصخر الصلب فنقش عليه اسمه وحفر هذه العبارة (كاتب هذه الحروف عبد الله بن جمال ١٢٨٠ هجرية)[١] . وقد مرت الأيام والسنون وبقيت تلك العبارة محفورة على الصخر . وينقل الحاج إسماعيل جمال عن الحاج محمد بن عبد الله جمال – نجل عبد الله جمال – أن الشيخ أحمد الجابر الصباح كان يتجول في تلك المنطقة في أوائل عهده في الحكم فشاهد تلك العبارة محفورة في الصخرة على الساحل . فجاء في اليوم التالي إلى دكان محمد عبد الله جمال في السوق الداخلي مستفسراً منه إن كانت تلك الأرض تعود لوالده ، فأجابه الحاج محمد جمال بالنفي وأخبره أن والده كان خطاطاً وكان في أحد الأيام أثناء شبابه يتجول في تلك المنطقة بمرافقة حسن عبد الرزاق النقي فنقش تلك العبارة على الصخرة .

كما كان للمرحوم الحاج عبد الله بن جمال اهتمامات خاصة أخرى منها تسجيل تواريخ ولادة أبناءه . فقد كان يحتفظ بدفتر يسجل فيه بعض الأحداث التي تهمه من بينها تلك التواريخ . كما سجل في الدفتر تاريخ سفر والده الحاج جمال إلى الحج في عام ١٢٨٢ هجرية (١٨٦٥م) . وقد تم تسجيل تاريخ وفاة عبد الله بن جمال في نفس الدفتر ، وكان ذلك بتاريخ الأول من ذي القعدة عام ١٣٤٢ هجرية (٢ يونية ١٩٢٤م) .

أما الحاج إسماعيل بن مرواح فهو جد الحاج إسماعيل من ناحية أبيه ، وكان يعمل رئيساً للحرس في عهد الشيخ دعيج بن جابر العيش مسؤول الأمن في ذلك الوقت (وهو عم الشيخ مبارك الصباح) . أما الحاج إبراهيم بن مرواح فهو جد الحاج إسماعيل من ناحية والدته وهو الذي أسس الكاركة في حوالي عام ١٨٤٨م وعمل بها أكثر من ثلاثين عاماً . وقد استلمها بعد وفاته ابنه محمد بن إبراهيم جمال (والد عبد الهادي وخال الحاج إسماعيل) في حوالي عام ١٨٨٥م .

وللمرحوم الحاج إسماعيل بن علي جمال أربعة إخوة هم حسن وهو الأكبر وعبد الرزاق وحسين ويوسف وأخت واحدة (بيبي) . وتذكر الحاجة شيخة بنت إبراهيم والدة الحاج اسماعيل جمال ، التي توفيت عام ١٩٦٩م عن عمر يناهز مائة وسبع سنوات ، أنها أنجبت عشرة أطفال مات أربعة منهم وهم صغار وبقي ستة . ويأتي الحاج إسماعيل الثاني من بين إخوته ، ويكبره حسن الذي توفي وعمره حوالي ٢٧ سنة وكان متزوجاً وله ابن اسمه محمود وبنت .

---

(١) يصادف عام ١٢٨٠ هجري عام ١٨٦٣ ميلادي .

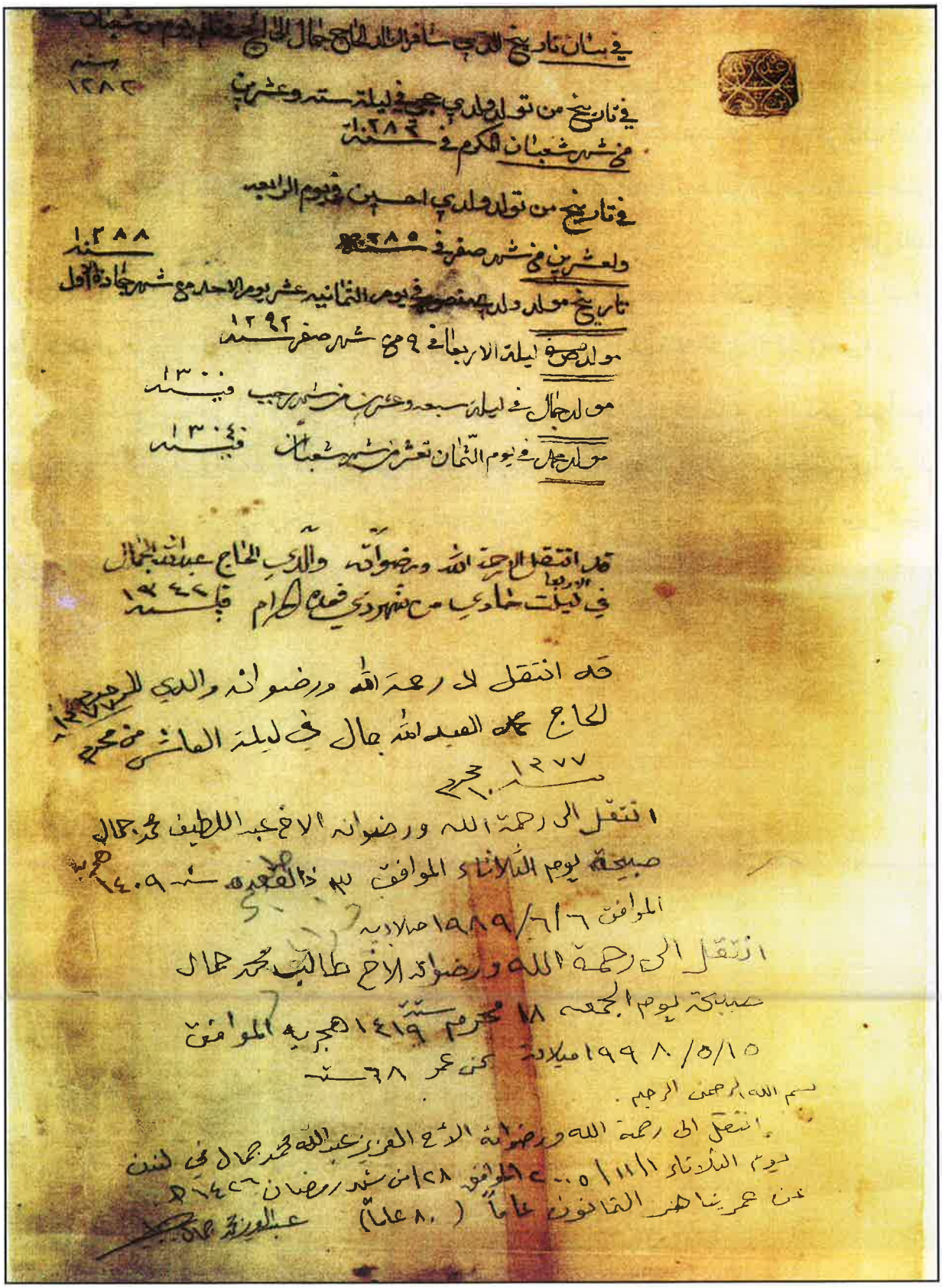

صفحة من الدفتر الذي كان المرحوم عبدالله بن جمال يسجل فيه ما يهمه من أحداث

ويذكر المرحوم الحاج إسماعيل الكثير عن طفولته . فقد تربى بين عائلة محافظة متدينة في فريج يضم أسراً عريقة منها عائلة عيدي والمرهون والقناعات والنقي وأبل وبوعباس والمتروك والموسوي وعبدال ومقامس والحداد ورجب علي آل قاسم والزلزلة والكاظمي . ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ خزعل آل مرداو حاكم المحمرة في تلك الفترة اشترى في بداية القرن الماضي عدداً من تلك المنازل المقابلة لمنزلهم وهي بيوت آل بوعباس والمرهون والسيد حسن الحداد ورجب علي آل قاسم ، وقام بهدمها وبنى مكانها قصراً كبيراً ذا طابقين جلب خريطته من المحمرة وظل قائماً إلى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين ، ويقع ذلك القصر في نفس سكة آل جمال ، وكان الشخص الذي أشرف على البناء هو المرحوم علي عبدال . ويبدو أنه لم يتسن للشيخ خزعل السكن في ذلك المنزل إلا لفترة قصيرة .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الأغلبية الساحقة من المنازل في الماضي كانت ذات طابق واحد لكن كثيراً منها كان بها غرفة أو غرفتين بالسطح لاستخدامها في أثناء الصيف ، وهناك منازل قليلة ذات طابقين . ويذكر أن أول منزل ذي طابقين بني في فريجهم – قبل بناء قصر الشيخ خزعل – كان منزل المرحومين الأخوين السيد

جانب من سكة الفرج ويشاهد فيه مسقف العبدالرزاق .

علي الزلزلة والسيد صادق الزلزلة الذي بناه الأستاد علي المهدي ، وهو من أشهر أستادية البناء في منطقة الوسط في ذلك الوقت ، حيث بنى عدداً من الغرف في الطابق السفلي وعدداً آخر في الطابق العلوي . وكان المرحومان السيد علي والسيد صادق من تجار الأقمشة حيث كانوا يجلبونها من بغداد والبصرة لبيعها في محلهم بالسوق الداخلي . كما أن السيد علي الزلزلة كان يقرأ الأدعية في الحسينية الخزعلية عندما تم افتتاحها عام ١٩١٦ . وكانا أيضاً يحييان ليالي شهر رمضان في الطابق العلوي من منزلهما الذي كان له درج يوصل مباشرة إلى الشارع ، حيث يتجمع عدد من أصدقائهما وأقاربهما هناك لسماع القرآن الكريم والأدعية التي يقرأها كل من السيد علي والسيد صادق . كما اعتاد السيد علي الزلزلة على دعوة كل مقريء جديد يصل إلى الكويت للقراءة في منزله .

وقد حاولنا وبمساعدة عدد من الأصدقاء من سكان تلك المنطقة في الماضي استذكار أسماء سكان المنازل في الفريج والفرجان المحيطة به والقريبة منه ، وقمنا برسم مخطط تقريبي لتلك المنطقة مبني على التصوير الجوي لمدينة الكويت في عام ١٩٥١م لحفظ مكونات ومعالم هذه المنطقة التي لا تزال في مخيلة من عاش وترعرع بين ربوعها أيام صباه وشبابه ، ولتبقى معه ذكرى جميلة يعود إليها عندما يحن لتلك الأيام الرائعة التي صبغتها روح المحبة والوئام والثقة والإيثار . ولا يفوتني هنا أن أعبر عما يدور بخلدي من أمنيات أهمها أن أرى يوماً ما المجسم أو المخطط الكامل لمدينة الكويت القديمة وقد ظهرت عليه معالمها التاريخية وخُطّت عليه أسماء ومواقع الأحياء القديمة ومواقع المنازل والمساجد والمدارس وسكان كل فريج لتبقى مدينتنا الأم بكل ما تشكله من معاني وقيم خالدة في سجل موثق يليق بها ويحفظها من النسيان ، لتظل حاضرة على الدوام كما هي محفورة في قلوبنا ، تزينها أسماء من عاش في كنفها أيام الشدة ولتكون رمزاً للوفاء والعرفان ولتبين للأجيال القادمة المَنْبت الذي خرجت من أحضانه ، ونشأ وتربى فيه الآباء والأجداد ، وسيجد القارئ في الملحق رقم (٣) للكتاب مخططاً لوسط مدينة الكويت القديمة يبين اسماء سكان البيوت في تلك المنطقة .

أول رحلة للحاج إسماعيل خارج الكويت

يتذكر الحاج إسماعيل أول سفرة قام بها خارج الكويت بكل تفاصيلها بالرغم من أن عمره كان آنذاك ست سنوات . وكانت هذه السفرة إلى ميناء معشور الإيراني في حوالي عام ١٨٩٧م حيث رافق فيها خال والده عبد الله بن جمال لخطبة فتاة لابنه منصور . وكان معهم بالرحلة جدته مريم بنت جمال (أم والده علي) وأختها

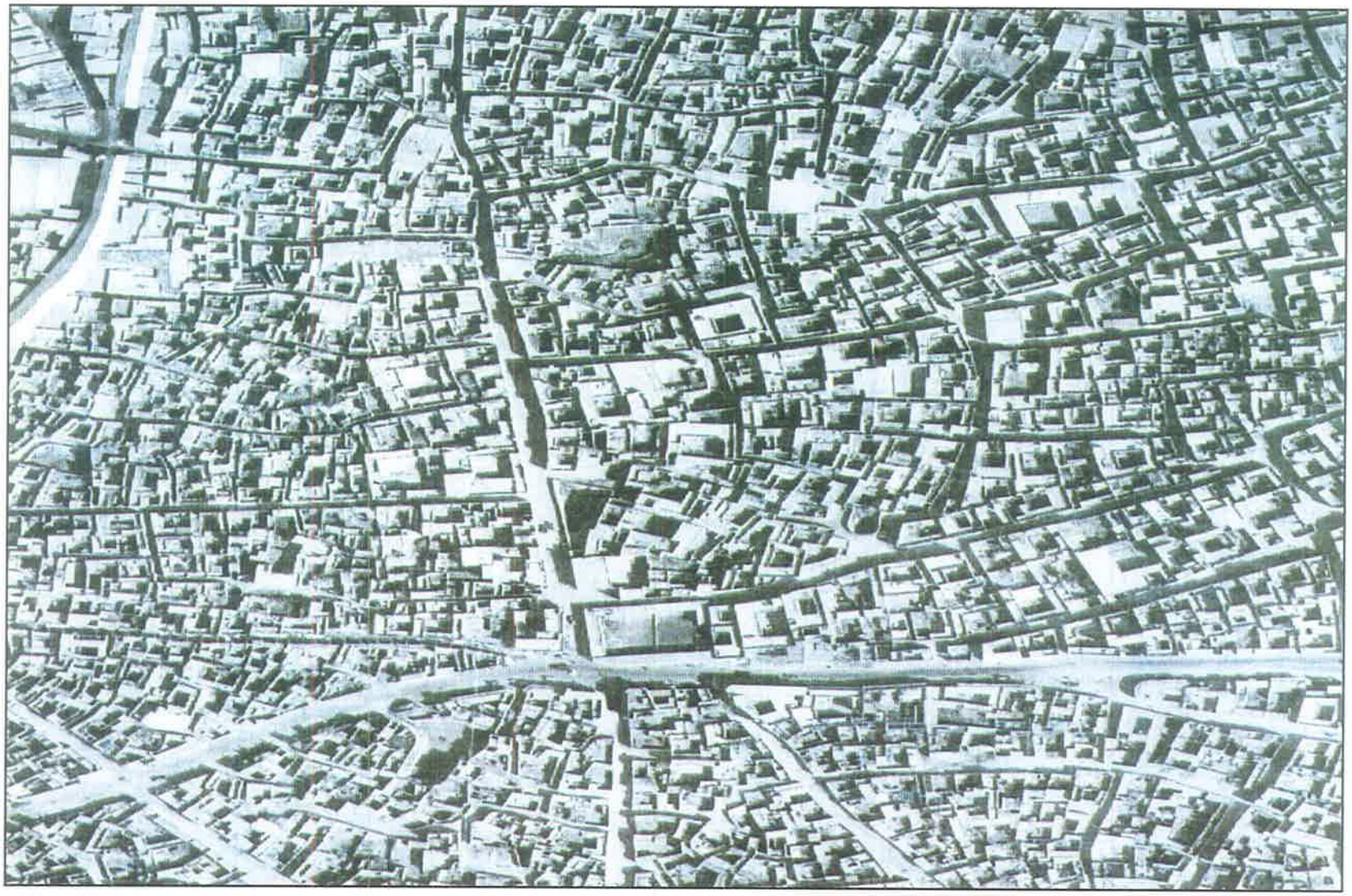

صورة جوية للفريج والفرجان المحيطه به (عام ١٩٥١م) وتشاهد " سكة الفرج" التي تؤدي إلى دروازة عبد الرزاق على امتداد يسار الصورة والتي أصبح يطلق عليها الآن شارع مبارك الكبير .

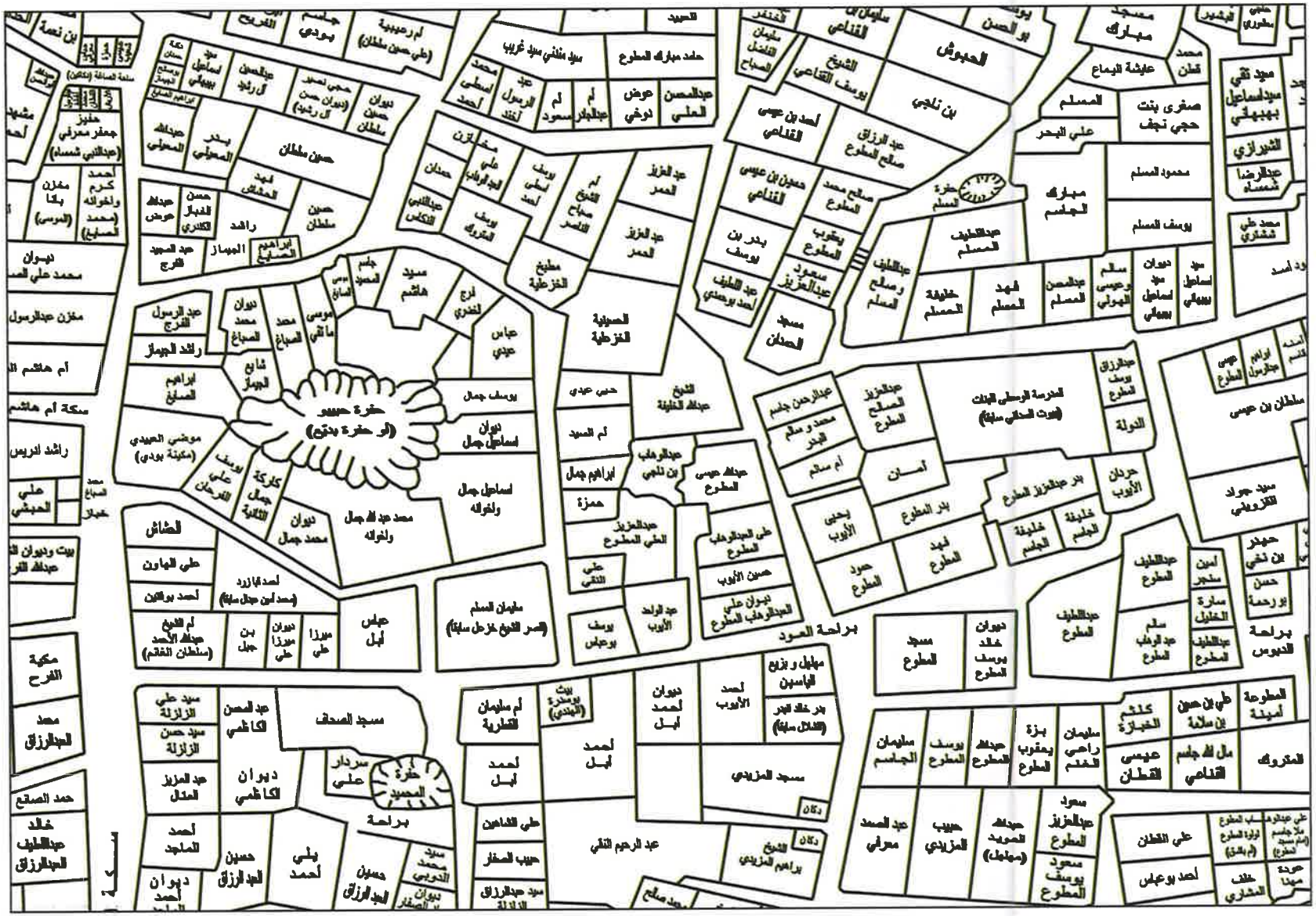

مخطط للفريج والفرجان المجاورة مع أسماء أصحاب المنازل – انظر الملحق رقم (٣) لتفاصيل أكثر .

خيرية بنت جمال وحفيدها إبراهيم ابن عباس ابن خاجة إبراهيم ، وكان صبياً بنفس سن الحاج إسماعيل . وكان هدف الرحلة خطوبة مكية ابنة خيرية بنت جمال للمرحوم منصور بن عبد الله جمال . وقصة خيرية (أو أم الخير) وهي البنت الصغرى لجمال – أنها عندما تزوجت خاجة إبراهيم أنجبت منه ثلاثة أولاد هم عباس وحسين وأحمد وبنت تدعى خير النساء[1] ثم توفي زوجها فتزوجها من بعده أحد أبناء عائلة المسيب في معشور ، وذهبا إلى هناك وأنجبت منه مكية التي تمت خطبتها في أثناء تلك الرحلة وأصبحت زوجة لمنصور بن عبد الله جمال . ويتذكر الحاج إسماعيل تفاصيل تلك السفرة فيقول إن اثنتين من عبداتهم رافقتاهم في تلك الرحلة وهما "فايدة" و "زعفران" [2] ، وكانت الرحلة بواسطة سفينة شراعية صغيرة من نوع البغلة تعود لآل معرفي كانوا قد آشروها [3] لتوهم وسموها (التورة) ، وكانت تلك أول رحلة (للتورة) . ويتذكر أنهم أخذوا معهم ذبيحة قام بذبحها – كما يتذكر – أحد البحارة الإيرانيين وكان اسمه (بوخشوه) وكان قصير القامة لكنه نشيط ، وقد عمل لهم باچه للإفطار ووجبة أرز ولحم للغداء من تلك الذبيحة . وبعد وصولهم إلى الميناء توجهوا إلى مدينة معشور على ظهور الحمير ، ومكثوا أسبوعاً هناك ، وبعد إتمام الخطبة غادروها ليلاً على ظهور الحمير أيضاً وتوجهوا إلى مدينة هنديان حيث استغرق الطريق يومين ، ومنها توجهوا إلى قرية اسمها (شمخه لفيسه) ومكثوا فيها ليلة واحدة وتوجهوا من هناك إلى ميناء اسمه (لبقاش) حيث أخبروهم بوجود محمل (سفينة شراعية) متوجهة إلى الكويت في اليوم التالي فباتوا ليلتهم في (لبقاش) ، ومن هناك عادوا إلى الكويت حيث استغرق الطريق يومين . ويتذكر الحاج اسماعيل أن حسين بن عبد الله جمال كان في هنديان في ذلك الوقت وكان يعمل بتجارة المواد الغذائية ، فأقترح على والده البقاء في هنديان عدة أيام لكن والده عبد الله جمال لم يرغب في البقاء في هنديان وفضل التوجه إلى الكويت بأسرع وقت . وبعد فترة من عودتهم جاءت العروس ووالدتها إلى الكويت وتزوجها منصور بن عبد الله جمال . وقد تزوج معه أخوه جمال عبد الله جمال . وكانت خيرية بنت جمال قد بقيت في معشور بعد وفاة زوجها لكنها كانت تأتي إلى الكويت بين وقت وآخر إلى أن تم خطبة ابنتها مكية فعادت معها إلى الكويت .

---

(١) تزوجت خير النساء المرحوم محمد بن ابراهيم جمال (ابن مؤسس الكاركة) وانجب منها ابراهيم وزهرة ثم توفيت فتزوج المرحومة قمر عوض بهبهاني وانجبت له عبدالهادي .

(٢) كانت أعداد من البيوت الكويتية في الماضي – وخاصة المتمكنين منهم اقتصادياً – تضم خدماً يجلبون من إفريقيا يتم شراءهم للقيام بالأعمال المختلفة في البيوت وبعض مراكز العمل .

(٣) آشر البوم أي بناه ، ويطلق على عملية بناء السفينة (وْشار) .

ويتذكر الحاج إسماعيل جمال أن مدينة هنديان والقرى المحيطة بها كانت تضم الكثير من العوائل العربية التي كانت تملك قطعان كبيرة من الأغنام ، كما كانت بها قبائل من بينها قبيلة (الهشوش) ، وكان كثير من عرب الخليج يتوجهون إلى هناك للتجارة ، كما يبقى الكثير منهم وخاصة الشباب حيث يتزوجون من هناك ويعملون بالتجارة ويصبحون من أصحاب الأموال والأراضي . وكان كثير من هؤلاء من العوازم والرشايدة وبني أسد من العراق ، ويعمل معظم هؤلاء بجلب الأغنام والمواد الغذائية إلى الكويت وبلدان الخليج الأخرى .

السفر إلى العراق

ومن الرحلات التي يذكرها الحاج إسماعيل وهو صغير أيضاً سفره إلى العراق مع والدته لزيارة العتبات المقدسة وعمره حوالي ١١ سنة (أي حوالي عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٢م) ، وكان ذلك في عهد العثمانيين . فقد غادروا الكويت بأحد أبوام الماء المتوجهة إلى أبو الخصيب ، ومكثوا هناك ثلاثة أيام اشتروا خلالها المواد الغذائية اللازمة كالأرز وغيره ، ومن هناك ركبوا (بوم عَشّاري) نقلهم إلى البصرة ، ومن البصرة استقلوا باخرة صغيرة تعمل على البخار كانت تتأهب للسفر إلى بغداد ، وكان بجانبها منادٍ يصيح بأعلى صوته (بغداد . . . بغداد . . .) فركبوها دون سؤال أو علم بتفاصيل الرحلة فغادرت البصرة مساء ، وإذا بها الرحلة البطيئة التي استغرقت في الطريق إلى بغداد ثلاثة عشر يوماً مرت خلالها بعشرات القرى والقصبات . ويذكر الحاج اسماعيل أنه كانت توجد بواخر سريعة تقطع الطريق من البصرة إلى بغداد في ثلاثة أيام ، لكنهم علموا بذلك بعد مغادرة الباخرة التي كانت شبه خالية مما جعلهم يختارون أماكن مريحة فيها . ويذكر أن الباعة من سكان كل قرية تقف عندها الباخرة كانوا يصعدون إلى سطح الباخرة ومعهم بضائعهم من خضار وفواكه ودواجن لبيعها على الركاب . وقد وصلوا إلى بغداد في اليوم الثالث عشر فاستقبلهم الشيخ علي طه (والد الشيخ حسون) الذي كان يملك فندقاً في منطقة الكاظمية يسكن فيه الزوار . ويذكر الحاج إسماعيل أنهم توجهوا من الباخرة

إلى الشاطيء بواسطة (قفّه) كبيرة [1] وهي عبارة عن قارب مستدير الشكل مصنوع من القصب أو جريد النخيل يتم طلاؤه بالقار لمنع تسرب المياه إلى داخله ويسير بواسطة المجاديف وكان يسع حوالي ثمانية ركاب مع أمتعتهم . وقد توجهوا بالقفة إلى منطقة الكاظمية وركبوا من هناك في عربة تجرها الخيول إلى الفندق . ولم تكن توجد آنذاك سيارات بل كانت وسيلة المواصلات هي العربات بالإضافة إلى الترام الذي يعمل بالوقود بينما توجد ترامات تجرها الخيول أيضاً . وقد مكثوا في بغداد ثلاثة أيام توجهوا بعدها إلى مدينة كربلاء بواسطة عربة كبيرة تجرها خمسة خيول . وقد استغرق الطريق يوماً كاملاً حيث غادروا بغداد فجراً ووصلوا إلى كربلاء بعد العشاء ، وقد تم استبدال الخيول التي تجر العربة ثلاث مرات ، إذ كانت هناك ثلاث محطات في الطريق لاستبدال الخيول ، الأولى في ربع الطريق والثانية في منتصفه والثالثة عند الربع الثالث منه . وهذه المحطات عبارة عن استراحات توجد بها "خانات" يتم فيها استبدال الخيول التي تجر العربات ويستريح فيها المسافرون ويتناولون الطعام ، وينام بعضهم في الخان في حالة المسافات البعيدة . ويتناول المسافرون وجبة الإفطار في الربع الأول من الطريق ووجبة الغداء في الربع الثاني ويستريحون في أحد المقاهي في الربع الثالث ويصلون إلى كربلاء بعد انتهاء الجزء الرابع من الرحلة . ويوجد في الخانات إسطبلات للخيول وغرف للمسافرين ، والخان عبارة عن حوش كبير تحيط به غرف من كل جانب ويتواجد بالقرب منه وحوله الباعة لعرض ما لديهم من مواد غذائية وخضار وأشياء أخرى . وقد استقبلهم في المحطة في كربلاء السيد فاضل طعمة (والد السيد عبدالوهاب طعمة الذي كان مسؤولاً عن الزوار في كربلاء لسنوات طويلة فيما بعد) ، وأسكنهم في أحد البيوت ، حيث مكثوا عدة أيام ثم توجهوا بعدها بالعربات أيضاً إلى مدينة النجف . ويذكر الحاج اسماعيل أن الطريق الذي يصل كربلاء بالنجف كان وعراً ومليئاً بالحفر ومتعباً جداً ، فقد كانت العربة تهتز طوال الطريق . وبعد بقائهم عدة أيام في النجف توجهوا إلى بغداد ، ومن هناك ذهبوا بالعربات إلى سامراء ثم عادوا إلى بغداد .

---

(١) القفه وجمعها قفف وهي واسطة نقل نهرية دائرية الشكل تصنع من جريد النخيل أو القصب ويتم طلاؤها بالقار لمنع تسرب المياه إلى داخلها . وكانت تستخدم بكثرة في العراق حيث تنقل الواحدة منها ما بين ٨ ركاب إلى ١٥ راكباً حسب حجمها .

إحدى البواخر التي كانت تعمل على البخار والتي كانت تنقل الركاب من البصرة إلى بغداد في بداية القرن الماضي

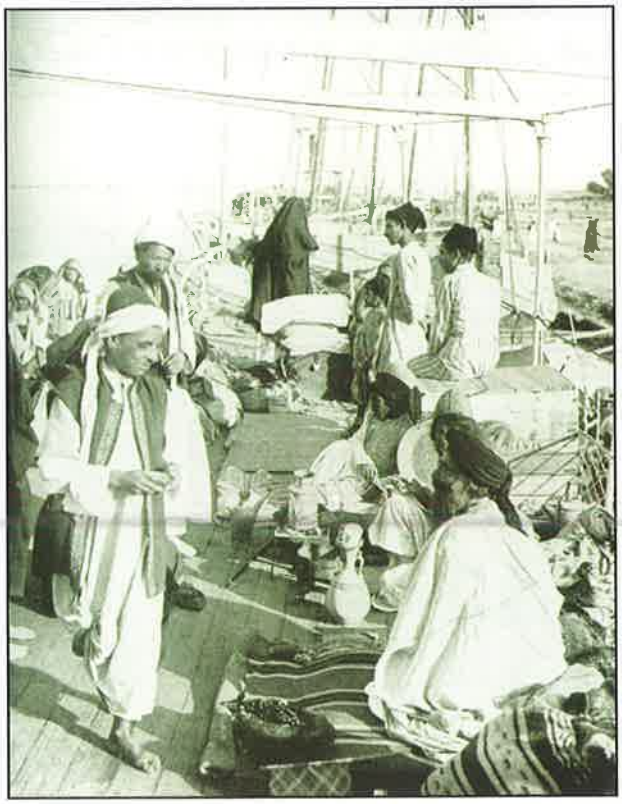

بعض الركاب على ظهر السفينة البخارية التي تنقل الركاب عبر نهر دجلة

مصدر الصور : National Geographic December 1914

"قفه" تسير في نهر الفرات عام ١٩١٤م وهي تنقل الركاب إلى الجهة الأخرى من النهر أو إلى إحدى القرى .

موقع "تجمع القفف" في أحد مناطق بغداد عام ١٩١٤م .

مصدر الصور : National Geographic Deceber1914

عربات تجرها الخيول أو البغال كانت وسيلة التنقل بين الأحياء والمدن في العراق إلى ما قبل منتصف القرن الماضي

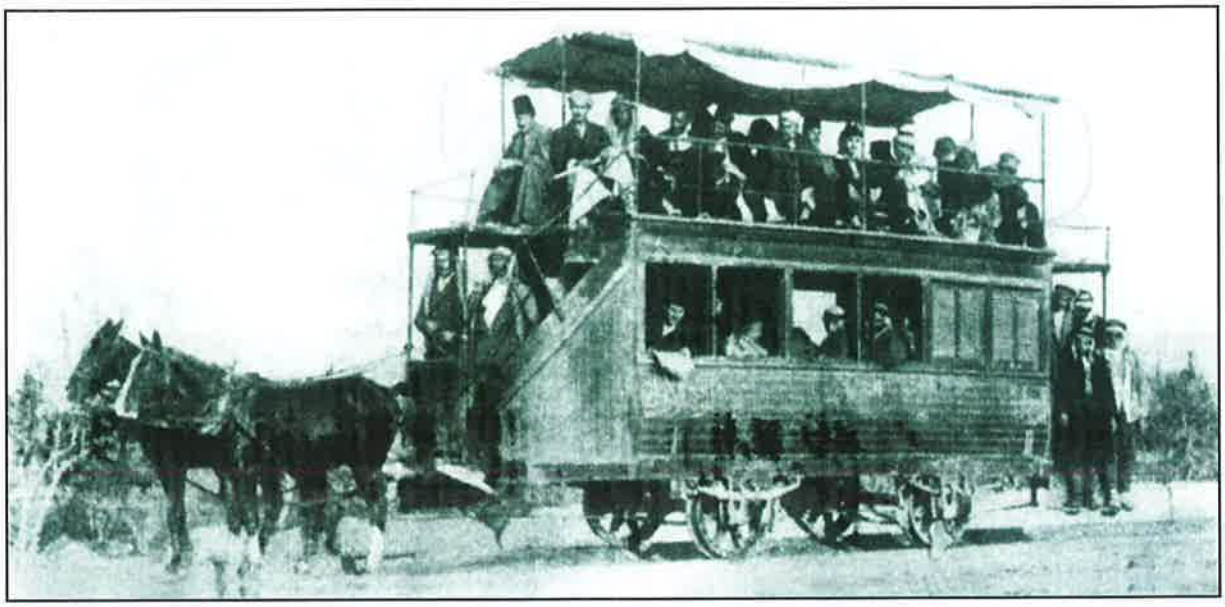

الترامواي (الكاري) الذي كان يعمل بين بغداد والكاظمية حتى عام١٩٤٥م .

مصدر الصور : (١) National Geographic، December 1914

(٢) كتاب العراق - عامر بدر حسون ١٩٩٥م .

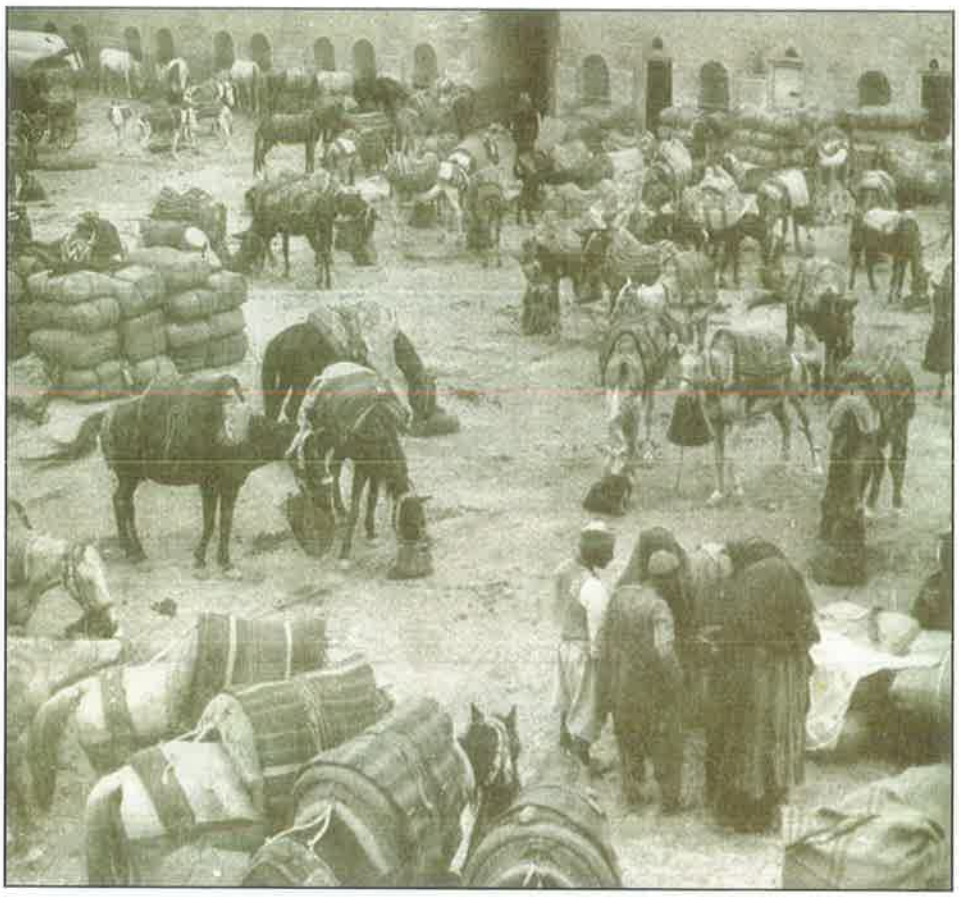

الخان وهو عبارة عن حوش عربي كبير محاط بالغرف التي يسكن
بها المسافرون ، وتشاهد في باحته العربات والخيول والمسافرين

مدينة النجف كما بدت من خارج السور المحيط بها في بداية القرن الماضي .

مصدر الصور : كتاب العراق – عامر بدر حسون – ١٩٩٥م تصوير Fredrick Simpic

ويذكر الحاج إسماعيل أنهم كانوا يستخدمون (المجيدي) العثماني كعملة في العراق لكون العراق آنذاك جزءًا من الدولة العثمانية كبقية البلدان العربية الأخرى كالشام والحجاز ونجد . ويذكر في أثناء تلك الرحلة أن الجيش التركي كان منتشراً في كل أنحاء العراق ، وأنهم كانوا يقدمون شيئاً من النقود للجنود الأتراك لمساعدتهم حيث إن دولتهم شهدت في تلك الفترة أدنى مستوى وصلته في تاريخها ، وذلك قبل الحرب العالمية الأولى بحوالي عشر سنوات . ويذكر أن بغداد كانت آنذاك مركزاً تجارياً مهماً تجلب إليه البضائع من الشام ومصر والبلدان الأخرى ، ومنها الملابس والأقمشة كالحرير و (الريزه) وهو قماش أبيض خفيف يستخدم للملابس الصيفية ، وهو غالي الثمن ويجلب من الشام على شكل ربطات ويلبسه التجار ويطلق عليه قماش مصري ، وكانت الربطة (الطاقة) تباع بريالين نمساويين (ماريا تيريزا) . وكان الريال النمساوي آنذاك يستخدم في العراق كعملة تجارية ، جنباً إلى جنب مع المجيدي التركي . كما توجد غتر من الحرير (البريسم) ترسل أيضاً إلى مكة والمدينة لبيعها في أثناء موسم الحج . كما كانت تتوافر في بغداد والمدن العراقية الأخرى كميات كبيرة من (الكهرمان) الذي يستخدم في صنع المسابيح ، ويباع بالأكواد لتوافر كميات كبيرة منه حيث يتم وضع تلك الكميات على شكل أكوام ويباع بأسعار زهيدة وتوجد منه أنواع كثيرة .

وكان البيع والشراء يتم بالليرة الذهبية العثمانية والريال النمساوي أيضاً . كما كان يستخدم المجيدي العثماني وهو عملة فضية بحجم الروبية ويوجد منها فئة نصف مجيدي وربع مجيدي . وقد أدخل الإنجليز الروبية الهندية إلى العراق كعملة رسمية بدلاً من المجيدي عند احتلالهم للعراق في الحرب العالمية الأولى ، وذلك قبل استعمال الدينار العراقي وأجزائه بعد تنصيب الملك فيصل الأول ملكاً على العراق .

ويذكر الحاج إسماعيل أنهم كانوا في تلك الرحلة مجموعة من الأقارب ، وكان معهم المرحومين مشهدي أحمد بن إبراهيم وابن أخيه إبراهيم بن عباس بن إبراهيم ونصير مارضا . أما النساء فكانت معهم والدته وجدته التي رافقتها عبدتها لخدمتها ، بالإضافة إلى خالته الكبيرة (خالة والدته) ، ولم يسافر والده معهم لانشغالاته . ويذكر أن والده أوصى والدته قبل سفرهم- وهو يمازحها - بألا تسمح له بالزواج من عراقية . ويذكر الحاج إسماعيل أن إبراهيم عباس إبراهيم الذي رافقهم في نفس الرحلة وهو في سن الحاج إسماعيل كان شديد الذكاء وحرفياً وذا أفكار تقنية دقيقة ومتقدمة ، وكان من إحدى إبداعاته وهو شاب أنه صنع مروحة (بنكة) في أثناء فترة الحرب العالمية الأولى وكان يُشغلها برجله . كما بنى حوضاً من الأسمنت في منزلهم في السنوات الأولى لوصول الأسمنت إلى الكويت في حوالي عام ١٩١٢م . لكنه لم يعش طويلاً إذ توفي وهو شاب .

بعض الفئات من العملة العثمانية التي كانت تستخدم في العراق وكثير من البلدان العربية إلى ما قبل سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى[1]

فئة ٤٠ ،٢٠ ،١٠ و ٥ بارا لعام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م)

فئة ١٠ بارا لعام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩م)

فئة مجيدي (٢٠ قرش)

فئة نصف مجيدي (١٠ قروش)

فئة ربع مجيدي (٥ قروش)

فئة ليرة ذهبية

فئة نصف ليرة ذهبية

(١) كانت العملة العثمانية مكونة من الليرة الذهبية وتساوي ١٠٠ قرش ، ويساوي القرش ٤٠ بارا . أما الفئات المستخدمة فكانت نحاسية وهي فئات ٥ بارا ، و ١٠ بارا ، و ٢٠ بارا ، ثم استخدم النيكل . كذلك هناك فئات فضية وهي فئة قرش وقرشان وخمسة قروش وعشرة قروش وعشرين قرشاً (ويطلق عليه مجيدي) نسبة إلى السلطان عبد المجيد . أما الفئات الذهبية فهي فئة ربع ليرة (٢٥ قرش) ونصف ليرة (٥٠ قرش) وليرة (١٠٠ قرش) وليرتين ونصف (٢٥٠ قرش) وخمس ليرات (٥٠٠ قرش)

ويذكر الحاج اسماعيل أن منطقة النجف كانت تضم أثناء تلك الفترة بحيرة خارج المدينة كانت تسير فيها السفن الشراعية وتمتد إلى مدينة الكوفة المجاورة . لكن تلك البحيرة جفت بعد عدة سنوات ، إذ لم تكن موجودة في رحلته الثانية التي قام بها إلى النجف بعد حوالي عشرين سنة .

ويذكر الحاج إسماعيل أنهم وفي نهاية رحلتهم إلى العراق مكثوا عدة أيام في بغداد ثم غادروها بالباخرة السريعة التي تتوجه إلى البصرة حيث استغرقت الرحلة أقل من يومين على عكس الباخرة التي قدموا بواسطتها . فقد كان اتجاه ماء النهر في نفس اتجاه سير الباخرة ولم تتوقف الباخرة في طريق العودة في أي بلدة في الطريق . وقد استغرقت رحلتهم إلى العراق حوالي شهرين . وكانت رحلته الثانية بعد حوالي عشرين سنة في حوالي عام ١٩٢٢م عندما تغيرت الأوضاع وأصبح الإنجليز هم أصحاب السيطرة في العراق بدلاً من العثمانيين وغيروا كثيراً من الأشياء . فقد تم وضع العراق تحت الانتداب البريطاني بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، ثم تم تنصيب الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكاً على العراق عام ١٩٢١م . ويذكر أن الانجليز فرضوا على العراق استخدام الروبية الهندية كعملة رسمية للبلاد ، وقد استمر ذلك إلى عام ١٩٣٢م عندما تم إصدار الدينار العراقي الذي حمل صورة الملك فيصل الأول .

شارع الرشيد في بغداد عام ١٩١٢م وتشاهد عدد من عربات الركاب التي تجرها الخيول .

العملة الوطنية العراقية التي صدرت لأول مرة عام ١٩٣٢م

أول دينار عراقي صادر عام ١٩٣٢م ويحمل صورة الملك فيصل الأول

فئة ريال عراقي (٢٠٠ فلس) ويحمل صورة الملك فيصل الأول

فئة درهم (٥٠ فلس)

فئة (١٠ فلوس)

فئة (٤ فلوس)

١ — ١

إمارة الكويت
Government of Kuwait

This Passport Contains 32 Pages — يشمل هذا الجواز على ٣٢ صفحة

No. of Passport 1467 — ١٩٦٧ — رقم الجواز

جواز سفر
PASSPORT

Name of Bearer إسماعيل بن علي — اسم صاحب الجواز
Mr. Ismail bin Ali إسماعيل
ISMAIL

Accompanied by his wife Zahrah زهرة — مصحوب بزوجته
(Maiden name) اسم الزوجة قبل الزواج زهرة بنت محمد صالح
Zahrah bint Mohammad SALEH.

And By 1 Children ١ أطفال و

Nationality Kuwaiti. الجنسية كويتي

إمارة الكويت
Government of Kuwait

SECURITY DEPARTMENT
Nationality and Passports Section

إدارة الأمن العام
إدارة الجوازات والجنسية

PASSPORT — جواز سفر

These are to request and require in the name of his Highness all those it may concern to allow the bearer to pass freely without let or hindrance and to afford him every assistance and protection of which he may stand in need.

يطلب ويرجى باسم حضرة صاحب السمو أمير الكويت من جميع الجهات أن يسمحوا لحامل هذا بحرية المرور من غير توان مع تقديم كل مساعدة له تقديم في مقابلة وأن يقدموا له ما يحتاج إليه من مساعدة وحماية

GIVEN AT KUWAIT صدر في مدينة الكويت

The 14th Day of May 1949 (Forty Nine). في يوم الخميس ١٤ شهر مايو سنة ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين.

Chief of Public Security or Director Nationality and Passports Section

مدير الأمن العام أو مدير الجوازات والجنسية

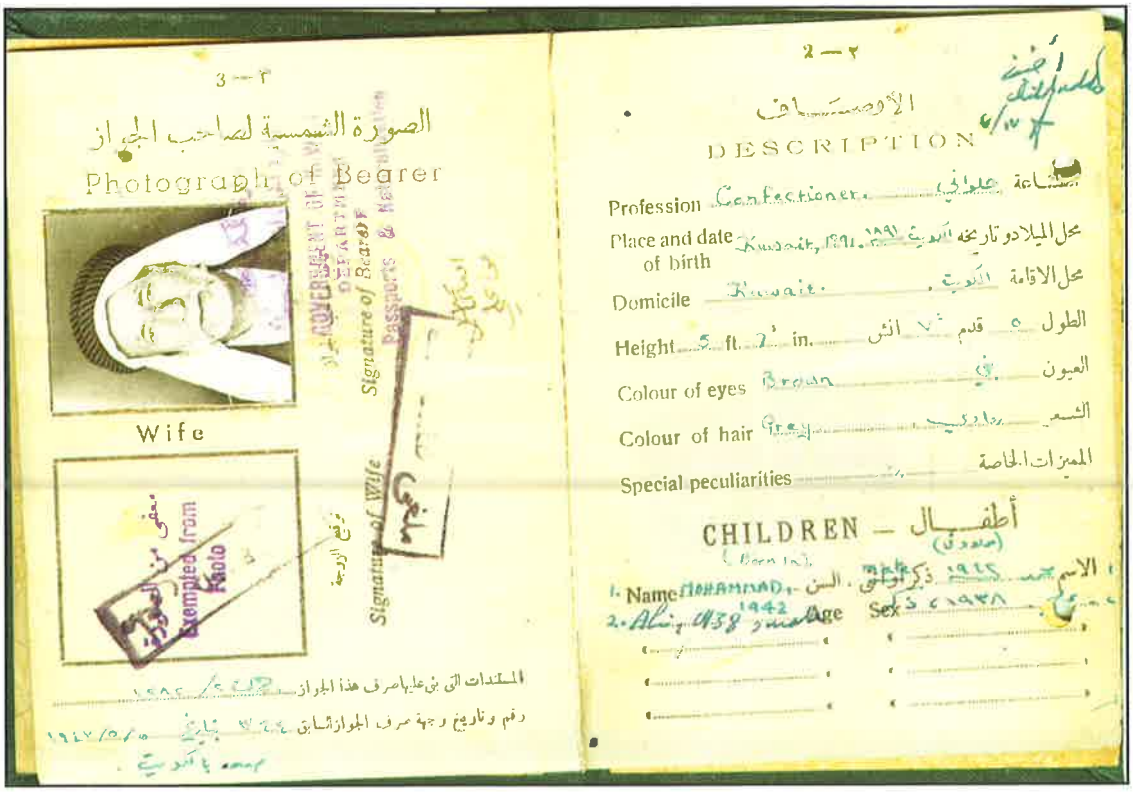

٢ — ٢

الأوصاف
DESCRIPTION

Profession Confectioner. الصناعة حلواني

Place and date of birth Kuwait, 1891. محل الميلاد وتاريخه الكويت ١٨٩١

Domicile Kuwait. محل الإقامة الكويت

Height 5 ft. 7 in. الطول ٥ قدم ٧ انش

Colour of eyes Brown العيون بني

Colour of hair Grey الشعر رمادي

Special peculiarities المميزات الخاصة

أطفال — CHILDREN
(Boys) (صبيان)

الاسم Name	السن Age	ذكر Male	أنثى Female
1. MOHAMMAD	1935	✓	
2. Ali	1942	✓	

٣ — ٣

الصورة الشمسية لصاحب الجواز
Photograph of Bearer

Wife

GOVERNMENT OF KUWAIT
DEPARTMENT OF
Signature of Bearer
Passports & Nationality

Signature of Wife توقيع الزوجة

معفى من الصورة
Exempted from Photo

المستندات التي بني عليها صرف هذا الجواز

رقم وتاريخ وجهة صرف الجواز السابق

ثاني جواز سفر صدر للمرحوم الحاج اسماعيل جمال بتاريخ ١٤ مايو عام ١٩٤٩م .

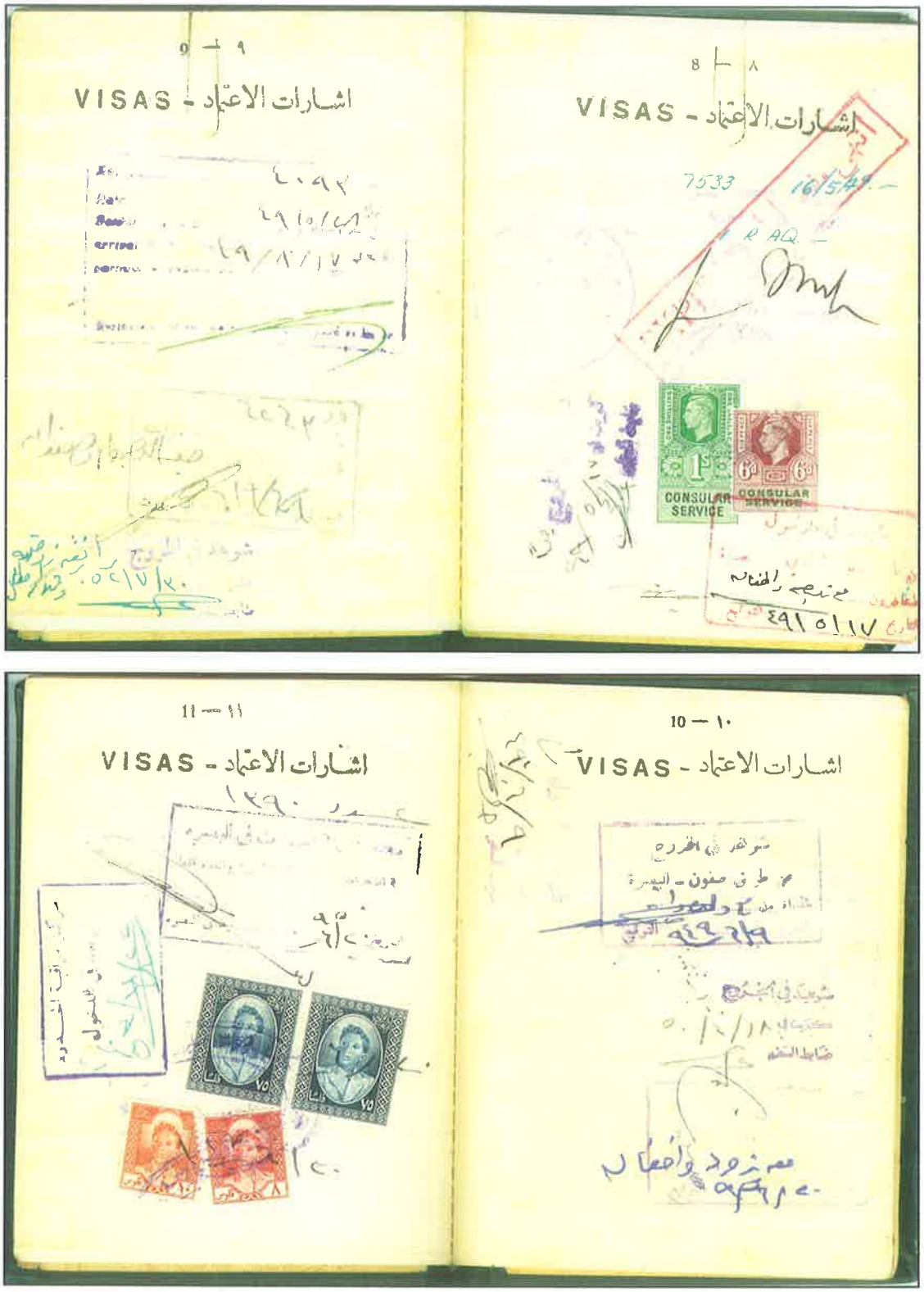

تأشيرات الخروج والدخول على جواز سفر المرحوم الحاج إسماعيل لعدد من رحلاته التي قام بها إلى العراق .

بدأ الحاج إسماعيل دراسته وعمره حوالي ٧ سنوات في مدرسة المطوعة لطيفة الشمالي التي كانت تستقبل الأطفال من الأولاد والبنات في منزلها الكائن في فريج الشمالي القريب من دروازة العبدالرزاق . وكانت تدرس الأطفال القرآن الكريم في غرفة كبيرة في منزلها حيث يُحضر كل تلميذ خيشة للجلوس عليها أثناء تلقيه الدرس . وكانت إحدى عبدات العائلة وتدعى حليمة تأخذه للمدرسة صباح كل يوم وتعيده إلى المنزل ظهراً . ويدفع التلاميذ للمطوعة - أو الملا - "خميسية" وهي عبارة عن بيزتين أو آنة واحدة كل يوم خميس . وتعطل المدرسة مساء يوم الخميس ويوم الجمعة ، وكانت تضم أطفالاً تتراوح أعمارهم ما بين ٦ سنوات إلى ١٢ سنة .

ويتذكر أنه عند خروجهم من المدرسة كانت تجلس بالقرب من الباب إحدى عبدات عائلة الشمالي التي كانت تصنع السمسمية لتبيعها على الأولاد عند انتهاء الدرس . والسمسمية عبارة عن قرص صغير مصنوع من الدبس المطبوخ (القبيط) المغطى بالسمسم . ويذكر أن بيت الشمالي كان من أكبر البيوت حجماً في منطقة الوسط حيث يمتد من جوار حفرة الطبيّخ إلى شارع دسمان بالقرب من جاخور الشيوخ في دروازة عبدالرزاق .

ومن الأحداث التي يذكرها أثناء دراسته لدى المطوعة لطيفة الشمالي أنه وفي أحد الأيام وفي أثناء حرب الصريف عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) وكان عمره حوالي ٨ سنوات كان وزملاؤه في ذلك اليوم منهمكين في الدرس وهو قراءة القرآن ، فإذا بشخص يطرق الباب فتتوجه إليه المطوعة لطيفة ليخبرها بعودة الشيخ مبارك الصباح من حرب الصريف وحيداً وقد قتل جميع من معه ، فعم الحزن الجميع ، وخاصة أن شقيق المطوعة لطيفة راشد الشمالي كان من بين القتلى وكذلك أحد عبيد عائلة الشمالي . فطلبت المطوعة من الأطفال العودة إلى بيوتهم وعدم الخروج إلى الأزقة . كما يذكر أن من بين الذين قتلوا في معركة الصريف من أهل الفريج محمد عيدي وأحد عبيد عبد الله جمال ويدعى سعيد . ويذكر الحاج إسماعيل يوم مغادرة الحاج محمد عيدي إلى معركة الصريف حيث توجه قبل مغادرته إلى منزل خالاته الواقع بالقرب من بيوت جمال ليودعهن واحدة واحدة ، وكان قد امتطى الفرس ولبس غترة حمراء وكان معه أحد عبيد عائلة عيدي . ويذكر

الحاج إسماعيل أن سكّتهم [1] كانت قد امتلأت في ذلك اليوم بالأطفال والنساء . ويبين أن جميع الكويتيين الذين رافقوا الشيخ مبارك الصباح إلى معركة الصريف قتلوا في المعركة ، ومن لم يقتل اختفى أو التجأ إلى بيوت أقاربه أو معارفه في بريدة وعنيزة في نجد أو في المساجد ، لكن رجال بن رشيد لاحقوهم واحداً واحداً وأخرجوهم من المساجد والبيوت وقتلوهم جميعاً ، ولم يبق منهم إلا عدد قليل جداً . ويشير إلى أن حوالي عشرة أشخاص فقط استطاعوا النجاة وعادوا إلى الكويت بعد فترة من الزمن . وكان معظم الشباب من جيش الشيخ مبارك في معركة الصريف - كما يقول الحاج إسماعيل - غير محاربين ولا هم (عرّاكة) ، ومع ذلك استبسلوا في البداية وقتلوا كثيراً من جيش عبد العزيز بن رشيد لكن البدو بعد ذلك جمعوا قواهم مرة أخرى

عبد العزيز بن رشيد

(١) السكة هي الزقاق أو الشارع الضيق وجمعها سكيك .

والتفوا حول مخيم الشيخ مبارك وبدأوا بقتلهم . وفي تلك الأثناء جاء أحد رجال الشيخ مبارك وهو حامل البيرق وأخبره (أن الأرض ليست لك) – أي أن الوضع غير جيد ولا يبشر بخير – حيث انضم كل البدو إلى جيش بن رشيد ، فغادر الشيخ مبارك أرض المعركة على الفور ، وعاد إلى الكويت على فرسه وحده ومعه أحد خدامه . ويذكر أن عبد آل عيدي الذي رافق محمد عيدي إلى الصريف عاد إلى الكويت بعد عشرين عاماً ، وكان قد أصبح كهلاً لا يستطيع القيام بأي عمل فاشتغل (مودّي) في السوق ، أي يقوم بتوصيل الأغنام التي يشتريها الناس من السوق إلى منازلهم مقابل مبلغ بسيط من المال ، إلى أن توفي .

ومما يذكره الحاج إسماعيل أنه عندما بلغ الثامنة من عمره انتقل إلى مدرسة أخرى للأولاد كان يقوم بالتدريس فيها ملا محمد المبارك وهو من الحساوية ، وكان يتخذ منزله الواقع بالقرب من بيت الشمالي وبيت محمد المتروك المجاور لحفرة الطبيّخ ، القريبة من دروازة العبد الرزاق مكاناً لتدريس الأولاد . ويذكر أن بقايا السور الثاني للكويت الذي بني في حوالي عام ١٨١٤م كان يشكل الحائط الجنوبي لمنزل الملا محمد المبارك . كما كانت معظم المنازل المجاورة للمدرسة والتي تقع قرب حفرة الطبيّخ تتخذ بقايا ذلك السور حائطاً جنوبياً لها . وكان ذلك السور يمتد شرقاً إلى منزل عباس مقامس وبيت إبراهيم سفر النكاس ، ثم يلتف على المدينة إلى البحر .

وهناك فتحة في حائط السور بالقرب من منزل عباس مقامس تسمى المطبة وهي عبارة عن فتحة حفرها الصبيان في السور كانوا يتسلقون إليها ويقفزون منها إلى خارج السور . وقد أطلق على تلك المنطقة فريج المطبة . أما من ناحية الغرب فكان السور يمتد قبل إزالته إلى ما بعد منطقة الأسواق حيث توجد إحدى بواباته عند مدخل السوق الداخلي وكان يطلق عليها الصنقر . ويقول الحاج إسماعيل أن عرض ذلك السور كان حوالي ٣ أذرع [١] ، وكانت توجد به أقواس (أو كَمَرات كما كان يطلق عليها في تلك الأيام) وكذلك مرابط للخيل ما بين كل ٤ أذرع تقريباً . لكن بواباته كانت قد أزيلت قبل فترة طويلة من بناء السور الثالث .

---

(١) أذرع جمع ذراع وكان الذراع يستخدم كوحدة للقياس وطوله قدم ونصف .

ويذكر الحاج إسماعيل أن دروازة العبد الرزاق التي كانت موقعاً لإحدى بوابات ذلك السور كانت تمثل حدود مساكن منطقة الوسط من المدينة القديمة في أيام صباه وشبابه ، ولم يكن يوجد بعدها منازل كثيرة أو سكن ثابت في ذلك الوقت . وقد ضمت منطقة الدروازة في ذلك الوقت عدة مدافع قديمة عددها ما بين ٤ إلى ٥ مدافع ، لذلك أطلق على المنطقة أيضاً منطقة المدفع ، وكان بها مدخل سوق بن دعيج . وتقع الدروازة في نهاية شارع طويل أو سكة واسعة يطلق على شمالها سكة الفرج وعلى جنوبها سكة العبدالرزاق ، وتمتد هذه السكة من الطريق القادمة من ساحل البحر المجاور لقصر السيف إلى الدروازة ثم تتجه جنوباً إلى دروازة البريعصي . وكان يقع في نهاية تلك السكة بالقرب من الدروازة جاخور الشيوخ الذي كان يأوي خيول الشيوخ ويقع بالقرب من مسجد العبد الرزاق الذي لا يزال قائماً . وكان هناك عدد آخر من المدافع القديمة (أو الأطواب كما يطلق عليها أيضاً) في عدد من مناطق المدينة يوجد أحدها بالقرب من سوق الدهن القديم الواقع قرب المدخل الجنوبي للسوق الداخلي . كما يوجد مدفع آخر في براحة بن بحر الواقعة في مدخل سوق الخضرة من ناحية القبلة (الغرب) . وهناك طوب آخر على ساحل البحر شرق قصر السيف كان يستخدم في شهر رمضان لإعلان حلول وقت الإفطار ، ويطلق على النقعة أو الساحل الذي يقع فيه ذلك الطوب " سيف الطوب " . ويبلغ طول بعض المدافع – (أو الأطواب) حوالي مترين وكان مكتوباً على بعضها عبارات باللغة الفارسية[1] . وقد تم إزالة هذه المدافع في عهد الشيخ أحمد الجابر الصباح الذي أمر بإزالتها فتم إحضار عدد من الحمالين الأشداء وأزالوها من أماكنها . وكانت منطقة الدروازة في تلك الأيام (حوالي عام ١٩٠٠م) هي حدود الديرة . ويذكر الحاج إسماعيل أنه يتذكر جيداً بقايا حائط السور الثاني لكنه لم يشاهد بواباته أو الدروازة القديمة . ويشير إلى السور الأول فيقول أنه كان يحيط بالمدينة القديمة قبل توسعها والتي كانت حدودها في منطقة الوسط تقع قرب سوق الصاغة القديم ، وهو فريج يقع جنوب شرق مسجد الحداد الذي لا يزال قائماً وهو بالقرب من مسجد السوق الكبير من ناحية الشمال الشرقي . وقد تم بناء ذلك السور قبل أكثر من مائتي عام[2]

---

(١) غنم الكويتيون عدداً من هذه المدافع في معركة الرقة التي وقعت بينهم وبين بني كعب الذين حاولوا غزو الكويت عام ١١٩٨ هجرية (١٧٨٣م) في عهد الشيخ عبد الله الصباح ، الحاكم الثاني للكويت .

(٢) اختلف المؤرخون حول تاريخ بناء السور الأول . فيقول بعضهم أنه بني في حوالي عام ١٧٦٠م في عهد الشيخ صباح الأول بينما يذكر آخرون أنه بني في عام ١٧٨٣م . ويقول آخرون أنه بني في عام ١٧٩٨م عقب غزوة مناع أبورجلين في نفس العام . ويتفق معظمهم على أن ذلك السور لم يكن سوراً بمعنى الكلمة بل كان عبارة عن سد منافذ البلدة لحمايتها من الغزاة في أوقات الخطر .

ومن المدارس التي درس فيها أيضاً مدرسة الملا ناصر الصحاف الذي افتتح له مدرسة في بيته في فريج الخوص القريب من خان الحكومة الواقع في سوق التجار . وقد اشترى الملا ناصر فيما بعد بيتاً في فريج الحساوية في منطقة الشرق ونقل مدرسته إلى هناك ، وانضم إلى مدرسته فيما بعد شخص أعمى جاء من القصبه في منطقة المحمرة يدعى ملا ابراهيم العلي . وكان ملا إبراهيم العلي حافظاً للقرآن الكريم وتفسيره بالكامل ويعرف موضع كل سورة في القرآن والصفحة التي تقع فيها وكذلك في أي صفحة تقع كل آية . وكان فطناً شديد الذكاء حاضر البديهة ، وقد درس الحاج اسماعيل سنتين في هذه المدرسة وختم القرآن على يد الملا إبراهيم العلي . كما انضم إلى تلك المدرسة في فترة لاحقة الملا حسن العبد الله وهو أيضاً أعمى ، وكان له أخ يدعى عبد الله العبد الله كان يجوّد القرآن ويقرأ الأدعية وقصة المولد النبوي الشريف في المناسبات ، وقد أصبح فيما بعد مسؤولاً عن إدارة المدرسة ، وقد عينه فيما بعد المرحوم الميرزا علي الأحقاقي مسؤولاً عن عقود الزواج والطلاق . كما قرأ الملا عبد الله العبد الله في حسينية معرفي لمدة ٣ سنوات في شهر محرم .

وكان من زملاء الحاج إسماعيل في تلك المدرسة المرحومين محمد عبد الله الشمالي وجاسم عبد الرزاق النقي وعيسى التركي وعبد العزيز القطان وأبناء المجادي وأبناء الصحاف . ويذكر الحاج إسماعيل أن الملا في تلك المدارس كان يجلس على مطرح من القطن بينما يجلس التلاميذ على البواري (الحصران) المفروشة على الأرض . وكان لدى الملا إبراهيم جحيشة (فلقة) يستخدمها لمعاقبة أشقياء الطلبه حيث يتم رفع أرجلهم ويقوم الملا بضربهم على أسفل القدم . ونظراً لكون الملا إبراهيم ضريراً فإن ضرباته كانت تصيب قدم الطالب مره وسيقانه في المرة الأخرى وربما يد الشخص الذي يمسكه . وكان الملا في هذه المدارس يعلم الأولاد الحروف الأبجدية في البداية فإذا حفظوها يبدأ معهم في قراءة جزء (عم) من القرآن الكريم ، حيث يكتب لهم عدداً من الآيات في اللوح الصغير الذي يحضره كل تلميذ معه . وعند حفظه لهذه الآيات يكتب له آيات أخرى وهكذا إلى أن يختم القرآن . ويدرس كل تلميذ درسه لوحده وليس له علاقة بما وصل إليه زملاءه الآخرين من دروس أو سور من القرآن الكريم . وعادة ما تستغرق ختمة القرآن ما بين ثلاث إلى أربع سنوات . وعندما يختم التلاميذ القرآن يتوجه بعضهم إلى مدرسة أخرى لتعلم الكتابة ، إذ أن معلم القرآن عادة لا يعلم التلاميذ الكتابة ، مما يضطر الراغب منهم في تعلمها إلى الذهاب إلى مدرسة أخرى يتعلم فيها الكتابة وربما الحساب ودروس أخرى . وعندما يقترب التلميذ من ختم القرآن يستعد الملا لذلك ويركز عليه لفترة قد تمتد إلى أسبوعين ، ويزيد من اهتمامه به ليتأكد من تمكنه . ويحضر الطفل في يوم الختمة دهن العود وماء الورد

في مرشات ليعطيه للملا . ويتم الاحتفال بختمة كل تلميذ بجمع الأطفال بالمدرسة ليخرجوا منها على شكل زفة ويطوفون بالأزقة مرددين الأهازيج المعروفة بهذه المناسبة ، ويمرون على بيوت أقارب الولد وربما معارفه المتمكنين لجمع التبرعات التي يجود بها كل بحسب استطاعته للملا . فيعطي بعضهم أربع آنات بينما يعطي آخرون مبلغ يصل إلى روبية أو أكثر . كما يكون والد الطفل من أكثر المتبرعين إذ يسلم للملا مبلغاً قد يصل إلى ٢٠ روبية إذا كان متمكناً مادياً ، كما يشتري الحلويات لتوزيعها على زملاء ابنه من التلاميذ .

ومن المدارس – أو الكتاتيب – التي درس فيها أيضاً مدرسة الملا عابدين بن باقر ، وكان الملا عابدين أديباً بارعاً وشاعراً فذاً رافق الشيخ مبارك الصباح سنين طويلة وكان يمدحه بالشعر . وكان يسكن في فريج الميدان الذي ولد فيه عام ١٨٧٥م . وقد أسس مدرسة للأولاد في بيته على ساحل البحر مقابل نقعة الروضان لتدريس القرآن الكريم والكتابة والحساب في نهاية القرن التاسع عشر . وفي بداية القرن العشرين خصص له الشيخ مبارك الصباح أحد المحلات الكبيرة الواقعة في منطقة بهيتة مقابل قصر السيف ليمارس فيه التدريس . وقد درس الحاج إسماعيل جمال لدى الملا عابدين في تلك المدرسة عدة سنوات وتعلم لديه الحساب والكتابة بالإضافة إلى القرآن الكريم . ويتذكر الحاج إسماعيل أنه وزملاءه من التلاميذ في تلك المدرسة كانوا يصطفون صباح كل يوم أمام باب المدرسة لمشاهدة موكب الشيخ مبارك الصباح الذي يخرج من قصر السيف متوجهاً إلى الكشك[1] الصباحي الذي بناه في ساحة الصراريف في بداية أيام حكمه ليجتمع بالمواطنين ويستمع إلى قضاياهم ويحل مشاكلهم . ويصف الحاج إسماعيل موكب الشيخ

الشيخ مبارك الصباح عام ١٩٠٣م

(١) الكشك هو مبنى ذو طابقين يشيد الطابق الثاني منه غالباً من الخشب . وكان يشيد من قبل التجار والوجهاء كديوان أو ملتقى أو منزل للسكن الخاص .

مبارك في تلك الأيام فيقول كان الشيخ مبارك يمتطي الفرس ليتوجه من قصر السيف إلى الكشك ماراً بسوق التجار ثم السوق الداخلي إلى ساحة الصراريف حيث يقع الكشك . وكان الفرس ينتظر الشيخ مبارك بالقرب من مدرسة الملا عابدين ، القريبة من سكن الشيخ مبارك بالقرب من بهيته . وكان الفرس مزيناً بالذهب من رأسه إلى ذيله وأقدامه . وعندما يمتطي الشيخ مبارك الفرس يسير على جانبيه المرحومان سليمان الرندي ومحمد الخبيزي اللذان كانا يمسكان بحبل لجام الفرس ويرددان عبارة " بالك يا ولد . . . بالك يا ولد" محذرين المارة من اعتراض طريق الموكب ، بينما يحيط الفداوية والحرس الذين يحملون السيوف بالموكب من كل جانب وهو يسير فيُسمع صوت رنين حلي الذهب التي تغطي جسم الفرس ، بينما يقف التجار وأصحاب الدكاكين في سوق التجار والسوق الداخلي احتراماً للشيخ عندما يمر بموكبه . وكان الشيخ مبارك يتوجه إلى الصفاة (التي كانت في بداية حكمه تبدأ من ساحة الصراريف (ساحة المباركية الآن) قبل امتداد النشاط التجاري جنوباً إلى ناحية نايف) .

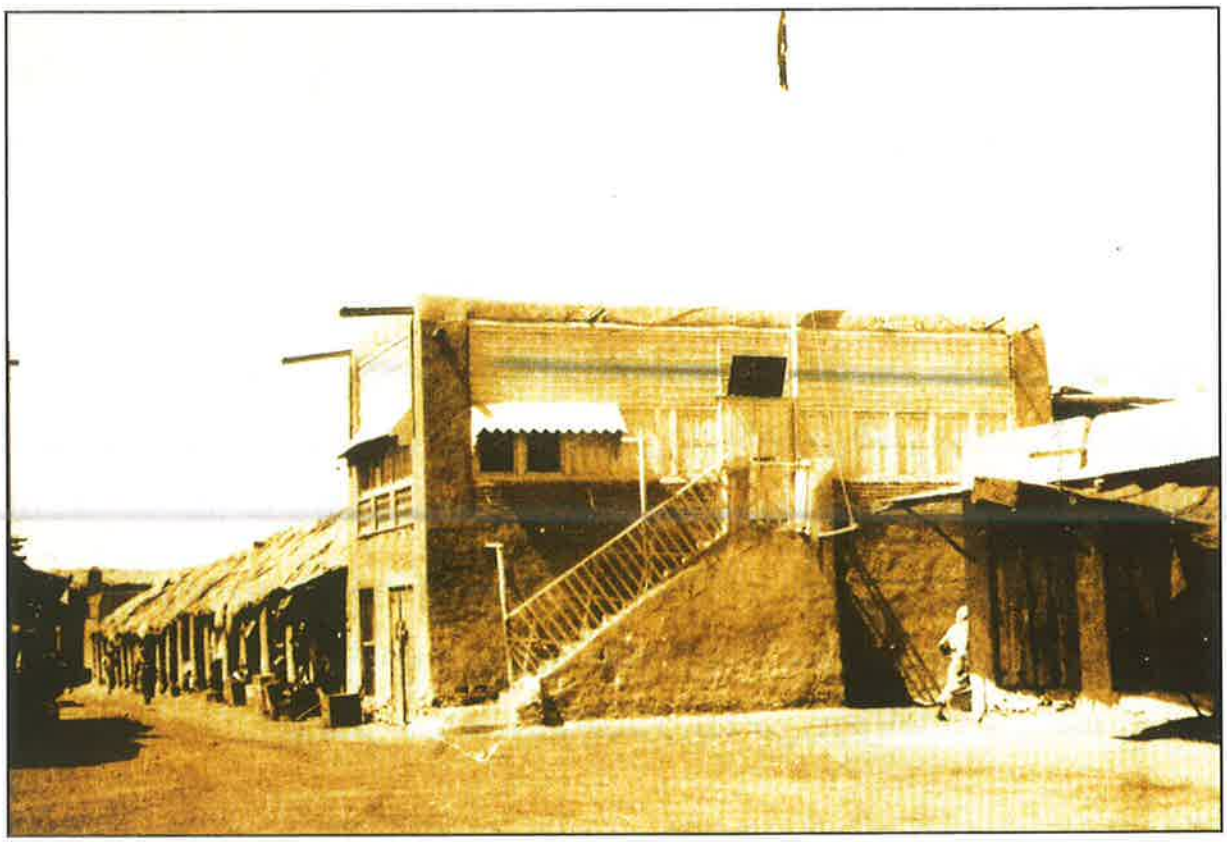

الكشك الذي شيده الشيخ مبارك الصباح لاستقبال المواطنين والنظر في أمورهم

وكان الشيخ مبارك يتوجه إلى هناك مرتين في اليوم ، صباحاً للجلوس في الكشك الجنوبي ، ومساءً للجلوس في الكشك الشمالي . وبعد فترة استلم الشيخ مبارك عربة مذهبة تجرها الخيول فصار في بعض الأحيان يتوجه بها إلى الكشك بدلاً من الخيل .

وكان من زملاء الحاج إسماعيل الذين درسوا معه في مدرسة ملا عابدين عدد من أبناء معرفي وأبناء ماحسين ومحمد بن فرج وإبراهيم بن عباس بن خواجه إبراهيم وإبراهيم محمد جمال وعدد آخر من أبناء منطقتي الشرق والوسط . وكان عدد كبير من التلاميذ لا يستطيعون إكمال الدراسة بسبب الوضع المالي لعوائلهم ، كما أن بعضهم كانوا يتركون المدرسة عندما يبلغون سن الرابعة عشرة ويتوجهون للعمل في الغوص أو السفر أو أي مهنة أخرى لحاجتهم . وكان أكثرهم إذا تعلم الحساب والجمع (ويشار إلى ذلك بأنه يُجْمِل) يتركون الدراسة للبحث عن وظيفة لمساعدة عوائلهم لعدم استطاعتها دفع تكاليف الدراسة . ويذكر الحاج إسماعيل أنه كان يتوجه في بعض الأحيان مع عدد من أصدقائه بعد خروجهم من المدرسة إلى الكاركة التي كان يديرها خاله محمد إبراهيم جمال ليحصل هو وأصدقاؤه على شيء من الحلوى . وكان من بين العاملين فيها آنذاك عبد الله النكاس الذي كان يأخذ هؤلاء الصبية إلى داخل الكاركة ويجمعهم حول صينية كبيرة يضع فيها كمية من السمسم ويحضر لهم قطعاً من الدبس المطبوخ الذي يشكله على شكل أقراص صغيرة ويضعها في الصينية ويضغطها على السمسم الذي يلتصق بها ليعمل منها (السمسمية) ليأخذ كل واحد منهم قرصه ويغادر الكاركة فرحاً بما حصل عليه .

ويشير الحاج إسماعيل إلى أيام طفولته حيث كان الأطفال يتجمعون بالقرب من منزلهم في فريج الفرج في الأمسيات ويمارسون الألعاب المختلفة التي كانت سائدة في تلك الأيام وهي المُقصي والجَيْس [1] وكذلك كرة القدم التي كان يطلق عليها (الطمباخية) . وكانوا يصنعون الكرة من الخِرَق القديمة وتتم خياطتها باليد لتأخذ شكلاً كروياً ثم يدهنون سطحها بالقار لتتماسك . وكانت لعبة الكرة تزدهر في أيام الربيع حيث يتوجه صبيان الفريج إلى منطقة الدسمة للمباراة مع بعض فرجان منطقة الشرق . كما كانوا يلعبون الورق كالكوت بوأربعة والكوت بوستة والنَزل وغيرها من اللعبات ، وكانوا يضعون ريشة على رؤوس أعضاء الفريق المغلوب .

---

(١) المقصي والجيس من ضمن الألعاب الكثيرة التي كان يتسلى بها الصبيان في الماضي ، ومن أميز الكتب التي تطرقت إلى تفاصيل هذه الألعاب كتاب "مع الأطفال في الماضي" للأستاذ والفنان القدير أيوب حسين الأيوب .

ويذكر أيضاً أن الشيخ مبارك الصباح كان يوصي الآباء بتدريب أبنائهم على الخشونة ، ويأمر بأن يمارس الشباب التمارين الشاقة ليكونوا على استعداد للنزال إذا احتاج إليهم الوطن . وكانت تلك التدريبات تقام في عدد من الفرجان ، ويذكر أنه عندما كان صبياً كان الشباب من الفرجان المجاورة يتجمعون في إحدى الساحات الكبيرة في سكة الفرج للقيام بذلك ، وينقسمون إلى قسمين ويبدأون بما يشبه العراك الحقيقي . فيتقاذفون في البداية بالحجر ثم يشتبكون بالمعجالة [1] ثم يترامحون بالعصي ، وتستمر المعركة إلى أن يهزم أحد الفريقين الفريق الآخر . وكان صغار السن من الأولاد يتفرجون على المعركة .

أما في شهر رمضان فكان الصبيان ينتظرون موسم القرقيعان يومي ١٤ و ١٥ من الشهر ليتوجهوا إلى البيوت كمجموعات تتراوح أعدادها ما بين ٦ إلى ٧ أشخاص للحصول على ما تجهزه العائلات من مكسرات وحلويات لاستقبال مجاميع الأطفال الذين كانوا يصفقون ويغنون أمام البيوت في تلك الليالي وهم يرددون الأهازيج التي استمرت إلى يومنا هذا من دون تغيير يذكر . وكانت البنات أيضاً يمارسن نفس النشاط في ذلك الموسم لكن أغانيهن تختلف عن أهازيج الأولاد . وتقدم ربة البيت في ذلك الوقت للأطفال الباجلة المحمص والملبس الذي كانت بعض العائلات تجهزه في بيوتهم أو يشترونه من الأسواق ، حيث كان أصحاب الدكاكين كما هو الحال اليوم يستعدون لذلك الموسم بعمل أنواع الملبس والمكسرات . كما كانت هناك مناسبتان أخرتان أقل شيوعاً يطلق على إحداهما "الناصفة" وهي في منتصف شهر شعبان بينما يطلق على الأخرى (كاسيرو دلّة) وهي في آخر يوم من شهر شعبان . وتحتفل بالمناسبة الأولى البنات الصغيرات اللاتي يطفن على البيوت مرددين بعض الأهازيج للحصول على المكسرات والحلويات . ومن الأهازيج التي كن يرددنها : ناصفوه ناصفوه يالله تسلم ولدهم . . . . . ناصفوه ناصفوه يالله تخليه لأمه . . . . . .

أما "كاسيرو دلّة" فيحتفل بها الأولاد فقط الذين يطوفون على البيوت في اليوم الأخير من شهر شعبان ، وهم يرددون (كاسيرو دلّة . . . أربع بيزات دلّة) ويحمل بعضهم علب الصفيح الصغيرة لضربها ببعض ليصاحب صوتها الشيلات التي يرددونها . ويقدم لهم الأهالي عدد من البيزات [2] بمناسبة قدوم شهر رمضان .

---

(١) المعجالة هي خرقة يوضع بداخلها حجر ويربط بطرفها حبل وتصبح كالصرّة ، وتستخدم لقذف الحجر أو العراك .

(٢) بيزات جمع بيزة وهي ربع الآنة وهي العملة الهندية التي كانت تستخدم في الكويت .

ومما يذكره أيضاً أن الأطفال كانوا يتجمعون في السكيك في حالة عدم هطول الأمطار أو تأخرها ، وخاصة أبناء المدارس في يومي الخميس والجمعة ، ويسيرون في مجموعات بالسكيك ويمرون بالبيوت ، وهم ينشدون الأهازيج ، فتعطيهم ربات البيوت ما يستطعن من مواد ، كالأرز أو العدس أو الماش أو القمح . ثم يقومون بخلط هذه الحبوب في قدر كبير في البراحة ويوقدون النار من السعف والقرم ويضيفون الماء للخليط ثم يضعون به محبس ، ويتزعم عملية الطبخ الأكبر سناً من الأولاد . وعند اكتمال الطبخ يتم صب الوجبه في صحون لتوزيعها على الحضور . ويتم بعد ذلك البحث عن المحبس في الصحون ، ويكون سيء الحظ من يشاهد المحبس في صحنه ، إذ يبدأ الصبيان بضربه وهم يصيحون نريد المطر ، نريد المطر . . . . . وكان بعض الأطفال يبكون من شدة الضرب .

ومن ذكريات الطفولة التي يرويها الحاج إسماعيل أن فريجهم كان يضم براحة كبيرة بالقرب من بيت النقي كان يتجمع فيها الأولاد من الفرجان القريبة ويصل عددهم في بعض الأحيان إلى حوالي ٢٥ شخصاً وكان بعضهم يتجمع قرب عاير [١] بيتهم فيتشاقون ويزعجون المارة والأهالي . وكان الحاج عبدالله بن جمال كبيراً في السن آنذاك (الحاج عبدالله جمال هو خال والد الحاج إسماعيل) فكان يخرج لهم وبيده خيزرانه فيلوذون بالفرار . ومن الأمور التي يتذكرها أيضاً أن الصبيان الذين يكبرونهم سناً كانوا يتجمعون في الفريج قرب منزلهم وكان عدد منهم لديه دراجات ومن بينهم أخوه الكبير حسن ، فكانوا ينطلقون بعد الغداء من هناك إلى أماكن مختلفة من الديرة ويتسابقون ثم يعودون للاستراحة . وكانوا في بعض الأحيان يتوجهون بدراجاتهم إلى منطقة الدسمة للسباق ، وعندما يعودون متعبين يوقفون دراجاتهم ويجلسون في مركز تجمعهم عند عاير منزلهم . فكان الأولاد الأصغر سناً - ومن بينهم الحاج إسماعيل - ينتهزون فرصة انشغال إخوانهم الأكبر سناً فيأخذون دراجاتهم دون علمهم ويركبونها ويتجولون بها في الفريج . وكان صغار الأولاد في بعض الأحيان يلحقون الكبار جرياً على الأقدام عند ركوب هؤلاء دراجاتهم للذهاب إلى الدسمة للكشته في منطقة كانت توجد بها أعداد من أشجار السدر كان يؤمها البعض للتنزه .

ويتذكر أنه وأصحابه كانوا يتقنون السباحة وهم في سن السابعة لذهابهم يومياً إلى البحر للسباحة ظهراً بعد تناول الغداء ليسبحوا ويغسلوا ملابسهم على ساحل البحر المقابل لبيوت معرفي والقريب من مسجد

---

(١) العاير هو زاوية المنزل الذي يطل على سكتين .

الخليفة . ويطلق على ذلك الموقع سيف معرفي ، حيث توجد مقابله نقعة معرفي التي ترسو فيها سفن تلك العائلة وبعض التجار الآخرين ، وكان ذلك المكان مركز تجمعهم اليومي . ومن الذين كانوا يذهبون معه إلى هناك أخوه حسن و محمد عبدالله جمال وعدد من أبناء معرفي . وكانوا يتسلقون على سور النقعة الصخري (الذي يسمى الجاف) – وتلفظ بالجيم المصرية– ويقفزون إلى البحر ، ويقول إنه أتقن السباحة وهو في سن السابعة . وكان ذهابهم اليومي إلى البحر يغنيهم عن الاغتسال في المنزل نظراً لوجود بئر واحد في كل بيت كان يستخدمه للتسبّح عدد يصل في البيوت الكبيرة إلى أكثر من ثلاثين شخصاً . ولم يكونوا يعرفون الصابون بل كانوا يأخذون معهم طين أبيض خاص للاستحمام بالبحر وكذلك لتنظيف الملابس . ويباع ذلك النوع من الطين عند البدو ويسمى (طين غسال) . وكانت النساء أيضاً تأخذ معها (طين غسال) للبحر عندما تأخذ الملابس للغسيل هناك . كما كان البعض يستخدم الجص (الجبس) لتنظيف الملابس إذ لم يكن الصابون قد عرف في ذلك الوقت . أما في البيوت فكانوا يستخدمون السدر للاغتسال وخاصة لغسل الشعر ، وهو مسحوق ورق شجرة «السدر» التي تُنبت الكنار (النبق) .

ومن الذكريات التي يرويها أنه عاصر جدته الكبيرة «عزيزة النكاس» زوجة جمال بن حسين كبير العائلة ، وهي جدة والدته وكان يطلق عليها (أم عبدالله) وهي والدة عبدالله بن جمال ، الابن الوحيد للمرحوم جمال ، وشقيقة المرحومين عبد الله وأحمد النكاس . ويتذكر الحاج إسماعيل أنه كان في سن الخامسة من عمره عندما عادت من أداء فريضة الحج (في حوالي عام ١٣١٥هـ – ١٨٩٦م) وكان عمرها قد ناهز مائة عام ، ويذكر أنها كانت نحيلة الجسم من كبر السن وقد مكثت عدة أيام بعد عودتها ثم توفيت . وقد تم دفنها في المقبرة القديمة التي كانت آنذاك في فريج الجناعات بالقرب من مسجد بن جاسم مقابل مسجد المزيدي . وكانت تلك المقبرة مشتركة يدفن فيها السنة والشيعة ، وقد استمر الدفن فيها إلى نهاية القرن التاسع عشر عندما خصصت للشيعة مقبرة في منطقة الصوابر . وقد اندثرت المقبرة القديمة وبنيت في موقعها بيوت ، وبدأ الشيعة باستخدام مقبرة الصوابر الواقعة شرق دروازة العبد الرزاق مع بداية القرن العشرين ، حيث استمر الدفن فيها إلى بداية العشرينيات من القرن الماضي . وبعد انتهاء حرب الجهرة خصص الشيخ سالم المبارك عام ١٩٢١م مقبرة أخرى للشيعة في منطقة باب الهوا في أقصى شرق المدينة بالقرب من المزارع بعد أن أخبره السيد مهدي القزويني – العالم الديني للشيعة في الكويت آنذاك – بامتلاء مقبرة الصوابر ، وقد أطلق على تلك المقبرة مقبرة الجعفرية . كما خصص الشيخ سالم

المبارك مقبرة أخرى بالقرب منها للحساوية حيث استمر الدفن في هاتين المقبرتين إلى أوائل السبعينيات من القرن العشرين عندما بدأ الدفن في مقبرة الصليبيخات . ولا زال المغتسل التابع لتلك المقبرة يستخدم لغسل الموتى الذين يتم دفنهم في مقبرة الصليبيخات .

ومن المقابر القديمة التي يشير إليها الحاج إسماعيل في منطقة الشرق مقبرة الجناعات ومقبرة مدوه التي تقع الآن في شارع خالد بن الوليد ، ومقبرة هلال . كذلك كانت هناك مقبرة لليهود في منطقة الشرق ناحية المزارع وتقع جنوبها مقبرة النصارى التي لا زالت موجودة إلى الآن وتشاهد مقابل معرض بهبهاني للسيارات . وكان الحاج إسماعيل يملك مزرعتين كبيرتين بالقرب من مقبرة النصارى في الثلاثينيات من القرن الماضي .

ومن الأمور التي يتذكرها وهو صغير أن منزلهم كان يضم حجرة كبيرة مستطيلة الشكل كان جده ومن بعده والده قد خصصاها حسينية للقراءة . ويتذكر أنهم كانوا يقيمون فيها مجلساً للقراءة في العشرة الأوائل من أيام شهر محرم . وكانت القراءة تقام في أثناء الليل لكنهم كانوا يقيمون العزاء أيضاً في المساء من أيام السابع والثامن والتاسع والعاشر من شهر محرم حيث يزداد النشاط ابتداء من اليوم السابع . أما في اليوم العاشر فيقام العزاء في الصباح وينتهي بتقديم الغداء للحضور ثم يقام مجلس آخر في المساء . ويختم المجلس في البيت بالقراءة في ليلة الحادي عشر من المحرم ، وبذلك تنتهي فترة القراءة في بيتهم . ويتذكر الحاج إسماعيل أنهم كانوا يصنعون عريشاً مؤقتاً في وسط حوش بيتهم في مساء اليوم التاسع من المحرم لتظليل الحوش استعداداً لجلوس الحضور في وسط الحوش صباح اليوم العاشر لحضور القراءة ثم تناول الغداء . وكانوا ينصبون عدداً من الچنادل ويغطون الحوش بالشِرْع (جمع شراع) . ويوضع المنبر في الليوان الشمالي من البيت ، حيث تم تخصيص ذلك الجزء بالإضافة إلى الحوش للرجال ، بينما تستخدم النساء الجزء الجنوبي من البيت . وكان رواد حسينيتهم من سكان منطقة الوسط ، ويتذكر الحاج اسماعيل أن حوالي عشرين عبدة كن يتجمعن في بيتهم لإعداد الغذاء لليوم العاشر من المحرم ،من بينهن عبدات العائلة وعبدات خاله عبد الله جمال وعبدات الشيخ سلمان الحمود والشيخ سالم الحمود وعبدات بيت الشيخ عذبي . ويشير إلى أنه وبعد انتهاء القراءة في بيتهم في ليلة الحادي عشر من محرم تبدأ بالتناوب في عدد من بيوت تجار الشيعة حيث يقرأ كل بيت ١٠ ليالي إلى أن ينتهي شهرا محرم وصفر . ويذكر الحاج

إسماعيل أن معظم الحسينيات كانت آنذاك في البيوت ، وكان من بين أوائل العائلات التي تقيم العزاء في محرم في منطقة الوسط آل النقي وآل معرفي وآل الشمالي وآل جمال . وكانت القراءة تتم بالتناوب بين هذه العائلات حيث تقرأ كل عائلة عشر ليالي إلى آخر شهر صفر . أما آل معرفي فكانوا يقرؤون لفترة تمتد شهرين في شهري محرم وصفر في منزلهم الواقع بالقرب من مسجد الخليفة قبل بناء حسينية معرفي عام ١٩٠٥م . وكانت القراءة في بعض هذه البيوت تقام ليلاً وفي بعضها الآخر صباحاً . وتوجد بالإضافة إلى تلك المجالس حوالي سبع حسينيات في منطقة الوسط وفي الشرق ، يعود عدد منها للحساوية وعدد آخر للبحارنة والبلوش والباقي للجماعات الأخرى من الشيعة . ومن هذه الحسينيات حسينية سيد علي الموسوي الخباز ، وحسينية الشمالي وحسينية بن سري وحسينية الصحاف . وتعتبر حسينية سيد علي الخباز (حسينية سيد عمران حالياً) وحسينية الشمالي من أوائل الحسينيات التي تأسست في الكويت [1] . وكان آل معرفي يحضرون القراءة في حسينية آل جمال ، ثم اشتروا أرضاً في منطقة الميدان في الشرق عام ١٩٠٥م وبنوا لهم عليها حسينية رسمية ، وكانت تلك من أوائل الحسينيات التي تبنى كذلك دون أن تكون ملحقة بمنزل معين . وقد بنيت بعدها بعشر سنوات الحسينية الخزعلية في فريج جمال وكان ذلك في عام ١٩١٥م ، وهناك حسينيات أخرى في منطقة الشرق والوسط تأسست في بدايات القرن العشرين منها حسينية الحاج قمبر البلوشي وحسينية جُمَدار البلوشي ، بالإضافة إلى حسينية سيد علي الموسوي في الميدان وحسينية حسن عاشور في منطقة الشرق . كما أن هناك حسينيات قديمة للحساوية في منطقة الوسط والشرق بنيت في بداية القرن الماضي من بينها حسينية الياسين (١٩٠٩م) والحسينية الجعفرية (١٩١٤م) وحسينية البكاي والأربش وكذلك العباسية (١٩٤٤م) . وكان بعض أهل السنة – ممن

---

(١) تأسست هاتان الحسينيتان في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كأماكن مستقلة مخصصة للقراءة . وكان الموقع الأول لحسينية السيد علي الخباز في ديوان منزلهم الواقع في منطقة الشرق في براحة مجيبل ، ثم اشتروا بيتاً آخر خصصوه للقراءة كحسينية في منطقة الشرق أيضاً . وكانت مساحته حوالي ٤٠٠ متر مربع . وعند تثمين المناطق القديمة في مدينة الكويت تم نقل الحسنية إلى منطقة بنيد القار عام ١٩٦٢م ثم إلى منطقة الدسمة التي بدأت القراءة فيها ابتداء من عام ١٩٨٥م . أما حسينية الشمالي فقد تأسست في نهاية القرن الثامن عشر وكان مقرها الأول في بيت الشمالي الذي كان يقع ما بين بهيته ومسجد صالح بن إبراهيم في القبلة . وفي فترة لاحقة اشترى محمدالشمالي بيتاً خصصه كحسينية للقراءة في نفس المنطقة . وقد تم نقل الحسينية فيما بعد إلى دروازة العبد الرزاق بالقرب من مدار الشمالي . وعند إزالة البيوت القديمة في الديرة انتقلت القراءة إلى أحد منازل عائلة الشمالي في منطقة الشعب إلى أن افتتحت الحسينية الحالية في الدعية عام ١٩٧٦م .

يحبون الاستطلاع - يرغبون في حضور القراءة بالحسينيات لكنهم كانوا يترددون في الحضور لعدم ارتياح أصحابها من ذلك ، لكن السيد مهدي القزويني العالم الديني والمرجع الذي قدم إلى الكويت عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٨م) رحب بحضور أهل السنة للمجالس الحسينية وشجعهم على ذلك .

ويذكر الحاج إسماعيل أن من أوائل البيوت الشيعية في الكويت الذين كانوا يقيمون المجالس الحسينية في القرن التاسع عشر آل النقي حيث كانت تخرج مواكب العزاء من بيتهم متوجهة إلى الحسينيات الأخرى في منطقة الشرق بينما تأتي مواكب أخرى من منطقة الشرق إلى بيت آل النقي الواقع قرب مسجد السوق الكبير ، وذلك على زمن إسماعيل بن مرواح - جد الحاج إسماعيل . وكانت المواكب تمر ليلة العاشر من المحرم من سكة الفرج إلى دروازة العبد الرزاق بالقرب من جاخور الشيوخ ثم تتوجه إلى منطقة الشرق . وقد انتقلت القراءة بعد ذلك من بيت آل النقي إلى بيت إسماعيل جمال ، وقد استمرت المواكب في التوجه إلى بيت إسماعيل جمال إلى حوالي عام ١٩٠٥م ، وتوقفت مسيرات المواكب بالشوارع في حوالي عام ١٩٢٠م .

ويذكر الحاج إسماعيل أن القراءة توقفت في منزلهم عندما تم افتتاح حسينية آل معرفي عام ١٩٠٥م . كما يذكر أن من بين الذين قرؤوا في منزلهم الشيخ محمد أبو الحسن و الشيخ أحمد ولوي . وكان الشيخ محمد أبو الحسن من منطقة المحمرة ويقرأ في الكويت خلال شهري محرم وصفر . ويذكر الحاج إسماعيل أنهم كانوا يعلقون المصابيح التي تعمل بالنفط بسقف الحجرة الكبيرة المخصصة للقراءة . كما يذكر أنه جاء (منور حربي) بريطاني[1] إلى الكويت في إحدى السنوات في أثناء طفولته ، وكان قادماً من شط العرب ومتوجهاً إلى بوشهر ، وذلك في أثناء الأيام العشرة الأوائل من شهر محرم ، وكان معظم بحارة المنور من بوشهر ، فنزلوا إلى الكويت ومكثوا ثلاثة أيام وكانوا يأتون كل ليلة إلى الحسينية في منزلهم . ويتذكر أنهم كانوا يرتدون قمصان وبنطلونات البحرية البريطانية ويضعون فوقها وِزْرة (جمع وزار) وقد غطوا رؤوسهم بقبعات بوشهرية خاصة بجنود البحرية . وكان ذلك في حوالي عام ١٩٠٠م وكان عمره آنذاك حوالي ٩ سنوات .

---

(١) المنور سفينة حربية

البيت القديم

كان البيت القديم الذي ولد فيه الحاج إسماعيل ، والعائد لجده ، متوسط الحجم يسكنه الأخوان المرحومان الحاج إسماعيل بن مرواح والحاج إبراهيم بن مرواح وعائلتاهما ، وكان المنزل قبل ذلك عبارة عن ٥ بيوت صغيرة متجاورة اشتراها الأخوان إسماعيل وإبراهيم ، وقاما بهدمها وبناء منزلهما المشترك عليها وذلك في حوالي عام ١٨١٠م . وكان الحاج اسماعيل بن مرواح (جد الحاج إسماعيل من والده) يسكن الجزء الجنوبي من البيت ويسكن أخوه الحاج إبراهيم (جد الحاج إسماعيل من والدته) الجزء الشمالي ، ويوجد حوش صغير بالوسط . وقد قاما فيما بعد ببناء حائط من الصخر في وسط الحوش لإعطاء خصوصية أكثر لعائلتيهما . ويتكون البيت من لواوين مزينة بكمرات (أقواس) . وقد توسع المنزل عبر السنين من خلال شراء عدد من المنازل المجاورة له ودمجها به وتوسعته على مراحل ليصبح على الشكل

أحد المنازل الكويتية القديمة (بيت البدر) وقد زينت الأقواس (أو الكمرات) الليوان .

الأخير الذي استمر عليه إلى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي عندما تمت إزالته بعد تثمينه من قبل إدارة أملاك الدولة . ويقع مدخل البيت القديم مقابل الشرق ويقابله من ناحية الجنوب قصر الشيخ خزعل بن مرداو ، وتحده من ناحية القبلة (الصْبَخَه) وهي عبارة عن حفرة كبيرة يحيط بها عدد من المنازل . وتصب في الحفرة مياه الأمطار وكذلك مياه الغسيل من البيوت المطلة عليها والتي لم تكن تضم أماكن لتصريف مياه الأمطار والمجاري والغسيل . كما يحده من ناحية الجنوب الغربي منزلان صغيران يعودان إلى حمود العريفان ويفصلان بينه وبين منزل الحاج جمال بن حسين والد زوجتي إسماعيل وإبراهيم ، الذي انتقل إلى هناك في فترة لاحقة ليسكن بجانب ابنتيه . ويمتد منزل حمود العريفان من الحفرة شمالاً إلى السكة التي يطل عليها قصر الشيخ خزعل جنوباً والذي بناه في فترة لاحقة في بداية القرن العشرين بعد أن اشترى عدداً من البيوت وقام بهدمها لبناء القصر . أما من ناحية الشمال فكان يحده منزل صغير يعود للمرحوم رجب السماك .

وكانت أول توسعة لمنزل المرحومين إسماعيل وابراهيم في حوالي عام ١٨٥٠م عندما قام إبراهيم بن مرواح بشراء منزل رجب السماك ، وذلك لاستخدامه كديوانية . وكان ذلك المنزل يتكون من حوش صغير وحجرتين متقابلتين ، إحداهما ناحية الشرق بالقرب من الباب الخارجي ، والثانية ناحية الغرب المطلة على الصبخة (أو الحفرة) ، وتوجد فوق الحجرة الشرقية حجرة بالسطح .

هدم وتوسعة الديوانية

عندما توفي المرحوم جمال والمرحومان إسماعيل وإبراهيم أبناء مرواح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان لكل منهم ولد واحد (عبد الله ابن جمال ، وعلي ابن إسماعيل ومحمد ابن إبراهيم) . وعبد الله بن جمال هو خال علي بن إسماعيل ومحمد بن إبراهيم . وعندما ورث الأبناء المنزلين أدخلت عليهما تعديلات وتوسعات عديدة خلال مراحل مختلفة . وكان أول تعديل لبيت إسماعيل وإبراهيم هدم الديوانية وتوسعتها في حوالي عام ١٨٨٠م . فقد كان أحد أستاذية البناء آنذاك وهو الأستاذ سيد حيدر الشيرازي صديقاً للمرحوم الحاج محمد بن إبراهيم فاقترح عليه هدم الديوانية وشراء قطعة أرض صغيرة من الحفرة (الصبخة) المجاورة للبيت من الحكومة وإدخالها بالديوانية لتوسعتها . فتم شراء حوالي

٢٠ ذراعاً طولاً من الحفرة وهدم الديوانية بالكامل وإعادة بنائها وتخصيص حجرة كبيرة لاستقبال الرواد والأصدقاء بدل الحجرة الصغيرة التي كانت تستخدم سابقاً ، كما شيد للديوانية باجديراً كبيراً [١] وتمت توسعة الحوش .

إضافات وتجديدات أخرى في البيت

بعد بناء الديوانية قام الحاج محمد بن إبراهيم جمال في نهاية القرن التاسع عشر – وبعد وفاة والده بفترة –بتجديد الجزء الشمالي والشرقي من البيت العائد له ولوالده من قبله والذي كان يضم طابقين ويشتمل على غرف أرضية وليوان ذي اقواس (كمرات) وغرف بالسطح كان يستخدمها والده إبراهيم ، حيث تم هدم جميع الغرف بالكامل إلى السكة وتجديد الجزء الشمالي والشرقي من البيت . كما بنى "مدربان" [٢] يصل البيت بالديوانية ودرجاً للسطح الجديد وكذلك حجرة كبيرة في الجزء الشمالي من البيت لاستخدامها حسينية . وقد ارتكز سطح الليوان الجديد على صُوَرْ ومندات بدلاً عن (الكمرات) ، وكان ذلك في حوالي عام (١٣١٧ هـ) ١٨٩٨م (وكان عمر الحاج إسماعيل جمال آنذاك حوالي ٧ سنوات) . وكان طول الحجرة الجديدة حوالي ٤٠ ذراعاً وعرضها حوالي ٧ أذرع وفتح لها ٣ أبواب واستخدمت حسينية بدلاً من الحجرة الصغيرة السابقة التي كانت تستخدم للقراءة في عهد إبراهيم بن مرواح حيث كان الحضور يجلسون في الحوش عندما تمتليء الحجرة . وقد قام بهذا البناء الأستاد سيد حيدر الشيرازي . وبعد ذلك بعدة سنوات قام الحاج علي بن اسماعيل جمال بتجديد الجزء الجنوبي من البيت والعائد له ، وذلك ببناء ٣ غرف ، واحدة له ، وأخرى لولده حسن ، وثالثة لولده إسماعيل الذي سكن فيها عند زواجه .

---

(١) الباجدير هو منفذ هوائي أو فتحة كبيرة بالسطح يدخل الهواء من خلالها إلى الحجر السفلية .

(٢) المدربان هو ممر ضيق مسقوف يصل حوشين مع بعضهما البعض .

شراء بيت العريفان المجاور وضمه إلى البيت

في بداية القرن العشرين (حوالي عام ١٩٠١م) اشترى كل من المرحوم الحاج عبد الله بن جمال والمرحوم محمد بن إبراهيم والمرحوم علي بن إسماعيل منزلي المرحوم حمود العريفان المجاورين لهم واللذين كانا يفصلان بين منزل عبد الله بن جمال ومنزل اسماعيل وابراهيم . وقد اشترى أحد المنزلين المرحوم الحاج عبدالله بن جمال واشترى المنزل الآخر مناصفة كل من المرحوم علي بن إسماعيل والمرحوم محمد بن إبراهيم ، وتم هدم المنزلين وبناء حائط صخري جديد يفصل منزل عبد الله جمال عن منزل علي بن اسماعيل ومحمد بن إبراهيم ، وقام عبد الله جمال ببناء ثلاث حجر في موقع منزل العريفان لأبنائه الثلاثة حسين وجمال ومحمد . أما بيت الحاج علي والحاج محمد فقد أعيد تصميمه حيث قاما بتوسعة الحوش بعد ضم منزل حمود العريفان إلى منزلهم ، وبنوا عدداً آخر من الغرف واللواوين .

وفي حوالي عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤م) - وكان عمر الحاج إسماعيل جمال حوالي ١٣ عام - أحضر والده أستاداً من القلاليف يدعى الأستاد محمد خلف النجار لعمل باب جديد للبيت فصنع له باباً مزخرفاً استغرق صنعه شهرين وتم تركيبه بدلاً من الباب القديم وكان يؤدي إلى الدهليز ثم إلى الحوش . كما تم تزيين واجهة المنزل بزخارف من الآجر الأصفر المصنوع بالبصرة وقام بتركيبه الأستاد سيد حيدر الشيرازي . وقد زين المدخل بقوس كبير حول الباب ووضع على جانبي الباب رواشن[١] وأقواساً صغيرة من الآجر أيضاً ، واستغرق بناؤه حوالي شهرين . كما تم بناء سور للأسطح (إحيا) يطل على الحوش من جميع جوانبه وهو من الطابوق الجيري الأصفر وقد بناه أيضاً الأستاد سيد حيدر الشيرازي ، كما بنى سيد حيدر غرفة ومصباحاً[٢] بالسطح الشمالي . ويتذكر الحاج إسماعيل أن والده كان يعطي الاستاد أجرة يوميه قدرها ريال واحد (ماريا تريزا) - أي روبيتين ونصف .

---

(١) رواشن جمع روشنه وهي رف مستطيل محفور في الحائط يوجد عادة في الغرف توضع فيه بعض اللوازم المنزلية .

(٢) يطلق على الليوان الصغير الذي يبنى عادة فوق السطح (مصباح) ، ويبدو أن الاسم مأخوذ من الصباح لقيام العائلة بالإفطار صباحاً في هذا المكان في أثناء الصيف .

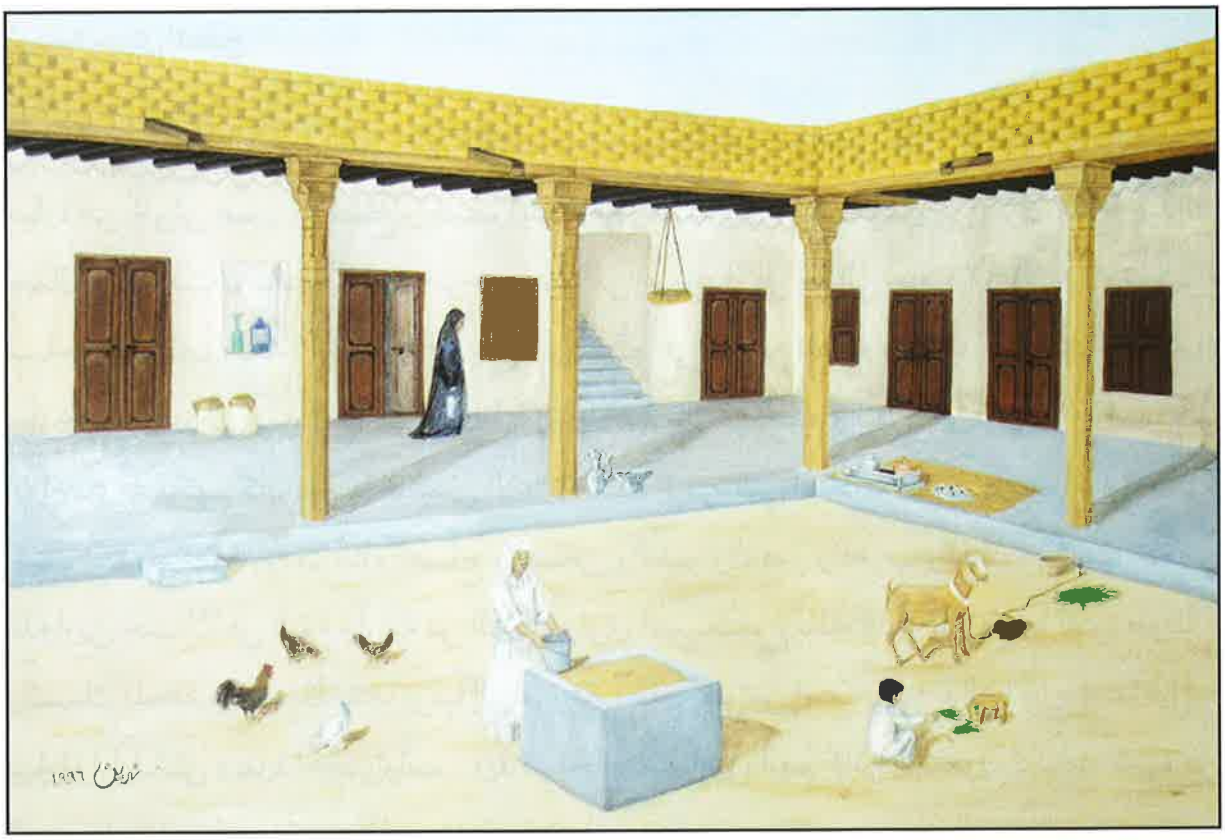

لوحة لجانب من البيت القديم في مدينة الكويت وتشاهد فوهة بركة الماء في وسط الحوش (رسم ندين جمال)

جانب من مجسم للبيت القديم في مدينة الكويت

توسعة حوش المطبخ

كان حوش المطبخ ، الواقع خلف المنزل من ناحية الغرب ، والمطل على (الصبخة) في السابق عبارة عن حوش صغير به مطبخ وجليب (بئر) ومدربان صغير له باب يؤدي إلى منزل الحاج عبدالله جمال . وقد تمت توسعته في عهد المرحوم علي بن إسماعيل في حوالي عام ١٩٢٠م حيث تم شراء مساحة من (الصبخة) [١] بقيمة ٦٠٠ روبية وإدخالها في حوش المطبخ لتكبيره ، كما تم بناء حمام ومرحاض وحوض وتوسعة الحوش والحجرة الخاصة بإيواء الأغنام والبقرة . ويذكر الحاج إسماعيل أن إحدى عبداتهم كان عملها الرئيسي الاعتناء بتلك البقرة التي اعتادت أن تحلبها سبع مرات باليوم حيث تبدأ بحلبها فجراً ثم أثناء الصباح والضحى والظهر والعصر والمغرب والليل . وكانت تطعمها مدوارين جت [٢] في اليوم وأوقية من الشعير ونوى التمر المنقوع بالماء الذي يتم طبخه لفترة طويلة ، والسمك المجفف . كما تأخذها يومياً إلى مزرعة الحاج علي بن اسماعيل – والد الحاج اسماعيل – لتناول الحشائش وبقايا الخضراوات . ويذكر الحاج اسماعيل أنهم كانوا يصنعون كميات كبيرة من اللبن يوضع في طوس كبيرة [٣] يتم تغطيتها بقماش مبلل لتبرد . كما يصنعون الزبد والروب .

---

(١) الصبخة هي حفرة كبيرة تحفر بين البيوت تتجمع فيها مياه الأمطار التي تصب بالصبخة من هذه البيوت .

(٢) المدوار هو ربطة كبيرة من الجت (البرسيم) .

(٣) الطوس جمع طاسة وهي إناء معدني من الألمنيوم له غطاء وتوجد منه أحجام كبيرة وصغيرة .

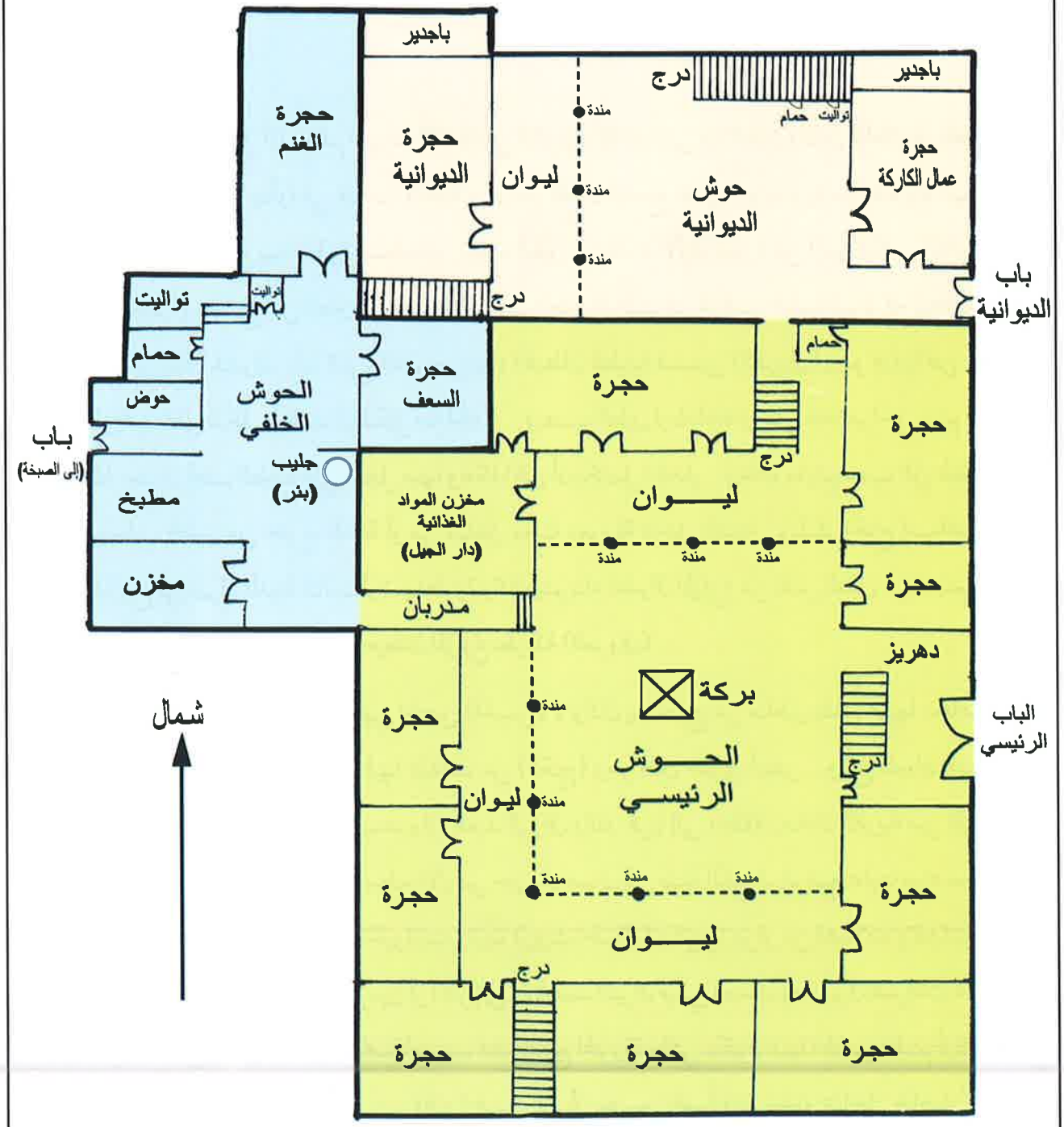

مخطط البيت القديم في الديرة

مخطط البيت القديم بالديرة – نموذج للبيوت في مدينة الكويت القديمة والمكونة أساساً من حوش فسيح تلف به الغرف من كل جانب وتظلل مداخل الغرف "لواوين" لحجب أشعة الشمس المباشرة عنها . كذلك يوجد في كل منزل تقريباً حوش خلفي يضم المطبخ ومكان الغنم والحمّام إن وجد .

مواد البناء وأنواعها

يذكر الحاج إسماعيل أن معظم البيوت القديمة في الكويت كانت تبنى من الطين واللّبِن (الطابوق المصنوع من الطين) لكن التجار بدأوا في فترات لاحقة - أواخر القرن التاسع عشر - وبصورة متزايدة ببناء بيوتهم من الصخر الذي يوضع بينه الطين ليتماسك . وبناء الطين نوعان ، الأول عبارة عن (لِبِنْ) بكسر اللام وهو عبارة عن طابوق مصنوع من الطين تتم صناعته بصب الطين الرطب في قوالب خشبية ثم تركه ليجف قبل استخدامه في بناء الجدران . أما النوع الثاني من بناء الحيطان الطينية فيسمى (العروق) وهو عبارة عن صب الطين الرطب على شكل طبقات ليتشكل منه الجدار . ويصب الطين لبناء الجدار على عدة مراحل ويتم صب كل طبقة بعد أن تجف الطبقة التي أسفل منها وهكذا إلى أن يكتمل الجدار . وعادة ما يتم صب كل طبقة في يوم . ويجلب الطين من خارج المدينة أو من مناطق معينة معروفة داخل المدينة . ويذكر الحاج إسماعيل أن منطقة المزارع في شرق المدينة كانت أرضها طينية وكان يتم بناء جدران المزارع من نفس الطين حيث يتم حفر الأرض واستخراج الطين منها وبناء حيطان المزارع بطريقة (العروق) .

أما المادة الثانية المستخدمة للبناء فهي الجص (الجبس) ، وكان يستخرج من مناطق يطلق عليها مجاصات وهي المناطق التي تتكون من أرض فيها طبقات من (الكج) وهو طين جيري أبيض . وتقع المجاصات في الماضي داخل المدينة وتبدأ من جنوب دروازة العبد الرزاق وتمتد غرباً إلى منطقة رمادان القريبة من المرقاب والصفاة . وتتم صناعة الجبس بحفر سطح الأرض حتى الوصول إلى طبقة الكج ثم توضع عليها مواد مختلفة قابلة للإشتعال منها العرفج وروث الحيوانات واليلّة (روث الجمال) وكل ما يتوفر من فضلات ونفايات ليتم حرقها . وتبقى هذه المواد مشتعلة ليومين أو أكثر إلى أن تخمد النيران فيأتي العمال ومعهم (مضرابات) وهي عبارة عن قطع كبيرة من الخشب خاصة لضرب قطع الكج المحروقة والتي يتكون منها الجبس ، فيتم أولاً إزالة الرماد الناتج من الحرق ويبدأون بضرب قطع الجبس إلى أن يصبح ناعماً فيتم نخله بمناخل خاصة [1] ثم وضعه على ظهور الحمير لنقله إلى مواقع البناء . ويستخدم الجبس لمسح الحيطان وتبييضها . وهناك نوعان من الكج ، الأول طين أبيض ، والثاني (صلابيخ) ، وهذا النوع أجود لعمل الجبس ولا يستغرق حرقه مدة طويلة . ويمكن حرق نفس الموقع عدة مرات (مرتين أو ثلاث مرات) لإستخراج الجبس من عدة طبقات .

---

(١) المنخل هو الغربال .

وكانت منطقة رمادان التي يستخرج منها الجبس تمتد من المرقاب إلى بوابة الشامية بينما تمتد الجهة الشرقية من المجاص القديم إلى موقع دروازة البريعصي [1] قبل بناء السور . وكانت هذه المناطق في الماضي مليئة بالمجاصات حيث كان كل صاحب مجاص لديه ما بين ١٠-٢٠ حماراً لنقل الجبس إلى مواقع البناء من مكان عمله . كما كان لدى كل منهم عدد من العمال لحرق الأرض وتنظيفها وضرب الجبس ونخله ونقله إلى المواقع المطلوبة على ظهور الحمير .

وقد تم نقل المجاصات من تلك المنطقة إلى خارج السور في عهد الشيخ سالم المبارك الصباح بعد بناء السور . كما قام بعد ذلك المرحوم الشيخ صباح الناصر الصباح بتوزيع بعض أراضي المجاصات القديمة داخل المدينة على بعض المواطنين .

أما بناء الصخر فقد بدأ في فترة لاحقة عندما بدأ المتمكنون من التجار باستخدام الصخر الأبيض الذي كان يتم قلعه من ساحل بنيد القار لبناء بيوتهم ، حيث كان ينقله الحمّارة إلى مواقع البناء ، ثم بدأوا بعد ذلك باستخدام الصخر الذي بدأت التشاشيل [2] بجلبه من مناطق الكويت الشمالية ومنها ساحل عشيرج والشويخ بالإضافة إلى بنيد القار . وكان العمال يتوجهون إلى المنطقة لتقطيع الصخر وشحنه بالتشاشيل ، وهي سفن خاصة للشحن ، وجلبه إلى النقع حيث يتم تنزيله ليقوم بشرائه أصحاب البناء ثم ينقل إلى المواقع على ظهور الحمير . وتبلغ قيمة حمولة التشالة من الصخر ما بين ست إلى سبع روبيات .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الكويت عرفت الإسمنت في عهد الشيخ مبارك الصباح ، وجاء لأول مرة إلى الكويت من روسيا وكان معبأ في درامات مصنوعة من الخشب ، وكان نوعين أسود وأبيض . وقد جلب فيما بعد من أوروبا وكراتشي بالهند حيث تم بناء مصنع للاسمنت في مدينة براوة بالقرب من كراتشي ، وكان يباع في الكويت بقيمة ١٢ آنة للكيس ثم ارتفع السعر إلى ١٤ آنة . وكان الإسمنت المصنوع في براوة يعبأ في نوع خاص من الخيش ثم بدأوا بتعبئته في أكياس خاصة .

---

(١) يطلق عليها أيضاً (دروازة الشعب) .

(٢) التشاشيل جمع تشالة وهي سفينة شراعية مخصصة لتحميل البضائع .

لمحات من مدينة الكويت القديمة:

١- المدينة القديمة

يتذكر الحاج إسماعيل أن حدود المناطق ذات الكثافة السكانية من منطقة وسط المدينة في بداية حكم الشيخ مبارك الصباح لم تكن تتعدى جنوباً دروازة العبدالرزاق ، التي كانت فيما مضى موقعاً لبوابة السور الثاني الذي بني في أوائل القرن التاسع عشر . وكانت منطقة الدروازة تسمى أيضاً منطقة المدفع ويتوسطها جاخور كبير تابع للشيوخ يأوي خيولهم ، وتقع بالقرب منه غرباً منطقة العوازم . وهناك تجمعات سكانية خفيفة جنوب الدروازة تحيط بها كثير من المزارع والمجاصات والمساحات الفارغة .

أحد السكيك القديمة وتضم بيوتاً ذات طابق واحد وطابقين

وعندالتوجه إلى منطقة الشرق كانت المنازل تمتد إلى قرب المطبه شمالاً وفريج الصوابر جنوباً ثم تأتي بعد ذلك منطقة المزارع والمقابر . وعند التوجه شمالاً ناحية البحر تشاهد العمايرِ [1] على امتداد الساحل إلى قصر دسمان الذي بناه الشيخ جابر المبارك . وتقع منازل ودواوين معظم النواخذة وعدد من التجار على امتداد ذلك الساحل من أقصى شرق المدينة إلى أقصى غربها ، وكانت أزقة المدينة وساحاتها غير مبلطة وتمتليء بالسيول عند هطول الأمطار فيقوم الناس بعمل مجاري للمياه في السكيك ليتم توجيهها إلى ناحية البحر . وتوجد في بعض الأحياء مجار كبيرة للمياه يسمى الواحد منها (خارور) يقع أحدها بالقرب من كشك الشيخ سلمان الحمود المقابل للبحر ، حيث تصب فيه مياه الأمطار القادمة من داخل المدينة في منطقة الوسط لتوجيهها إلى البحر ، كما توجد

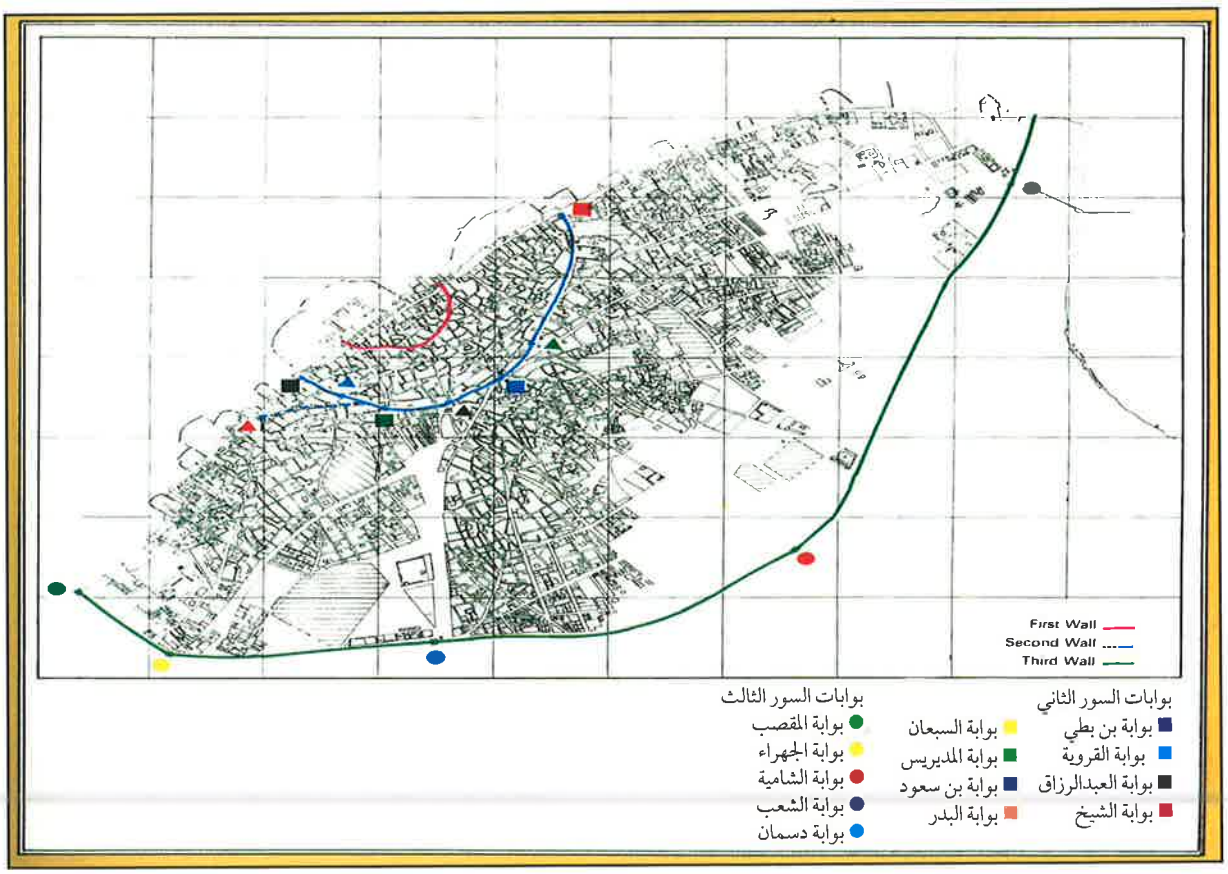

رسم للمناطق المبنية في مدينة الكويت القديمة داخل السور
(بناء على التصوير الجوي للمدينة عام ١٩٥١م) .

المصدر : بلدية الكويت

---

(١) العمايرِ جمع عمارة وهي حوش محاط بعدد من الغرف كان يستخدم من قبل التجار والنواخذه لخزن وبيع البضائع والأخشاب وأدوات البحر ومواد البناء .

في بعض الفرجان حفر كبيرة يطلق على الواحدة منها (صْبَخة) وهي مجمّع للمياه والقمامة ، يتم حفرها بين المنازل وتكون مشتركة للمنازل التي تطل عليها لتوجيه مياه الأمطار والغسيل إليها . وكانت هذه الحفر تمتليء بمياه الأمطار التي تصب فيها من الأحياء القريبة أيضاً ، من خلال مجاري كبيرة تحت الأرض يسمى الواحد منها خارور . وكانت أزقة المدينة عموماً ضيقة فيما عدا بعض الطرق الرئيسية . وتنتشر في معظم الأحياء مساجد صغيرة وكذلك بيوت المطاوعة والمطوعات التي اتخذوها " مدارس" لتعليم الأولاد والبنات القرآن الكريم .

مخطط مدينة الكويت القديمة وتبدو فيها منطقة الوسط بالتقريب

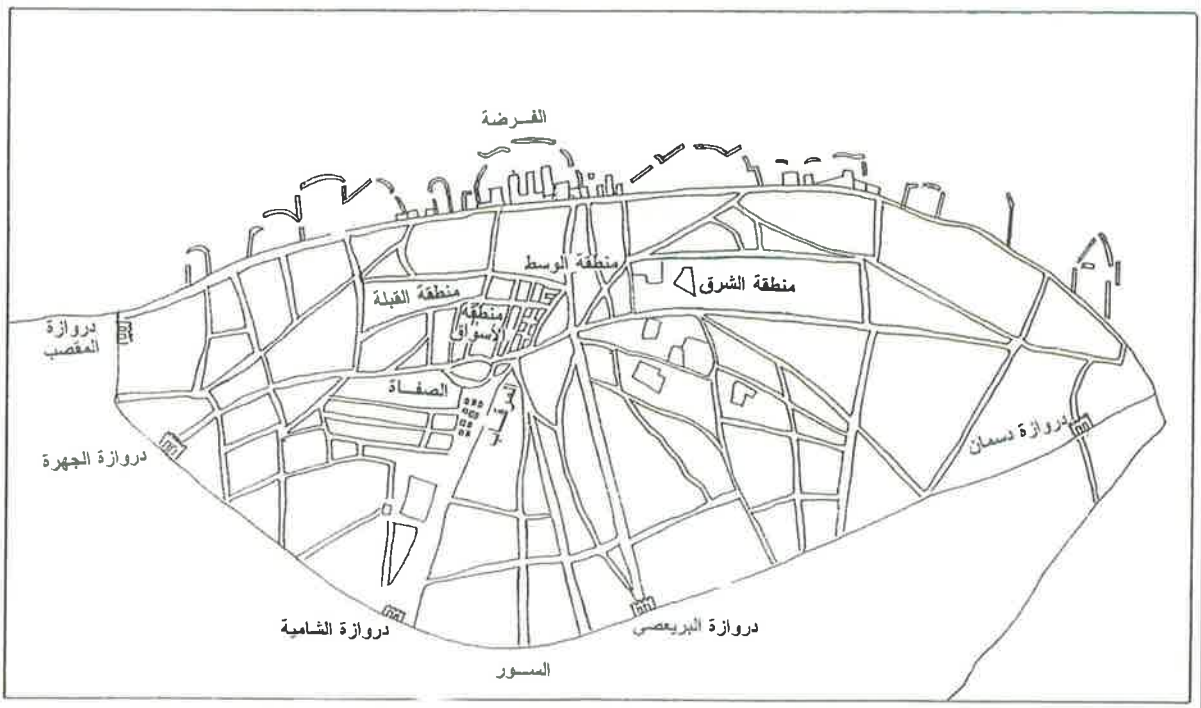

مخطط رقم (١)

مخطط تقريبي للطرق الرئيسية في مدينة الكويت عام ١٩٥١ (حسب التصوير الجوي للمدينة)

المصدر : أسواق الكويت القديمة - للمؤلف

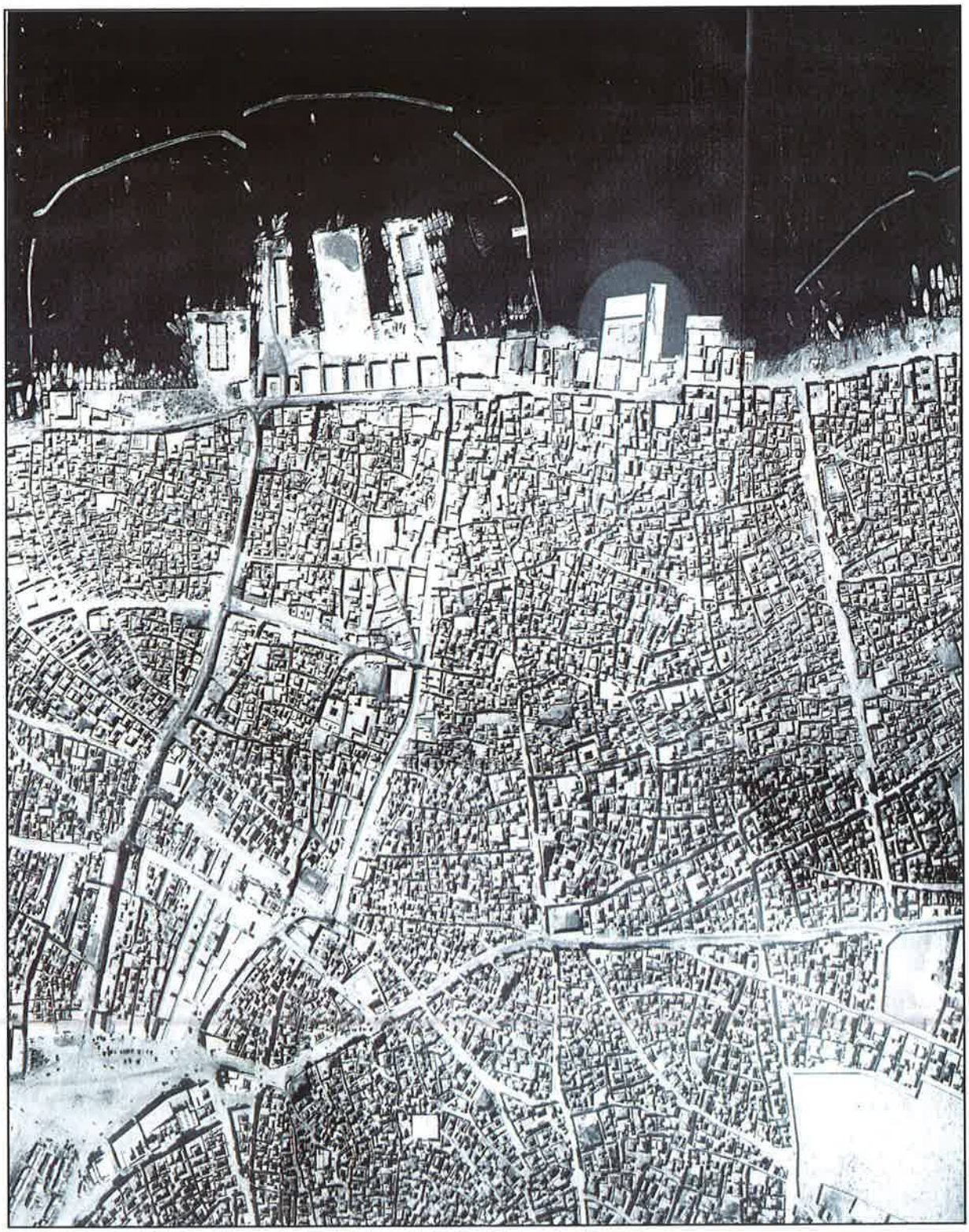

صورة جوية لمنطقة الوسط من مدينة الكويت القديمة . ويشاهد شارع الميدان من ناحية الشرق وسوق التجار والسوق الداخلي من ناحية الغرب ، وفي أقصى الغرب يشاهد امتداد «الشارع الجديد» الذي يبدأ من ساحة الصفاة إلى مدخل الفرضة ومخفر الميناء .

٢- الأسواق

يذكر الحاج إسماعيل أن السوق الداخلي كان إلى بداية القرن العشرين هو السوق الرئيسي في الكويت وكان يضم أعداداً كبيرة من المحلات لبيع مختلف أنواع البضائع . ويبدأ ذلك السوق من بهيته [١] شمالاً إلى مسجد السوق الكبير ثم يمتد جنوباً إلى ساحة الصرافين . وتقع محلات التجار في الجزء الشمالي من السوق الذي يطلق عليه سوق التجار حيث تباع مختلف أنواع البضائع بالجملة . ويقع خلف ذلك السوق من ناحية الغرب سوق المناخ القديم الذي كان عبارة عن ساحة تحيط بها محلات لبيع الحبوب والأرز وغيرها من المواد على البدو القادمين من الصحراء .

ويتم إناخة الجمال القادمة من الصحراء في تلك الساحة لتنتظر قيام أصحابها بشراء حاجاتهم من السوق قبل مغادرتها عائدة إلى بلادها . أما الجزء الجنوبي من السوق والذي اشتهر في الفترات الأخيرة بالسوق الداخلي فقد كان يضم عشرات المحلات التي يباع فيها كل شيء تقريباً ابتداء من الأقمشة إلى الحبوب والأرز إلى اللحوم والأسماك والتمور والخضراوات وغيرها من المواد . كما كان ذلك السوق يضم محلات الحدادين والصفارين والتناكة والنجارين وغيرهم من أصحاب الحرف إلى بداية القرن العشرين . ويوجد هناك أيضاً محل أو اثنان للحلاقين بينما يتجول بقية الحلاقين في السوق ومع كل منهم سحارة [٢] يجلس عليها من يرغب بحلق شعره أمام الحلاق ويقضي معه الوقت بالحديث وهو يقص شعره إلى أن تنتهي مهمته فيستلم أجرته التي كانت ما بين ٤ إلى ٥ بيزات . كما ضم ذلك السوق الصراف الوحيد في الكويت آنذاك وهو نصر الله بن ناصر (والد عبد الله ومحمد وأحمد الصراف) ، الذي يقع محله بالقرب من مسجد السوق الكبير ، وكان الشيخ جابر المبارك الصباح قد منح ذلك المحل لنصر الله . ويمتد ذلك السوق جنوباً إلى ما عرف فيما بعد بسوق الصراريف الذي كان قبل ذلك ساحة واسعة يطلق عليها الصفاة إلى أوائل القرن العشرين . وهناك سوق آخر يتقاطع عمودياً مع سوق التجار والسوق الداخلي ويمتد من الشرق إلى الغرب ويطل عليه مسجد السوق الكبير من ناحية الجنوب وقهوة بوناشي من الشمال وتباع فيه أنواع الخضراوات ، وتوجد بهذا السوق

---

(١) بهيتة هي مرتفع يقع مقابل مدخل قصر السيف من ناحية الجنوب ، وتوجد بالقرب منه من الناحية الشرقية مساكن الشيوخ ، ومنها منزل الشيخ مبارك الصباح يليه منزل الشيخ حمد المبارك . وتمثل بهيتة المدخل الشمالي لسوق التجار الذي يبدأ بعد تجاوز الثلث الشمالي من ذلك الطريق تقريباً .

(٢) السحّارة هي صندوق خشبي صغير .

عدد من محلات العطارين غرب مسجد السوق . أما من ناحية الشرق فكانت تباع في جانب من هذا السوق الحمير والبقر ، ويوجد بالقرب منه سوق آخر لبيع الماء حيث تقف الحمير المحملة بقِرَب الماء والقادمة من المناطق الخارجية – التي توجد فيها آبار الماء – كالنقرة وحولي والشامية لبيع الماء على المواطنين . وقد تم نقل سوق الماء فيما بعد إلى موقع آخر في ساحة الصرافين بالقرب من مدخل سوق بن دعيج . وقد بدأت الأسواق في التوسع بعد تولي الشيخ مبارك الصباح الحكم بعدما اكتظ السوق الداخلي بالدكاكين وأصبح لا يستطيع تلبية احتياجات الناس فأدى ذلك إلى بناء أسواق جديدة وامتداد وتوسع ساحة الصفاة القديمة شيئاً فشيئاً إلى الجنوب والغرب لتشمل ساحة الصفاة المعروفة ، حيث بدأ البدو بإناخة جمالهم فيها بعد أن توقفوا عن إناختها في المناخ القديم . ويذكر الحاج إسماعيل أن ساحة الصفاة الحالية كانت عبارة عن بر عندما كان صغيراً . كما يذكر أن حريقاً كبيراً شب في السوق الداخلي عام ١٣٠٠ هجرية فأتلف جميع المحلات بما فيها سقف السوق المشيد من البواري والحصران . وقد هب الناس من كل جانب لإطفائه حيث جاؤوا من منطقتي الشرق والقبلة وكانوا يحملون التبوب (السطول) المملوءة بالماء التي كانوا يملؤونها من آبار المساجد والآبار القريبة .

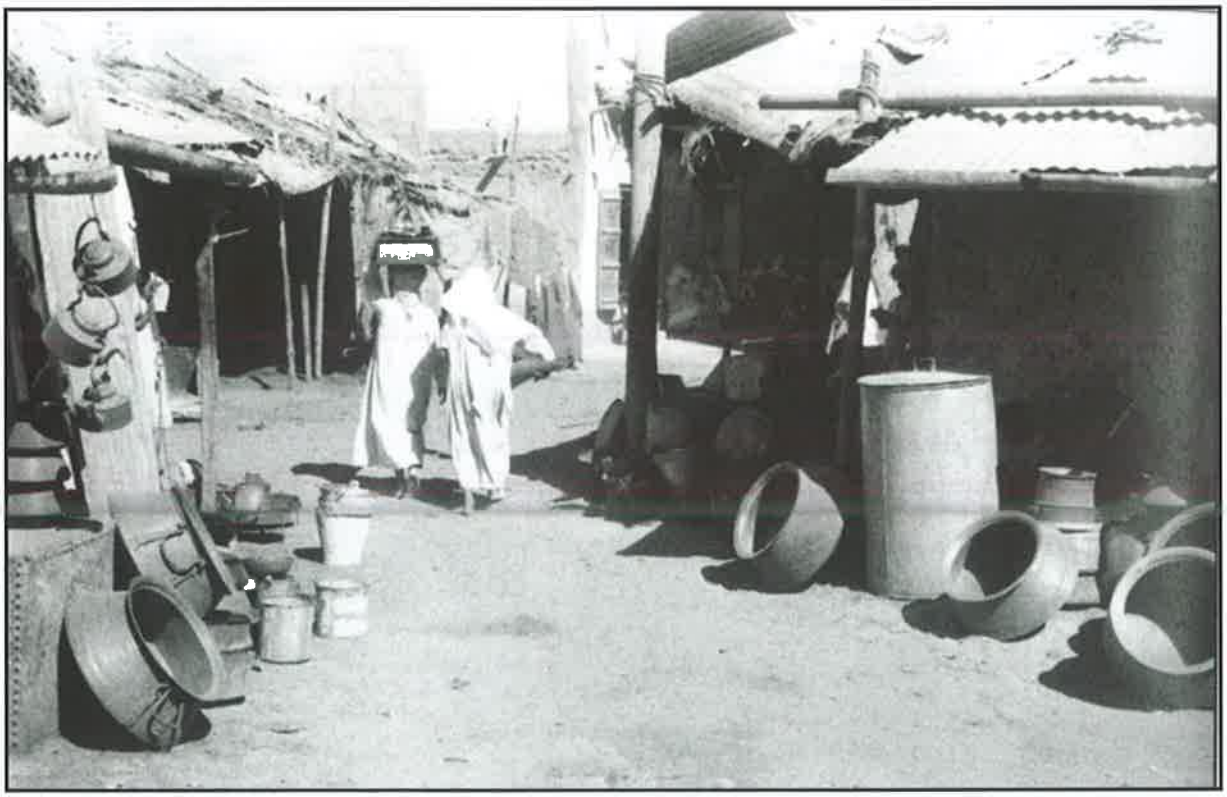

كانت الأسواق القديمة في الكويت عبارة عن محلات مبنية من الطين وأسقف كثير منها من الحصران أو البواري . ويشاهد في الصورة سوق تباع فيه أواني النحاس .

أسواق أخرى قديمة تباع فيها الأبواب "والمرادي" وحاجيات أخرى مختلفة

سوق مغطى بالعريش المصنوع من الچندل والحصران .

ساحة الصفاة قديماً

وفي عام ١٣١٨ هجرية (١٩٠٠م) قام الشيخ مبارك الصباح ببناء سوق الخضرة ، وكانت قد وقعت في تلك السنة حرب الصريف . وقد انتقل كثير من الباعة من السوق الداخلي إلى هناك . كما بنى التجار محلات لهم بجانب سوق الخضرة مما أدى إلى إنعاش المنطقة . وقد بني بعد ذلك سوق الصفافير بالقرب من سوق واجف وعدد من الأسواق الأخرى التي تم تغطيتها بالعرشان لحماية المتسوقين من حرارة الشمس . وكان الصفافير يصنعون معظم منتجات النحاس الذي كان يستورد على شكل صفائح من الهند ، حيث يتم تصنيعها في الكويت ، بينما تستورد القدور والأواني الأخرى المصنوعة من النحاس من الهند ، ويقوم البعض الآخر بصناعة أنواع من الأواني التي تحتاج إلى خبرة ودقة في التصنيع ومنها دلال القهوة حيث اشتهرت الكويت بصناعة أفضل أنواع الدلال . أما سوق اللحم وسوق السمك فقد بناهما من قبل الشيخ جراح ، شقيق الشيخ مبارك ، في بداية عهد الشيخ محمد الصباح في حوالي عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢م) .

٣ - الأمن في المدينة

كان الشيخ دعيج الجابر الصباح (عم الشيخ مبارك الصباح) رئيساً للأمن ومسؤولاً عن حماية الأسواق وبقية أنحاء المدينة في منتصف القرن التاسع عشر منذ عهد والده جابر العيش ، الذي توفي عام ١٨٥٩م . وكان يطلب إلى الناس عدم إغلاق أبواب منازلهم في أثناء الليل لطمأنتهم باستتباب الأمن . وكان من عادة الشيخ دعيج أن يجول بالأزقة ليلاً وهو على ظهر حماره ليتفقد الأوضاع زيادة في الاطمئنان على أمن المدينة . ويذكر عنه أنه إذا لاحظ حركة غير طبيعية أو صادف أمراً مريباً يستمر في تتبعه حتى يطمئن إلى سير الأوضاع بصورة طبيعية . وكان الحاج إسماعيل بن مرواح – جد الحاج إسماعيل – يعمل رئيساً للحرس في عهد الشيخ دعيج . وكانت تربطهما علاقة صداقة متينة وزيارات متبادلة وثقة كبيرة . وكان الحاج اسماعيل يحتفظ بقطعتين تاريخيتين أهداهما الشيخ دعيج الجابر الصباح لجده اسماعيل بحكم مسؤوليته كرئيس للحرس ، الأولى ساعة حائط والثانية سيف ذو غمد مرصع بالفضة . ولا زال السيف موجوداً لدى العائلة بينما أهدى الحاج إسماعيل ساعة الحائط إلى أحد أصدقائه في الستينيات من القرن الماضي .

ومن القصص التي يرويها الحاج إسماعيل جمال عن والده أن الشيخ دعيج الصباح كان في أحد الليالي يسير بين السكيك على ظهر حماره لتفقد الأوضاع فشاهد رجلاً وامرأة يسيران وهما يحملان مصباحاً فأوقفهما وسألهما إلى أين ذاهبان فأخبراه أنهما ذاهبان لإحضار الولّادة (القابلة) لابنتهما التي جاءها المخاض

وهي في حالة الوضع . فرافقهما إلى أن وصلا إلى بيت الولّادة فطرقا عليها الباب فجاءت ورافقتهما إلى البيت ، وواصل الشيخ دعيج المسير معهم إلى أن أوصلهم إلى البيت وأخرج من كيسه ريالين وأعطاهما للرجل هدية لابنته التي ستلد . كما كان الشيخ دعيج في الليالي الممطرة ينزل من على ظهر حماره ليسوي الطرق بالصخين[1] في حالة تجمع مياه الأمطار في الأزقة .

ومن القصص الطريفة التي يرويها أيضاً أن السرقات ازدادت في أحد السنوات في فترة استلام الشيخ صباح مبارك الصباح الذي سلمه والده مسؤولية الأمن بعد وفاة الشيخ دعيج الجابر لعدة سنوات .

السيف المُهدى من المرحوم الشيخ دعيج بن جابر الصباح رئيس الأمن العام في الكويت إلى
المرحوم الحاج إسماعيل بن مرواح (جد الحاج إسماعيل) في بدايات القرن التاسع عشر .

فقد دأب اللصوص في تلك الفترة على التوجه ليلاً إلى الدكاكين والمحلات ، وخاصة غير المُحكمة الإغلاق أو التي في أبوابها ثقوب ، ويسرقون البضائع منها كالقهوة والسكر والأرز . وكان أحد الدكاكين قد سرق لعدة مرات ، وذلك لوجود فتحة كبيرة في بابه يمكن أن تدخل منها اليد ، وكان صاحبه كلما فتح محله صباحاً لاحظ نقصاً في كمية المواد ، وقد استمر ذلك لأيام عديدة . فأتى في أحد الأيام بشداخه حديدية كبيرة (مصيدة فئران) ووضعها قرب الباب من الداخل مقابل الثقب . فلما جاء اللص ليلاً وأدخل يده من الثقب في الباب أمسكته الشداخة فاستطاع بطريقة ما إخراج يده من الشداخة والباب لكنها أصيبت بجروح بليغة . وقد تغيب عن العمل لعدة أيام بحجة المرض ، وكان يعمل حارساً ليلياً في السوق ، وعندما طلبوا منه الحضور جاء وإذا بيده جروح من أثر الشداخة . فألقي عليه القبض ، واعترف بسرقاته ، وعوقب عقاباً شديداً بالضرب بعصي الخيزران .

---

(١) الصخين : مجراف يدوي (مسحاة) .

وكان معظم النواطير – التي كانت مهمتهم أساساً حراسة الأسواق – من البلوش ، وكانوا أشداء ملتزمين بمسؤولياتهم ، وكان يرأسهم شخص يدعى (جُمَدار) . ويتخذ النواطير أسطح الدكاكين مقراً لهم أثناء الليل ويبني بعضهم عشيشاً هناك للاحتماء بها أثناء ليالي الشتاء الباردة . وكانوا غير مسلحين نظراً لاستتباب الأمن في ربوع الكويت . ويذكر الحاج إسماعيل أن الحكومة فرضت رسماً قدره روبية واحدة في الشهر على كل صاحب دكان نظير الحراسة . كما يذكر أن الشيخ مبارك الصباح أعطى الحراس البلوش قطعة كبيرة من الأرض تبلغ مساحتها حوالي ١٠,٠٠٠ متر مربع في منطقة الشرق فقاموا ببناء منازل صغيرة عليها وبنى بعضهم عشيشاً (كْبارة) . وكان بعض أولئك الحراس يعملون حمالين أثناء النهار وذلك بعد إتمام مهتمهم بالحراسة ليلاً ، حيث كانوا يتوجهون إلى الفرضة لنقل الشعير والقمح والحبوب الأخرى من الأبلام إلى مخازن التجار . ويتم تعبئة الحبوب بالجِليل (جمع جلّه ، وهي زبيل كبير) ويضعونها على ظهورهم لإيصالها إلى المكان المطلوب . وينقسم الحمالون إلى مجموعات لكل مجموعة رئيس يسمى (تنديل) ، وكانت الحبوب تصل بالأبلام من الدورق في إيران ومن البصرة ويتم تفريغها على شكل أكواد كبيرة في المنطقة الساحلية الممتدة من سيف معرفي إلى سيف الغنيم قبل تنظيم العمل بالفرضة .

٤- عيش بن عمير

من معالم الكويت القديمة (عيش بن عمير) الذي اشتهرت به الكويت منذ عهد الشيخ جابر العبد الله الصباح ، الحاكم الثالث للكويت والملقب بجابر العيش ، الذي كان يأمر بأن تطبخ كميات من الأرز يومياً لتوزيعها على المحتاجين . ويتم طبخ ما بين أربع إلى خمس خياش من الأرز يومياً ويأتي المحتاجون مساء وبأيديهم الأواني لأخذ ما يحتاجونه لإطعام عوائلهم . وكان بن عمير وهو من أهل الحوطة – وهي مدينة في نجد – مسؤولاً عن ذلك حيث كان يقوم بتجهيز الكميات المطلوبة من الأرز وطبخها والإشراف على توزيعها . ويتم ذلك في منزل قريب من سكن آل الصباح مقابل قصر السيف قبل بنائه . وكانت تطبخ منه كميات وفيرة وفي بعض الأحيان يقدم مع اللحم . وقد اعتاد البعض على أخذ الكميات الفائضة منه لإطعام الدجاج والطيور في منازلهم . واستمر تقديم عيش بن عمير لسنوات عديدة إلى أن بدأت الكميات المعروضة تتناقص شيئاً فشيئاً بعد تحسن أوضاع الناس ، فوصلت إلى خيشة واحدة في اليوم على عهد الشيخ أحمد الجابر الصباح ، إلى أن توقف ذلك بعد أن تحسنت الأوضاع الاقتصادية .

٥ - وصول الشاي إلى الكويت

يذكر الحاج إسماعيل أن الكويتيين لم يكونوا يعرفون الشاي في الماضي ، وقد جاء في البداية من إيران في أوائل القرن الماضي وكان الناس يترددون في تناوله ، وكان يصل معبأ في صناديق خشبية ويباع بأسعار مرتفعة ، وكان سعر الوقية (التي تساوي ٥ أرطال) بروبية واحدة ، ثم انتشر وانخفض سعره وبدأ الناس يتقبلونه شيئاً فشيئاً ويشربونه مع الإفطار صباحاً . ويذكر الحاج إسماعيل أن الكويتيين قبل ذلك كانوا يفطرون صباحاً بتناول الخبز والتمر والقهوة ، بينما كان بعضهم يفطر بما كان يدعى (كْسيب اللوز) ، وهي قطع صغيرة تصنع من الهردة بعد فصل زيت الحل عنها لتبقى المادة الصلبة التي تدعى كْسيب اللوز ، وكانت تؤكل مع التمر للإفطار . ويذكر الحاج إسماعيل أنه سمع ذلك من والده الذي ذكر له أن الناس كانوا على عهد جده إبراهيم مؤسس الكاركة يتوجهون في الصباح الباكر إلى الكاركة لشراء كْسيب اللوز للإفطار .

٦ - طحن الحبوب

يذكر الحاج إسماعيل أن معظم الناس في الماضي كانوا يطحنون الحبوب في بيوتهم حيث تقوم المرأة باستخدام الرحى للقيام بذلك العمل ، وكان هذا أحد واجباتها المنزلية . وكانت سعيدة الحظ من العائلات المتمكنة التي يكون لديها خادمة أو في بيتهم عبدات يقمن بذلك ، حيث كانت كثير من تلك العائلات تشتري عبدات وعبيد للقيام بمهام المنزل المختلفة . كما كانت هناك عائلات من محدودي الدخل تعمل نساؤها بطحن الحبوب للاسترزاق مقابل بيزات قليلة لمساعدة أزواجهن على تحمل تكاليف المعيشة . كما افتتح عدد من الأشخاص "مدارات" [١] لطحن الحبوب ، وكان من أقدمها في منطقة الوسط والشرق مدار عائلة الشمالي ومدار عائلة السيد أحمد الخباز الموسوي . وتستخدم الحمير لإدارة الرحى الكبيرة التي تطحن القمح لتحويله إلى دقيق . وفي بداية القرن العشرين جلب المرحوم يوسف بودي مكينة لطحن الحبوب ،

---

(١) المدار عبارة عن مكان يتم فيه طحن القمح وتحويله إلى دقيق بواسطة رحى كبيرة تديرها الحمير أو البغال .

تم تركيبها في منزل بالقرب من بيت المرحوم يوسف الدويري ثم تم نقلها فيما بعد إلى سكة الفرج [1] . كما جلب أحد الهنود الذين كانوا يعملون في الكويت مكينة أخرى لكنه لم ينجح في إدارتها فاشتراها منه المرحوم آغا علي بهبهاني وقام بتركيبها في منطقة الميدان ونجح في إدارتها ، ثم اشترى مكينة أخرى ووضعها في الصفاة . كما جلب المرحوم يوسف الغانم مكينة طحين ووضعها في سوق واجف ، بينما جلب آل معرفي مكينة مماثلة لكنها لم تنجح . وقد أصبحت للمرحوم آغا علي فيما بعد ثلاث مكائن تم تركيب كل واحدة منها في منطقة ، واستمرت في العمل إلى الخمسينيات من القرن الماضي . وقد استمر اعتماد كثير من الناس على مكائن آغا علي ومكينة بودي لتزويدهم بالدقيق إلى أن بدأت الحكومة في بداية الخمسينيات باستيراد الدقيق من الخارج لبيعه على المواطنين فاضطرت تلك المكائن إلى التوقف عن العمل .

٧- الاستعداد لرمضان

كان الكويتيون في الماضي – كما هو الحال الآن – يستعدون لاستقبال شهر رمضان قبل قدومه بشراء المواد الغذائية والحاجات الضرورية الأخرى لاستخدامها خلال شهر الصوم . وتستعد البيوت الكبيرة قبل قدوم شهر رمضان بتجهيز الحبوب لاستعمالها لعمل الهريس والجريش . وتتعاون هذه البيوت فيما بينها لإنجاز تلك المهمة بتجميع عبداتهم للقيام بمهمة جرش القمح (تكسيره إلى قطع صغيرة) وتحويله إلى جريش ، وذلك باستخدام (المنحاز) الذي هو عبارة عن وعاء خشبي كبير على شكل سطل ، لكن فوهته أقل اتساعاً ، وله مضراب خشبي طويل وسميك يطلق عليه (يد المنحاز) وهو على شكل رمح سميك . وتتجمع عبدات تلك العائلات في كل منزل بالتناوب ويتم إحضار عدد من المناحيز (جمع منحاز) لوضع القمح بداخلها وضربه إلى أن يتحول إلى قطع صغيرة يطلق عليها جريش . وتتجمع النسوة بالتناوب لمدة ثلاثة أيام أو أكثر في كل منزل إلى أن يكتمل العمل ، وعادة ما تحضر ما بين ١٠ إلى ١٢ عبدة لإنجاز ذلك العمل في كل بيت ، حيث يتقابلن أمام المنحاز وبيد كل واحدة منهن

---

(١) هناك عدة روايات عن من هو أول من جلب مكينة لطحن الحبوب إلى الكويت . فالبعض يقول إن حمد الخالد هو من جلب أول مكينة ، بينما يقول بعضهم أن يوسف بودي هو الذي جلب أول مكينة ، بينما يذكر البعض الآخر أن صالح محلب ، وهو أحد اليهود الذين سكنوا الكويت في الماضي هو أول من جلب تلك المكينة .

العمود ، وبعد أن تقوم الواحدة منهن بضرب الهريس تتراجع إلى الخلف لتتقدم المرأة المقابلة لها وتقوم بنفس العملية . ويتم عادة إحضار ما بين أربع إلى خمس مناحيز للقيام بتلك المهمة . وتجتمع نساء هذه العائلات بهذه المناسبة في المنزل الذي يأتي دوره ويقضين وقتهن بالغناء والتصفيق ، ويقدم لهن الشاي والمكسرات ، بينما تنهمك العبدات بضرب الجريش إلى أن تنتهي المهمة . وكانت جدة الحاج إسماعيل ومن بعدها والدته تتزعم هذا العمل في بيتهم . كما كانت بعض العائلات تستأجر عدداً من النساء للقيام بذلك العمل ، الذي كانت تقوم به الطقاقات [1] مقابل أجرة معينة .

٨ - بناء قصر السيف

من أهم الأحداث التي يتذكرها الحاج إسماعيل من أيام طفولته فترة بناء قصر السيف وزواج الشيخ حمد المبارك الصباح . ويذكر أنه كان يدرس في مدرسة ملا عابدين القريبة من سكن الشيخ مبارك الصباح عندما بدأ بناء قصر السيف عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) . وكان موقع القصر قبل ذلك اصطبلاً على ساحل البحر يذكر أنه كان تابعاً لآل الإبراهيم . وقد بدأ العمل بدفن الموقع قبل ثلاث سنوات من بناء القصر لتجهيز المكان الذي كان يمتد من أطراف الفرضة غرباً إلى حائط منزل الحاج ماتقي بن غالب ودكان جراغ الحداد الذي كان يطل على البحر والمجاور للقصر . وكان الطين يجلب على ظهور الحمير من الحفر التي كانت موجودة بين البيوت والتي كانت تتجمع فيها مياه الأمطار . ويذكر الحاج إسماعيل أن كميات كبيرة من الطين نقلت من الحفرة التي كان يطل عليها منزل عائلته وعدد آخر من بيوت آل جمال ومنازل أخرى كثيرة . وكانت الحمير تقوم بذلك العمل ليلاً ونهاراً لدفن الموقع الجديد للقصر الذي كان جزءًا من البحر والساحل ، وكان يحتاج إلى كميات كبيرة من الطين لدفنه . ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ خزعل بن مرداو حاكم المحمرة والصديق الحميم للشيخ مبارك كان قد جلب أحد المهندسين من بغداد لتصميم القصر ثم أحضر أستاذية بناء من هناك لبنائه ، وأحضروا معهم طابوقاً أصفر للواجهات . ويتذكر الحاج إسماعيل أنه وأصدقاءه في مدرسة ملا عابدين كانوا يذهبون

---

(١) الطقاقات هي فرق من النساء اللاتي يقمن بإحياء الأعراس والمناسبات بالغناء الشعبي والأهازيج والمواليد ، وعادة ما يكن من أصل أفريقي . وتعمل بعض نساء هذه الفرق في بعض الأحيان بالأعمال المنزلية مقابل أجرة معينة .

يومياً قرب موقع القصر ليتفرجوا على عملية البناء . وقد تم بناء القصر الشرقي الكبير أولاً كما يذكر ، ومن بعد ذلك بني القصر القبلي الذي خصص للسكن . وعند إكمال بناء القصر تم تزيينه من الداخل بالديكورات والصور وبخاصة أسقف القاعات .

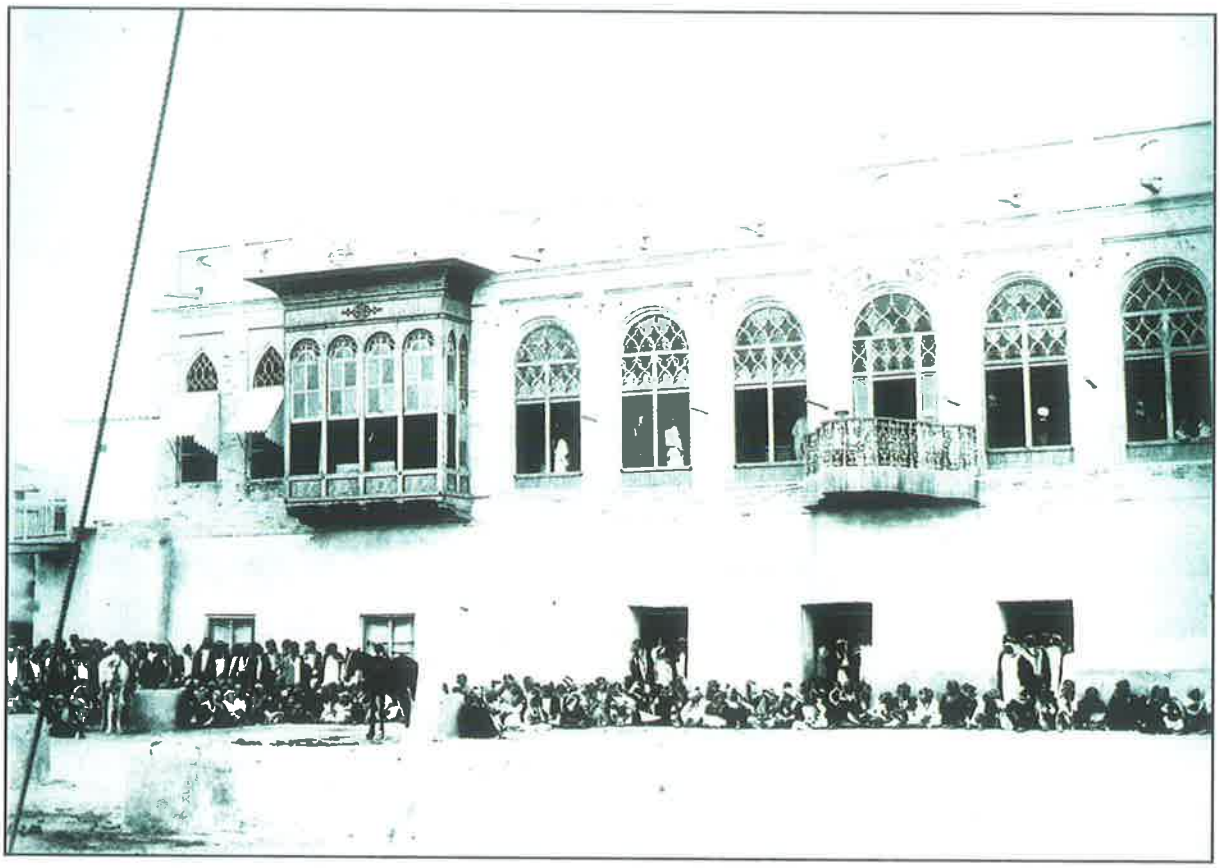

واجهة قصر السيف من ناحية البحر قبل إضافة الدرج والبوابة التي كتب عليها " لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك " في عهد الشيخ سالم المبارك .

٩- زواج الشيخ حمد المبارك

الشيخ حمد المبارك الصباح

يتذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ مبارك زوّج ابنه حمد في نفس العام الذي اكتمل فيه بناء قصر السيف عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) حيث جلب في ذلك العام مكينة كهرباء لاستخدامها للإضاءة في القصر . وكان القصر يتكون من مبنيين ، الشرقي وقد اكتمل في عام ١٣٢٤ هـ ، والغربي وقد اكتمل بعد سنة . وبعد اكتمال البناء احتفلت الكويت ذلك العام بزواج الشيخ حمد المبارك الصباح الابن الأصغر للشيخ [١] وأمر الشيخ مبارك أصحاب الدكاكين والمحلات برفع علم الكويت على محلاتهم ووضع مصابيح احتفالاً بالزواج . واشترك في احتفالات الزواج الشيخ خزعل بن مرداو الذي جلب معه فرقة غناء من المحمرة وعدد من الأشخاص الذين كانوا يصنعون (طائرات ورقية) حيث امتلأت سماء الكويت في تلك الفترة بهذه الأوراق الملونة ذات الأشكال المختلفة . كما جلب ألعاباً نارية تتشكل منها أشكال مختلفة عند إطلاقها ، فيصبح بعضها على شكل عقارب أو حيّات أو أشكال أخرى ثم تنفجر بعد وصولها إلى ارتفاع شاهق . وكان المواطنون يتجمعون على ساحل البحر مقابل قصر السيف للتفرج والمشاركة في الأفراح والاحتفالات . كما جلب الشيخ مبارك الصباح مطربات من مصر جئن إلى القصر لتقديم حفلات الغناء . ويذكر الحاج إسماعيل أن واحدة منهن كان يطلق عليها اسم (طيرة) [٢] ، وكانت الفرق الموسيقية تخرج من قصر السيف مساء كل يوم وتتجول

---

(١) كان الشيخ حمد المبارك هو الابن الأصغر للشيخ مبارك الصباح آنذاك (١٩٠٦م) . وقد ولد له الشيخ عبد الله المبارك عام ١٩١٤م .

(٢) يبدو أن الحاج اسماعيل يقصد المطربة المصرية الشهيرة " منيرة " المهدية التي شاركت في الاحتفالات ، حيث يشير السيد فرحان الفرحان في كتاباته إلى أن المطربة منيرة المهدية شاركت في احتفالات الزواج ، وربما التبس الاسم على الحاج اسماعيل عندما أشار إليها باسم " طيرة بدلاً من " منيرة " .

في الطرقات متوجهة إلى الصفاة ثم تطوف بالقرب من بيوت التجار في القبلة ، وتعود بعد ذلك عن طريق الساحل إلى القصر لتصل قبل المغرب . وتبدأ الاحتفالات مرة أخرى بعد صلاة العشاء حيث يتجمع الناس مرة أخرى قرب قصر السيف لمشاهدة الاحتفالات وسماع الأغاني والموسيقى ، وقد استمرت الاحتفالات شهراً كاملاً .

١٠ - اليهود في الكويت

جاء معظم اليهود القاطنين في الكويت في أواخر عهد الشيخ عبد الله الصباح الحاكم الخامس للكويت وجاء معظمهم من العراق وإيران ، وقد وصل عددهم إلى ما يزيد عن مائتي عائلة . وكان هناك فريج خاص بهم يقع بالقرب من فريج الشيوخ وبراحة مبارك في منطقة الوسط ، وكان معظمهم يعمل بالتجارة ، كما امتلك بعضهم مزارع في حولي وحفروا بها آباراً وكان بعض الحمّارة يجلبون الماء على ظهور حميرهم من مزرعة أحد تجار اليهود في حولي . وكان عدد من رجالهم يلبسون الملابس العربية والغترة وعقال الشطفة ، وقد اشتهر عدد من تجارهم من بينهم اثنان أحدهما يدعى عوض والآخر يعقوب الذي كان لديه دكان لبيع الأقمشة بالقرب من مسجد السوق الكبير . وكانت لديهم محلات في مختلف الأسواق ومارسوا أنشطة تجارية متعددة وكانوا من أنشط التجار ولا يكاد يبقى أحد منهم عاطلاً عن العمل ، إذ كان بعضهم يتجول في الأسواق والأزقة وهو يصيح (خام . . . خام . . .) فتخرج النساء لشراء ما يخترنه من الألوان والأنواع المختلفة ، بينما كان للبعض الآخر دكاكين في السوق لبيع الأقمشة و(البرجوتن) [1] . وكان عدد من تجارهم يستوردون بضائعهم من لندن وعدد من البلدان الأوروبية عن طريق البصرة وبغداد اللتين كانتا تضمان جاليات يهودية كبيرة في ذلك الوقت . ومن تجارهم المشهورين أيضاً شخص يدعى صالح محلب الذي جلب عدداً من مكائن الخياطة في بدايات القرن الماضي وباعها على الخياطين ، كما جلب مكينة لصناعة الثلج قام بتركيبها في عمارة العبد الجليل بالقرب من الجمرك ونقعة الغنيم . وقد عملت تلك المكينة لعدة سنوات ثم توقفت عن العمل بعد أن تكبدت خسائر كبيرة . وقد اشتراها الشيخ أحمد الجابر من صالح

---

(١) البرجوتن كلمة هندية تطلق على المواد واللوازم التي تباع في بعض المحلات وتتكون من الأنواع المختلفة من الأواني واللوازم المنزلية كالصحون والملاعق وأدوات الخياطة كالخيوط والإبر والمقصات وما شابه .

محلب لتزويد القصر بالثلج . كما جلب صالح محلب مكينة لفصل القشرة عن الأرز . ومن الأشياء التي وصلت إلى الكويت في تلك الفترة أيضاً (الجرامافون) أو البشتختات التي استخدمت في المقاهي حيث جاء في البداية نوع على شكل (كأس) ثم نوع آخر يطلق عليه (ام بوري) - أي سماعة - وهو الجرامافون الذي يعمل على الأسطوانة المستديرة (أم صحن) . كما اشتهر منهم عدد من المطربين بينما كان بعضهم أصدقاء لعدد من العائلات الكويتية والشيوخ . وكان أحد تجارهم ويدعى يعقوب اليهودي يملك منزلاً كبيراً بالقرب من منزل الشيخ جابر المبارك الصباح ، الحاكم الثامن للكويت ، وقد اشترى منزله الشيخ أحمد الجابر الصباح بعد مغادرته الكويت إلى فلسطين في نهاية الأربعينيات . وكان يعقوب اليهودي يملك حماراً آنذاك ويذهب إلى البر مع بعض أصدقائه من الكويتيين الذين كانوا يعاملون اليهود معاملة عادية كمواطنين .

ويذكر الحاج إسماعيل أن بعض اليهود كانوا يقومون بصناعة الخمور في منازلهم ويبيعونها على بعض الشباب الذين يتناولونها في بعض المزارع . وكان الحرس من رجال الحكومة يلاحقونهم ويصادرون ما يحصلون عليه من مشروبات ويعاقبونهم بالضرب بالخوازرين . ويتذكر أنه في أحد المرات تم إلقاء القبض على عدد من الشباب المخمورين فوضعت القدور والأواني التي كانت لديهم على رؤوسهم وأدخلوهم إلى السوق الداخلي أمام الناس وخلفهم الحرس الذين كانوا يخبرون الناس بما اقترف هؤلاء ، ثم أخذوهم إلى الصفاة وضربوهم بالخوازرين . كما يذكر أن أحد اليهود توجه إلى جزيرة فيلكا وأصبح يصنع الخمور هناك ويحضرها إلى الكويت لبيعها ، وعندما تم اكتشافه صودرت أوانيه وقدروه وتم إتلافها وأعادوه إلى الكويت لمعاقبته ومنعوه من الذهاب إلى فيلكا .

وفي حادثة أخرى يذكر أن أحد الدكاكين في المناخ سُرِق في عهد الشيخ مبارك الصباح فاشتكى صاحب المحل فأمر الشيخ مبارك أحد رجاله - وهو محمد الخبيزي - بالبحث عن اللصوص . فتوجه مع عدد من الحرس إلى منطقة الدهله التي كانت تضم آنذاك عدداً من المزارع التي يؤمها البعض لشرب الخمور ، وبدأوا بطرق أبوابها لكن معظمها كان مغلقاً . وعندما طرقوا باب أحد المزارع تم فتح الباب فدخلوا وبدأوا بالتفتيش فشاهدوا صندوق النقود المسروق من الدكان وقد تم إخفاؤه خلف المزرعة فأخذوه وأمسكوا بالجناة وأحضروهم إلى الساحة الخلفية لقصر السيف وكانوا اثنين . فأمر الشيخ مبارك بنصب چندلتين [1] ،

---

(١) الچندلة ومجموعها چندل هي سيقان أشجار تجلب من شرق إفريقيا تستخدم في دعم أسقف المنازل في الماضي .

واحدة لكل منهما ، وتم ربط كل واحد في چندلة وبدأ الفداوية بضربهم بعصي الخيزران أمام الناس الذين تجمعوا ليتفرجوا عليهم . وكان الأولاد الصغار – الذين جاءوا مع المتفرجين – يرشون الماء عليهم زيادة في إهانتهم .

وكان اليهود في الكويت يغلقون محلاتهم يوم السبت ويحتفلون بأعيادهم في الكنيس . ويذهب الفضوليون من الناس للتفرج بالقرب من الكنيس التابع لهم والواقع في براحة مبارك في منطقة الوسط بالقرب من فريج الجناعات . وكان الكنيس التابع لهم موجوداً إلى أوائل الستينيات من القرن الماضي حيث تم اغلاقه من قبلهم عندما غادروا الكويت في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي متوجهين إلى فلسطين . وقد تركوا مفتاح الكنيس لدى عائلة الششتري التي كانت تسكن بالقرب منه . وقد أعرب الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت آنذاك عن رغبته في شراء مبنى الكنيس بعد مغادرتهم ، فاستشار السيد جواد القزويني الذي كانت تربطه به علاقة وطيده فنصحه بعدم شرائه لوجود إشكاليه شرعية في ملكيته . وكان السيد جواد القزويني مرجعاً للشيعة آنذاك .

ويذكر الحاج إسماعيل أن القحط ساد المنطقة في أحد السنوات في بداية القرن الماضي فجاءت إلى الكويت عدة قوافل من اليهود مع أغنامهم وجمالهم وبعض أنواع البضائع التي جلبوها معهم كالدهن والمنتجات الأخرى فتم بيعها في أسواق الكويت . كما تعرفوا على العوائل اليهودية التي كانت موجوده في الكويت والذين رحبوا بهم ودعوهم إلى بيوتهم ، وكان هؤلاء قد قدموا من اليمن . وقد بدأ اليهود في مغادرة الكويت خلال الفترة من نهاية الثلاثينيات إلى أواخر الأربعينيات من القرن الماضي حيث باعوا بيوتهم وأملاكهم دون أن يضغط عليهم أحد . وكانت توجد أعداد كبيرة من اليهود أيضاً في البصرة وبغداد وبعض أنحاء العراق وكانوا يعملون بالتجارة ، كما كانت توجد جالية صغيرة في البحرين . وقد غادر معظمهم بعد أن باعوا أملاكهم وتوجهوا إلى فلسطين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . وكان تجار اليهود أصحاب ثروة ونفوذ في بغداد قبل الحرب .

ومن القصص الطريفة التي يرويها الحاج إسماعيل أن أحد اليهود القاطنين في الكويت في بداية القرن الماضي ، وكان يدعى صالح محلب ، جلب مكينة لصناعة الثلج إلى الكويت وقام بتركيبها في عمارة عبداللطيف العبد الجليل مدير الجمرك آنذاك ، وبدأت بالعمل ، وكان المواطنون يشترون الثلج من المكينة ، كما كان أصحاب المحلات وكذلك البسطات يشترون قوالب الثلج منها لإعادة بيعه بالوزن على المواطنين . وكان عدد من علماء الشيعة آنذاك يفتون بعدم طهارة اليهود وينهون من تناول أي طعام يمسه اليهودي لانتقال

النجاسة إلى الطعام وكذلك عدم شرب الماء إن وضع اليهودي يده فيه . وقد أدى ذلك إلى امتناع المواطنين الشيعة عن شراء الثلج من مكينة صالح محلب مما أدى إلى انخفاض البيع وتحمله خسارة كبيرة . وقد اضطر فيما بعد إلى بيع المكينة فاشتراها الشيخ أحمد الجابر وتم تركيبها في نقعة الغنيم لاستخدامه الخاص .

١١ - الكاركة

يذكر الحاج إسماعيل أن "كاركة" آل جمال تأسست في عهد جده الحاج إبراهيم جمال في حوالي عام ١٢٦٥ هجرية (١٨٤٨م) ، واستمرت في العمل إلى عام ١٩٦١م . وكان القائمون عليها يصنعون الهردة من السمسم بواسطة الرحى التي تديرها البغال والخيول . وقد أسس الكاركة الحاج إبراهيم جمال في موقعها الأول في أحد الأزقة المتفرعة من سوق التجار بجوار مسجد الحداد ، وكان يشار إلى ذلك الموقع بـ "سكة الكاركة" . وقد استأجر إبراهيم جمال الموقع من آل عيدي في البداية وأسس فيه الكاركة . وفي فترة لاحقة استأجر الحاج إبراهيم جمال أيضاً كاركة أخرى كانت تعود للمرحوم حسن عبد الرزاق - وهو من آل النقي - واستخدمها كمخزن ، ثم اشتراها منهم وقام بهدمها وألحق بها عدد من الدكاكين العائدة له والمجاورة لها وبنى في الموقع معمل كبير نقل إليه عملية الإنتاج من الموقع القديم ، وسمي هذا المعمل " الكاركة الجديدة" وتم تسجيله باسمه واسم أخيه اسماعيل مناصفة في حوالي عام ١٢٨٥ هجرية (١٨٦٥م) . وهذا المعمل هو نفسه الذي استمر بالعمل إلى عام ١٩٦١م ، حيث حل محل الكاركة القديمة التي استخدمت بعد ذلك كمخزن .

وقد تعارف الناس على إطلاق اسم " الكاركة القديمة" على الكاركة الأولى ، و" الكاركة الجديدة " على الكاركة الثانية . وبعد وفاة الحاج إبراهيم اشترى ابنه محمد بن إبراهيم جمال كاركة آل عيدي - التي كان يستأجرها ومن قبله والده - من محمد بن عبد علي عيدي ، وكان ذلك بتاريخ ١١ محرم ١٣٢٦ هجرية - ١٣ مارس ١٩٠٨م (انظر الوثيقة) . فقد باع عبد الرسول بن محمد عيدي معظم أملاك والده بعد وفاته ومن ضمنها الكاركة التي كان يستأجرها محمد إبراهيم جمال ومن قبله والده لعمل الهردة . واستمرت "الكاركة القديمة" التي كانت عبارة عن حوش كبير محاط بحائط من الطين وبه عدد من الغرف ، تستخدم كمخزن إلى أن تم بيعها للمرحوم خليل القطان الذي بنى مكانها قيصرية خليل القطان التي أطلق عليها " سوق اليهود" .

وقد أدار الحاج ابراهيم جمال الكاركة حوالي ٣٧ سنة إلى أن توفي في عام ١٣٠١هجرية (حوالي ١٨٨٥م) . ويذكر أن عدد العاملين في الكاركة كان حوالي ١٢ شخصاً معظمهم من نفس العائلة . كما عمل معهم عبد الله النكاس وشخصان آخران يدعى أحدهما الحاج أحمد الكربلائي والثاني أخوه عبدالله

الكربلائي وهما من القصبة وكانت لديهما نخيل هناك . وكانا يأتيان إلى الكويت أثناء الشتاء للعمل بالكاركة ويعودان إلى القصبة في الصيف عند توقف العمل بالكاركة ليعملا بالزراعة . وكان عبدالله الكربلائي يقوم أيضاً بقلب الرحى "وتنكسيها" أي تنظيف سطحها (بالمنكاسة) من رواسب السمسم[1] .

لوحة للكاركة مشتملة على جميع مراحل العمل (رسم ندين جمال)

(١) النكاس هو الشخص الذي يقوم بإصلاح الرحى و «تخشينها» عندما يصبح سطحها أملس (ناعماً) من كثرة الاستعمال حيث تترسب بقايا السمسم أو الحبوب المطحونة على سطحها مما يؤدي إلى امتلاء النتوءات والحفر الصغيرة على سطحها . ويستخدم النكاس جدوماً خاصاً ذا جهتين حادتين يسمى منكاسة .

وكان لدى الحاج إبراهيم جمال ٥ خيول لتدوير الرحى التي تقوم بطحن السمسم وتحويله إلى هردة . كما أحضروا له بغلة من الخارج لإدارة الرحى ، وكان يتم تبديل الحصان أو البغل الذي يدير الرحى كل ٣ ساعات تقريباً لمشقة العمل الذي يقوم به . ويتم تغطية عيني الحصان أو البغل بقطعة من الجلد ليستمر في الدوران ، ويوضع في رقبته " برشوم "[١] ليعطي صوتاً ويجعله يستمر في المشي . ولا يمشي البغل أو الحمار لتدوير الرحى إلا عندما تغلق عيناه ويعلق " البرشوم" في رقبته . وكانت تصنع الهردة فقط بالكاركة ثم بدأوا بصناعة الرهش فيما بعد ، كما يصنع دهن الحل (أو حل السمسم) .

وقد استلم إدارة الكاركة من بعد وفاة مؤسسها ابنه محمد بن إبراهيم جمال الذي اشترى موقع الكاركة القديمة من آل عيدي عام ١٣٢٦ هجرية (١٩٠٨م) بعد أن كان والده يستأجرها منهم . وبعد فترة نقل محمد إبراهيم جمال موقع الإنتاج إلى كاركة حسن عبد الرزاق التي تقع بالقرب من خان الحكومة والتي تم شراؤها من قبل والده في فترة سابقة في حوالي عام ١٨٦٥م ، وتقع تلك الكاركة في نفس المنطقة . وقد استخدمت الكاركة القديمة فيما بعد كمخزن ثم تم بيعها في فترة لاحقة على خليل القطان الذي قام بهدمها وبناء قيصرية مكانها . وقد عمل الحاج محمد بن إبراهيم جمال بالكاركة إلى أن توفي في عام ١٣٣٦ هجرية (حوالي عام ١٩١٧ م) ، وكان يعمل معه سلطان مبروك أحد عمالهم ، بينما أمسك الحسابات في تلك الفترة حسن بن علي إسماعيل جمال الذي كان يتواجد هناك صباح كل يوم ، أما سلطان فكان مسؤولاً عن البيع والميزان . وكان الحاج منصور بن حسين جمال يستورد الدبس للكاركة في عهد محمد بن إبراهيم جمال وذلك لصناعة الرهش الذي كان يصنع آنذاك من الهردة والدبس فقط ولا يستعملون السكر . وكان أصدقاء محمد بن إبراهيم جمال يأتون إلى الكاركه صباح كل يوم للجلوس أمام الدكان التابع لها لتبادل الأحاديث وشرب القهوة ، وكانت عبارة عن ديوانية صباحية . وكان معظم أصدقائه من آل معرفي الذين يتوجهون بعد شرب القهوة إلى محلاتهم وتجارتهم ، وقد أغلقت الكاركة بعد وفاة الحاج محمد بن إبراهيم جمال عام ١٣٣٦ هجرية (١٩١٧م) لمدة ثلاث عشرة سنة تقريباً لعدم اهتمام أحد من العائلة بالعمل بها ، ثم أعيد افتتاحها في عام ١٣٤٨ هجرية (١٩٢٩م) حيث قام بتشغيلها الحاج إسماعيل بن علي جمال – حفيد مؤسسها – الذي استمر بالعمل بها إلى عام ١٩٦١ عندما قامت إدارة أملاك الدولة بتثمين المعمل وإزالته . وقد خصصت الدولة مكاناً آخر للمعمل في الشويخ بدأ الانتاج فيه عام ١٩٦٨م .

---

(١) البرشوم عبارة عن جرس صغير على شكل كرة نحاسية صغيرة مجوفة بداخلها قطعة كروية من الحديدالصلب تعطي صوتاً عندما تتحرك أثناء سير البغل أو الحمار .

وثائق تخص الكاركة

هناك عدد من الوثائق العدسانية وغيرها تخص ملكية الكاركتين (القديمة والجديدة) وانتقال مليكتهما من شخص إلى آخر ، ابتداء من عام ١٢٨٢ هجرية (١٨٦٥م) ، عندما كان يعمل بهما المرحوم الحاج إسماعيل بن مرواح ، قبل قيامه وابنائه بشرائهما في فترات لاحقة . وأولى هذه الوثائق تخص المرحوم الشيخ مبارك الصباح الذي باع الكاركة (الجديدة) التي كانت ملكية أرضها وبنائها تعود إليه ، في فترة من الفترات ، وكان المشتري يدعى حسن بن عبدالرضا الخباز .

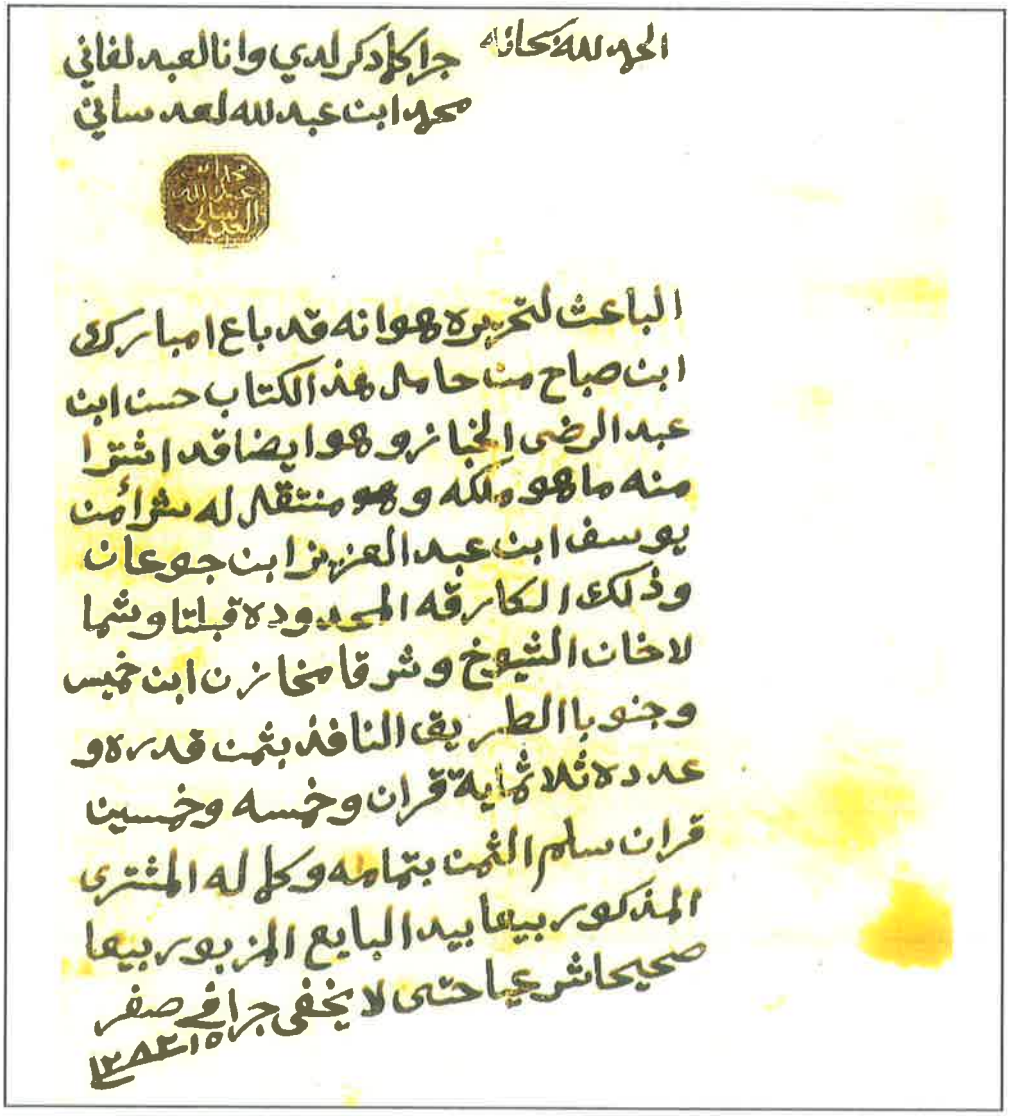

إحدى وثائق الكاركة (الجديدة) والتي تدل على أن مبناها كان يعود للشيخ
مبارك الصباح الذي باعها عام ١٢٨٢ هجرية (١٨٦٥م) على حسن بن عبد الرضا الخباز .

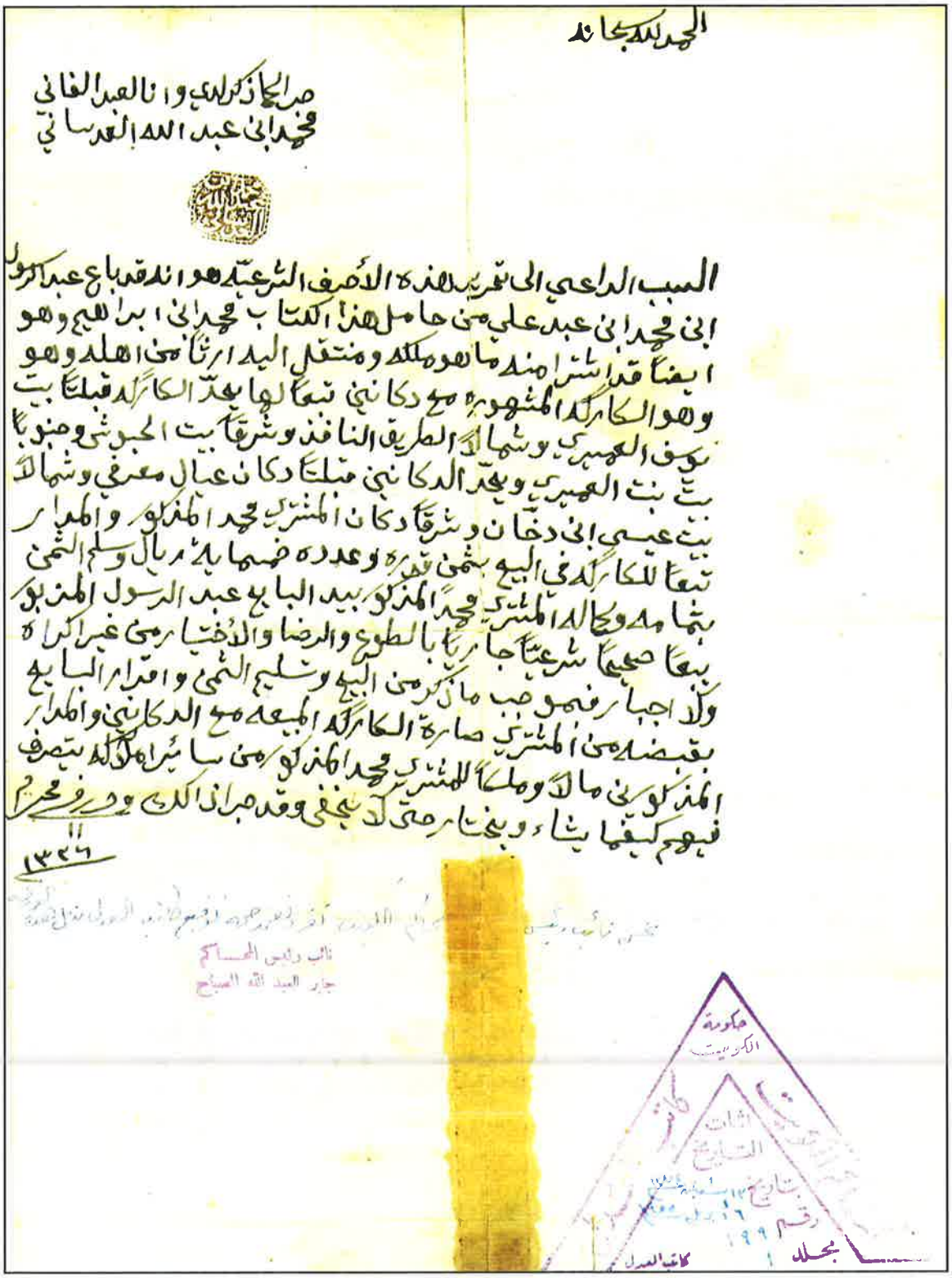

وثيقة بيع الكاركة القديمة من قبل المرحوم عبد الرسول عيدي إلى
المرحوم محمد بن إبراهيم جمال عام ١٣٢٦ هجرية (١٩٠٨م)

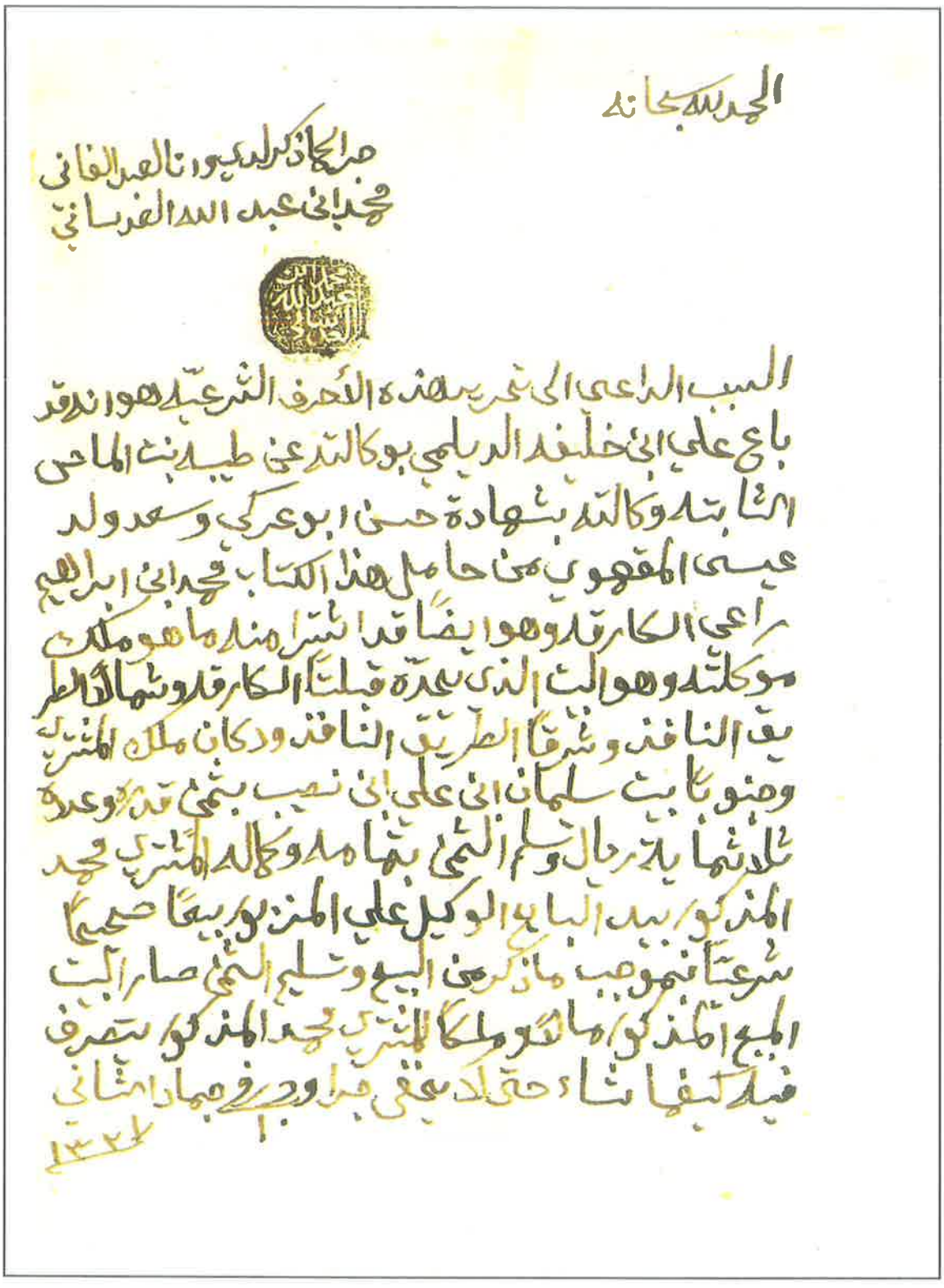

وثيقة شراء المرحوم محمد بن إبراهيم جمال لمنزل مجاور للكاركة تم هدمه وإدخاله مع عدد من الدكاكين المجاورة العائدة له بالكاركة وتوسعتها في عام ١٣٢٧ هجرية (١٩٠٩م) .

منتجات الكاركة

من أهم منتجات الكاركة الهردة ، وهي عصير أو زيت السمسم الذي ينتج من طحن السمسم بالرحى التي تديرها الخيول والبغال والحمير . وتعتبر صناعة الهردة من أكثر الصناعات مشقة وتعقيداً ، وتبدأ الخطوة الأولى بتنقيع السمسم في حوض ماء لفترة تمتد طوال الليل ثم يتم نقله إلى حفرة مثبت عند فوهتها عمود خشبي سميك توجد بطرفه قطعة سميكة من الخشب ، ويطلق على ذلك العمود (دِنْك) . ويثبت أحد طرفي الدِنْك على قاعدة صخرية ويسقط طرفه الآخر في الحفرة بقوة عند قيام العامل بالضغط على الطرف الآخر لرفع (الدنك) ثم تركه ليهوي بالحفرة (انظر الرسم (ص ٨٤) . وتؤدي هذه العملية إلى ضرب السمسم الرطب الموجود بالحفرة بقوة مما يؤدي إلى فصل قشرة السمسم عن اللب . وينقل السمسم بعد ذلك في زبلان (جمع زبيل) إلى حوض ماء شديد الملوحة فيطفو لب السمسم وتترسب القشرة في قاع الحوض . وينقل السمسم بعد ذلك من هذا الحوض في سلال إلى حوض آخر لغسله ثم ينظف بالماء العذب لإزالة الملوحة منه لينقل بعد ذلك إلى سطح الكاركة لتعريضه للشمس ليجف ثم يتم نخله وتحميصه قبل وضعه بالرحى لطحنه وعمل الهردة منه .

ويتناول الكويتيون الهردة (أو الطحينة) مع التمر منذ القدم ، كما كانوا يخلطون الهردة مع الدبس لأكله مع الخبز في الماضي ، وخاصة في فصل الشتاء . كما كان يصنع من الهردة (حل السمسم) وهو زيت يستخدم لأغراض مختلفة كدهن الشعر وإنارة المصابيح قبل أن يعرف الكويتيون الكيروسين ، وكذلك (تشوين) جدران السفن العائدة من السفر والغوص - أي دهنها لحمايتها أثناء وقوفها لعدة أشهر على الساحل انتظاراً للموسم القادم . وكان اليهود القاطنون في الكويت في الماضي من أهم الزبائن لشراء حل السمسم من الكاركة . ويتكون (الحَلْ) بعد مرور فترة طويلة على ترك الهردة في علب معدنية كبيرة دون تحريك فيترسب جزء منها إلى أسفل وهو عبارة عن مادة كثيفة ، ويطفو الزيت الخفيف في الجزء العلوي من العلبة فيتم فصل الاثنين ويباع الزيت أو (الحَلْ) على عملاء معينين بينما تباع المادة المترسبة على عامة الناس الذين كانوا في الماضي يتناولونها في وجبة الإفطار مع التمر أو بعد خلطها مع الدبس قبل أن يتعودوا على تناول الخبز والجبن والشاي في الإفطار ، وكان يطلق عليها (كْسيب اللوز) . وكان ذلك في عصر الكاركة القديمة أي قبل حوالي مائة وخمسين عاماً عندما لم تكن تتوافر أنواع المأكولات والمواد الغذائية المتنوعة المتوافرة في

زمننا الحاضر . ففي تلك الفترة لم يكن المواطنون قد عرفوا الشاي بعد ، وكانت كميات الأجبان محدودة إن وجدت . ويروي الحاج إسماعيل أن الناس كانت تتهافت على الكاركة صباح كل يوم - على زمن جده - لشراء "كْسيب اللوز" الذي كان يباع على شكل قطع صغيرة بحجم كف اليد وتباع القطعة بأربع بيزات (آنة هندية واحدة) . أما بالنسبة لدهن الحَلْ فكان الزبائن يأتون إلى الكاركة ومع كل منهم قنينة زجاجية لشراء الحَلْ وتفريغه بداخلها لاستخدامه للإنارة قبل وصول الكيروسين إلى الكويت . وكان دهن الحَلْ يخزن في (دْباب - جمع دبّة) وهي عبارة عن وعاء كبير مصنوع من الجلد ، ويتم عمل (شبك) من الحبال حول (الدبة) لتقويتها وزيادة تحملها لاستيعاب الكميات الكبيرة من الحل . وتستخدم الدبه أيضاً لتخزين منتجات أخرى فيها كالدبس والدهن العداني . ويتذكر الحاج إسماعيل أنه كان في إحدى الغرف في البيت القديم أثناء شبابه عشرات(الدْباب) من أحجام مختلفة كانت تحتوي على حل السمسم والدبس .

ومن المنتجات التي كانت تنتجها الكاركة الرهش الذي ينتج من خليط الهردة والشيرة والدبس ، وتستغرق صناعته أكثر من ساعتين ونصف لضرورة اتباع خطوات معينة في الإنتاج ليصبح المنتج ذا مذاق محبب للزبائن . وتبدأ صناعة الرهش بتسخين الدبس (وهو عصير التمر) على نار هادئة لفترة ساعتين على الأقل إلى أن يصبح لونه أبيض . كما يتم عمل الشيرة وهي خليط السكر والماء الذي يتم أيضاً طبخه على نار هادئة لمدة طويلة ثم يتم خلط المزيجين بكميات متساوية وتضاف إليهما الهردة بعد تسخينها ويمزج الخليط جيداً ليتكون منه الرهش الذي يتم صبه في صواني . وتستعمل أعواد نبات العرفج لطبخ هذه المواد على نار هادئة . وكانت وقية الرهش تباع باثنتي عشرة آنة[1] (حوالي ٥٦ فلساً) وكذلك وقية الهردة ، أما قوطي الدبس الذي كان يزن ما يقارب من ٢٠ كيلو غراماً فيباع بروبية واحدة (٧٥ فلساً) . وكان السمسم يأتي من العراق وإيران والهند ويتم شراء المَنْ (١٦٨ رطلاً) بحوالي ٦ روبيات . ويشتريه الخبازون لوضعه على الخبز ، وكذلك أصحاب محلات الحلويات ، وكانت الأوقية تباع بأربع آنات . أما الهردة فيشتريها أصحاب المحلات وصناع الرهش وأهمهم المرحومين عبدالحسين النقي وعباس مقامس وعبد الرحيم النقي . كما يصنع نوع آخر من الرهش يسمى (الرهشية) وتصنع بطريقة أخرى من خليط الهردة والشيرة فقط (دون استخدام

(١) تنقسم الروبية الهندية إلى ١٦ آنة والآنة إلى ٤ بيزات والبيزة إلى ٣ آرديات . أما بالنسبة للقيمة فقيمة الروبية تساوي ٧٥ فلساً والآنة ٤,٧ فلس والبيزة ١,٢ فلس والآردي ٠,٤ من الفلس .

الدبس) ، وتصب في صواني ويرش عليها الدارسين (القرفة) . ويصنع أيضاً القبيط والسمسمية من الدبس والسمسم .

وكانت المواد الخام الرئيسية التي يستخدمونها في الكاركة تتكون من السمسم والسكر والملح والدبس . ويتم جلب السمسم من العراق وإيران والهند ويتراوح سعر الخيشة ما بين ٦-٨ روبيات (٤٥٠ فلساً - ٦٠٠ فلساً) ، ويعتبر السمسم الهندي أكثر جودة ويتم شراؤه بعشر روبيات للخيشة (٧٥٠ فلساً) . وتزن الخيشة (هندراً ونصف)[١] . أما السكر فكان يباع بقيمة ٧٥ روبية للخيشة وفي سنوات الحرب العالمية الثانية ارتفع سعره حتى وصل سعر الخيشه إلى ١,٠٠٠ روبية . وقد خصصت الحكومة للكاركة نصف خيشة من السكر يومياً بالسعر المدعوم . ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ عبد الله السالم الصباح - وكان رئيساً لدائرة المالية آنذاك - قد استدعاه وطلب إليه معرفة كمية السكر التي تحتاجها الكاركة للاستمرار في إنتاجها وطلب إليه شرح طريقة الإنتاج فشرح له الحاج إسماعيل خطوات العمل بالكاركة . وكان الشيخ عبد الله السالم يتخذ مكتباً في سوق التجار بالقرب من الكاركة عندما كان يعمل مديراً لدائرة المالية أثناء حكم

الشيخ عبدالله الصباح كان مديراً للمالية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكان يشرف على توزيع مواد التموين وقد طلب إلى الحاج إسماعيل أن يشرح له خطوات إنتاج الرهش وخصص للكاركة نصف كيس سكر في اليوم أثناء سنوات البطاقة (أو التموين) .

(١) (الهندر) يساوي ٢٤ وقية (٥٠ كيلوغرام) وكانت الوقية في الكويت تزن ٤٥٠ مثقالاً وقد تم عملها ٥٠٠ مثقال في عهد الشيخ سالم المبارك . وتساوي الوقية ٥ أرطال والرطل يساوي ١٠٠ مثقال .

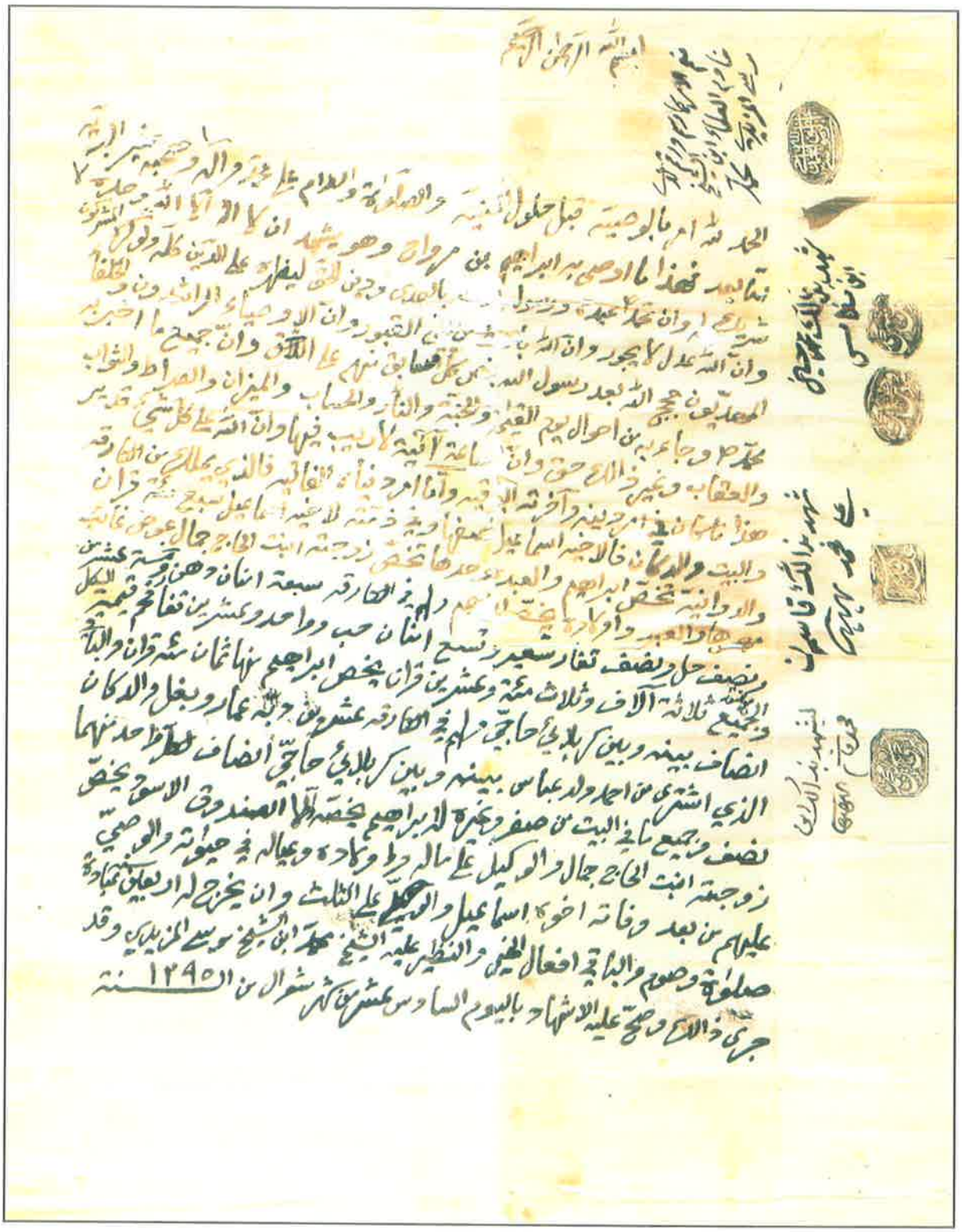

وصية المرحوم إبراهيم بن مرواح (مؤسس الكاركة) التي كتبها بتاريخ السادس عشر من شهر شوال عام ١٢٩٥ هجرية (عام ١٨٧٨م) والتي بين فيها أن الكاركة مملوكة مناصفة بينه وبين أخيه إسماعيل . ويشاهد توقيع المرحوم الشيخ محمد بن موسى المزيدي على الوصية .

وصية الحاج ابراهيم بن مرواح (جد الحاج اسماعيل جمال من ناحية والدته)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمر بالوصية قبل حلول المنية والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه خير البرية . أما بعد فهذا ما أوصى به إبراهيم بن مرواح وهو يشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأن الله عادل لا يجور وأن الله باعث من في القبور وأن الأوصياء الراشدون والخلفاء المهديون حجج الله بعد رسول الله ينص كل سابق منهم على اللاحق وأن جميع ما أخبر به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجاء به من أحوال يوم القيامة والجنة والنار والحساب والميزان والصراط والثواب والعقاب وغير ذلك حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله على كل شيء قدير . هذا ما كان في أمر دينه وآخرته الباقية وأما أمر دنياه الفانية فالذي يملك من الكاركة والبيت والدكان فلأخيه إسماعيل نصفها وفي ذمته لأخيه اسماعيل سبع مئة قران والديوانية تخص إبراهيم والعبدة وحدها تخص زوجته ابنة الحاج جمال عوض غائب مهرها والعبد وأولاده يخص إبراهيم وله في الكاركة سبعة أمنان دهن وستة وعشرين ونصف حل ونصف تغار[1] شعير وتسع أمنان حب وواحد وعشرين قفه فحم قيمة الكل والجميع ثلاثة آلاف وثلاث مئة وعشرين قران يخص إبراهيم منها ثمان مئة قران والباقي أنصاف بينه وبين كربلائي حاجي ولهم في الكاركة عشرين دبّة عمار وبغل والدكان الذي اشترى من أحمد ولد عباس بينه وبين كربلائي حاجي أنصاف لكل واحد منهما نصف وجميع ما في البيت من صفر[2] وغيره لابراهيم يخصه إلاّ الصندوق الأسود يخص زوجته ابنة الحاج جمال الوكيل على ماله وأولاده وعياله في حياته والوصي عليهم من بعد وفاته أخوه إسماعيل والوكيل على الثلث وأن يخرج له أربعين سنة عبادة صلاة وصوم والباقي أفعال الخير والنظير عليه الشيخ محمد ابن الشيخ موسى المزيدي وقد جرى ذلك وصح عليه الاشهاد باليوم السادس عشر من شهر شوال من السنة ١٢٩٥ هجرية . (عام ١٨٧٨م) .

نعم الأمر كما رُسم ورُقم لدى خادم العلماء ابن الشيخ موسى المزيدي محمد

شهد بذلك محمد حسين بن مغامس　　شهد بذلك قاسم بن علي محمد بهبهاني

---

(١) التغار هو وحدة وزن قديمة كالمَنْ وما شابه ، تساوي ٢٠ مَنْ (المَنْ يساوي ١٤٠ رطلاً للمواد الخفيفة كالفحم والبصل والشعير والقمح ، أما المواد الثقيلة كالسكر والأرز والطحين والماش فيساوي المَنْ ١٦٨ رطلاً) .

(٢) «الصِفر» يعني النحاس وتصنع منه القدور والصواني .

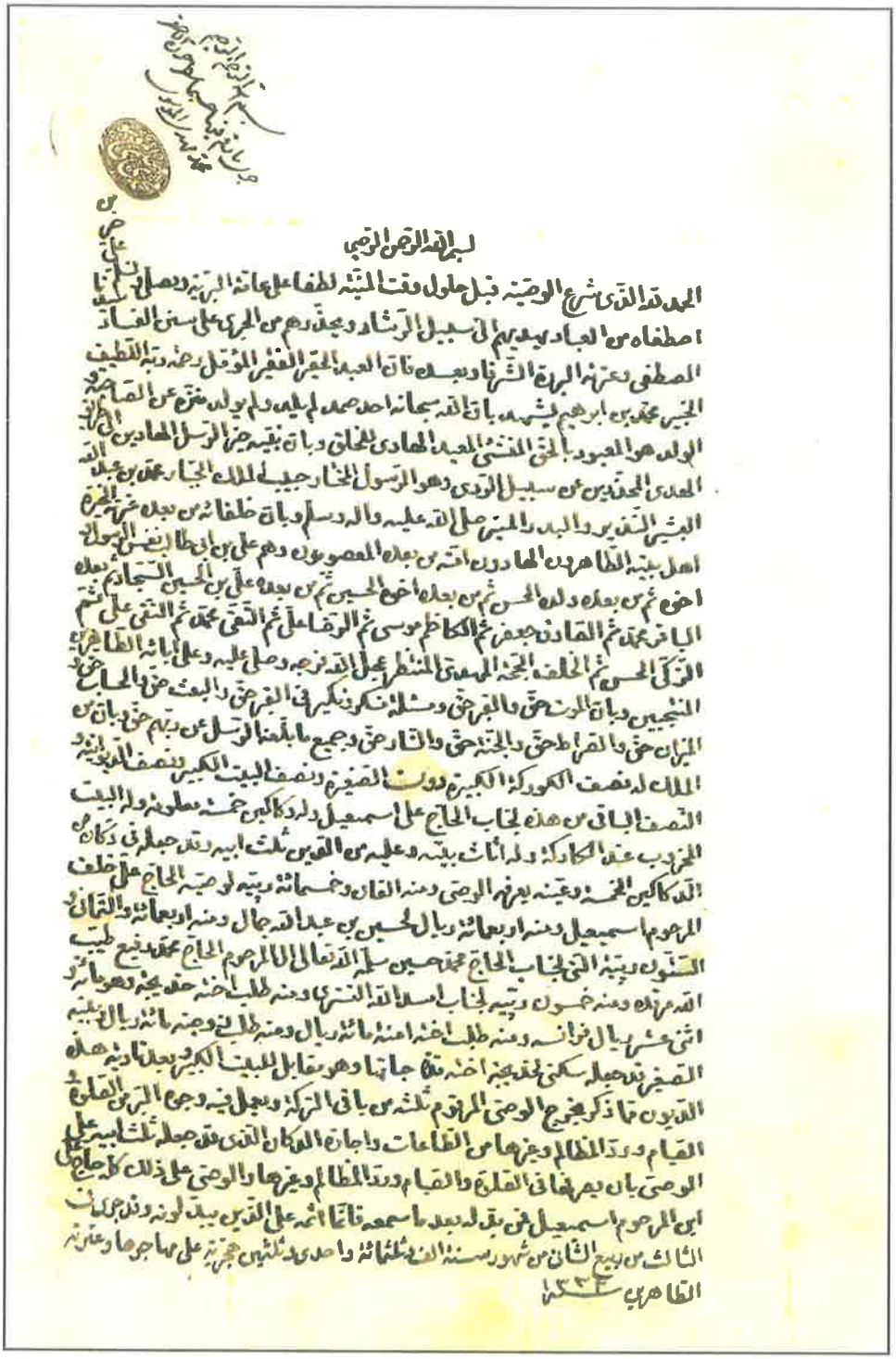

وصية المرحوم محمد بن إبراهيم جمال (ابن مؤسس الكاركة) بتاريخ الثالث من ربيع الثاني عام ١٣٣٢ هجرية (٢٨ فبراير ١٩١٤م) قبل وفاته بحوالي ثلاث سنوات ونصف ، ويشير بالوصية إلى أن الكاركة مملوكة مناصفة بينه وبين ابن عمه علي بن إسماعيل جمال .

ويشاهد توقيع المرحوم السيد مهدي الموسوي القزويني على الوصية .

وصية الحاج محمد إبراهيم جمال (١٣٣٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرع الوصية قبل حلول وقت المنية لطفا على عامة البرية ونصلي ونسلم على خير من اصطفاه من العباد يهديهم إلى سبيل الرشاد ويحذرهم من الجري على سنن الفساد سيدنا المصطفى وعترته البررة الشرفاء وبعد فإن العبد الحقير الفقير المؤمل رحمة ربه اللطيف الخبير محمد بن ابراهيم يشهد بأن الله سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد منزه عن الصاحبة والولد وهو المعبود بالحق المنشيء المعيد الهادي للخلق وبأن نبيه خير الرسل الهادين إلى طريق الهدى المحذرين عن سبيل الردى وهو الرسول المختار حبيب الملك الجبار محمد بن عبد الله البشير النذير والبدر المنير صلى الله عليه وآله وسلم وبأن خلفائه من بعده عترته الخيرة أهل بيته الطاهرون الهادون أمته من بعده المعصومون وهم علي بن أبي طالب نفس الرسول وأخوه ثم من بعده ولده الحسن ثم من بعده أخوه الحسين ثم بعده علي بن الحسين السجاد ثم بعده الباقر محمد ثم الصادق جعفر ثم الكاظم موسى ثم الرضا علي ثم التقي محمد ثم النقي علي ثم الزكي الحسن ثم الخلف الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه وصلى عليه وعلى آبائه الطاهرين المنتجبين وبأن الموت حق والقبر حق ومسألة منكر ونكير في القبر حق والبعث حق والحساب حق والميزان حق والصراط حق والجنة حق والنار حق وجميع ما بلّغه الرسل عن ربهم حق وبأن من الملك له نصف الكاركة الكبيرة دون الصغيرة ونصف البيت الكبير ونصف الديوانية والنصف الباقي من هذه لجناب الحاج علي اسماعيل وله دكاكين خمسة معلومة وله البيت المخروب عند الكاركة وله أثاث بيته وعليه من الدين ثلث أبيه وقد جعله في دكان من الدكاكين الخمسة وعينه بمعرفة الوصي ومنه ألفان وخمسمائة روبية لوصية الحاج علي خلف اسماعيل ومنه أربعمائة ريال لحسين بن عبد الله جمال ومنه أربعمائة والثماني والستون روبية التي لجناب الحاج محمد حسين سلمه الله تعالى إلى الحاج محمد رفيع طيب الله مرقده ومنه خمسون روبية لجناب أسد الله الششتري ومنه طلب أخته خديجة وهو مائة واثنى عشر ريال فرانسة ومنه طلب أخته آمنة مائة ريال ومنه طلب زوجته مائة ريال وبيته الصغير قد جعله سكنى لخديجة أخته قدر حاجتها وهو مقابل للبيت الكبير وبعد تأدية هذه الديون مما ذكر يخرج الوصي المرقوم ثلثه من باقي التركة ويعمل فيه وجوه البر من الصلاة والصيام ورد المظالم وغيرها من الطاعات وإجارة الدكان الذي قد جعله ثلث أبيه على الوصي بأن يصرفها في الصلاة والصيام ورد المظالم وغيرها والوصي على ذلك الحاج علي ابن اسماعيل فمن بدله بعد ما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه وقد جرى في الثالث من ربيع الثاني من شهور سنة ألف وثلثمائة واحدى وثلاثين هجرية على مهاجرها وعترته الطاهرين سنة ١٣٣٢ [١] .

جري ما رُقِّم فيها حسبما سطر حرفه الأصغر

محمد مهدي الموسوي (القزويني)

---

(١) يلاحظ وجود خطأ بالتاريخ حيث أن التاريخ مكتوب بالأحرف عام (ألف وثلاثمائة وواحد وثلاثين) ، وفي الأرقام (عام ١٣٣٢هجرية) .

الشيخ أحمد الجابر الصباح ، وكان يطلق على ذلك الموقع دائرة المالية . وكانت الحكومة في تلك الفترة قد وضعت يدها على المواد الغذائية وبخاصة السكر والأرز لمنع التلاعب بالأسعار وقامت ببيعها على الأهالي بأسعار مقبولة . وقد شحت المواد الغذائية في تلك الفترة وانخفضت إيجارات المحلات في الأسواق حتى وصلت إلى أدنى مستوى .

صناعة الحلوى

اشتهرت الحلوى في الكويت منذ القدم ، ويعود أصلها إلى مسقط ، ويطلق عليها الحلوى المسقطية ، ومن أشهر من صنعها في الكويت آل عبدالرحيم وبخاصة علي النقي ومن بعده ابنه عبدالرحيم . وتصنع الحلوى من السكر والنشا والدهن العداني ويوضع عليها الهيل والزعفران وتصب في صواني من النحاس ثم يتم تقطيعها ووضعها على (غضف) – وهو حصران يتم جلبها من مسقط – قبل وضعها في علب صغيرة لأخذها كهدايا أو (زهاب) للسفر [1] ، وكانت تباع الوقية بروبية واحدة . وقد عمل في صناعة الحلوى فيما بعد عبدالحسين بن علي نقي وعدد آخر من العائلة و عباس مقامس وهو أحد أنسباء آل النقي . كما عمل في هذا المجال فيما بعد حسين ششتر وموسى أبو الحسن . ولم يعمل آل جمال في صناعة الحلوى . وقد انتشرت صناعة الحلوى في الخمسينيات ودخل بعض العمانيين في المهنة وأصبحوا يبيعون الوقية بنصف روبية لكنها لم تكن بنفس مستوى حلوى آل النقي . وكان العمال والطبقات ذات الدخل المحدود والوافدون عموماً يشترون الحلوى الرخيصة مما أدى إلى انخفاض الطلب على النوعية الممتازة . وقد أدى ذلك وبعد فترة إلى توقف آل النقي عن صناعة الحلوى وأصبح المستوى الموجود لا يرقى إلى ما كان الكويتيون قد اعتادوا عليه من الحلوى ذات المذاق المميز .

وكان دكان علي النقي يقع قديماً في مدخل السوق الداخلي بالقرب من مسجد السوق الكبير بجانب ما كان يطلق عليه (الخارور) ، وهو مجرى كبير لتوجيه مياه الأمطار إلى حفرة كبيرة مجاورة للمسجد . كما كان بالقرب من دكان علي النقي دكان آخر لبيع الحلوى يعود لابنه عبدالرزاق (وهو جد المطرب الكويتي محمود

---

(١) الزهاب عبارة عن مواد غذائية يأخذها المسافر معه ليتناولها أثناء سفره . ويتكون الزهاب عادة من بعض الحلويات كالحلوى والرهش وما شابه ، وكذلك العجائن كالدرابيل والكليجة والأنواع المختلفة من الخبز .

عبدالرزاق الذي أطلق عليه اسم محمود الكويتي) . وكان للمرحوم علي النقي أخوان اثنان هما محمد وحجي أبل وكانا يعملان بالتجارة بواسطة السفن الشراعية ولم يعملا بصنع أو بيع الحلوى . أما أبناء علي النقي فهم عبدالرحيم ، وهو الأكبر ، وعبد الرزاق ، وعبدالنبي وعبدالحسين ويوسف . وقد عمل عبدالرحيم بصناعة الحلوى وكان له محل لبيع الحلوى في السوق الداخلي بجوار دكان حجي جمعه التيتون ويقع مدخله بالقرب من المسجد أيضاً . وقد استمروا في ذلك الموقع إلى نهاية الأربعينيات من القرن الماضي تقريباً .

معامل الهردة في الكويت

تعتبر صناعة الهردة من أقدم الصناعات في الكويت إذ أنشئت ثلاثة معامل في الكويت في بداية القرن التاسع عشر وكان أقدمها كاركة آل عيدي التي اشتراها محمد بن إبراهيم جمال منهم عام ١٩٠٨م بعد أن كان والده وهو من بعده قد استأجرها في النصف الأول من القرن التاسع عشر واستمرت تعمل لفترة طويلة وهي مستأجرة . وكان آل عيدي من كبار تجار الكويت ولهم علاقات تجارية مع البصرة وبغداد وكانوا يستوردون الأرز من البصرة ويبيعونه على التجار بالجملة في سوق المناخ القديم ، الذي كان لهم فيه ٧ دكاكين . وقد توفي معظم رجال آل عيدي بمرض الطاعون ولم يبق منهم إلا عبد الرسول عيدي الذي ورث الكاركة من والده فباعها على محمد بن إبراهيم جمال الذي كان يستأجرها من قبل . كما باع الدكاكين والبيوت ولم يبق من أملاك عائلته إلا الجاخور الذي كان يضم رحى لطحن الحبوب ، وأحد البيوت الذي كان مجاوراً للحسينية الخزعلية الذي أعاد بناءه وسكنه ، وسكن فيه من بعده ابنه حيي إلى الخمسينيات من القرن الماضي . أما الكاركة الثانية فتعود لآل عبد الرزاق النقي التي استأجرها منهم أيضاً المرحوم إبراهيم جمال جد الحاج إسماعيل جمال ثم اشتراها منهم عام ١٨٦٥م كما ذكرنا سابقاً .

ويشير الحاج إسماعيل إلى أن هناك كاركة أخرى تعود لآل الشمالي موقعها في دروازة العبد الرزاق . وكانت تلك الكاركة قبل ذلك مداراً يعود لنفس العائلة كانوا يطحنون فيه الحبوب لإنتاج الدقيق منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت البغال والحمير تدير الرحى في ذلك المدار . وقد تم تحويله إلى كاركة لطحن السمسم وعمل الهردة في أوائل القرن الماضي بعد أن انتشرت ماكينات طحن الحبوب ، مما أدى إلى توقف طحن الحبوب بالمدار لعدم جدوى العملية أمام عمل المكائن . وهناك كاركة أخرى لآل جمال أيضاً أنشئت

في الأربعينيات من القرن الماضي في موقع بالقرب من سكة الفرج التي كانت تؤدي إلى دروازة العبدالرزاق لكنها لم تستمر طويلاً . وتعتبر كاركة إبراهيم جمال من أقدم معامل الهردة في الكويت وأطولها عمراً .

المناطق القريبة من الكاركه والمحيطة بها

كانت الكاركة تقع بالقرب من مركز الكويت التجاري آنذاك وهو سوق التجار[1] ، وكان يقع بالقرب منها مسقف وديوان للمرحوم الشيخ حمود الجراح . وقد تم استئجار ذلك الديوان في بداية القرن الماضي من قبل شركة كريمكنزي التي كانت وكيلة للبواخر وأصبحت فيما بعد وكيلة لاستيراد الكيروسين من روسيا بعد أن بدأ في الوصول إلى الكويت لاستخدامه للإنارة . كما استأجرت نفس الشركة الكاركة القديمة كمخزن للكيروسين ، وكانت ماركة الكيروسين في البداية على شكل باورة[2] ثم تم تغييرها إلى ماركة الأسد . وقد وصل الكيروسين إلى الكويت في البداية من إيران ثم صار يصل بواسطة البواخر من روسيا وهو معبأ في علب معدنية كبيرة توضع كل اثنتان منها في صندوق خشبي وتباع العلبة بروبية وربع ثم ارتفع سعرها إلى روبيتين . وكان الكويتيون قبل وصول الكيروسين يستخدمون (الحَل) وهو زيت السمسم الخفيف للإنارة حيث كان يوضع في إناء معدني صغير توضع به قطنة ويتم إشعاله ويسمى (كنديري) . كما كان الكيروسين في البداية يستخدم للإنارة فقط عند بداية وصوله ثم صار يستخدم كوقود . وقد أصبح مسقف الشيخ حمود الجراح فيما بعد مقراً لمدرسة الإرشاد التابعة للمرحوم الشيخ عبد العزيز حمادة ، وكان المسقف يتكون من طابقين ويحتوي على غرف علوية وديوان ومنزل سكني .

ومن أهم معالم مدينة الكويت القديمة القريبة من الكاركة أيضاً سوق المناخ القديم وخان الحكومة وسوق اليهود .

---

(١) تقع الكاركة في شارع يتفرع من سوق التجار من ناحية الشرق ، ويسمى ذلك الشارع سكة الكاركة ، ويقع في نفس السكة سوق خليل القطان الذي كان يطلق عليه سوق اليهود . كما يقع خلف الكاركة خان الحكومة ويقابل الخان من الغرب سوق المناخ . كما تقع دائرة المالية في مدخل سكة الكاركة وبني مقابلها فيما بعد مقر البنك البريطاني للشرق الأوسط . وكان سوق التجار يحتضن الكثير من الأماكن والمؤسسات المهمة ومنها المكتبة الأهلية وشركة الكهرباء وأول شركة تأمين في الكويت .

(٢) الباورة هي مرساة للسفينة مصنوعة من الحديد يتم إنزالها في البحر أثناء توقف السفينة لتشتبك بصخور البحر فتمنع السفينة من السير أثناء رسوها .

١- المنـاخ

كان المناخ عبارة عن ساحة يحيط بها عدد كبير من المحلات لبيع الحبوب والأرز وغيرها من البضائع ، وتوضع الحبوب في وسط ساحة المناخ على شكل أكوام للبيع بالوزن . ويقع المناخ غرب سوق التجار ويمتد من قهوة بوناشي إلى منتصف سوق التجار مقابل خان الحكومة ، بالقرب من مقهى يسمى مقهى الخان . وكان البدو يتوجهون إلى المناخ لإناخة جمالهم وشراء ما يحتاجونه من مواد لتحميلها على ظهور الجمال . وقد منعت الحكومة إناخة الجمال في تلك المنطقة فيما بعد ، وصار البدو ينيخون جمالهم في ساحة الصرافين التي كان يطلق عليها الصفاة قبل امتدادها جنوباً بعد توسع الأسواق . وأصبحوا ينقلون ما يشترونه من مواد من المناخ على ظهور الحمير لإيصالها إلى هناك حيث تنتظر جمالهم . كما كان ينتظرهم هناك المرحوم دهيمان ، وهو مسؤول الجمرك البري في عهد الشيخ مبارك الصباح ، ليأخذ منهم (الودي) أو الضريبة التي كانت قران ونصف على خيشة العيش وقران ونصف على قلّة التمر[١] . وكان المرحوم دهيمان يتخذ (الصنقر) ، وهو بقايا بوابة السور الثاني مقراً له ، ويقع الصنقر في بداية السوق الداخلي المطلة على ساحة الصرافين . وكانت ساحة الصفاة القديمة (ساحة المباركية الآن) في بداية القرن الماضي تعتبر من أطراف المدينة نظراً لعدم وجود بناء وأسواق بعدها إلى أن تم توسعة الأسواق في عهد الشيخ مبارك الصباح ونقل سوق الماء إلى هناك حيث امتدت الساحة جنوباً وغرباً بعد بناء سوق الخضرة والأسواق المحيطة به .

٢- الخان

يقع خان الحكومة أو القبّان[٢] – كما كان يطلق عليه أيضاً – شمال الكاركه في سكة تتفرع من سوق التجار ويجاور الكاركة من ناحية حائطها الخلفي . والخان كان ملكاً للشيوخ وهو عبارة عن حوش عربي كبير محاط من الداخل بدكاكين تباع فيها الأقمشة والقطن وبعض البضائع المستوردة من الدول المجاورة وبخاصة إيران ، ويزيد عدد الدكاكين في الخان عن خمسين ، ويوجد بالخان ميزان كبير وآخر أصغر حجماً

---

(١) قلّة التمر هي عبوة مستديرة الشكل مصنوعة من سعف النخيل يوضع بها التمر . وتزن القلّة عادة نصف " مَنْ " (حوالي ٣٨ كيلوغرام) . ويزن المَنْ ١٦٨ رطلاً (٧٦ كيلوغرام) .

(٢) القبّان هو ميزان كبير الحجم لوزن المواد المختلفة والبضائع . وكانت الحكومة قد خصصت عدداً من الأماكن التي وضعت فيها موازين كبيرة لوزن البضائع مقابل مبلغ يسير من المال ليتأكد المشتري من وزن المواد التي قام بشرائها .

لوزن البضائع كالشاي والسكر والقهوة والمكسرات والحبوب والدهن مقابل بيزتين للمَنْ ، وتقوم الحكومة بتعيين الشخص المسؤول عن الميزان للتأكد من صحة الأوزان ، وكان المسؤول عن الميزان في عهد الشيخ مبارك الصباح يدعى بشير وهو أحد عبيد الشيخة حبابة شقيقة الشيخ مبارك . ويستلم مسؤول الخان الرسوم مقابل وزنه للبضائع التي يشتريها التجار أو المواطنون للتأكد من وزنها . وكانت عائلة النصف تشرف على إدارة الخان بينما يقوم الحاج فرج بن محمد بالإشراف على الميزان وكتابة نوع ووزن البضاعة على ورقة صغيرة يطلق عليها بروة . وكان التجار الإيرانيون القادمون إلى الكويت بالسفن الشراعية يسكنون الخان ومعهم بضائعهم حيث يمكثون هناك إلى أن يكملوا بيعها .

وينام هؤلاء بالغرف أو الدكاكين الموجودة بالخان أثناء الشتاء ، بينما يصعدون إلى السطح أثناء الصيف ويقومون بطبخ وجباتهم هناك بواسطة الفحم الذي كانوا يشعلونه في مواقدهم التي هي عبارة عن (دوّة) أو منقلة كما يطلق عليها أيضاً ، كما ينامون في الهواء الطلق فوق سطح الخان أثناء الصيف . وكان البدو يأتون إلى الخان لشراء نوع خاص من القماش يجلب من إيران ويطلق عليه (الجَزْ) - وهو خليط من القطن والحرير تصنع منه "الدراريع" [1] والأثواب النسائية - بالإضافة إلى بضائع أخرى . ويوجد بالقرب من الخان مقهى يعود لشخص يدعى عيسى السعد ويلقب بأبي ناصر . كما كان هناك مقهيان آخران أحدهما يرتاده التجار الإيرانيون القادمون إلى الكويت للتجارة والساكنون في الخان ، ومقهى آخر للتجار الكويتيين وأصحاب المحلات في سوق التجار ويدعى (قهوة ابن خميس) ، وتقدم فيه القهوة فقط .

٣- سوق خليل القطان (سوق اليهود)

يقع سوق اليهود في سكة الكاركة وقد أقيم في مكان الكاركة القديمة التابعة للمرحوم الحاج إبراهيم جمال والتي كانت تقع بالقرب من مسجد الحداد . فقد تم بيعها من قبل علي بن إسماعيل جمال على خليل القطان بتاريخ ١٤ جمادى الثاني عام ١٣٣٥ هجرية (٦ ابريل ١٩١٧م) وذلك بعد وفاة محمد بن إبراهيم جمال بحوالي سنة (وبعد إغلاق الكاركة نتيجة لذلك) . كما اشترى خليل القطان عدداً من الدكاكين والبيوت المجاورة للكاركة القديمة وقام بهدمها وبنى مكانها قيصرية من طابقين تضم عدداً من المحلات . وقد استأجر تلك المحلات باعة الأقمشة من اليهود

---

(١) الدراريع جمع "درّاعة" وهي الثوب الذي تلبسه النساء في الماضي .

القاطنين في الكويت آنذاك . واكتسبت القيصرية شهرة كبيرة وأصبحت من أكثر الأسواق نشاطاً وتعارف الناس على تسميتها بسوق اليهود .

ويذكر الحاج إسماعيل أن خليل القطان كان يزيد من أجرة المحلات باستمرار نظراً لانتعاش السوق وازدهاره مما أدى إلى تذمر المستأجرين . وقد قام في تلك الفترة أحد التجار ويدعى راشد بن رشدان العازمي ، الذي كان من كبار تجار العقار وأصحاب السفن في بداية القرن العشرين ، ببناء قيصرية في السوق الداخلي ، لكن أحداً لم يستأجرها . فتوجه إلى المستأجرين في سوق خليل القطان وعرض عليهم أن يتحولوا إلى قيصريته على أن يبقوا سنة كاملة دون دفع إيجار ، ثم يبدؤوا بعد ذلك بدفع إيجار شهري قدره روبية واحدة . فوافقوا على ذلك وانتقلوا جميعاً إلى قيصرية بن رشدان خلال يوم واحد وأصبحت قيصرية خليل القطان خالية من أي مستأجر . وبذلك انتهى عهد سوق اليهود الذي بناه المرحوم خليل القطان بالقرب من الكاركة . وقد تأثر المرحوم خليل القطان مالياً نتيجة لذلك واضطر إلى بيع المحلات بعد فترة .

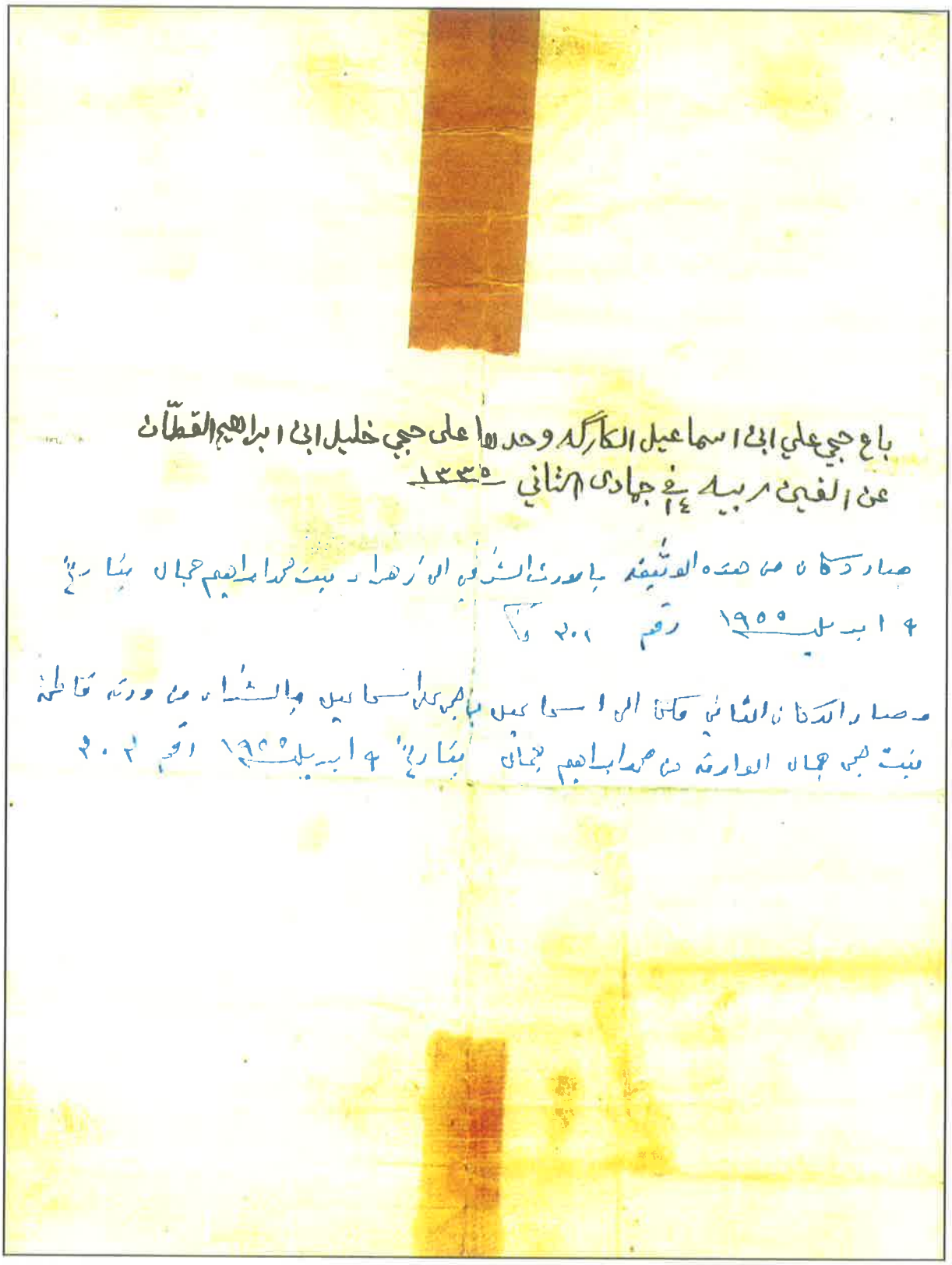

باع حجي علي ابن اسماعيل الكاركه وحدها على حجي خليل ابن ابراهيم القطان
عن الغيبه مربيه في جمادى الثاني سنه ١٣٣٥

صار ذكاه من هذه الوثيقه بامر دائرة الشرع الشريف بمكه المكرمه حرسها الله تعالى
في ٤ ابريل سنه ١٩١٧ رقم ٢٠١ ق

صار الذكاه الثاني كما في الوثيقه بامر دائرة الشرع الشريف بمكه المكرمه حرسها الله تعالى
في بيت حجي جمال الدائره من صحاب اهم جمال بمكه في ٤ ابريل سنه ١٩١٧ رقم ٢٠٢

وثيقة بيع الكاركة القديمة على المرحوم خليل إبراهيم القطان عام ١٣٣٥ هجرية (١٩١٧م).

الفصل الثاني

فترة الشباب والأوضاع السائدة آنذاك

أعمال الكويتيين في الماضي

تحسن الأوضاع بعد توقيع معاهدة الحماية

تقلب الأوضاع الإقتصادية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى

النفوذ البريطاني في الخليج والحرب العالمية الأولى

مجالات العمل التي مارسها الحاج إسماعيل

السفر للتجارة مع والده

الأعمال التجارية الحرة

السفر إلى الهند

الذهاب إلى الغوص

الفصـل الثـاني

فترة الشباب والأوضاع السائدة آنذاك

شهد المرحوم الحاج إسماعيل جمال في فترة شبابه الكثير من الأحداث المهمة وتفاعل معها وكان يتابعها بشغف لاهتمامه بما كان يدور حوله من تطورات كان لها أثر مباشر على أوضاع الكويت والمنطقة ، وساهمت في تشكيل الوضع السياسي العام للإقليم وما حوله من بلدان . كما كان مطلعاً على كثير من الأحداث التي وقعت في الفترات السابقة – سواء منها المحلية أو الخارجية – وذلك لتمتعه بحب الاطلاع ومتابعة الأحداث وما كان يدور من نزاعات وحروب وقيام دول وتهاوي أخرى .

وكان من أهم الأحداث السياسية المحلية التي شهدها وتعايش معها في أثناء شبابه وفاة المرحوم الشيخ مبارك الصباح ، الذي كان معجباً بقوة شخصيته وحنكته السياسية وتعامله مع الأحداث التي كانت تدور حوله . كما عايش حكم المرحومين الشيخ جابر المبارك والشيخ سالم المبارك والشيخ أحمد الجابر الذي امتد حكمه لمدة ٢٩ عاماً . وكان من الأمور التي عايشها بناء السور الذي أسهم في بنائه ، وحرب الجهرة التي كان يتابع أحداثها يوماً بيوم ، والمجلس التشريعي وغيره من أحداث .

ومن الأحداث الخارجية المهمة التي تابعها الحربان العالميتان الأولى والثانية وانعكاساتهما على المنطقة وتبدل الأوضاع في الدول المجاورة نتيجة للدور الذي لعبته الدول الكبرى وبخاصة بريطانيا وتدخلاتها في مجريات الأمور وفرض سيطرتها على المنطقة والتصرف في مقدراتها .

كما عايش الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي سادت الكويت ومنطقة الخليج وتفاعل مع ما حوله من تطورات كان لها أثر كبير على مستوى معيشة الناس وأحوالهم في كل فترة من الفترات بحسب التطورات الاقتصادية التي مرت بها المنطقة ، سواء في ذلك فترات الكساد أو الازدهار الاقتصادي .

١- أعمال الكويتيين في الماضي

كان السواد الأعظم من الكويتيين في الماضي يعملون في الغوص على اللؤلؤ والسفر إلى الهند لإيصال التمور العراقية إلى هناك ثم العودة بسفنهم وهي محملة بالبضائع المختلفة لبيعها في الكويت وتصدير الباقي إلى الدول المجاورة . وكان هذان النوعان من النشاطات الاقتصادية موسميين ، إذ يبدأ موسم الغوص في نهاية الشهر الخامس عندما تدفأ مياه البحر ويستمر إلى نهاية الصيف في أواخر شهر سبتمبر . أما موسم السفر فيبدأ مع توافر التمور في البصرة والفاو في نهاية شهر أغسطس وبداية شهر سبتمبر حيث تتوجه السفن الكويتية إلى هناك لشحن الكميات المتوافرة من التمور إلى الهند . وتتوجه السفن الكويتية إلى عدة موانيء في الهند أهمها كراتشي وبومبي والنيبار وكلكوت لإنزال التمور وتحميل البضائع في طريق العودة إلى الكويت . وتذهب بعض السفن إلى سواحل شرق أفريقيا في مومباسا ودار السلام وزنجبار وغيرها لنقل بعض البضائع من الهند إلى هناك ثم العودة إلى الكويت ومعها بعض المنتجات من شرق أفريقيا وأهمها الچندل . أما السفن القادمة مباشرة من الهند إلى الكويت فتجلب معها الأخشاب والأقمشة والمواد الغذائية كالسكر والشاي والأرز والبهارات (التوابل) والكثير من البضائع الأخرى .

أما بقية الأنشطة التجارية والأعمال التي مارسها الكويتيون لكسب الرزق فتتكون من الحرف والمهن والأعمال الخدمية المتنوعة التي تلبي احتياجات مجتمعهم البسيط آنذاك .

أ- السفر والغوص

كان السفر والغوص يمثلان العمود الفقري للاقتصاد الكويتي منذ الأيام الأولى للكويت ، حيث كان جل الكويتيون يعملون في هذين المجالين عند حلول موعدهما . فقد كان الآلاف من الكويتيين يتوجهون إلى الغوص في أثناء الموسم وكانت المدينة تصبح شبه خالية بعد أن يتوجه الرجال إلى المغاصات مع بداية فصل الصيف أي في نهاية شهر مايو ، ويمكثون هناك لمدة أربعة أشهر تقريبا تنتهي مع نهاية شهر سبتمبر . وكان بعض أصحاب المحلات والدكاكين يغلقون محلاتهم في تلك الفترة ليتوجهوا إلى الغوص علهم يحصلون على دخل يمكن أن يكون أفضل من عملهم اليومي إذا ما حالفهم الحظ وحصلوا على صيد ثمين من اللؤلؤ .

وكانت معظم رحلاتهم إلى الغوص لا تكاد تعطي الأعداد الكبيرة من البحارة والغواصين إلا النزر اليسير من الدخل بالرغم من آمالهم الكبيرة المتعلقة بذلك العمل ، بينما يعود كثيرون منهم ، وقد تراكمت عليه الديون نظرا لاستدانة السواد الأعظم منهم من النواخذة (ربابنة السفن) الأموال لإعاشة أهاليهم في مقابل الأمل في تغطية هذه الديون من حصصهم من الدخل المرتقب . وكانت أوضاع العمل على ظهر السفينة صعبة والغذاء محدوداً وغير ذي قيمة غذائية ، فهو يتكون من التمر والقهوة للإفطار وكذلك الغداء بينما تتكون وجبة العشاء من الأرز والسمك أواللحم المجفف الذي يأخذه النوخذه معه .

وكان عدد الغواصين يصل إلى الآلاف من الشباب ، وينقسم عملهم أساسا إلى جزأين ، (غيص) وهو الذي يغوص إلى أعماق البحر للبحث عن اللؤلؤ ، وهذه مهمة شاقة لا يستطيع ممارستها إلا الرجال الأشداء ، بينما هناك المهنة الأقل مشقة وهي القيام بمسك الحبل الذي يتدلى منه الغيص إلى أعماق المياه ويسمى الشخص الذي يمارس هذا العمل (السيب) . ويأخذ الغيص عدداً أكبر من الحصص عند توزيع الدخل نظراً لصعوبة عمله وأهمية دوره مقارنة بالسيب .

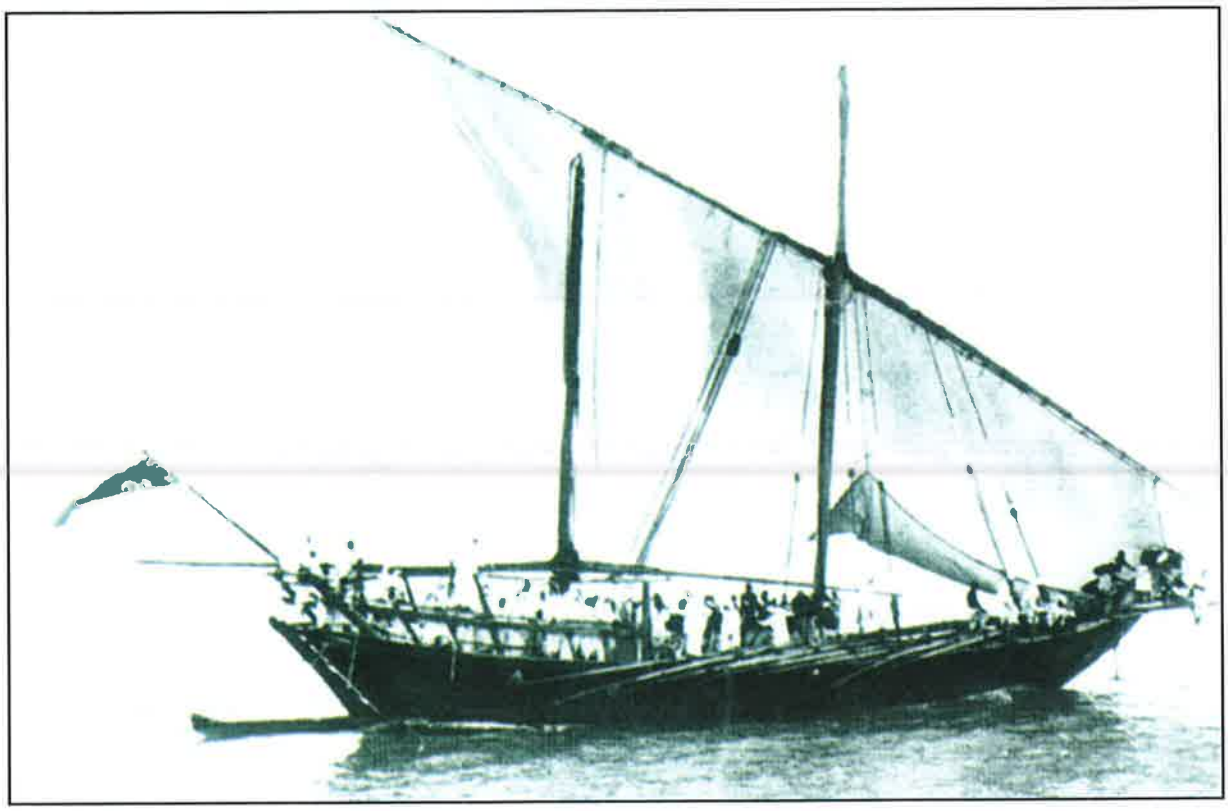

سفينة غوص متوجهة إلى المغاص وقد امتلأت بالبحارة المستعدين لهذه الرحلة .

سفينة غوص أثناء العمل ويشاهد الغاصه وهم يستعدون للغوص في أعماق البحر .

فعادة ما يأخذ الغيص ٣ حصص (تسمى الحصة قْلاطة) بينما يأخذ السيب حصتين . وهناك رتب وأعمال كثيرة يقوم بها طاقم السفينة من بينها الطباخ والنهام (المطرب) والسكوني (ماسك سكان أو مقود السفينة) بالإضافة إلى النوخذة والمجدمي (رئيس البحارة) وغيرهم ، ولكل واحد منهم عدد معين من القلايط (الحصص) .

ويذكر الحاج إسماعيل أن أكثر المتضررين من رحلات الغوص في حالة عدم الحصول على صيد جيد هم الغواصون والسيوب (جمع سيب) وبقية عمال السفينة بينما أكثر المستفيدين من النتائج الجيدة هم النواخذة وأصحاب الأبوام بالإضافة إلى الطواويش - وهم تجار اللؤلؤ- الذين يأتون إلى المغاصات لشراء اللؤلؤ بأسعار منخفضة ليأخذوه إلى الأسواق الرئيسية . وكان مركز سوق اللؤلؤ في بومبي حيث كان يتجمع

هناك طواويش [1] الكويت والبحرين ودبي . وكان بعض الطواويش قد بدأ في الثلاثينات من القرن الماضي بالتوجه إلى أوروبا للحصول على أسعار مضاعفة . كما كان بعض التجار والنواخذة يأتون إلى الكويت من بلدان الخليج لشراء اللؤلؤ ، وكان مركز بيع اللؤلؤ سوق البدر الواقع بالقرب من مسجد السوق الكبير . وقد اشتهر في الكويت في بداية القرن الماضي عدد من الطواويش كان في مقدمتهم المرحومان هلال المطيري وعلي بن حسين الشملان وغيرهم الذين استفادوا كثيراً من ازدهار تجارة اللؤلؤ في سنة الطفحة وما قبلها . وكان اعتماد الكويت وبلدان الخليج في تلك الفترة على تجارة اللؤلؤ كبيراً ، إذ كان هو المحرك الرئيسي للاقتصاد . ففي حالة ازدهار تلك التجارة ينتعش السوق ويزداد دخل الناس ، سواء منهم الغواصون الذين يشكلون السواد الأعظم من الطبقة العاملة أو التجار الذين يشكلون المستفيد الأعظم من ذلك النشاط ، فيؤدي ذلك إلى انتعاش السوق وزيادة الطلب على البضائع الاستهلاكية وكذا الكماليات كالحلي والملابس الفاخرة وغيرها من أشياء .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه جرب الذهاب إلى الغوص عدة مرات ولكن ليس على الطريقة التقليدية ، بل كان يتفق مع عدد من أصدقائه من أبناء الفريج فيستأجرون سفينة شراعية صغيرة (جالبوت) ويقومون بتجهيزها بكل ما يلزم من عدة وأدوات للغوص ويشترون المؤن المطلوبة من مواد غذائية وأدوات طبخ ويتوجهون إلى المغاصات القريبة ويقضون معظم أوقاتهم بالقرب من الساحل . وكان عددهم حوالي عشرة أشخاص وكانوا يمكثون شهراً أو أكثر هناك .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الغوص في أحد السنوات صار (غوصين) ، حيث بدأ الموسم قبل شهر رمضان بفترة فذهبت سفن الغوص إلى المغاصات ومكثوا إلى ما قبل شهر رمضان بأيام ، ثم عادوا إلى الكويت للصوم . وبعد العيد توجهوا مرة أخرى إلى الغوص لإكمال مهمتهم .

---

(١) طواويش جمع طوّاش وهو تاجر اللؤلؤ .

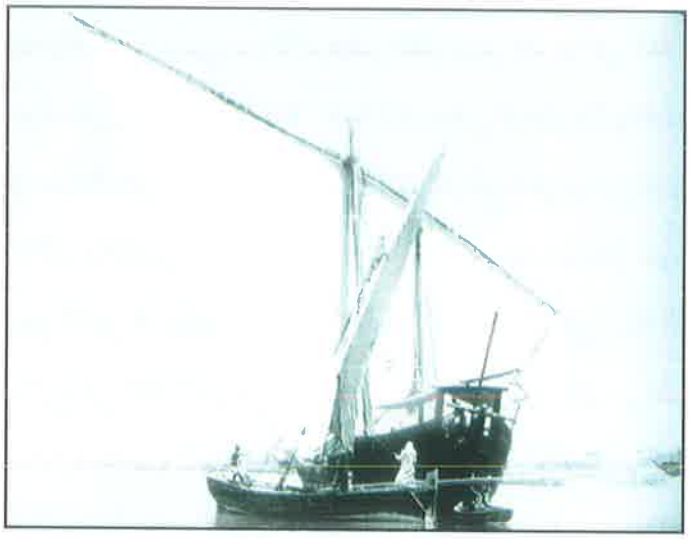

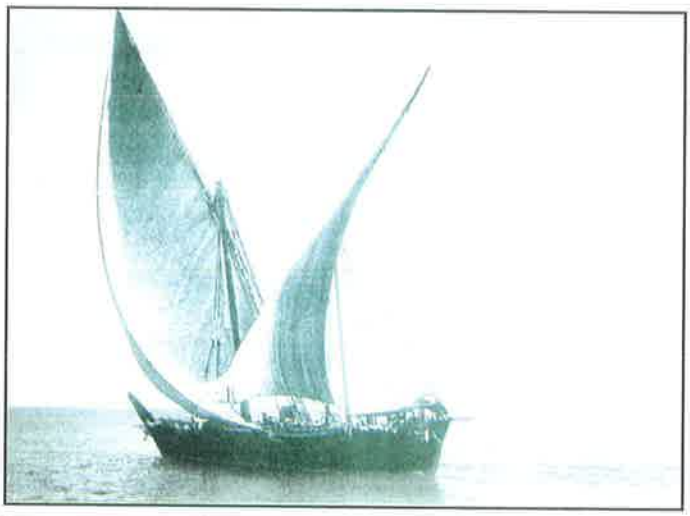

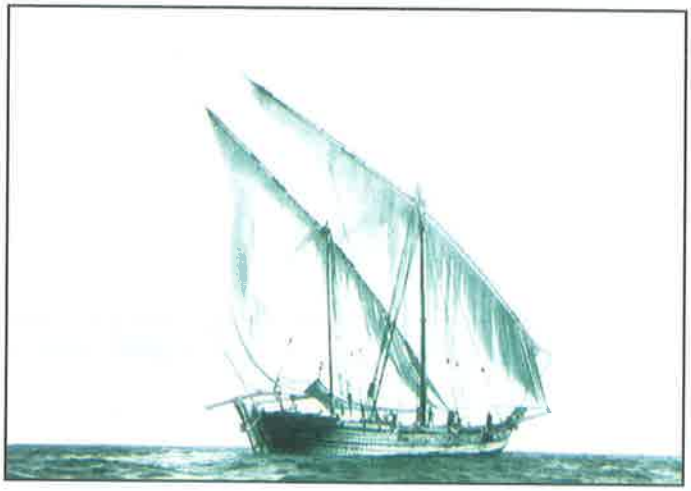

أبوام كويتية سفّارة من صنع الكويت وهي تجوب البحار لنقل البضائع وأهمها التمور التي تنقلها من البصرة إلى الهند لتعود وهي محملة بمختلف المواد الاستهلاكية من الهند وشرق افريقيا .

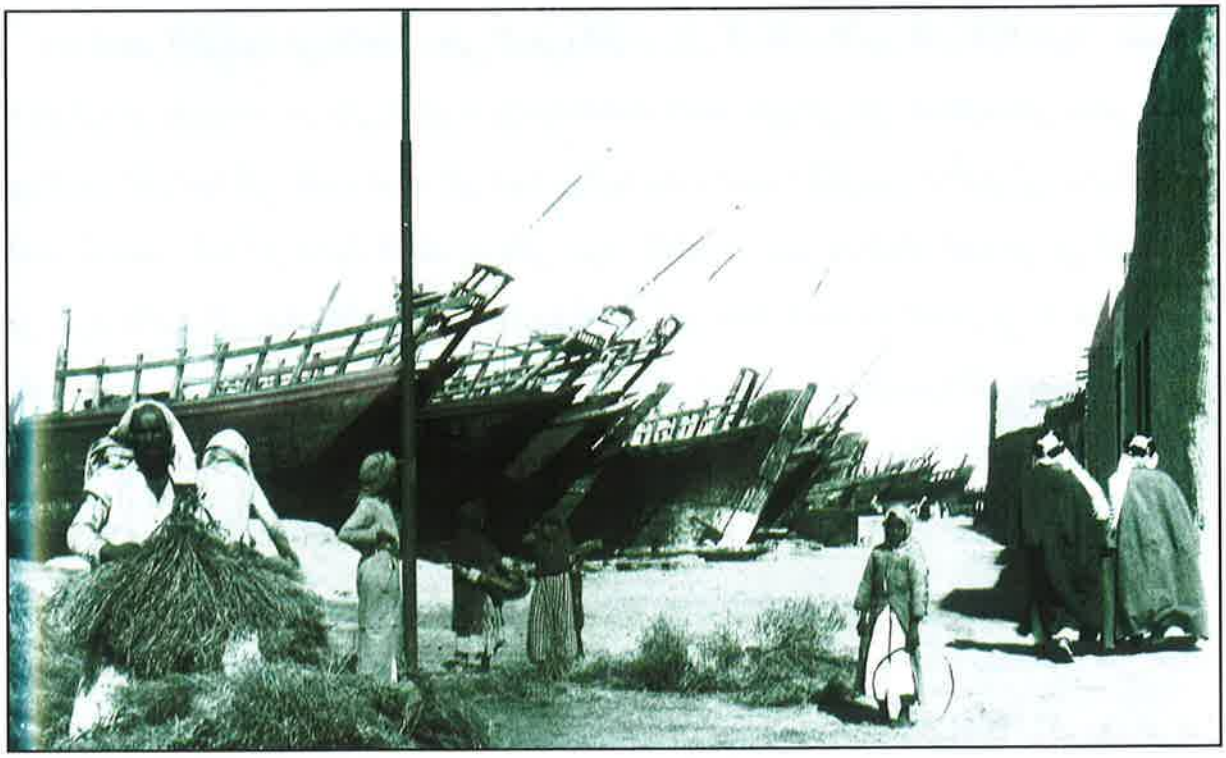

عدد من السفن الراسية في إحدى النقع ويشاهد بجانبها عدد من البنات وقد ارتدين "البخانق" وأحد الأولاد حاملاً "درباحه" .

كما يشاهد عدد من العمال .

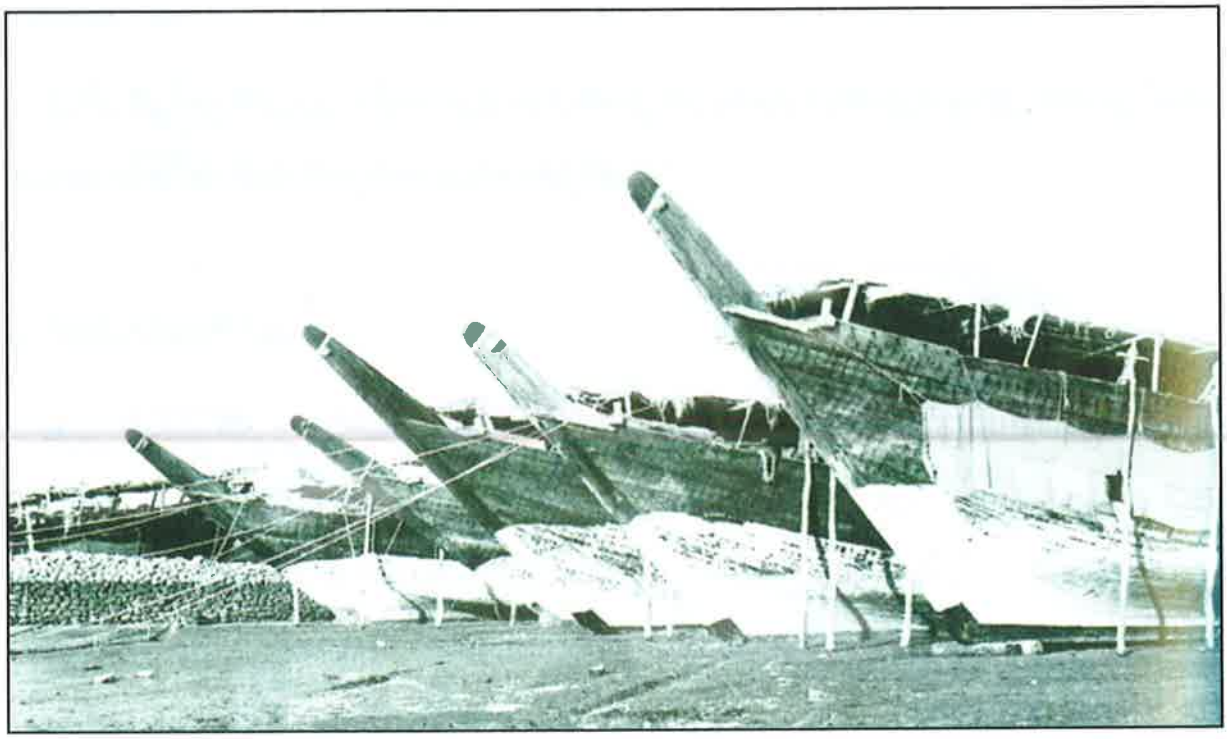

عدد من الأبوام السفارة وقد رست في النقعة بعد أن قامت بمهمتها أثناء الموسم .

وقد استمر الكويتيون في الاعتماد على السفر والغوص إلى أن بدأت الأمور تتغير شيئاً فشيئاً . فقد أدى قدوم البواخر بصورة مستمرة إلى الكويت وازدياد اعتماد التجار عليها في نقل بضائعهم إلى تقلص العمل في السفن الشراعية التي كانت تتوجه إلى الهند وعليها مئات البحارة الكويتيين مما أدى إلى انحسار فرص العمل أمامهم . كما أدى دخول اليابان بقوة إلى سوق اللؤلؤ بعد استزراع اللؤلؤ الصناعي في الثلاثينيات من القرن الماضي إلى تفاقم الأوضاع . من ناحية أخرى أدى انتشار استخدام المكائن في السفن المتوسطة والصغيرة التي تجوب الخليج بدلاً من استخدام الأشرعة إلى انخفاض عدد البحارة الذين يعملون في تلك السفن . فقد كان البوم في الماضي يحتاج إلى حوالي أربعين بحاراً للقيام بالمهام المطلوبة كرفع الأشرعة وحمل البضائع وغير ذلك . وقد أصبحت السفينة لا تحتاج إلى أكثر من عشرة بحارة بعد تركيب المكائن في منتصف الأربعينيات . وقد تم تركيب المكائن في البداية في الجوالبيت الصغيرة ثم تلتها السفن الأكبر حجماً . كما أن صناعة الأشرعة توقفت تماماً ، بينما كانت مزدهرة قبل ذلك ، حيث كان البحارة يشاهدون على امتداد الساحل من منطقة الشرق إلى منطقة القبلة وهم منهمكون في تفصيل الأشرعة وخياطتها . ولم ينقذ الموقف الاقتصادي من الانهيار في تلك الفترة إلا بدء العمل في شركة النفط بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتوجه أعداد كبيرة من العمالة الكويتية للعمل هناك .

كما أن كثيراً من الكويتيين بدأوا بدخول مجال العمل الحر والتجارة والاستيراد وما إلى ذلك من أعمال أصبحت متاحة بعد ازدياد إنتاج النفط وزيادة دخل الدولة .

ب - أعمال متنوعة أخرى

مارس المجتمع الكويتي الكثير من الأعمال التي كان يقوم بها أي مجتمع آخر في ذلك الزمن مع الأخذ في الاعتبار خاصية المجتمع الكويتي واحتياجاته آنذاك بحكم البيئة التي تحيط به ومكونات تلك البيئة والمستلزمات التي تلبي طلبات القطاعات الرئيسية فيه ليتكامل العمل بين القطاعات المختلفة . فمثلاً كانت هناك أنشطة بحرية أخرى تعتمد على السفن الشراعية من بينها سفن صيد الأسماك وسفن السفر القريب إلى البلدان الخليجية المجاورة وكذلك سفن نقل البضائع لهذه البلدان وجلب البضائع منها . فقد كانت السفن متوسطة الحجم تجوب الخليج طوال العام حيث يتوجه بها الكويتيون إلى بلدان الخليج لإعادة شحن بعض

البضائع من الكويت إلى موانى الخليج المختلفة وجلب منتجات تلك البلدان إلى الكويت ، ويسمى هذا النشاط "القْطاعة" ، وكان يمارسه عدد لا بأس به من الكويتيين .

كما كانت هناك حرف كثيرة وصناعات بسيطة لكنها كانت مهمة لم يكن أي مجتمع يستغني عنها كالأعمال الخاصة بقطاع البناء وأعمال الحدادة والصفارة (أعمال النحاس) والنجارة وطحن الحبوب وما إلى ذلك من أعمال يدوية أخرى كثيرة . أما أهم الأنشطة الحرفية فكانت تتمثل في صناعة السفن- أو القلافة- التي شكلت قطاعا مهما عملت به أعداد كبيرة من العمالة الماهرة التي برعت في صناعة أفضل أنواع السفن التي عملت في جميع المجالات كالسفر والغوص والمواصلات وصيد الأسماك .وكان يعمل في بناء السفينة الكبيرة ما بين ٢٠-٢٥ قلافاً يستمرون بالعمل لفترة تصل إلى ٤-٥ أشهر بينما يعمل ٥ أشخاص لبناء السفينة الصغيرة . وكان هذا القطاع ، وبالرغم من أهميته ، لا يختلف كثيراً عن بقية القطاعات المهمة الأخرى كالغوص والسفر ، من حيث حصول القائمين الأساسيين عليه وهم العمالة الماهرة على أقل الأجور المتواضعة بينما يعتبر المستفيد الأكبر منه هم الأستاذية كما هو الحال بالنسبة لقطاع الغوص والسفر الذي يستفيد منه النواخذة والتجار وأصحاب السفن والطواويش ، بينما يتلقى البحارة والعمال الذين يتحملون المصاعب في العمل ويواجهون المخاطر وأهوالها أجوراً متواضعة جداً مقابل جهودهم وكدهم ومعاناتهم . وكان القلاف الماهر يحصل على أجرة قدرها روبية واحدة في اليوم على أكبر تقدير (أي ٧٥ فلساً) بينما يحصل عمال القطاعات الأخرى كقطاع البناء وغيره على نصف روبية في اليوم . كما أن هناك قطاعات أخرى لا تقل أهمية ، منها قطاع صيادي السمك والحرفيين الذين يقومون بصناعة شباك الصيد بأنواعها وكل ما يتعلق بهذا القطاع من أدوات كالحْظور والقراقير [١] والأشرعة ، ولم يكونوا أفضل حالا من غيرهم فيما يخص الأجر .

---

(١) الحظور جمع حظرة أو "حظيرة" وهي وسيلة من وسائل صيد الأسماك على ساحل البحر . وتصنع جدران الحظيرة من أعواد القصب ولها فتحة واسعة مواجهة لساحل البحر تضيق تدريجياً بحيث يصعب على الأسماك الداخلة إليها الخروج منها . أما القرقور فهو قفص كبير على شكل قبة مصنوع من الأسلاك وبه فتحة قرب قاعدته تكون واسعة من الخارج تضيق تدريجياً من الداخل بحيث يصعب على السمكة الخروج من القرقور بعد دخولها فيه من الفتحة .

البحارة في البوم السفار وهم يرفعون الشراع .

القلاليف أثناء عملهم بصناعة السفن .

كما أن أعداداً كبيرة من الرجال كانوا أصحاب محلات ودكاكين في مختلف الأسواق لبيع جميع أنواع البضائع ، وكان كل سوق متخصص لبيع أنواع معينة من البضائع . وكانت دخول هؤلاء عموما متواضعة ، كما أن معظم الأسواق كان يعمها الكساد في جانب كبير من السنة وخاصة في أثناء موسمي الغوص والسفر لمغادرة أعداد كبيرة من الرجال للعمل في هذين المجالين .

الحداد

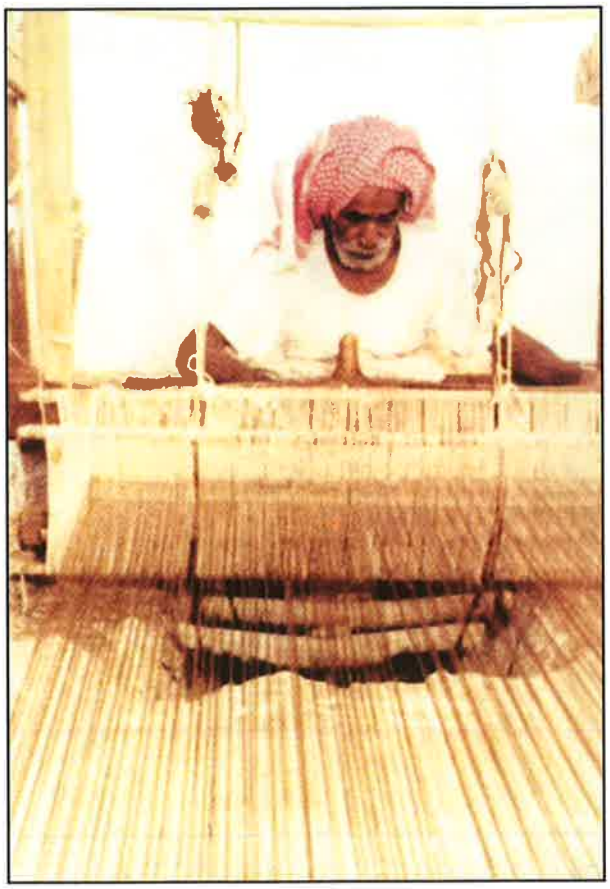

الحايك

تعتبر حرف الحداده وحياكة البشوت والقطانه من الأعمال الشائعة في الكويت القديمة لتلبية احتياجات المواطنين .

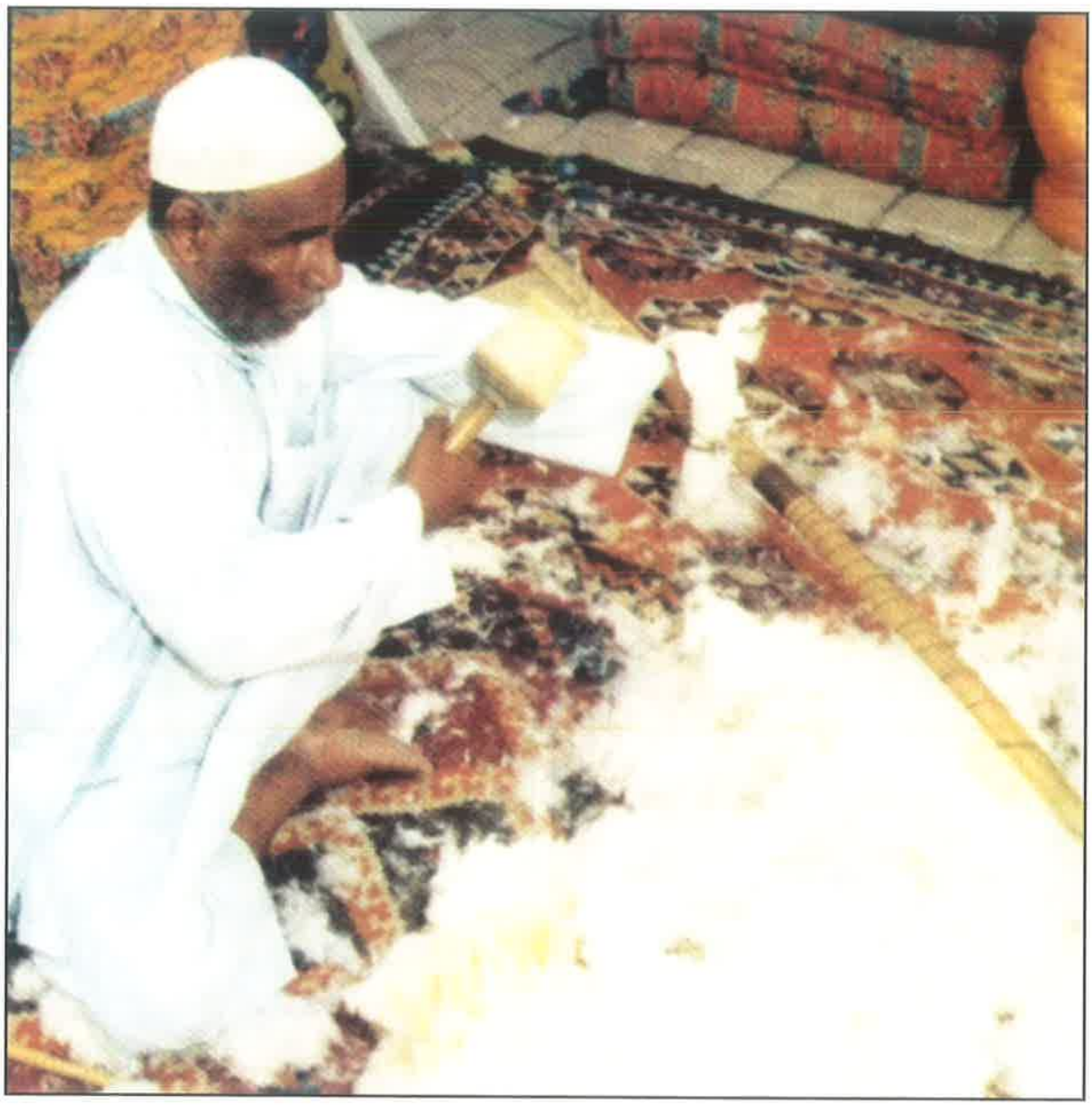

القطـــان

وهناك أنشطة خدمية بسيطة منها النقل الذي يشمل تحميل البضائع إلى البيوت على ظهور الحمالين أو على ظهور الحمير أو العربات التي تجرها الحمير للبضائع الثقيلة ، بالإضافة إلى نقل مواد البناء وتوصيل الماء إلى البيوت بواسطة الحمّارة- وهم أصحاب الحمير - الذين ينقلون الماء بالقِرَبْ ، بالإضافة إلى الكنادرة الذين ينقلون الماء في علب معدنية يتم تعليق علبتين منها على طرفي عصى غليظة أو رمح يحمله الكندري على كتفه . وكان هؤلاء أيضا أصحاب دخول بسيطة لا تكاد تسد الرمق .

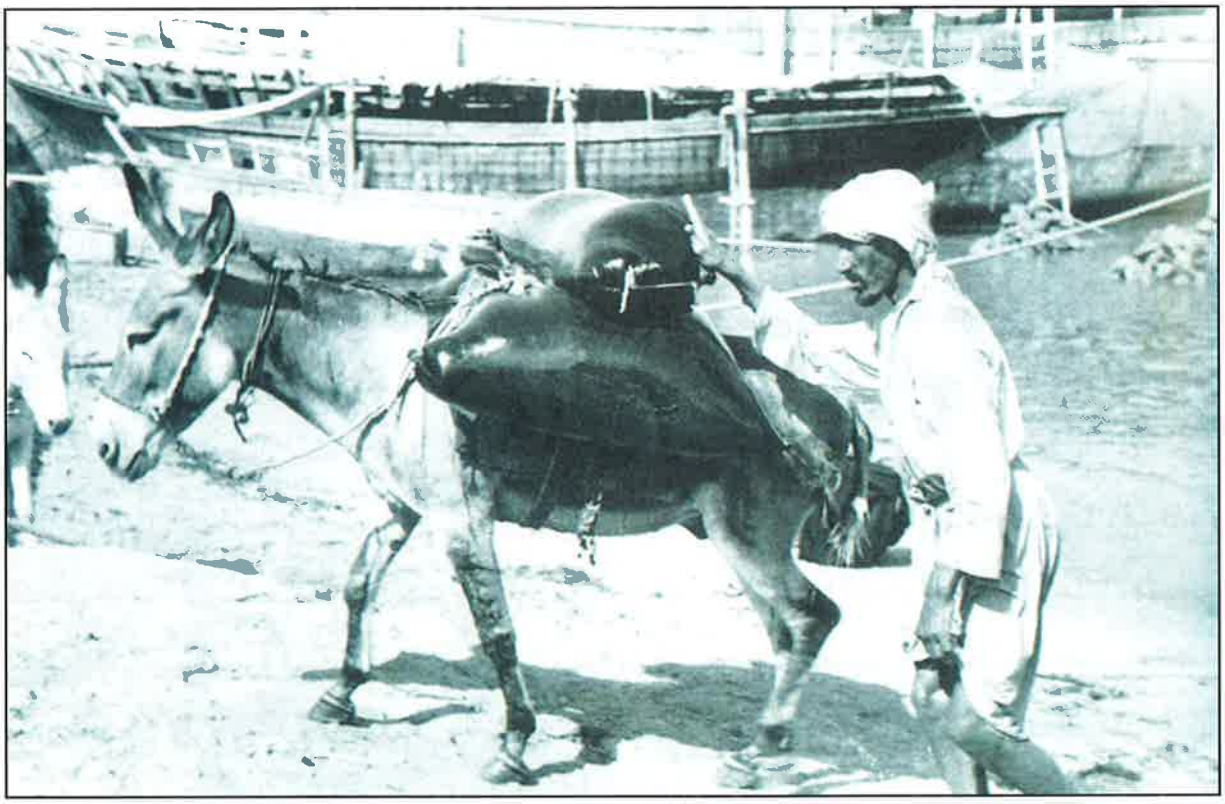

حمّار يسير خلف حماره المحمل بقِرَب الماء لتوصيلها إلى أحد عملائه .

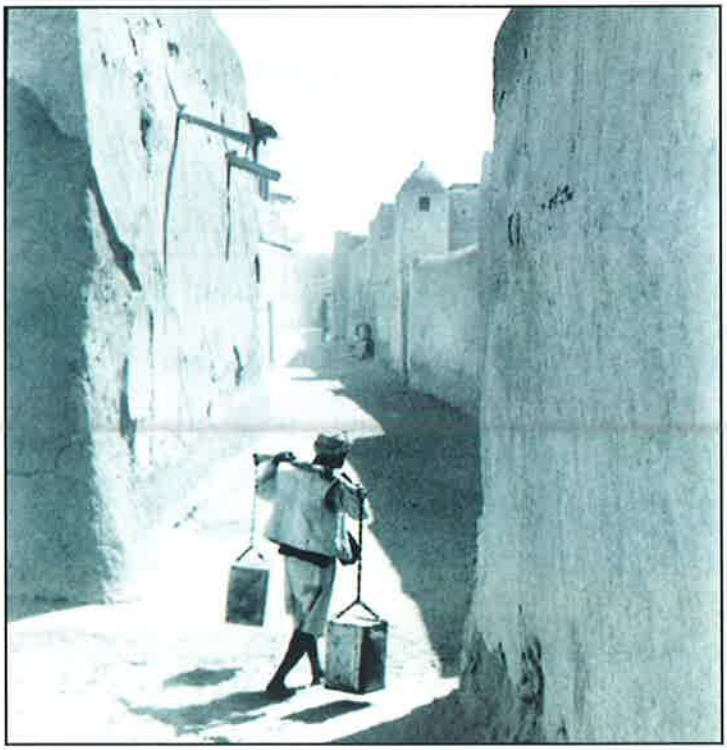

كندري حاملاً قواطي الماء وهو يسير بالأزقة بحثاً عن مشترٍ للماء .

وكانت كثير من العائلات محدودة الدخل تشتغل في أعمال إضافية وهامشية للحصول على دخل إضافي ، وخاصة في منطقة الشرق ، فقد كانت بعض النساء يعملن في خبز الخبز وطحن الحبوب بالرحى في المنازل مقابل أجرة بسيطة أو غسيل الملابس بالبحر للعائلات المتمكنة مقابل عدد قليل من الآنات وهكذا . كما كان بعض الحماميل يقومون بجرش (تكسير) الأرز الذي يصل إلى الكويت من البصرة والدورق في بعض أزقة منطقة الشرق خارج أوقات عملهم الأصلي . كما يقومون بفصل القشرة عن الأرز الذي كان يجلب بعضه إلى الكويت على شكل (شِلبْ) - أي أرز غير مقشور . ويذكر الحاج إسماعيل أن كثيراً من البرايح[1] والسكيك الواسعة في منطقة الميدان وفي عدد من أحياء منطقة الشرق كانت تضم العديد من الرجال الذين كانوا يقومون بفصل قشرة الأرز عن الحبة باستخدام رحي (جمع رحاة) مصنوعة من جذوع النخيل خاصة لهذا العمل . وكان يتم تجميع كميات كبيرة من القشرة (الشوار) كعلف للأغنام . وتسكن معظم الطبقات الفقيرة في بيوت طينية صغيرة بينما يسكن بعضهم العشيش أو (الكبارة) - جمع كُبَر - المصنوعة من البواري[2] والچندل في أقصى منطقة الشرق ، وبخاصة الحمالون وكذلك النواطير الذين منحهم الشيخ مبارك الصباح مساحة كبيرة من الأرض في تلك المنطقة . وكانت الحرائق تشتعل في تلك العشيش في كثير من الأحيان . وكانت الطبقة العاملة في الكويت عموماً محدودة الدخل بصورة كبيرة إذ كان العامل في جميع القطاعات تقريباً لا يحصل على أكثر من نصف روبية يومياً في أحسن الأحوال ، إلى أن تحسنت الأمور الاقتصادية في سنة الطفحة وما بعدها من سنوات .

ومن الطبقات الفقيرة التي عملت في الكويت الكنادرة الذين كانوا يحملون علب الماء على أكتافهم وينقلونها من الأبوام التي بدأت تنقل الماء من شط العرب إلى الكويت في بداية القرن العشرين . فقد كانوا هم ومن قبلهم أصحاب الحمير - ويدعون الحمّارة ، وهم الذين يبيعون الماء بالقرب التي توضع على ظهور حميرهم - يشكلون شبكة توزيع مياه الشرب للمواطنين إلى منتصف الخمسينيات من القرن الماضي . وكان كثير من الكنادرة يأتون في بداية الصيف من بلدانهم في فارس للعمل في نقل الماء ثم يعودون إلى هناك عند قدوم موسم الخريف لزراعة الحنطة والشعير .

---

(١) البرايح جمع براحة وهي ساحة كبيرة بين البيوت كان يتجمع فيها الصبيان للعب .

(٢) البواري جمع بارية وهي حصير مصنوع من بعض أنواع نبات القصب الذي ينمو في الأهوار بالعراق .

ويذكر الحاج إسماعيل أن معظم المواطنين في منطقة الشرق - كغيرهم من الكويتيين - كانوا محدودي الدخل ويعملون في مختلف القطاعات الاقتصادية ، لكن أعداداً كبيرة منهم كانوا أصحاب دكاكين ومحلات وبقالات في مختلف الأسواق وبخاصة سوق الخضرة وسوق الجت والسوق الداخلي وسوق بن دعيج وسوق الغربللي وأسواق الأقمشة وسوق الصفافير وسوق الحدادة . كما عمل كثير منهم عمال بناء وحمالين في الأسواق وفي الفرضة أو لتنزيل البضائع من السفن الكبيرة إلى التشاشيل[1] ثم من التشاشيل إلى الفرضة . كما كانت أعداد منهم تعمل في حراسة الأسواق ليلاً وخاصة البلوش الذين كانوا يعملون (نواطير) ، بينما كانت أعداد أخرى تتوجه إلى السفر والغوص . كما عمل عدد كبير من المواطنين عمالاً مهرة في مختلف القطاعات وخاصة الحدادة والصفارة (أعمال النحاس) وصناعة الذهب والحياكة وصناعة البشوت والخياطة وصناعة المنتجات القطنية . وقد ضمت منطقة الشرق بالإضافة إلى هؤلاء عائلات كثيرة اشتهرت بالتجارة وامتلاك سفن السفر إلى الهند وسفن الغوص وكذلك أصحاب العمايل التي تصنع فيها السفن ناهيك عن أصحاب الثروة في مختلف القطاعات الاقتصادية .

ج - الاتجار بالأسلحة

عمل عدد من الكويتيين في تجارة الأسلحة لفترة طويلة امتدت منذ القرن التاسع عشر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان ميناء مسقط مركزاً مهماً لاستيراد الأسلحة إلى بدايات القرن العشرين ، حيث كانت البواخر تتوجه إلى هناك من فرنسا لإيصال الأسلحة التي يعاد توزيعها إلى بلدان المنطقة بواسطة السفن الشراعية . وكانت الأسلحة تباع في أسواق الكويت دون قيود أو رقابة قبل عقد اتفاقية الحماية مع بريطانيا عام ١٨٩٩م ، وتفرض الحكومة ضريبة على كل قطعة من السلاح كأحد مصادر الدخل . وقد تبوأت مسقط مركزاً مهماً لاستقبال وإعادة تصدير الأسلحة إلى بلدان المنطقة بالرغم من صغر حجمها . فقد كانت البواخر تمر عبرها في طريقها إلى الهند وفي طريق عودتها إلى موانى الخليج من هناك . كما كانت السفن الشراعية الكويتية تتوجه إلى هناك لشراء الأسلحة وإعادة تصديرها إلى موانى الخليج المختلفة وفي مقدمتها إيران .

---

(١) التشاشيل جمع تشالة وهي سفينة شراعية متوسطة الحجم خاصة بنقل البضائع من البواخر إلى الفرضة . كما كانت تستخدم لنقل الصخور المستخدمة للبناء من عشيرج إلى النقع لينقلها الحمارة من هناك إلى مواقع البناء .

وقد استمرت كثير من السفن في الذهاب إلى مسقط بعد توقيع اتفاقية الحماية لنقل المواد الغذائية بأنواعها إلى هناك ، لتعود وهي محملة بالأسلحة بالرغم من الرقابة التي فرضتها بريطانيا على ذلك النشاط بعد توقيع معاهدة الحماية مع الكويت . وكانت مدينة الدورق في إمارة المحمرة من أهم البلدان التي كانت تستقبل شحنات الأسلحة من السفن الكويتية بعد توقيع معاهدة الحماية مع الكويت .

ويذكر الحاج إسماعيل أن كثيراً من التجار الكويتيين كانوا يتعاملون مع نوخذة من الدورق يدعى (الحاج رمضان) ، ويصف ذلك الشخص بأنه كان أميناً يثق به التجار ، وكان من النواخذة المتمكنين الذين ربطتهم علاقات واتصالات وطيدة مع التجار الكويتيين وكذلك مع الجهات المسؤولة في بلاده مما كان يساعده على توصيل الأسلحة إلى الجهات المعنية . وكانت قطعة السلاح تباع في الكويت بخمس روبيات للقطعة بينما تباع في الدورق بما قيمته ٢٠٠ إلى ٥٠٠ غران (١٢ إلى ١٥ روبية) وذلك في حوالي عام ١٩١٠م في عهد الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل . ويربح التاجر في بعض الأحيان ما بين خمس إلى ست ريالات نمساوية بالبندقية الواحدة (حوالي ١٢ إلى ١٥ روبية بحسب البندقية) .

ويذكر الحاج إسماعيل أن بعض التجار الكويتيين كانوا يرسلون الأسلحة إلى الدورق ولا يرافقون السفينة التي تحمل الأسلحة . وعند وصولها إلى الدورق يستلمها هناك النوخذة رمضان الذي يخبرهم بوصولها فيتوجهون بعد ذلك إلى هناك للإشراف على بيعها ، وكان النوخذة رمضان يقوم بتهريب ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ قطعة من السلاح في الرحلة الواحدة ويضعها في منزله عند وصولها إلى الدورق إلى أن يصل صاحبها فيسلمه إياها ، ويمكث التجار هناك في بعض الأحيان فترة طويلة قد تمتد إلى ثلاثة أشهر إلى أن يتم بيعها بالكامل . كما يقوم النوخذة رمضان بشراء البضائع كالقمح والشعير والتمر للتجار الكويتيين ويعمل على تجهيزها وتحميلها في سفنهم استعداداً لشحنها إلى الكويت . ويذكر الحاج إسماعيل أن التجار الكويتيين الذين كانوا في الدورق للتجارة كانوا يتجمعون في أحد المقاهي هناك لتبادل الأحاديث والأخبار ولاستقبال وكلائهم ولتبادل بيع وشراء البضائع والسلاح مع التجار المحليين .

ويذكر أيضاً أن تجارة السلاح كانت رائجة أكثر في الكويت قبل توقيع اتفاقية الحماية ، حيث كان البدو من العراق والجزيرة العربية يقصدون الكويت لشراء الأسلحة ، التي كانت تباع علناً في السوق . كما كان هناك دلالون مختصون بهذه السلعة يمثلون تجار الأسلحة ، ومن أشهر الدلالين في منطقة الوسط المرحوم حجي علي أسطى أحمد بهبهاني الذي كان وكيلاً لآل معرفي وآل ماتقي ، وكان يستقبل التجار من البلدان المجاورة الراغبين في شراء الأسلحة في ديوانه لإنجاز الصفقات . ويتذكر الحاج اسماعيل أنه في أول رحلة له إلى الهند في بداية القرن الماضي ، وفي أثناء عودتهم إلى الكويت توقفوا في ميناء مسقط فصعد إليهم على سطح السفينة المرحوم عوض أبو البنات ، الذي كان متواجداً هناك لشراء الأسلحة ، وكان شريكاً للمرحومين محمد حسن معرفي ومحمد علي معرفي ، وأخبرهم أن لديه أمانة يريد منهم إيصالها إلى الكويت ، فتسلمها المرحوم حسين المرهون ، كبير مجموعتهم ، وكانت عبارة عن عدد كبير من صناديق الأسلحة تم جلبها للباخرة بواسطة جالبوت ووضعت على سطحة الباخرة . وعند وصولهم إلى الكويت استقبلهم المرحوم محمد حسن معرفي واستلم منهم البضاعة بعد أن أخبر المرحوم عبد المحسن العجيل ، مدير الجمرك آنذاك بالموضوع ، وسلمه صرة مليئة بالليرات الذهبية وهي عبارة عن الضريبة الواجب دفعها على الشحنة . وكان المرحوم محمد حسن معرفي قد أحضر معه إلى الباخرة عدداً من الحمالين وتشالة ليتم تنزيل الصناديق فيها من الباخرة لنقلها إلى المخازن . وقد عمل محمد معرفي فترة طويلة في تجارة السلاح ، وكانت البنادق تباع بأسعار مضاعفة عند وصولها إلى الكويت أو موانى الخليج الأخرى ، لكنه وبعد توقيع معاهدة الحماية مع بريطانيا تم منع استيراد الأسلحة والاتجار بها وفرضت قيود على ذلك النشاط ، وكانت تصادر السفن التي يلقى القبض عليها وهي تحمل أسلحة . وكانت السفن الكويتية قبل ذلك تأخذ الحبوب إلى مسقط ثم تعود ومعها الأسلحة ، وقد بدأت السفن البريطانية بعد ذلك بمراقبة السفن وتفتيشها لكنهم لم يستطيعوا السيطرة بالكامل على تجارة السلاح . وكانت بعض سفن التهريب ترفع علم فرنسا للتمويه حيث لم تكن بريطانيا تعترض السفن الفرنسية ، كما كان بعض المهربين يتبعون حيلاً أخرى للتمويه على البريطانيين .

قصة النوخذة عباس بن نخي مع المنور البريطاني

يذكر الحاج إسماعيل أن آل معرفي وآل غالب كانوا من أشهر تجار الأسلحة في منطقة الوسط قبل وبعد توقيع معاهدة الحماية مع بريطانيا . ويعمل مع آل معرفي نوخذة اشتهر بدرايته بطرق الخليج البحرية هو المرحوم عباس بن نخي الذي كان من أمهر النواخذة الذين عملوا في تجارة وتهريب الأسلحة في بداية القرن الماضي .

النوخذة الحاج عباس بن نخي

ويتصف النوخذة بن نخي بالذكاء والحنكة ، وكان ضليعاً بأمور البحر عارفاً بطرق ومنافذ الخليج ، قديراً على تحمل المصاعب . وكانت لديه سفينة كبيرة يتاجر فيها بالسلاح ويقوم بنقله من مسقط إلى الكويت سراً ، ويقوم بحوالي ٤ رحلات سنوياً إلى مسقط لهذا الغرض . وكان السلاح آنذاك يجلب من فرنسا إلى مسقط ويعاد شحنه إلى الكويت ليتم توزيعه على بلدان المنطقة . وعندما ازداد النفوذ البريطاني في الخليج منعوا تجارة السلاح . وقد ازدادت المراقبة من قبل البواخر البريطانية في الخليج حيث كانت تلك البواخر تراقب السفن بصورة دقيقة وبخاصة المشتبه فيها بنقل السلاح حيث كانت المناور (السفن الحربية) البريطانية تجوب مياه الخليج على الدوام . لكنهم مع ذلك لم يستطيعوا إيقاف ذلك النشاط حيث دأبت سفن التهريب على تجنب الوقوع في فخ المراقبة البريطانية بطرق وحيل كثيرة . وكان الشيخ مبارك يستفيد استفادة كبيرة من تجارة السلاح من وراء الضريبة التي يفرضها على تلك التجارة ، نظراً لتبوء الكويت مركزاً مهماً لتجارة إعادة تصدير الأسلحة إلى إيران والعراق ، كما اعتاد تجار السلاح من هذه البلدان على المجيء إلى الكويت لشراء الأسلحة . وقد بدأ الإنجليز في مراقبة النوخذة عباس بن نخي لمعرفتهم بتحركاته . وفي أحد

المرات في حوالي عام ١٣٢٢ هجرية (١٩٠٤م) حمل النوخذة عباس بن نخي شحنة كبيرة من الأسلحة من مسقط في السفينة التي كان يقودها بعد أن أنزل حمولتها من القمح هناك ، وكان يدخل بالخور[١] لتحميل السلاح ويقوم بذلك أثناء الليل حيث يتم نقل السلاح إلى السفينة بواسطة جالبوت ، وكان حذراً أثناء تحميل السلاح ولا يمانع في البقاء لفترة طويلة لتحميل الأسلحة أثناء غفلة البوارج البريطانية لتجنب مراقبتهم . وعادة ما ينتظر إلى أن تسنح له الفرصة للإبحار ، لكن الإنجليز في هذه المرة كانوا يراقبونه عن قرب وبصورة دقيقة أثناء قيامه بتحميل السلاح في سفينته ، وكان يرافق النوخذة بن نخي طاقم متميز يعتمد عليه من البحارة ، كما كانت لديه مؤونة تكفي لفترة شهر أو أكثر . وقد استطاع مغادرة مسقط أثناء الليل بعد تحميل السفينة دون أن يشعر به الإنجليز . وفي صباح اليوم التالي لم يشاهد الانجليز السفينة التي كانت راسية في الخور فغادروا مسقط حالاً متوجهين ناحية الكويت . وفي أثناء رحلته في الصباح لاحظ النوخذة بن نخي السفينة البريطانية من بعيد وهي تتبعه فدخل في أحد الخيران الضيقة التي كانت موجوده في منطقة بالقرب من مسقط تسمى (شقلة) وكانت المنطقة رِقْ (أي ضحلة) ولا يستطيع المنور البريطاني دخولها لكبر حجمه ، وكان لذلك الخور فتحتان واحدة ناحية الشرق والأخرى ناحية الغرب . فشاهده المنور وهو يدخل فتوقف مقابل الخور وهو متأكد من أن سفينة النوخذة بن نخي لن تستطيع الخروج ، وقد مكث البوم حوالي شهر في الخور وكذلك الباخرة البريطانية إلى أن اقترب نفاد مؤونة النوخذة من الماء والغذاء والكيروسين ورأى أن لا مناص من القبض عليه إن استمر على تلك الحالة دون عمل شيء ، ففكر ملياً وجمع بحارته وأخبرهم أن لديه فكرة تنقذهم من تلك الورطة فسألوه ما هي فأجابهم أنه ينوي تجهيز عدد من القواطي (العلب المعدنية الكبيرة) وملأها بالكيروسين والخِرَقْ (قطع القماش) ووضعها حول البوم وإشعال النار بالقواطي عند قدوم الليل للتمويه بأن البوم لازال راسياً في الخور ثم مغادرة المكان في غفلة من المنور البريطاني . وكان النوخذة عارفاً بمداخل ومخارج الخور حيث استعد البوم للرحيل عند الغروب وجهز النوخذة ١٢ علبه معدنية وملأها بالكيروسين ووضعها حول البوم . كما تم تجهيز الأشرعة ورفع ثلاثة منها وكانت الريح في تلك الليلة شديدة وفي الاتجاه المطلوب ، كما كان الظلام دامساً فتم إشعال الكيروسين في العلب وتحرك البوم خارج الخور من المنفذ الثاني دون أن يلاحظ المنور البريطاني ذلك ، وتوجه النوخذة عباس بن نخي بسفينته حالاً ناحية

---

(١) الخور هو امتداد مائي أو لسان داخل من البحر إلى البر على شكل مجرى ، وجمعه خيران .

الكويت حيث سار طوال تلك الليلة بسرعة كبيرة جدا . وعند الصباح لم يشاهد المنور البوم الذي اختفى عن الأنظار فعرفوا أنه هرب . وينقل الحاج إسماعيل عن النوخذة بن نخي أن الرياح في تلك الليلة كانت قوية جدا وقد قاموا برفع جميع الأشرعة مما ساعد البوم على الإسراع في المسير حيث سار طوال تلك الليلة ونهار اليوم التالي والليلة الثانية واليوم الذي تلاه إلى أن وصل إلى الكويت في منتصف الليلة الثالثة . أما المنور فقد توجه ناحية الكويت صباحاً بعدما لم يشاهد البوم حيث واصل مسيره نحو الكويت إلى أن وصل في صباح اليوم الثالث بعد وصول البوم بساعات . وكان بوم النوخذة عباس بن نخي قد وصل إلى الكويت في منتصف الليل وكان البحر في حالة المد مما ساعد البوم على الدخول حالاً إلى النقعة . فتوجه النوخذة فوراً إلى قصر الشيخ مبارك الصباح وطرق الباب فأخبره الحراس أنه نائم فألح على ضرورة مقابلته حالاً فأيقظوا الشيخ مبارك الذي قابل النوخذة الحاج عباس فأخبره بالقصة ، كما أخبره بأن البوم مليء بالأسلحة وأكد له أن المنور الإنجليزي سيصل صباحاً حيث أنه يلاحقه ويجب عمل شيئاً ما لإنقاذ الموقف ، خاصة وأن سفينته قد دخلت إلى النقعة والماء الآن في حالة سجي (مد) . فأمر الشيخ مبارك عامله (محبوب بوصلبوخ) بالتوجه إلى بيوت عدد كبير من البحارة والرجال الأشداء لإيقاظهم حيث توجهوا جميعاً ناحية السفينة وكان عددهم حوالي ٤٠ شخصاً وأمرهم بإنزال جميع الأسلحة والأغراض الأخرى من البوم وإدخالها إلى المخازن ثم سحب البوم إلى الساحل وتغطيته ووضع طعوم[1] تحته وتنظيفه ودهنه بالصِلْ وتغطيته بالعريش قبل طلوع الفجر ليظهر وكأنه راسٍ هناك منذ فترة طويلة . وقد أنجز الرجال تلك المهمة قبل بزوغ الفجر وما أن أشرقت الشمس إلا وكانت المهمة قد أنجزت وظهر البوم وكأنه قد رسا في ذلك المكان منذ فترة طويلة ، وعاد جميع البحارة والعمال بعد ذلك إلى منازلهم . وفي ضحى ذلك اليوم وصل المنور البريطاني إلى الكويت ورسا في البحر مقابل قصر السيف ونزل منه القبطان بالجالبوت وتوجه حالاً إلى قصر الشيخ مبارك الذي كان جالساً في ديوانه فسلم عليه وأخبره أن هناك بوماً كويتيّاً وصل إلى الكويت قبل فترة وجيزة وهو محمل بالسلاح وأعطاه صورة البوم وطلب منه البحث عنه وتسليمه لهم . فأرسل الشيخ مبارك على محبوب بوصلبوخ رئيس عماله وطلب منه مرافقة القبطان ومجموعته على امتداد ساحل الكويت من الشرق إلى القبلة للبحث

---

(١) طعوم السفينة هي أخشاب طويلة مربعة الأضلاع يبلغ طول الواحد منها حوالي ٦ أمتار توضع تحت قاعدة السفينة (البيص) لرفعها عن مستوى الأرض . وتوضع عادة ثلاث طعوم من الجهة الأمامية للسفينة وثلاثة أخرى من جهتها الخلفية .

عن البوم حيث رافقهم محبوب في تلك المهمة التي تفقدوا فيها جميع السفن الراسية في النقع فتوجهوا أولاً إلى منطقة القبلة فلم يشاهدوا شيئاً ، ثم توجهوا إلى منطقة الشرق فشاهد القبطان البوم وعرفه ، وكان القبطان يحمل صورة البوم . فأخبره محبوب أن ذلك البوم كان راسياً في تلك النقعة منذ ثلاثة أشهر ، فعاد القبطان إلى ديوان الشيخ مبارك ليخبره بأنه شاهد البوم وهو راسٍ في النقعة وهو نفسه كما هو موجود بالصورة . لكن محبوب أخبر الشيخ مبارك ، وكما كان متفقاً عليه ، أن ذلك البوم كان راسياً هناك منذ ثلاثة أشهر ، وهو مدهون وعليه العريش وتحته الطعوم ولا يمكن أن يكون هو نفس البوم الذي يعنيه . فأقنع الشيخ مبارك القبطان وأخبره أن محبوباً يعرف الأبوام واحداً واحداً ، وبذلك أنقذ الشيخ مبارك الموقف بفطنته وذكائه وحرصه على حماية مواطنيه والدفاع عن مصالحهم . وقد توقف النوخذه عباس بن نخي بعد تلك الحادثة عن جلب السلاح لفترة طويلة مخافة أن يقبض عليه الإنجليز ، وعمل بعد ذلك نوخذة سفر لدى آل قاسم وأصبح يسافر بالأبوام الشراعية إلى الهند لجلب البضائع .

٢- تحسن الأوضاع الاقتصادية بعد توقيع معاهدة الحماية

بدأ الوضع الاقتصادي في الكويت في التحسن بعد توقيع اتفاقية الحماية مع بريطانيا وما تبعها من تطورات بعد استتباب الأمن وشعور الكويتيين بالأمان من الهجمات التي كانت تهددهم على الدوام قبل ذلك . كما أن قدوم السفن البخارية إلى الكويت أدى إلى وصول البضائع من الهند وغيرها من البلدان بصورة أسرع من قبل . وقد شجع ذلك الكثير من الناس على البحث عن فرص جديدة للاستفادة من تلك الأوضاع . فقد بدأ النشاط التجاري بالتوسع والازدهار وفتحت السفن البخارية الفرص أمام الكثير من الناس للاستفادة من خدماتها كنقل الركاب إلى البلدان القريبة والبعيدة وسرعة وسهولة توصيل البضائع من الهند وغيرها من البلدان إلى الكويت .

وقد أصبحت الكويت في تلك الفترة في وضع اقتصادي أفضل بعد أن بدأ النشاط الاقتصادي والتجاري والثقافي يدب فيها ، وبالرغم من ذلك شهدت فترات اقتصادية صعبة نتيجة لعدد من النزاعات والحروب ، وكان عام ١٩١٢م من أفضل السنوات التي انتعش فيها الاقتصاد الكويتي نتيجة لارتفاع سعر اللؤلؤ ، مما أدى إلى انتعاش الاقتصاد وانعكاس ذلك على جميع القطاعات ، حيث شهدت الكويت في ذلك العام ما

سمي بسنة الطفحة التي ارتفع فيها سعر اللؤلؤ أضعافاً مضاعفة ، مما انعكس إيجاباً على الحياة الاقتصادية للكويتيين ، وجعل كثيرين منهم يدخلون في مجال التجارة بعد أن أصبح السفر إلى الهند بالنسبة لهم أيسر من ذي قبل نتيجة لازدياد عدد البواخر المتوجهة إلى الكويت . فقد كان أصحاب السفن والنواخذة وكبار التجار قبل ذلك هم من كان يمارس العمل التجاري مع الهند بحكم امتلاكهم للسفن الشراعية الكبيرة التي كان يرافقهم فيها أعداد كبيرة من البحارة كعمال أجراء لا يستفيد إلا عدد قليل جداً منهم من تلك الرحلات ، حيث كان بعض البحارة ينقلون بعض البضائع البسيطة سراً لبيعها في المواني التي يمرون فيها أو يشترون سلعاً معينة من بعض المواني لبيعها في موانٍ أخرى وبصورة محدودة أيضاً . لكن فتح خط البواخر الذي بدأ أولاً مرة بالشهر ثم مرتين بالشهر وبعد ذلك مرة كل أسبوع فتح الباب أمام الكثيرين للذهاب إلى الهند وجلب البضائع إلى الكويت لبيعها بالجملة على أصحاب المحلات أو عرضها في محلاتهم . كما أدى رسو البواخر في المياه الكويتية إلى وصول البضائع من بريطانيا ودول أوروبا الأخرى مباشرة إلى الكويت ، حيث كانت فيما قبل تصل إلى الكويت عن طريق الهند أو البصرة . وقد زاد ذلك من حركة إعادة التصدير لكثير من البضائع للبلدان المجاورة بواسطة السفن الشراعية المحلية . وكان من نتائج وصول البواخر إلى الكويت أيضاً فتح المجال واسعاً أمام الكويتيين للاحتكاك بالشعوب الأخرى التي بدأت أعداد منها بالمجيء إلى الكويت للعمل وسهلت سفر أعداد كبيرة من الكويتيين إلى الخارج مما أدى إلى تعرف الكويتيين على عادات تلك الشعوب وتقبل تعلم اللغات الأجنبية وبخاصة اللغة الانجليزية وفتح المدارس التي بدأت بتعليم هذه اللغة .

كما شهدت تلك الفترة افتتاح المدرسة المباركية لتثقيف الشباب الذي توجه نحو التعليم النظامي بعد أن كان يعتمد كلياً على الكتاتيب . كما افتتحت الإرسالية الأمريكية المستشفى الأمريكاني الذي بدأ بعلاج الناس الذين بدأوا بتقبل العلاج غير التقليدي .

٣- تقلب الأوضاع الاقتصادية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى

يذكر الحاج إسماعيل أنه بالرغم من تحسن الأوضاع الاقصادية بعد توقيع اتفاقية الحماية مع بريطانيا إلا أن الكويت شهدت فترات اقتصادية متباينة بعد ذلك كانت منها فترات صعبة ، وكان الكساد في بعض الأحيان يستمر لعدة سنوات ثم تتغير الأوضاع تدريجياً إلى الانفراج ، وكان ذلك مرتبطاً بعدد من الأمور أهمها الأوضاع العالمية والأوضاع بالمنطقة والحروب وكذلك أوضاع أسواق اللؤلؤ .

ويذكر أن أصعب الفترات التي شهدتها الكويت كانت في بداية القرن العشرين حيث عم الكساد في الأسواق وخف العمل التجاري وأصبح الناس في وضع صعب جدا ، وقد استمر ذلك لعدة سنوات ، كما صادف في تلك الفترة وقوع حرب الصريف وحرب هدية وقيام الشيخ مبارك بفرض ضرائب على التجار وعدم توجه كثير من السفن إلى الغوص ، وكان الغواص يذهب إلى الغوص لمدة أربعة أشهر مقابل ٢٠ روبية ، كما أن صاحب الدكان كان لا يحصل على أكثر من آنتين أو ثلاث آنات في اليوم كعائد مقابل عمله . وبعد فترة تغير الوضع بصورة كبيرة ابتداءا من سنة الطفحة وما بعدها كما ذكرنا سابقاً ، حيث توجهت أعداد كبيرة من السفن إلى الغوص وتم صيد كميات كبيرة من اللؤلؤ مما أدى إلى ازدهار السوق خاصة مع ارتفاع أسعار اللؤلؤ ، حيث صادف أن جاءت سفينة فرنسية إلى بومبي محملة بالأموال والليرات الذهبية بهدف شراء اللؤلؤ مما أدى إلى ارتفاع سعره أضعافا مضاعفة ، وانعكاس ذلك على دخول الكويتيين الذين استفادوا استفادة كبرى من الوضع ، وقد سميت تلك السنة (سنة الطفحة) ، وكان ذلك في عام ١٩١٢م ، حيث انتعش الاقتصاد وزادت فرص العمل وزاد النواخذة مبالغ القروض التي يقدمونها للبحارة ليستمروا في العمل لديهم مما أدى إلى زيادة عدد البحارة الذين جاءوا إلى الكويت من المناطق المجاورة ، وجاء كثير من التجار من البلدان المجاورة أيضاً إلى الكويت لشراء وبيع البضائع ، وعم الازدهار الاقتصادي منطقة الخليج . ويذكر الحاج إسماعيل أن البحارة كانوا يسيرون في الأسواق في ذلك العام وجيوبهم مليئة بالريالات وكذلك الليرات . كما جاء البدو بأعداد كبيرة لبيع بضائعهم في الكويت وشراء ما يحتاجون إليه من مواد غذائية ومؤن .

٤- النفوذ البريطاني في الخليج والحرب العالمية الأولى

بدأ نفوذ بريطانيا في بلدان الخليج منذ القرن الثامن عشر وازداد نشاطهم وتدخلاتهم إلى أن احتلوا جزيرة خرج في إيران في منتصف القرن التاسع عشر ثم توغلوا داخل إيران كما سيطروا على ميناء بوشهر . وقد نشطت البوارج الإنجليزية في الخليج بهدف محاصرة الدولة العثمانية من كل جانب ، وكان هدفهم الأساسي السيطرة على كامل المنطقة . وعند دخولهم ميناء بوشهر قاومهم سكان المناطق الساحلية ، وكانوا يهاجمون القوات البريطانية في أثناء الليل ويقتلون أعداداً كبيرة منهم ويستولون على عُددهم وأدواتهم وأموالهم ويضعونها فوق ظهور الخيول ويهربون بها إلى الجبال . وقد استمر الوضع كذلك حوالي ٣ سنوات دون جدوى ، فقرر الإنجليز التركيز على المركز ، وهو العاصمة طهران ، للسيطرة على الوضع ، فتم اغتيال

السلطان ناصر الدين شاه الذي جند الإنجليز ابن عمه الذي تخفى في زي امرأة واعترض موكب ناصر الدين شاه بحجة تقديم كتاب يسلم له باليد ، فلما اقترب منه أطلق عليه النار وقتله (وكان ذلك في عام ١٨٩٥م) ، وبذلك استقرت الأمور للإنجليز الذين سيطروا على إيران حيث حكم إيران بعده عدد من السلاطين الضعفاء الذين لم يكونوا بنفس القوة ، وآخرهم أحمد شاه ، الذي كان صغيراً في السن لا يتجاوز عمره ستة عشر عاماً عندما استلم الحكم ، فتم تأسيس مجلس ثم نصب رضا شاه - الذي أصبح قائداً للجيش - نفسه ملكا ، وكان قاسيا استخدم جميع أساليب العنف والقوة لفرض سيطرته بدعم من الإنجليز فاستتب لهم الأمر .

ويشير الحاج إسماعيل إلى أن بوارج بريطانية جاءت إلى شمال الخليج عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، وهي مليئة بالجنود الهنود الذين كان الإنجليز يجمعونهم للمشاركة في الحرب معهم ضد أعدائهم . ومن بين السفن التي يتذكر مجيئها إلى الخليج بارجة تدعى (أم بنت) توجهت ناحية البصرة لضرب الجيش التركي هناك ، وقد دارت معارك هناك استخدم فيها الأتراك المدافع لضرب السفن البريطانية التي ردت عليهم بعنف وقضت على مقاومتهم . ويذكر الحاج إسماعيل أن أصوات المدافع البريطانية التي استمرت في قصف المواقع التركية في الفاو كانت تسمع في الكويت .

الملك فيصل الأول

وقد تواجدت بعد ذلك البوارج الإنجليزية بالقرب من سواحل الفاو لكن العراقيين قاوموهم وكانوا يهاجمونهم بالخناجر ليلاً وأنزلوا بهم خسائر كبيرة في الأرواح ، لكن الإنجليز كانوا مصممين على احتلال البصرة حيث ساعدهم في ذلك الشيخ خزعل والشيخ مبارك والسيد طالب النقيب الذين تحالفوا معهم ضد الأتراك . وقد استخدم الإنجليز الأموال في جلب رؤساء العشائر ، كما كانوا يلقون الأموال (من فئة ١٠ روبيات هندية) على عامة الناس لإغرائهم بتحسن أوضاعهم عند قدوم الإنجليز . وبعد سقوط البصرة عام ١٣٣٣ هجرية (١٩١٤م) بدأ الإنجليز

بتعزيز استعداداتهم الحربية . ويذكر الحاج إسماعيل أنهم جلبوا أعداداً كبيرة من الخيول والبغال إلى البصرة بعد احتلالها لاستخدامها أثناء الحرب ، حيث توجهوا بعد ذلك شمالاً إلى بغداد بعد أن استتب لهم الأمر ، وبعدها إلى الجبال في مناطق الأكراد إلى أن سيطروا على العراق بالرغم من المقاومة الشديدة . لكن المقاومة استمرت ضد الإنجليز بعد احتلالهم للعراق ، وقُتلت أعداد كبيرة من الجانبين حتى أن الجثث أصبحت تملأ نهر الفرات ، وكان العراقيون يحفرون أنفاقاً تحت الأرض تؤدي إلى أماكن تجمعات الجيش البريطاني ، وقد استمر العراقيون بالمطالبة بحكومة إسلامية ، فلما لم يجد الإنجليز بداً من ذلك قرروا تعيين الملك فيصل الأول نجل الشريف حسين حاكم الحجاز ملكاً على العراق عام ١٣٤٠هجرية (١٩٢١م) . وكانت قد طرحت ثلاثة أسماء لذلك المنصب الأول الأمير فيصل بن الشريف حسين والثاني الشيخ خزعل حاكم المحمرة والثالث السيد طالب النقيب ، لكن الاختيار وقع على الأمير فيصل ، وبذلك استتب الأمر للإنجليز الذين سيطروا على ضفتي الخليج والعراق .

آخر صورة التقطت للملك فيصل قبيل وفاته (١٩٣٣م)

٥ - الأوضاع المعيشية في الكويت أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها :

يذكر الحاج إسماعيل أن الأوضاع الاقتصادية ساءت في الكويت والمنطقة أثناء الحرب العالمية الأولى وبعد انتهائها ، وكسدت الأسواق وأصبح صاحب الدكان لا يبيع أكثر من روبية واحدة باليوم لشدة الكساد . وقد وضع الإنجليز أيديهم على المواد الغذائية الرئيسية وبخاصة الأرز والسكر والشاي أثناء الحرب وأودعوها المخازن وصاروا يبيعونها على التجار بكميات محدودة خوفاً من وصولها إلى الدولة العثمانية ، وبخاصة أنهم كانوا يعتقدون بتعاطف الشيخ سالم المبارك - حاكم الكويت آنذاك - مع تلك الدولة ، وكذلك لتوتر العلاقة بينهم وبينه ، لكنهم خففوا تلك القيود بعد انتهاء الحرب وكذلك بعد استلام الشيخ أحمد الجابر للحكم . وكان صاحب الدكان في تلك الفترة مثلا لا يحصل على ربح من بيع خيشة السكر إلا عدد قليل من الآنات أو ربما في بعض الأحيان فقط قيمة الخيشة التي كان يبيعها بعدد قليل من البيزات ليقتات من ورائها . وكانت قيمة وقية الأرز[١] آنذاك (في حوالي عام ١٩٢٠م) حوالي٧ - ٨ بيزات (آنتين) وكذا وقية السكر ، وكان صاحب المحل يشتري كيس السكر الذي يزن ١٠٠ كيلوجرام بحوالي ٥ روبيات [٢] فيصبح ربحه من الخيشة - التي تبقى عنده عدة أيام - نصف روبية أو أقل ، وكان بعض أصحاب الدكاكين يضطرون في بعض الأحيان إلى غلق محلاتهم للعمل في قطاع البناء للحصول على يومية قدرها ٦ آنات (أي أقل من نصف روبية) . كما شهد سوق اللؤلؤ كسادا انعكس على دخول الغواصين الذين كانوا يقترضون مبالغ قليلة من الروبيات من النواخذة قد تصل إلى ٥٠ روبية فيضطرون للعمل لديهم طوال الموسم لسداد الدين . وعندما يتم بيع اللؤلؤ في نهاية الموسم قد لا يكفي دخل الغيص أو السيب لسداد دينه فيبقى مضطراً للعمل لدى النوخذة في السنة القادمة وهكذا . وقد استمر ذلك الوضع لعدة سنوات ، وانعكس على نشاط كثير من التجار وقطاع البناء وبقية الأسواق فيما عدا قليل من التجار الذين استمرت أوضاعهم جيدة نظراً لملاءتهم . كما تأثرت إيجارات الدكاكين فانخفضت إلى ١٢ آنة في الشهر . كما عم الكساد كل منطقة الخليج لفترة طويلة . وقد اضطر ذلك البعض إلى التوجه إلى سواحل الكويت للعمل في نقل الرمل إلى عبادان مقابل يومية بسيطة كان يقدمها صاحب البوم ومن بعد ذلك صاحب الدوبة [٣] التي بدأت بنقل الرمال إلى عبادان لبناء الميناء هناك . فقد

---

(١) الوقية تساوي ٢,٢ كيلوغرام .

(٢) يعني ذلك أن صاحب المحل يقوم بشراء الكيلوغرام بمبلغ ٣,٢ بيزة ويبيعه بمبلغ ٣,٦ بيزة .

(٣) الدوبة هي سفينة نقل للبضائع تصنع من الحديد أو الخشب .

بدأ الإنجليز ابتداء من منتصف العشرينيات من القرن الماضي ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ببناء ميناء في عبادان لنقل النفط ، ونظراً لعدم توافر الرمل هناك بدأت السفن الشراعية الكويتية ثم الدوَبْ بنقله من الكويت إلى هناك . وكان العمال يسيرون إلى مواقع الدُوَب في الشويخ مشيا على الأقدام من جميع مناطق الكويت ليصلوا إلى هناك قبل شروق الشمس للحصول على عمل لتحميل الرمل مقابل أجرة يومية تصل إلى ٦ آنات في اليوم . وكان المشي يستغرق ساعة ذهابا وساعة إيابا يصل بعدها العامل إلى بيته ليلا وهو منهك القوى من العمل والسير . وكان إذا وصل إلى موقع العمل بعد شروق الشمس لا يتم تشغيله .

ويذكر الحاج إسماعيل أن بريطانيا نتيجة لسيطرتها الكاملة على الوضع في الخليج والعراق بعد الحرب العالمية الأولى بدأت بتشجيع التعامل بالعملة الهندية التي كانت تستخدم آنذاك كبقية العملات الأخرى في بلدان الخليج والتي كان من بينها المجيدي العثماني والغران الإيراني والريال النمساوي (ماريا تيريزا) الذي كان من أقوى العملات المستخدمة في الكويت ومنطقة الخليج . فقد كان البدو يأتون من الصحراء وقد حملوا معهم أكياس (خيش) مليئة بالريالات النمساوية الفضية لشراء حاجاتهم من البضائع من الكويت مما جعل الريال النمساوي من أهم العملات المستخدمة في الكويت . ونظراً لازدياد النفوذ السياسي والاقتصادي لبريطانيا بعد الحرب بدأ الناس يميلون أكثر من ذي قبل إلى التعامل بالروبية الهندية التابعة للتاج البريطاني مما أدى فيما بعد إلى أن تصبح العملة الوحيدة التي تستخدم في الخليج . ويذكر الحاج إسماعيل أن الناس بدأوا يتخلصون من الريال النمساوي بالرغم من أن سعر صرفه الذي اعتمدته السلطات الإنجليزية كان متدنياً للغاية . فقد وصل سعر صرفه إلى نصف روبية بالرغم من أن وزنه كان يساوي ٥ مثاقيل من الفضة (٢٨,١ جرام) أي أكثر من ضعف وزن الروبية الهندية الفضية التي كانت تزن مثقالين ونصف (١١,٦٦ جرام) وكذلك ضعف وزن المجيدي العثماني . وكان الريال قبل ذلك يصرف بروبيتين ونصف

كان الريال النمساوي شائع الاستعمال في الكويت والجزيرة العربية والعراق قبل الحرب العالمية الأولى .

[1] ، مما يعني أن المواطن كان يخسر ١٨ جراماً من الفضة من كل ريال نمساوي يصرفه . وقد خدع الإنجليز الكويتيين بهذه الطريقة حيث جمعوا كميات ضخمة من الريالات الفضية وشحنوها إلى الخارج وأدخلوا الروبية مكانها وبذلك خسر المواطن ثلاث أرباع قيمة الفضة التي كانت لديه . ويذكر الحاج إسماعيل أن كثيراً من الشباب الكويتي آنذاك تنبهوا للعملية وبدأوا بجمع الريالات النمساوية والقرانات الفضية الإيرانية التي كانت تستخدم في الكويت آنذاك والليرات الذهبية والتوجه بها إلى البصرة والمحمرة في أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى لاستبدالها بالروبيات الورقية الهندية التي صدرت في تلك الفترة (فئات ٥ روبيات و ١٠ روبيات و ٥٠ روبية و ١٠٠ روبية) والعودة بها إلى الكويت محققين بذلك بعض الربح بدلاً من استبدالها في الكويت . وكانوا يلبسون فنايل (جمع فانيلة) بها جيوب سرية تخبأ بها الريالات والليرات بالرغم من عدم وجود تفتيش في الحدود ولا منع رسمي لإدخال تلك العملات إلى البصرة أو عبادان . وكان الحاج إسماعيل وأصدقاؤه يصرفون تلك العملات لدى المرحوم محمد المتروك في البصرة ويشترون بها بضائع لأخذها معهم إلى الكويت . ويذكر الحاج إسماعيل أن جميع العملات المعروفة في المنطقة كانت تقبل في البصرة قبل وأثناء الحرب ، ويضيف أن الإنجليز طبقوا نفس السياسة في مسقط والخليج ونجد حيث تم جمع عملة ماريا تيريزا الفضية بربع قيمتها الحقيقية وشحنوها بسفنهم إلى الخارج لتضيف إلى ما استفادوا منه من نفس العملية في البلدان الأخرى . كما انخفض سعر الجنيه الذهبي العثماني إلى سبع روبيات ونصف مما حدا بالبعض إلى شرائه من الكويت وأخذه إلى البصرة لبيعه بسعر الذهب والاستفادة من ذلك .

---

(١) كان الريال يزن ٢٣,٤ جرام من الفضة الصافية . والروبية ١٠,٦٩ جرام من الفضة الصافية . أما فئة النصف روبية فتزن ٥,٤٥ جرام من الفضة الصافية .

فئة ٥ قرانات
(مظفر الدين شاه)

فئة قرانان
(مظفر الدين شاه)

فئة قران واحد
(ناصر الدين شاه)

استخدمت القرانات الإيرانية كعملة في الكويت إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى ثم توجه الناس بعد ذلك إلى استخدام الروبية الهندية والتوقف عن استعمال باقي العملات التي كانت رائجة .

راجت الفئات الورقية من الروبيات في الكويت والجزيرة العربية والعراق أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية (خلال عهد الشيخ سالم المبارك). وكانت تلك الروبيات تحمل صورة الملك جورج الخامس، ملك بريطانيا وامبراطور الهند.

فئة ١٠ روبيات

فئة ٥ روبيات

فئة روبية واحدة

الروبيات الهندية المستخدمة في الكويت

استخدمت الروبية الهندية في الكويت في بدايات القرن التاسع عشر بعد أن أصدرت شركة الهند الشرقية – التي كانت تحكم الهند – العملة الخاصة بها للاستعمال في عموم الهند ، والتي كانت تحمل صورة الملك وليام الرابع ملك بريطانيا آنذاك . وقد انتشر استخدام هذه الروبية في بلدان الخليج والكويت نظراً لعلاقاتها التجارية مع الهند . وكانت الكويت تستخدم آنذاك وفي نفس الوقت عدداً من العملات الأخرى من بينها العملة العثمانية والريال النمساوي والقران الإيراني والبرغشي العماني . وتظهر في الصورة الروبيات التي استخدمت في الكويت والتي تحمل صور ملوك بريطانيا على امتداد تلك الفترة .

روبية الملك وليام الرابع ١٨٣٥م
(إصدار شركة الهند الشرقية)

روبية الملكة فكتوريا ١٨٤٠م–١٨٥٨م
(إصدار شركة الهند الشرقية)

روبية الملكة فكتوريا ١٨٦٢م – ١٨٧٧م
(إصدار حكومة الهند البريطانية)

تابع صور الروبيات التي استخدمت في الكويت منذ بدايات القرن التاسع عشر إلى عام ١٩٦١م والتي تحمل صور ملوك بريطانيا[١]

روبية الامبراطورة فكتوريا
١٨٧٧م - ١٩٠١م
(إصدار حكومة الهند البريطانية)

روبية الملك إدوارد السابع
١٩٠٣م - ١٩٠٧م
(إصدار حكومة الهند البريطانية)

روبية الملك جورج الخامس
١٩١٠م - ١٩٣٦م
(إصدار حكومة الهند البريطانية)

روبية الملك جورج السادس
١٩٣٨ م - ١٩٤٠م
(إصدار حكومة الهند البريطانية)

روبية الملك جورج السادس
١٩٤٦م - ١٩٤٧م
(إصدار حكومة الهند البريطانية)

أول إصدار للروبية الهندية
بعد استقلال الهند
١٩٥٠م - ١٩٦١م

(١) تمثل التواريخ المبينة أسفل كل عملة تاريخ سكها لأول مرة وآخر تاريخ سكت به (وليس تاريخ جلوس الملك على العرش أو وفاته)

وأرى أنه من المناسب هنا أن أتطرق إلى تقسيمات الروبية الهندية القديمة والفئات المعدنية المختلفة التابعة لها، وقيمة كل فئة منها بالدينار الكويتي، علماً بأن هذه الفئات والتقسيمات قد تم تغييرها في عام ١٩٥٧م حيث استخدمت التقسيمات والفئات العشرية الجديدة في الكويت إلى عام ١٩٦١م عندما بدأ استخدام الدينار الكويتي.

معلومات وتفاصيل بخصوص الروبية الهندية وفئاتها التي استخدمت في الكويت:

١ - تقسيمات الروبية

الروبية تساوي ← ١٦ آنة

الآونة تساوي ← ٤ بيزات

البيزة تساوي ← ٣ آردي

الروبية = ١٦ آنة = ٦٤ بيزة = ١٩٢ آردي

٢ - فئات الروبية

روبية (١٦ آنه) | نصف روبية (٨ آنات) | ربع روبية (٤ آنات) | آنتان | آنه واحدة (٤ بيزات) | نصف آنة (بيزتان) | بيزة واحدة (٣ آردي) | آردي واحد (ثلث بيزة)

٣ - قيمة كل فئة من الروبية بالدنيار والفلس:

الروبية الواحدة تساوي ٧٥ فلس

الآنه الواحدة تساوي ٤,٧ فلس

البيزة الواحدة تساوي ١,٢ فلس

الآردي الواحد يساوي ٠,٤ فلس

ومن الأشياء التي يذكرها الحاج إسماعيل بعد انتهاء الحرب العالمية ألأولى أيضاً أنه تم بيع كميات كبيرة من مخلفات الحرب العالمية الأولى في منطقة العشَّار في البصرة من قبل الجيش البريطاني بأسعار منخفضة جداً للتخلص منها . ومن بين المخلفات كميات كبيرة من الدراجات النارية (السياكل) التي كانت تعرض على شكل أكوام مرتفعة بعضها فوق بعض وتباع بسعر يتراوح ما بين ٥-١٠ روبيات بحسب نوعية وحالة الدراجة . كما كانت تباع الخيام العادية وخيام أخرى خاصة مصنوعة من التور استخدمها الجنود الإنجليز أثناء الحرب لوقايتهم من الحشرات (البق) ، بالإضافة إلى الأواني وأنواع مختلفة من الأثاث والتجهيزات وأدوات الطبخ والملابس والأحذية وما شابه ذلك . وقد توجهت إلى هناك أعداد من الكويتيين وخاصة الشريطية لشراء ما يحتاجونه من هذه الأشياء لإعادة بيعها في الكويت .

مجالات العمل التي مارسها الحاج إسماعيل في شبابه

١- السفر للتجارة مع والده

كانت أول فرصة أتيحت للحاج إسماعيل للتعرف على الأعمال التجارية هي الرحلة التي رافق فيها والده إلى الساحل الإيراني عام ١٣٢٤ هـ(١٩٠٦م) في إحدى السفن الشراعية وذلك بعد إكمال دراسته . فقد اصطحبه والده إلى مدينة (الدورق) التابعة لإمارة المحمرة وكان عمره حوالي ١٥ سنة لشراء الحبوب . وكان والده يعمل بالتجارة ويقوم باستيراد المواد الغذائية والحبوب من المناطق الساحلية الإيرانية ويجلبها بالسفن إلى الكويت لبيعها في محله بالمناخ . كما كان يأخذ معه إلى هناك بضائع من الكويت من بينها السكر والشاي والفحم . وقد اعتاد والده أن يصطحب في رحلاته التجارية إلى الدورق إحدى عبداته (وتدعى حليمة) لتقوم بخدمته وطبخ الوجبات له وغسيل ملابسه ، وعندما كبرت في السن توقف عن اصطحابها معه . وفي إحدى رحلاته طلب من ابنه إسماعيل مرافقته في رحلته التجارية إلى الدورق . ويذكر الحاج إسماعيل أن تجربته الأولى للسفر اتسمت بمواجهة الكثير من المشاكل ، ففي أثناء توجه سفينتهم الشراعية (من نوع الجالبوت) إلى الدورق اعترضتهم سفينة بخارية بلجيكية متخصصة لجباية الضرائب من السفن التجارية المتوجهه إلى إيران ، حيث أوقفتهم في المياه المقابلة لمنطقة تدعى (بوسيف) وهي مقابل ميناء (بهمشير) الإيراني وهم في طريقهم إلى خور موسى بعد إنزالهم للبضائع ، فنزل عدد من بحارة الباخرة وقاموا بتفتيش سفينتهم

تفتيشاً دقيقاً بحجة البحث عن أسلحة فلم يجدوا شيئاً ، فأصروا على أخذهم إلى المحمرة ، فلم يستطيعوا أن يعترضوا أو يعملوا شيئاً . وقامت السفينة بسحب جالبوتهم صباح ذلك اليوم ، وكانت الرياح شديدة مما ساعد على وصول السفينة إلى المحمرة بعد المغرب . وفي صباح اليوم التالي جاء عدد من معارفهم بالمحمرة لاستقبالهم ومساعدتهم لكن السلطات البلجيكية أصرت على حجز الجالبوت ، وقد اضطر المرحوم الحاج إسماعيل ووالده إلى ترك الجالبوت والتوجه إلى المحمرة ثم الفلاحية لشراء بعض البضائع قبل التوجه إلى الدورق لإكمال المهمة . فلما علم وكلاؤهم في الدورق أرسلوا لهم عدداً من الخيول لنقلهم إلى هناك فركبوها ووصلوا بعد عدة ساعات حيث سكنوا في المضيف التابع لأحد أصدقاء والده ويدعى الحاج موسى بن نعمة الله . ويذكر الحاج إسماعيل أن المضيف كان يضم غرفة واسعة وضعت في وسطها (مروحة) كبيرة وهي عبارة عن رمح كبير الحجم مثبتة به بطانية ويقف بجانب المروحة شخص يقوم بتحريكها لتبريد الجو للجالسين في المضيف ، ويطلقون على تلك المروحة اسم (ياييم) . ويرتكز رمح المروحة على "كومة" من الرمل في الأرض ويثبت طرفه العلوي بالسقف . وقد مكثوا هناك حوالي أسبوع عادوا بعده إلى الكويت بعد شراء البضائع المطلوبة التي تم شحنها في (بلم عشاري) استأجروه من هناك وتوجهوا به إلى الكويت . وبعد حوالي شهر من عودتهم تم إطلاق سراح الجالبوت الذي احتجز دون سبب وبالرغم من عدم وجود أي بضاعة فيه . وقد رافق الحاج إسماعيل والده فيما بعد في العديد من الرحلات التجارية إلى الساحل الإيراني لنقل المواد الغذائية كالشاي والسكر إلى هناك وجلب الحبوب إلى الكويت .

وكانت الحكومة الإيرانية في ذلك الوقت قد عقدت اتفاقية مع الحكومة البلجيكية تقوم الأخيرة بموجبها بجباية الضرائب من السفن التجارية المتوجهة إلى إيران مقابل نسب معينة ، وكذلك لمكافحة التهريب وبخاصة السلاح . وكانت السفن البلجيكية تجوب مياه الخليج وتسيّر سفنها على امتداد الساحل الشرقي للخليج ابتداء من ميناء كراتشي إلى بوشهر للقيام بمهامها ، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى واحتلال بريطانيا إيران ودخول الجيش البريطاني إلى البصرة أصبح الخليج وشط العرب تحت النفوذ البريطاني بالكامل وتوقفت بلجيكا عن القيام بجباية الضرائب للحكومة الإيرانية .

ويذكر الحاج إسماعيل تفاصيل خط سيرهم أثناء توجههم إلى بعض مناطق الساحل الإيراني لجلب الحبوب ، والمشقة التي كانوا يعانونها ، فيقول إنهم كانوا يتوجهون بالجالبوت إلى ناحية (البزيّه) عن طريق

البحر فيمرون أولاً على منطقة تدعى (المارد) ومن هناك إلى (الفلاحية) ومنها إلى (البزيّه) مشياً على الأقدام ، حيث يستغرق الطريق حوالي ساعة . وكان في طريقهم هناك شط يسمى (الجرّاحي) يتم إغلاقه بالقصب وتوزع منه المياه على المناطق الزراعية عن طريق الجداول بالتناوب . وفي بعض الأحيان كان يستقبلهم وكلاؤهم هناك عند معرفتهم بقدومهم فيركبون معهم الخيل ويتوجهون بهم إلى الفلاحية ثم إلى البزيّة . وكان الحاج إسماعيل يمكث مع والده في تلك المناطق لفترة قد تمتد إلى ثلاثة أشهر ، يقومون أثناءها باستئجار أحد البيوت الصغيرة حيث يقوم بالطبخ لوالده وخدمته ومرافقته في جولاته التجارية هناك . ويقوم وكلاؤهم هناك أيضاً باستضافتهم ومساعدتهم على شراء البضائع ، ويذكر أن أحد وكلاؤهم كان يدعى مناحي وهو من رجال الشيخ خزعل حاكم المحمرة ، كما كان من أصدقاء والده هناك عدد من النواخذة كان أحدهم يدعى النوخذة رجب وآخر يدعى النوخذة رمضان ، وكان والده يتعامل معهم لنقل وتصريف بضائعه حيث يقوم النوخذة رمضان بشراء البضائع والحبوب للحاج علي بن إسماعيل جمال ومنها التمر والقمح والشعير وشحنها له إلى الكويت . ويذكر الحاج إسماعيل أن النوخذة رمضان كان ذا يدٍ واحدة حيث انقطع ذراعه الأيمن بسبب حادث انفجار لبندقيته وهو في طريقه إلى الصيد . وينقل عن النوخذة أن انفجار البندقية أدى إلى احتراق ذلك الذراع مما اضطره إلى قطعه بنفسه . ويصف الحاج إسماعيل النوخذة رمضان فيقول إنه كان قمة في الذكاء والنشاط والحركة ، وكان ينجز كل ما يريد بيده الوحيدة ، فهو يكتب بها ويصوب بها البندقية ويزن بها البضائع ويلف بها السجاير ولا يكاد يصعب عليه شيء بسبب فقدان ذراعه الأخرى . ويذكر الحاج إسماعيل أن النوخذة رمضان اعتاد زيارة الكويت للتجارة وكان يسكن في ديوان والد الحاج إسماعيل أثناء وجوده في الكويت . وقد سافر معه الحاج إسماعيل عدة مرات من الكويت إلى الدورق حيث كان يقود السفينة بمهارة وتستغرق الرحلة معه يوماً ونصف يوم إلى هناك إذا كانت الرياح مواتية . أما إذا خفت حدة الرياح فيستغرق الطريق ما بين أربعة إلى خمسة أيام ، أما إذا توقفت الرياح فقد تستغرق الرحلة أكثر من ذلك بكثير . وكانوا يبحرون من الطريق الذي يمر من خلال خور موسى ثم خور معشور إلى خور الدورق . ويذكر الحاج اسماعيل أن الرحلة في إحدى المرات استغرقت أربعة عشر يوماً لتوقف الرياح بصورة شبه كاملة ، ومما زاد المعاناة أنه كان مريضاً في أثناء تلك الرحلة .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه وبعد أن توقف والده عن السفر أصبح يتوجه إلى الدورق لوحده لاستيراد المواد الغذائية والبضائع الأخرى التي يحتاجها السوق في الكويت سواء منها الألبسة كالبشوت والأقمشة كالجز (الحرير) والأغنام والحبوب وغيرها ، بالإضافة إلى الاتجار بالعملات وما شابه ذلك . وكان يسكن في بيت النوخذه رمضان الذي توقف عن التجارة في السلاح بعد أن كبر في السن ، وتحول إلى العمل بتجارة المواد الغذائية . وكان والد الحاج إسماعيل أثناء عمله بالتجارة يعتمد على ابنه الأكبر حسن في إدارة أعماله وتجارته ، خاصة في أثناء سفره . ويكبر حسن أخوه الحاج إسماعيل بأربع سنوات ، وهو من مواليد عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٧م) ، وقد توفي حسن وعمره سبعة وعشرون عاماً مما أثّر كثيراً في نفسية والده الذي كان يعتمد عليه بصورة كبيرة في العمل والتجارة . وقد أوكل أعماله بعد وفاته لأحد أبناءه الآخرين الذي لم يكن حريصاً ومتمكناً كأخيه حسن ، فبدأت أعماله بالتعثر ثم التقلص بصورة كبيرة .

٢- الأعمال التجارية الحرة (رحلات المتاعب إلى الساحل الشرقي للخليج)

بدأ الحاج إسماعيل بعد اعتزال والده للعمل بممارسة العمل التجاري لحسابه الخاص ، فصار يتوجه إلى الدورق والمحمرة وكذلك البصرة لأخذ البضائع إلى هناك والعودة ببضائع أخرى لبيعها في الكويت . كما توجه عدة مرات إلى منطقة هنديان على الساحل الإيراني مع المرحومين منصور وحسين أبناء عبد الله جمال لشراء الحنطة . فقد اشتهرت هنديان بأفضل أنواع القمح والحبوب الأخرى ، كما اشتهرت معشور والدورق بذلك أيضاً بالإضافة إلى المواد الأخرى كالدهن العداني والتمور وأنواع الطيور . كما كانوا يجلبون من هناك الأغنام والدجاج المشهور بحجمه الكبير حيث يجلب كل واحد منهم حوالي ٦٠ دجاجة بالرحلة إلى الكويت بينما يتناولون وجباتهم هناك يومياً من الدجاج الذي كان من الطيور التي يندر أكلها في الكويت آنذاك وذلك للاحتفاظ بها لإنتاج البيض . كما يحضرون من تلك المناطق البشوت غالية الثمن التي تصل سعر القطعة منها إلى مائة روبية نظراً للنوعية الممتازة من الوبر المصنوعة منه ، إذ توجد هناك أنواع من الجمال ذات الحجم الصغير التي يصنع من شعرها خيوط الوبر عالية الجودة المستخدمة في صناعة البشوت الشتوية . كما تجلب البشوت العادية من الدورق وهنديان ومعشور وتباع القطعة بخمس روبيات فقط .

كما يحضرون في بعض الأحيان الخيوط ليتم حياكتها في الكويت لصناعة البشوت . ويأخذون معهم إلى تلك البلدان الشاي والسكر وفي بعض الأحيان سمك الصبور المجفف الذي يشترونه في الكويت بسعر بيزة واحدة أو بيزتين للسمكة بينما تباع الواحدة في الدورق بقران واحد (أي حوالي عشرة أضعاف سعرها في الكويت)[1]

ويذكر الحاج إسماعيل أنه توجه أثناء الحرب العالمية الأولى إلى الأهواز ثم إلى مدينة ششتر بخوزستان مع أحد التجار الأهوازيين المقيمين في الكويت آنذاك والعاملين في هذا المجال لشراء القمح والشعير والباجلة لجلبه إلى الكويت بالسفينة الشراعية . وقد توجه إلى البصرة أولاً بأحد الأبلام ومنها إلى المحمرة ومن هناك ركب بوماً عشارياً كبيراً كان قد تم تدشينه حديثاً لنقل الركاب من المحمرة إلى الأهواز وبالعكس ، فاستقلوه إلى الأهواز حيث استغرقت الرحلة يومين كاملين ووصلوا إلى هناك في بداية اليوم الثالث . واستقلوا بعد ذلك السيارة الوحيدة الموجودة هناك وتوجهوا بها من الأهواز إلى ششتر ، المشهورة بزراعة الباجلة حيث يوجد هناك إخوة ذلك التاجر الذي يدعى باقر السراج ساعدهم في شراء الباجلة . وقد مكثوا في ششتر ٢٠ يوماً لشراء الباجلة وتحميلها . وقد توجه الحاج إسماعيل بعد ذلك إلى الدورق لشراء القمح والشعير قبل عودته إلى الكويت . وكانت الرحلات التجارية إلى تلك المناطق تتصف بالصعوبة والمشقة في الانتقال من مكان إلى آخر وتستغرق أسابيع طويلة للبحث عن البضائع المناسبة . وكانت الأهواز كما يصفها في ذلك الوقت عبارة عن قرية صغيرة جداً عدد سكانها محدود ، وكانت بها سيارة واحدة ، ويذكر أن الشيخ خزعل عين في فترة لاحقة ابنه مجيد مسؤولاً عن الأهواز فقام بتعميرها وبناء شوارع ودكاكين فيها .

كما يذكر أنه سافر في إحدى الرحلات التجارية إلى عبادان آخذاً معه إلى هناك شحنة كبيرة من الطماطم لبيعها . وكانت تزرع كميات كبيرة من الطماطم في الكويت فتفيض عن الحاجة فيتم تصديرها إلى الساحل الإيراني والبصرة والبحرين . ويبدأ موسم الطماطم في الكويت قبل البلدان المجاورة بحوالي شهرين مما يشجع التجار على شحن كميات منها إلى هذه البلدان ، خاصة وأن أسعارها كانت تنخفض في الكويت أثناء الموسم إلى ٣ بيزات للوقية بينما تباع في تلك المناطق بأسعار مضاعفة . وقد رافقه في تلك الرحلة عدد

---

(١) كانت الروبية آنذاك تساوي ٥ , ٢ قران فضة ، أي أن القران يساوي حوالي ٦ آنات ونصف أي (٢٦ بيزة) . وقد انخفض سعر القران في السنوات اللاحقة ليصل إلى حوالي آنة واحدة .

من أصدقائه منهم فهد المتروك وإسماعيل مقامس وسالم عبد الرزاق وشخص آخر يدعى (حيي) حيث استأجروا تشالة تعود إلى فهد المتروك الذي كان قد اشتراها في نفس السنة بعد أن ربح مبلغ ٣,٠٠٠ روبية من بيع " حصباه" حصل عليها أثناء الغوص ، وكان ذلك في العام الذي استولى فيه رضا شاه على الحكم في إيران (عام ١٩٢٣م) . وكانت السفن الشراعية تتوجه من الكويت إلى الفاو أولاً ثم إلى عبادان ثم إلى القصبة لبيع ما تبقى لديها من مواد . وكانت عبادان في ذلك الوقت في بداية تأسيسها عبارة عن قرية صغيرة محاطة بأرض جرداء وتضم عدداً قليلاً من الدكاكين المشيدة من الچندل والبواري [1] تباع فيها الخضراوات للعمال المتواجدين هناك ، ولم يكن فيها مساكن تذكر ولا زراعة . وقد بنى الشيخ خزعل فيها بعد ذلك عدداً من الدكاكين والشوارع قبل إزاحته عن الحكم . وكان العراقيون في ذلك الوقت يأتون إلى هناك ويفتحون لهم دكاكين وكان الدكان عبارة عن عريش مبني على ٤ چندلات يبيعون فيه بعض السلع البسيطة .

وقد تم بيع الطماطم في عبادان لكن المشترين وعدوهم بدفع المبلغ في اليوم التالي ، فاتفق الحاج إسماعيل مع رفاقه على أن يغادروا عبادان إلى البصرة ويمكث هو في عبادان لاستلام المبلغ في اليوم التالي ثم يلحق بهم . وبعد مغادرة رفاقه توجه إلى محل محمد المتروك في المحمرة الذي أخبره بوجود باخرة تتوجه يومياً من المحمرة إلى البصرة صباحاً لكن المسافرين بواسطتها يحتاجون إلى جواز سفر أو هوية أو ورقة مرور ، ولم تكن توجد جوازات سفر للكويتيين آنذاك . فاقترح عليه محمد المتروك الذهاب إلى عبادان ثم التوجه إلى منطقة الزين التابعة للعراق ومقابلة مختار المنطقة ويدعى الشيخ سعود ليزوده بورقة مرور أو (علم وخبر) تفيد بأنه من أحد رجاله وينوي الذهاب إلى البصرة لإنجاز بعض الأعمال ، كما أوصاه أن يقول أنه ذاهب إلى الفيلية إن سألوه عن هويته . فتوجه إلى الزين بواسطة بلم ووصل بعد المغرب فذهب إلى ديوان الشيخ سعود الذي زوده بورقة مرور يذكر فيها أنه متوجه إلى البصرة . وقد بات تلك الليلة في منطقة الزين ثم عاد في صباح اليوم التالي إلى المحمرة واستلم قيمة الطماطم من المشترين وركب الباخرة المتوجهة إلى البصرة والتي كانت تتوقف في عدة قرى في الطريق . وعند ركوبه الباخرة شاهد الركاب يصطفون تمهيداً لتفتيشهم وبيد كل واحد منهم هوية وتذكرة . وكان ذلك في بداية حكم رضا شاه الذي قاد انقلاباً على الشاه أحمد .

---

(١) الچندل سيقان نوع من الأشجار تنمو في شرق أفريقيا ، والبواري جمع بارية وهي حصير مصنوع من نبات البامبو الذي ينمو في الأهوار .

فدخل عليهم ضابط إيراني يرتدي بدلة عليها عدد كبير من النياشين وبدأ يطلع على التذاكر والهويات فلما وصل الدور إلى الحاج إسماعيل سأله الضابط عن الهوية فارتبك الحاج إسماعيل وأخبره أنه ليس لديه هوية وهو ينوي التوجه إلى الفيلية التابعة لإمارة المحمرة . فغضب الضابط وقال له إنه من المتآمرين على الحكومة ثم توجه لتفتيش بقية الركاب ليعود إليه بعد ذلك . فانتهز الحاج إسماعيل الفرصة واختبأ بين الركاب ثم سارت الباخرة وعند وصولهم إلى أبو الخصيب – التابعة للعراق – نزل منها مع الركاب الذين كانت لديهم تذاكر وهويات والذين كان يجب أن يبرزوها هناك أيضاً . وقد جاء المفتش – وكان ضابطاً هندياً ، إذ كان العراق آنذاك تحت الانتداب البريطاني ، وكان كثير من موظفيه وجنوده وضباطه من الهنود – فأبرز الحاج إسماعيل الورقة التي استلمها من المختار فشاهدها الضابط الهندي فسأل الحاج إسماعيل كم أعطيت رشوة للمختار؟ ثم قام بتمزيقها وتوجه إلى بقية الركاب . فتخوف الحاج إسماعيل من الوضع ولحق بالضابط وسأله ما العمل الآن وأنا أريد الذهاب إلى البصرة فكتب له الضابط الهندي ورقة من الدفتر الذي كان يحمله وأعطاه إياها للسماح له بدخول البصرة . لكن الحاج إسماعيل تردد في الذهاب إلى البصرة عن طريق الباخرة خوفاً من التفتيش ومشاكل الجمرك ، وكان قد سمع أن المسافرين الذين يرغبون في تجنب التفتيش يمكنهم النزول في أبو الخصيب والتوجه مشياً إلى البصرة وبذلك يدخلون البصرة دون مشاكل ، فنزل في أبو الخصيب قبل أن تغادر الباخرة وركب إحدى سيارات الأجرة المتوجهة إلى البصرة واستغرق الطريق ربع ساعة دون مشاكل . وعند وصوله إلى العشار شاهد رفاقه وهم جالسون في أحد المقاهي في انتظاره . فاستقبلوه وقد سيطر عليهم الخوف من عدم استلام قيمة بيع الطماطم فطمأنهم باستلامها . وقد توجهوا بعد ذلك إلى الأسواق واشتروا بالأموال بعض البضائع ثم ركبوا أحد الأبلام المتوجهة إلى الكويت والتي كانت تتهيأ للسفر . ويذكر الحاج إسماعيل أن البصرة كانت مركزاً تجارياً مهماً آنذاك تأتيه مختلف أنواع البضائع من بغداد وأماكن أخرى وكانت الأسعار فيها منخفضة ، وكان في البصرة أعداد كبيرة من التجار اليهود .

ويذكر أن رحلاته إلى عبادان وبلدان الساحل الإيراني استمرت لفترة طويلة . فقد أخذ معه في أحد المرات إلى الدورق شحنة من الحمير لبيعها هناك نظراً لارتفاع أسعارها في الدورق على عكس أسعارها في الكويت . كما جلب معه إلى الكويت أغناماً وبواري بالإضافة إلى كمية من القمح والشعير والتمر . ويذكر أن الطريق إلى الدورق كان يستغرق في بعض الأحيان يوماً واحداً ذهاباً إذا كانت الرياح مناسبة .

كان يتم تنزيل القمح القادم من العراق وإيران في الفرضه ووضعه على شكل أكوام ويتم تعبئته بالخياش عند البيع .

تستقبل الفرضة جميع أنواع المنتجات القادمة عن طريق البحر بالأبلام من إيران والعراق وتشمل جميع البضائع الاستهلاكية تقريباً

ومن الأعمال التجارية التي قام بها أنه شارك في أحد المرات أخاه عبد الرزاق وقاموا بشراء كمية كبيرة من الأرز والسكر والشاي والليمون المجفف ومواد غذائية أخرى واستأجروا (مِحْمَل) أي سفينة شراعية متوسطة الحجم تم ملأها من البضائع وتوجهوا بها إلى الدورق لبيعها ، وكان ذلك أثناء فترة (السرايات) . وفي أثناء الطريق وعند وصول السفينة إلى منطقة تدعى (الحليبي) بين الشط وبهمشير هبت عاصفة رملية شديدة صاحبتها أمطار (السرايات) فاصطدمت السفينة بصخرة كبيرة في البحر فتهشمت وبدأت المياه تتسرب إلى داخلها فتوجه بها عبد الرزاق إلى منطقة القصبة في إيران وتم إنزال المواد منها والتي كان جزء كبيراً منها قد تبلل بالماء . فجاء عدد من (الشريطية) من سكان المنطقة وعرضوا على عبد الرزاق شراء البضائع بالدين واستلم منهم الإيصالات المطلوبة . وقد راجعهم بعد ذلك عدة مرات لاستلام قيمة البضائع لكنهم كانوا يماطلون في كل مرة ولم يدفع أحد منهم شيئاً . وبعد مرور حوالي سنة على الحادث توجه الحاج إسماعيل إلى الشيخ سلمان الحمود الصباح وأخبره بالقصة – وكان الشيخ سلمان الحمود صديقاً قديماً لوالد الحاج إسماعيل ، فكتب الشيخ سلمان كتاباً إلى وكيل الشيخ خزعل بالمنطقة (ويدعى حجي سلطان) يشرح له الموضوع ويطلب إليه مساعدة إسماعيل وأخيه عبد الرزاق للحصول على قيمة البضائع . وقد توجه الحاج إسماعيل بالرسالة إلى حجي سلطان التي كانت منطقة الشط والمحمرة تقع تحت إمرته ، وقابله وسلمه الرسالة ومكث هناك أسبوعاً بانتظار رده دون أن يتصل به حجي سلطان ، فتوجه إلى ديوانه ليسأله عن مصير رسالة الشيخ سلمان الحمود فأخبره حجي سلطان أن جماعته لا يستطيعون السداد وليست لديهم أموال وهم من الفقراء . فعلم الحاج إسماعيل أنه لا رجاء يؤمل من وراء حجي سلطان وجماعته الذي يبدو أنهم تقاسموا البضاعة فيما بينهم ، فقرر العودة إلى الكويت خالي الوفاض . وكان سكان تلك المنطقة يعملون بمزارع النخيل والفواكه صيفاً ويبقون عاطلين عن العمل أثناء الشتاء ، ويذكر الحاج اسماعيل أن حجي سلطان هذا كان صاحب نفوذ في تلك المنطقة وكلمته مسموعة وكان يهابه حتى رؤساء العشائر وكان مدعوماً من قبل الشيخ خزعل ، ولا يتورع عن معاقبة أي كان بجلده أمام الملأ في حالة عدم إطاعته للأوامر .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه في إحدى رحلاته إلى الشاطيء الإيراني لجلب الحبوب والباجلة توجه إلى ميناء ديلم ، وكان يقصد الذهاب أيضاً إلى منطقة "بيبي حكيمه" ، وهي قرية تقع بين الجبال تضم قبر إحدى بنات أئمة أهل البيت . وقد غادروا ميناء ديلم صباحاً على ظهور الحمير إلى المنطقة الجبلية ووصلوا إلى قرية صغيرة هناك وتناولوا فيها وجبة الغداء ، ثم واصلوا سيرهم وباتوا ليلتهم في الطريق في قرية جبلية أخرى ، وفي

صباح اليوم التالي استأنفوا رحلتهم ووصلوا إلى "بيبي حكيمه" ظهراً ، ويتذكر أنه في طريق عودتهم إلى ديلم هجم عليهم مجموعة من قطاع الطرق الذين كانوا يمتطون الخيول حيث قدموا من أعلى الجبال بهدف نهب أموالهم . فقاموا بتفتيش أمتعتهم لكنهم لم يجدوا لديهم شيئاً يذكر فأخذوا بطانياتهم وتركوهم ، ويذكر الحاج إسماعيل أنهم اشتكوا عليهم عند عودتهم إلى ديلم فأعيدت لهم البطانيات . ويصف قرية بيبي حكيمه فيقول إنها كانت خضراء مليئة بالأشجار والنباتات وتضم عدداً كبيراً من الخيول والأغنام وتزرع هناك أنواع كثيرة من الفواكه من أشهرها التين . أما معشور فهو ميناء محاط بمنطقة صحراوية شحيحة المياه ، ويضم الساحل الإيراني أعداداً كبيرة من الموانى الصغيرة والمدن الساحلية التي تمر عليها البواخر في طريقها إلى الهند .

كما يذكر أنه بعد زواجه بعدة أشهر وقبل نشوب حرب الجهرة بفترة ، وبعد انتهائه من المشاركة في بناء السور اتصل المرحومان عبد الكريم أبل وعبد الله أبل بوالده يستفسران إن كان الحاج إسماعيل يستطيع أن يتوجه إلى الدورق لشراء كمية كبيرة من التمور لهم . فأخبره والده بالموضوع فوافق على السفر واستأجر سفينة شراعية واستلم كمية كبيرة من القوارين الفضية من المرحومين عبد الكريم وعبد الله أبل وتوجه إلى الدورق حيث وصل بعد يومين . وقد اشترى له التمر النوخذة رمضان الذي أشرف على كبسه ثم شحنه ، وقد استغرقت رحلته إلى هناك حوالي شهرين نشبت أثناءها حرب الجهرة . ويتذكر أن الأبلام الكويتية كانت تصل إلى هناك أثناء الحرب فكان يتوجه إليها لمقابلة القادمين من الكويت لسماع آخر الأخبار والاستفسار منهم عن أحوال الديرة . وقد توجه إلى الكويت بعد انتهاء مهمته ، ويتذكر أنه عند وصوله إلى الكويت كانت حرب الجهرة قد توقفت قبل ذلك بيوم واحد . كما يتذكر أن الشيخ سالم المبارك أذن في ذلك اليوم " للإخوان" [1] بالدخول إلى مدينة الكويت بعد توقف الحرب لشراء المواد الغذائية كالتمر والأرز والملابس . وكان سعر التمر قد ارتفع في تلك الفترة عدة أضعاف إذ وصل سعر القلة قبل يوم الصلح إلى حوالي ٦ روبيات بينما كانت تباع بعدد قليل من القوارين في الدورق وديلم . وقد ربح من العملية المرحومان عبدالكريم وعبد الله أبل أرباحاً كبيرة من بيع التمور التي جلبها لهم الحاج إسماعيل .

---

(١) " الاخوان" هم من الجماعات الوهابية التي انضمت إلى جيش الملك عبد العزيز آل سعود وحاربت معه ، ثم أصبحت ذات نفوذ كبير بعد أن ازداد نفوذهم وأصبحت تحت أيديهم أموال طائلة وسلاح . وقد قامت هذه الجماعات بكثير من الغزوات والاعتداءات على المناطق في الجزيرة العربية ومن بينها الكويت .

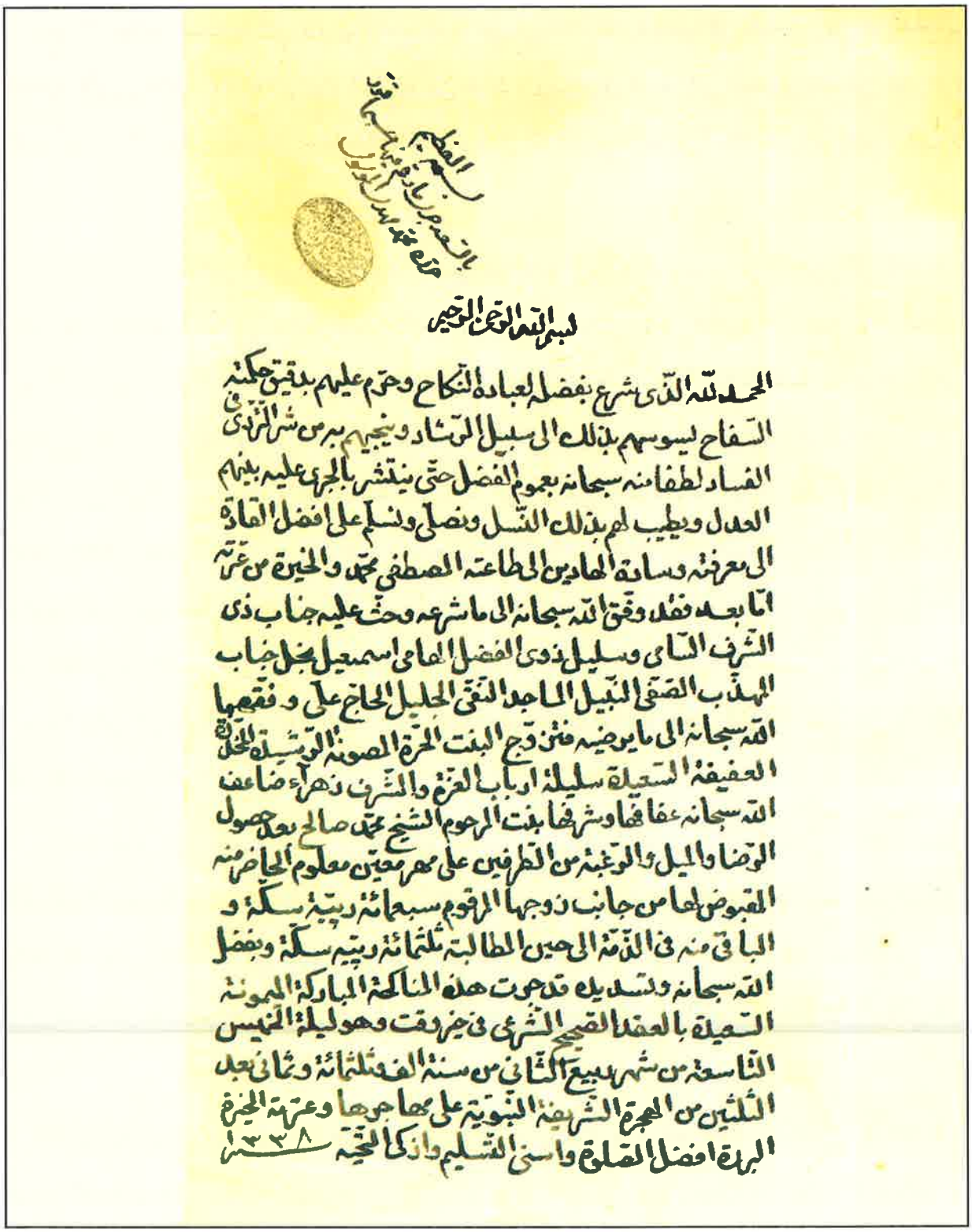

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرع بفضله لعباده النكاح وحتم عليهم بدقيق حكمته
السفاح ليسوسهم بذلك الى سبيل الرشاد وينجيهم به من شر الردى في
الفساد لطفا منه سبحانه بعموم الفضل حتى ينتشر بالجري عليه بينهم
العدل ويطيب لهم بذلك النسل ونصلي ونسلم على افضل القادة
الى معرفته وساقة الهادين الى طاعته المصطفى محمد والخيرة من عترته
اما بعد فقد وفق الله سبحانه الى ما شرعه وحث عليه جناب ذي
الشرف السامي وسليل ذوي الفضل العامي اسمعيل نجل جناب
المهذب الصفي النبيل الماجد النقي الجليل الحاج علي و فقهما
الله سبحانه الى ما يرضيه فتزوج البنت الحرة المصونة الوسيلة المخدرة
العفيفة السعيدة سليلة اولاب العز والشرف زهراء ضاعف
الله سبحانه عفافها وشرفها بنت المرحوم الشيخ محمد صالح بعد حصول
الرضا والميل والرغبة من الطرفين على مهر معين معلوم الحاضر منه
المقبوض لها من جانب زوجها المرقوم سبعمائة وبيتة سكة و
الباقي منه في الذمة الى حين المطالبة ثلثمائة وبيتم سكة وبفضل
الله سبحانه وتسديده قد جرت هذه المناكحة المباركة الميمونة
السعيدة بالعقد الصحيح الشرعي في خرقت وهو ليلة الخميس
التاسعة من شهر ربيع الثاني من سنة الف وثلثمائة وثمان بعد
الثلثين من الهجرة الشريفة النبوية على مهاجرها وعترته الخيرة
البرة افضل الصلوة واسنى التسليم واذكى التحية ١٣٣٨

عقد زواج الحاج إسماعيل بتاريخ الثامن من شهر ربيع الثاني عام ١٣٣٨ هجرية (أي في ٣٠ ديسمبر ١٩١٩م) . وقد عقد قرانه السيد مهدي الموسوي القزويني الذي يشاهد ختمه في العقد .

ومن الرحلات التجارية التي قام بها الحاج إسماعيل في تلك الفترة ذهابه إلى البحرين في أثناء الحرب العالمية الأولى لجلب الأقمشة والمواد الغذائية من هناك . ويستغرق السفر إلى البحرين بالسفن الشراعية ثلاثة أيام . وكان يذهب أيضاً إلى منطقة القطيف ، ويذكر أنه كان في البحرين أعداد كبيرة من التجار الهنود آنذاك .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه في بداية القرن الماضي جاء عدد كبير من المهاجرين من البحرين إلى القصبة ، وكان يطلق عليهم (المعاتيج) واستوطنوا هناك وقاموا بزراعة النخيل وبقية المحاصيل الزراعية . وقد أدخلوا مياه الشط إلى المناطق الداخلية عن طريق جداول صغيرة يطلق عليها "سِيَحْ" لزراعة القمح والبطيخ والرقي والخوخ وبقية المنتجات ، وكانوا يأتون إلى الكويت بالأبلام لتسويق بضائعهم . ويذكر أيضاً أنه عند دخول الإنجليز إلى العراق قاموا بحفر وتعميق شط العرب لدخول السفن الكبيرة ، مما أدى إلى تدفق مياه البحر إلى الشط وإتلاف كميات كبيرة من الزراعة . وعندما بدأت البواخر بالدخول إلى الشط تم تعميقه مرة أخرى ناحية القصبة فازدادت نسبة الملوحة وأثرت كثيراً على الزراعة هناك . كما قاموا بحفر خورين لوصول الماء إلى الداخل ، وعملوا على تعميق خور البصرة . وكانت القصبة قبل ذلك تعتمد على السّيَحْ (ومفردها سَيحة) وهي ممرات مائية صغيرة (أو جداول) يتم فتحها وإغلاقها وتوجيهها إلى الأماكن المطلوب ريها للزراعة بحسب الحاجة .

وكانت تصل إلى الكويت يومياً من القصبة والدورق في ذلك الوقت أعداد كبيرة من الأبلام (السفن الشراعية الصغيرة) يصل عددها ما بين عشرة أبلام إلى خمسة عشر بلماً في اليوم تجلب معها أنواع الخضار والفواكه . ومن المنتجات التي كانت تصل من هناك التين والرمان والخوخ والبرتقال والتفاح والعنب والبامية وغيرها ، كما كان يتم جلب الأرز من الدورق والبصرة ، وأفضل أنواعه العنبر من العراق والرشتي من إيران .

أما بالنسبة للبصرة فقد سافر إلى هناك للتجارة مرات عديدة أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى نظراً لارتفاع أسعار العملات هناك مقارنة بأسعارها في الكويت ، وذلك عندما بدأت بريطانيا باستبدال تلك العملات بالروبية الهندية . فكان يشتري مع عدد من التجار ليرات الذهب العثمانية والريالات النمساوية من الكويت ويأخذونها إلى البصرة لبيعها هناك ليربحوا ٣ روبيات مقابل كل ليرة ذهب يبيعونها في البصرة ، وكانوا

يتوجهون إلى هناك بالأبلام . ويذكر أن هذه العملية ازدهرت بعد دخول الإنجليز إلى البصرة عام ١٣٣٤ هجرية (١٩١٤م) . ويذكر أنهم إذا توجهوا إلى البصرة استقبلهم هناك المرحوم محمد المتروك الذي كان يدير أعماله التجارية من هناك ولديه محلات ودكاكين لبيع مختلف البضائع ، وكذلك خان (فندق) بالقرب من سينما البصرة التي بناها الإنجليز ، حيث يقضون معظم وقتهم عنده وهو أحد أصدقاء والد الحاج إسماعيل . ويتذكر الحاج إسماعيل أنهم كانوا يشاهدون السينما من نافذة غرفتهم بالدور العلوي للخان أو من سطحه . ويمكثون عادة من ثلاثة إلى أربعة أيام في البصرة لشراء البضائع المختلفة ثم يعودون إلى الكويت . وكانت أسعار البضائع والمواد قد انخفضت بعد الحرب في البصرة وأصبحت تباع بأسعار زهيدة تصل إلى أقل من نصف الأسعار في الكويت نظراً لقيام بريطانيا بعرض مخلفات الحرب بالمزادات للتخلص منها . وتشمل تلك المواد خيام التور والخيام العادية والملابس والأحذية وأدوات الطبخ والأواني والدراجات والسياكل . وكان أصحاب المحلات في البصرة يشترونها بالمزادات ويعرضونها في محلاتهم للبيع فيشتريها منهم التجار المحليون والكويتيون لجلبها إلى الكويت .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الإنجليز شيدوا دارين للسينما في البصرة بعد دخولهم إليها ، كما قاموا بمد الشوارع وتبليطها ، وقد انتعشت البصرة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وشهدت بناء مشاريع كثيرة .

طريق البحر من الكويت إلى البصرة والقصبة

يذكر الحاج إسماعيل أن السفر من الكويت إلى البصرة كان في الماضي عن طريق البحر بواسطة الأبلام الصغيرة أو الأبوام التي تتوجه إلى هناك لشحن التمور إلى الهند ، وكانت تلك السفن تنقل معها الركاب إلى البصرة . ويسافر بعضهم إلى البصرة بواسطة الخيول والبغال والحمير أيضاً لكن طريق البر كان وعراً مليئاً بالرمال ونادراً ما يسافر الناس عبر ذلك الطريق ، وخاصة قبل دخول السيارات إلى الكويت وتأسيس شركة السيارات في منتصف العشرينيات من القرن الماضي .

وكانت السفن إذا غادرت الكويت إلى البصرة تمر بمحاذاة جزيرة مسكان ثم تتوجه ناحية جزيرة بوبيان ثم خور عبدالله ، وفي بداية القرن الماضي قبل نشوب الحرب العالمية الأولى كان هناك مركز حدودي تركي في المياه العراقية شرقي جزيرة بوبيان يدعى (قشلة) وهو عبارة عن قلعة صغيرة مبنية من الطابوق

الأصفر ولها عدة أبواب ويسكنها جنود أتراك . ويشاهد المركز (أو القشلة) بعد مغادرة جزيرة مسكان أو من منتصف الطريق عند مغادرة شط البصرة والتوجه إلى خور عبد الله .

أما الطريق إلى الموانى الإيرانية فيتبع في البداية نفس المسار من الكويت إلى جزيرة مسكان ثم بوبيان ثم يتوجه شرقاً إلى خور عبد الله ومن هناك إلى شط البصرة ثم بهمشير ثم بوسيف ومن بعده خور موسى وهو خور واسع عميق يتم قطعه في حوالي ثلاث إلى أربع ساعات ثم يتوجهون إلى خور الدورق الذي يستغرق السير فيه يوم أو يومين بحسب اتجاه الرياح . وبعد ذلك يصل البوم إلى معشور التي تقع شرقي الدورق . وتوجد في الطريق قرى وبلدان وموانى كثيرة .

وعند نشوب الحرب العالمية الأولى ودخول الإنجليز إلى البصرة بنوا مركزاً صغيراً في بوبيان لكنهم لم يمكثوا فيه طويلاً لكثرة الذباب . وكانت تلك المنطقة مليئة بالأسماك حيث يتوجه الصيادون الكويتيون إلى هناك للصيد ، وتوجد بالمنطقة أعداد كبيرة من الحظور تمتد إلى قرب خور عبدالله . كما كان البدو يذهبون إلى هناك لصيد الشياهين (جمع شاهين) أثناء فصل الخريف ، ويسمى ذلك المكان درب الحمّارة أو درب البصرة حيث يتم من هناك دخول خور عبدالله ثم رأس الفاو . وكان العراقيون يجمعون الملح من هناك حيث يقومون بحجز مياه البحر بعمل حواجز طينية بالقرب من الساحل فيبقى الماء لفترة تمتد ما بين ١٥ إلى ٢٠ يوماً يتبخر أثنائها ويبقى بعد ذلك الملح فيقومون بجمعه . وقد اشتهرت تلك المنطقة بجمع الملح في عهد حكم الأتراك للعراق ، أما الكويتيون فلم يكونوا يجمعون الملح من البحر لعدم توافر أرض طينية عند سواحلهم لحجز المياه ، بالعكس من منطقة شط البصرة . ويطلق على مدخل شط البصرة اسم (المَرَقَّة) ويأتي بعده رأس الفاو ثم خور عبدالله فبوبيان ، وقد اعتاد الكويتيون على صيد الأسماك في المنطقة المحيطة بجزيرة بوبيان .

٣- السفر إلى الهند

يذكر الحاج إسماعيل أنه سافر إلى بومبي في الهند للتجارة مرتين ، الأولى في عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠م) مع صديق والده خليل بن إبراهيم النكاس وكان عمره حوالي ١٨ سنة . أما المرة الثانية فكانت مع حسين المرهون وهو أيضاً من أصدقاء والده المقربين ، كما رافقهم في تلك الرحلة محمد بوشهري . وكانت تلك

الرحلة أثناء الحرب العالمية الأولى . وكان السفر في ذلك الوقت لا يتطلب جواز سفر ، بل كان على المسافر التوجه إلى وكيل الباخرة (كرمكنزي) لشراء التذكرة إلى بومبي والتي كانت قيمتها آنذاك ١٤ روبية ، وكان مكتب وكيل الشركة قريب من الكاركة ، ويمكن للراكب شراء التذكرة مع الوجبات الغذائية حيث يتم تقديم ٥ وجبات يومياً للركاب . ويذكر أن والده زوده برأسمال قدره ٦,٠٠٠ روبية ليشتري منها بضاعة له بقيمة ٣,٠٠٠ روبية ويشتري من الباقي أقمشة لوالده . وقد تم تسليم المبلغ للمرحوم عبد الرحمن بن رومي الذي حوله إلى الهند عن طريق وكيله في بومبي . وقد أوصاه والده بعدم شراء دراجة ، إذ كان يعلم أن ابنه اسماعيل يتوق إلى شراء دراجة خاصة به نظراً لأن أخاه الأكبر حسن كان يقتني واحدة وكان على الدوام يتجول بها مع أصدقائه الذين كانت لديهم دراجات أيضاً ، وكانوا يذهبون بها للتنزه في الأماكن البعيدة . فكانت أمنية إسماعيل أن تكون لديه دراجته الخاصة به ، وخاصة أن دراجة أخيه كانت قد جلبت من بومبي وهي (صناعة لندنية) أحضرها إلى الكويت صديق والده حسين المرهون الذي اشتراها بمبلغ ٦٥ روبية بناء على طلب والد الحاج إسماعيل . وكانت مدينة بومبي مركزاً لبيع الدراجات في ذلك الوقت إذ تصل إليها الأنواع المختلفة المصنوعة في بريطانيا وباقي بلدان أوروبا .

ويذكر الحاج إسماعيل أن العادة جرت على أن يتفق عدد من الأصدقاء ليكوّنوا مجموعة من ٧ إلى ١٠ أشخاص للتوجه إلى بومبي بالباخرة حيث يشترون كمية من المواد الغذائية والفحم والدوّة (المنقلة) والأواني بالشراكة ليطبخوا فوق ظهر السفينة . ويتخذ كثير من الركاب سطح الباخرة (الدك) مكاناً لهم وتقوم كل مجموعة بحجز المكان وفرشه للجلوس فيه والنوم وتجهيز الوجبات خلال الرحلة . وكانت الرحلة تستغرق اثني عشر يوماً وتصل الباخرة في اليوم الثالث عشر إلى بومبي . وتقف الباخرة كل يوم في بلد أو أكثر حيث يأتي الباعة من هذه البلدان إلى سطح الباخرة ويشتري الركاب منهم مختلف أنواع المنتجات . ومن البلدان التي تقف عندها البحرين ثم بندر عباس ولنجة ودبي وبوشهر ثم تصل في اليوم العاشر إلى كراتشي قبل توجهها إلى محطتها الأخيرة وهي بومبي . وعند الوصول إلى كراتشي يقوم بعض الركاب بإنزال بضائعهم لبيعها ثم التبضع من هناك حيث يمكثون من الصباح إلى المساء ثم يعودون إلى الباخرة . كما يتم أخذ فرشهم من قبل عمال الباخرة وإنزالها في ميناء كراتشي لتنظيفها بالبخار وتعقيمها بالمكينة قبل إعادتها إليهم ، ثم تغادر الباخرة كراتشي لتصل إلى بومبي بعد يومين . وكان عدد المجموعة التي سافر معها ٨ أشخاص وكانوا يطبخون وجباتهم على سطحة السفينة (الدك) ، كما ينامون ليلاً في نفس المكان ، ويقضون أوقات

الفراغ بتجاذب أطراف الأحاديث ولعب الكوت بوستة . وكانت الرحلة على ظهر السفينة كما يذكر الحاج إسماعيل عبارة عن كشتة قضوا خلالها أياماً جميلة وممتعة . وقد رافقهم في تلك الرحلة مجموعات أخرى من الكويتيين على ظهر السفينة من منطقتي الشرق والقبلة وكانوا يتزاورون ويسهرون مع بعض ، كما كانوا يتعاونون ويساعد بعضهم بعضاً ويتبادلون الأخبار والمعلومات التجارية . وقد وصل عدد الكويتيين في الباخرة إلى حوالي خمسين راكباً بينما بلغ عدد ركابها أكثر من ٣٠٠ راكب . ويذكر الحاج إسماعيل أنه شاهد مذنب هالي (الذي كان يطلق عليه نجم بوسعفة) في تلك الرحلة وهم في طريقهم إلى الهند ، كما شاهده جميع ركاب الباخرة قبل أن يصلوا إلى بومبي . وكان يبدو واضحاً لصفاء الجو وعدم وجود أي ملوثات جوية آنذاك ، وكان ذلك أثناء رحلته الأولى عام ١٩١٠م . وتجدر الإشارة إلى أن مذنب هالي شوهد في عام ١٩٨٦م مرة أخرى بعد ٧٦ عاماً من ذلك التاريخ . ويذكر أن المؤرخ السيد سيف مرزوق الشملان كان قد نوه إلى الحاج إسماعيل جمال بذلك الحدث في إحدى مقابلاته معه التي أجريت في شهر أبريل من عام ١٩٨٦م وبين له أنه عاصر ذلك الحدث مرتين في حياته .

ويقول الحاج إسماعيل أنه وحال وصوله إلى بومبي لم يستطع مقاومة رغبته في شراء الدراجة التي كانت حلم حياته فكان أول ما قام به عند وصوله التوجه إلى مكان بيع الدراجات وشراء أفضل دراجة لديه وكانت قيمتها ٤٥ روبية . ويصف الدراجة فيقول إنها كانت أفضل ما عند صاحب المحل وكانت جميلة جداً ومن النوع المتين الممتاز الذي يتحمل الاستخدام الشديد . وبعد أن اطمأن على تأمين الدراجة بدأ مع مرافقيه بشراء البضائع المطلوبة والتي يطلق عليها (برجوتة) وهي كلمة هندية كانت تستخدم في الكويت وتعني الأشياء الصغيرة التي تباع في المحلات ، ومن بينها الصحون والملاعق والسكاكين والأواني المختلفة ، كما اشترى كميات من الأقمشة المتنوعة والبطانيات وساعتين ، واحدة لوالده ماركتها (وست اند) وأخرى له ماركتها (راسكوب) بسبع روبيات ، وكانت تباع في الكويت بأربعة عشر روبية حسب ما يتذكر . كما قام بشراء كبت (خزانة خشبية للملابس) مصنوع من السيسم[1] مكون من ٣ قطع اشتراه بأربعين روبية وأحضره معه إلى الكويت . وقد أعجب والده بذلك الكبت فأخذه منه ووضع له مرايا وأعطاه كبته القديم بدلاً منه . وكانت الخزائن والأسرة المصنوعة من السيسم والمحفورة بالزخارف الجميلة والصناديق المبيتة تجلب إلى الكويت من

(١) الكَبَت خزان الملابس ، والسيسم نوع ممتاز من الخشب .

بومبي وكراتشي حيث لم يكن يخلو منها بيت في الكويت . وكانت تلك القطع المصنوعة من السيسم غالية الثمن ويصل سعر السرير آنذاك إلى سبعين روبية ، وقد اعتادت كل امرأة أن تحتفظ بصندوق مبيت لحفظ ملابسها بداخله ، ويطلق على ذلك الصندوق أيضا (سورَتي) . وقد استمر استخدام تلك القطع الثمينة لدى العائلة – كما هو الحال بالنسبة لبقية الكويتيين – إلى الستينيات من القرن الماضي ، عندما تم تثمين المنزل القديم فأعطيت تلك القطع للخدم وعمال الكاركة الذين شحنوها إلى بلدانهم .

ويصف الحاج إسماعيل بومبي في ذلك الزمان فيقول إنها كانت المركز التجاري في منطقة الشرق حيث كانت تستقبل آنذاك ٢٤ باخرة يومياً من بريطانيا وأوروبا وباقي البلدان ويعاد توزيع البضائع من هناك إلى الخليج والمناطق الأخرى كالكويت وإيران والعراق وغيرها . وكانت بومبي أكبر مركز لتجارة اللؤلؤ ومن أهم أسواق القماش في الشرق ؛ إذ تصلها كميات كبيرة من القماش من جميع أنحاء أوروبا . ويصف ساحل المحيط الذي تطل عليه بومبي فيقول إنه كان مليئاً بالسفن وكان الميناء ضخماً ويحتوي على عدد كبير من الأرصفة التي ترسو فيها البواخر . كما كانت مدينة بومبي مليئة بالأسواق وذات شوارع فسيحة تجوبها القطارات (الترامات) التي تسير على السكك الحديدية وتعمل بالكهرباء من خلال الأسلاك الكهربائية المعلقة فوق الشوارع . وكانت معظم تلك الترامات ذات طابقين ، ويدفع الراكب ٤ بيزات ، ويستطيع بذلك استخدام التذكرة للذهاب إلى أي مكان يشاء في بومبي أثناء اليوم . وقد تميزت المدينة بتوافر جميع أنواع البضائع ورخص ثمنها كما توجد بها أنواع كثيرة من المطاعم التي تناسب كل ذوق وتقدم الوجبات بأسعار زهيدة ، كما تقدم مع الوجبات كميات كبيرة من المشهيات المجانية التي تسمى (كچمبر) والتي تتكون من المخللات والخضار ويستطيع الزبون تناول الكميات التي يرغب بها . وتبلغ قيمة الوجبة في المطاعم آنتين بينما تبلغ قيمة الرغيف بيزة واحدة ، وتوجد في بومبي جميع أنواع الفواكه التي تباع بأسعار رخيصة جداً حيث تصل إليها يومياً أربع قطارات تحمل أنواع الخضراوات والفواكه التي يتم إنزالها في سوق الخضرة . ويؤم بومبي أعداد كبيرة من التجار العرب وخاصة من بلدان الخليج الذين يتوجهون إلى هناك بعد موسم الغوص ، وكان كثير منهم من تجار اللؤلؤ . ويجتمع هؤلاء في مقاهي خاصة بالعرب بينما هناك مقاهي خاصة بالكويتيين . وكانت شوارعها غير مبلطة لكنها مكسية بالحصى الذي يتم صفه ثم يسير عليه " الكرين" لدكه وتسوية الشارع . وتتميز بومبي منذ ذلك الوقت بتوافر الكهرباء وبوجود شبكة مجاري ممدودة تحت الشوارع تنقل المياه إلى البحر . وتتوسط مدينة بومبي بحيرة كبيرة تكفي مياهها سكان المدينة لعدة سنوات حتى ولو لم تنزل الأمطار . ويشير إلى

جمال مدينة بومبي آنذاك فيقول إن من يذهب إلى هناك لا يود أن يغادر المدينة التي تتوافر فيها جميع سبل الراحة . ويقضي الكويتيون أوقاتهم في الأسواق للشراء حيث لا تكاد تلك المدينة تخلو من أي بضاعة . وقد اعتاد الكويتيون السكن في المناطق القريبة من الأسواق واستئجار الطوابق العليا من البنايات التي يصل ارتفاع بعضها إلى ست طوابق وتضم في طوابقها الأرضية المحلات والدكاكين والمطاعم والمقاهي . ويسكن كل أربع إلى خمس أشخاص في شقة ويبلغ إيجار الغرفة ما بين ٤ إلى ٥ روبيات ، ويتفاهمون مع السكان باللغة الهندية التي كانوا يتعلمون مفرداتها المهمة بسرعة . ويتناولون الغداء عادة في المطاعم ويطبخون وجبة العشاء في السكن . ويمكث التجار الكويتيون عادة ما بين عشرين يوماً إلى شهر في بومبي لشراء حاجياتهم . ويصف سكان مدينة بومبي فيقول إنهم طيبون ويرحبون بالأجانب . ويذكر أن بومبي تميزت بوجود الكثير من الديانات التي تتعايش بعضها مع بعض دون تعرض أحد للآخر . كما يذكر أن تلك المدينة كانت تضم أعداداً كبيرة من الفقراء الذين يتجولون في كل مكان طلباً للمساعدة ، وتكثر أعدادهم بصورة كبيرة يوم الجمعة . وقد اعتاد أصحاب الدكاكين والتجار الاحتفاظ بالمسكوكات الصغيرة من فئة الآردي (ثلث البيزة) في علب معدنية في محلاتهم لإعطائها للفقراء الذين يطوفون على الدكاكين يوم الجمعة وفي يد كل واحد منهم قوطي (علبة معدنية صغيرة) يضع فيها كل صاحب دكان آردي واحد ، وبذلك يجمع الفقير قوت أسبوعه بهذه الطريقة . وكان الهندوس إذا مرت بقرة يتبركون بها ويقدسونها ويقدمون لها الغذاء . ويذكر أنهم مكثوا في بومبي أربعين يوماً غادروا بعدها بالباخرة متوجهين إلى الكويت . وكانت بومبي آنذاك مركزاً للجيش البريطاني وبها أعداد كبيرة من الجنود البريطانيين .

ويذكر الحاج إسماعيل أن أعداداً كبيرة من الغواصين كانوا يتوجهون من بومبي إلى سيلان للغوص هناك ، فيشيدون لهم عشيشاً مؤقتة على الساحل ، ويغوصون في المياه السيلانية لصيد اللؤلؤ ، ويبلغ عدد الغواصين الذين يتوجهون إلى هناك من بومبي ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ شخص . ويبدأ موسم الغوص هناك بعد انتهاء الموسم في الكويت ، وكان كل ثلاث إلى أربع غواصين يسكنون في عشة حيث توجد هناك كمية لا بأس بها من المحار . وكانت الحكومة البريطانية تشجع ذلك وتزود الغواصين بالسفن للقيام بتلك المهمة . وتضم كل سفينة ما بين ١٥ إلى ٢٠ غواصاً يقضون فترة تمتد ما بين ثلاث إلى أربع أشهر هناك . وتفرض الحكومة البريطانية ضريبة على اللؤلؤ الذي يتم الحصول عليه من هناك .

وكان الميناء الآخر الذي ترسو به البواخر البريطانية في ذلك الوقت هو ميناء كراتشي ، لكنها بدأت بعد ذلك بالرسو في بوشهر والبصرة والمحمرة والبحرين ثم الكويت . وقد بدأت البواخر الرسو في الكويت في عهد الشيخ مبارك الصباح مرة كل شهر ، ثم مرة كل أسبوعين بعد توقيع معاهدة الحماية ، ثم بدأت تأتي مرة واحدة في الأسبوع . وتستغرق رحلة البواخر التجارية من بومبي إلى الكويت اثني عشر يوماً لمرورها بعدد من الموانى في الطريق من بومبي إلى الكويت .

كما بدأت تصل إلى الكويت باخرة البريد التي تتوجه من بومبي إلى الكويت وتستغرق رحلتها من هناك ستة أيام . ويذكر الحاج إسماعيل أن البريد الرسمي كان يأتي من الهند والبلدان الأخرى قبل ذلك عن طريق بوشهر ، ولم يكن يأتي عن طريق البصرة أثناء سيطرة العثمانيين على العراق لخلافهم مع الشيخ مبارك الصباح بعد توقيعه على المعاهدة ، والتي أدت أيضاً إلى افتتاح مكتب للبريد في دار الاعتماد البريطانية في بداية القرن العشرين . كما يذكر أن الرسائل المرسلة من بلدان الخليج وإيران كانت تصل إلى الكويت بواسطة الأبلام التي تنقل المواد الغذائية وغيرها . أما البريد من العراق فيأتي عن طريق البر . وتنقل الرسائل القادمة من نجد والحجاز بواسطة الجمال حيث كان الحجاج مثلاً يسلمون الرسائل لأصحاب الجمال والبدو المتوجهين إلى الكويت لإيصال رسائلهم . وعند افتتاح مكتب البريد في دار الاعتماد البريطاني عام ١٩٠٤م أصبح يتم لصق طوابع البريد على المغلف لإرسال الرسائل إلى الخارج بينما يقوم موظفو دار الاعتماد بتسليم الرسائل لأصحابها الذين يتوجهون إلى هناك لاستلامها .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه وبعد إكمال مهمتهم في بومبي عادوا بالباخرة إلى الكويت ومعهم البضائع . وقد توقفت الباخرة في طريق عودتها إلى الكويت في ميناء مسقط التي شاهدها لأول مرة فأعجبته مناطقها الجبلية المطلة على الخور الذي كانت تدخل فيه البواخر لإنزال البضائع . ويشتري الكويتيون عند وصولهم إلى مسقط الحلوى والليمون السحاري والأسماك المجففة ، وكانت العملة المستخدمة هناك الريال النمساوي والروبية الهندية والبيزة البرغشية . ويقول الحاج إسماعيل أنه عند عودته إلى الكويت ونزوله من الباخرة كان يحرص على وصول الدراجة دون أن يصيبها أي ضرر لحرصه الشديد عليها . وكان إحراجه كبيراً عندما شاهدها والده الذي لم يعلّق على الموضوع ، لكنه طلب إلى صديقه حسين المرهون بعد فترة بيعها فاشتراها عبد اللطيف العبد الجليل مدير الجمرك آنذاك .

ويذكر الحاج إسماعيل أن عدد الدراجات كان قليلاً في الكويت آنذاك ولا يتعدى عشر دراجات وكان في فريجهم والأحياء القريبة منهم ست دراجات فقط من بينها دراجة أخوه حسن ودراجات أخرى تعود للمرحومين موسى المزيدي ويوسف المنيس ومحمود بوشهري وحسين المرهون ويوسف الدويري ومحمدالمتروك وعبدالحسين النقي . وكان هؤلاء يتجولون بدراجاتهم في الأحياء القريبة ، وكان مركز تجمعهم قرب ديوان حسين المرهون حيث يتوجهون من هناك إلى سدر الدسمة للسباق ثم الجلوس تحت ظلال السدر لشرب الشاي وتبادل الأحاديث والأخبار ثم العودة للمدينة . كما يذهبون في بعض الأحيان إلى المناطق البعيدة كحولي والبدع بالقرب من الساحل . وقد اعتادوا التجمع بعد المغرب في نفس المكان ليبدأوا جولاتهم الليلية في شوارع المدينة وأزقتها ، بينما يلاحقهم أخوتهم الأصغر سناً وهم يحلمون باقتناء دراجات مثلهم . وكانت الدراجات في تلك الفترة حديث الديرة حيث أغرم الشباب باقتنائها ، وكانت تُعدّ من العجائب في بداية جلبها إلى الكويت وقد أطلق عليها (حصان الشيطان) .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه لم يتحمل البقاء طويلاً دون دراجة بعدما أمر والده ببيع الدراجة التي جلبها من بومبي ، فاشترى بعد عدة أشهر دراجة مستعملة من أحد أبناء آل قاسم بمبلغ ١٥٠ روبية ، وكانت من النوع الممتاز لكن عجلاتها لم تكن بها إطارات . وكان أخوه عبد الرزاق في أثناء تلك الفترة موجوداً في الهند فكتب إليه طالباً أن يجلب له الإطارات وتجهيزات أخرى وأدوات الزينة للدراجة ، فكلفه ذلك ١٠٠ روبية مما رفع تكلفة الدراجة إلى ٢٥٠ روبية . وقد بقيت لديه فترة ثم عرض عليه أحد أصدقائه – وكان ذا عقلية تجارية متقدمة – شراء الدراجة بمبلغ ٧٠ روبية وإعطاءه معها دراجته القديمة فقبل الحاج إسماعيل العرض . فقام صديقه بتنظيف الدراجة وصبغها وتركيب خِرج لها (شنطة من قماش الصوف ذو نقشات جميلة) وكتب عليها بخط جميل (Made in London) . فشاهدها سليمان بن عيسى شقيق الشيخ يوسف القناعي وأعجب بها وطلب إلى أخيه أن يشتريها له فاشتراها الشيخ يوسف بن عيسى بمبلغ ٣٠٠ روبية . وكان الشيخ يوسف شديد التعلق بأخيه سليمان ولا يرد له طلباً . وقد ربح صديق الحاج إسماعيل من العملية حوالي ١٥٠ روبية .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ مبارك الصباح أوصى بعد فترة وكيله في الهند محمد السديراوي بجلب ٦ دراجات لشباب العائلة الحاكمة آنذاك حيث أحضروا له من الهند دراجات من النوع الفاخر أعطاها لكل من الشيخ سلمان الحمود الصباح وسالم الحمود الصباح أبناء أخيه وكذلك للشيخ علي الخليفة الصباح

بالإضافة إلى حفيدي الشيخ مبارك وهما أحمد الجابر الصباح وعبد الله السالم الصباح وولده حمد المبارك الصباح . وكانت دراجة الشيخ حمد المبارك من النوع الصغير ذي الثلاث عجلات لصغر سنه ولتفادي سقوطه من على الدراجة ذات العجلتين . وقد بقيت تلك الدراجات لدى أبناء العائلة الحاكمة فترة طويلة ثم باعوا بعضها ووزعوا بعضها الآخر على أصدقائهم . ويذكر الحاج اسماعيل أن عبدالله بن نصر الله الصراف اشترى دراجة الشيخ حمد المبارك واستخدمها لعدة أشهر ثم باعها على حسين المرهون .

كما اشترى الشيخ مبارك الصباح دراجة لولده ناصر الذي كان يسميه ناصر باشا ، وكان الشيخ ناصر أعمى منذ صغر سنه ، لكنه كان ذكياً حاضر البديهة ، وكان صديقاً للمرحوم سليمان العدساني الذي كان لديه دراجة أيضاً ، وكان ناصر باشا يقود دراجته وخلفه سليمان العدساني الذي كان يقود دراجته أيضاً ويوجه ناصر باشا ليسلك اليمين أو الشمال وهكذا . وكان لدى الشيخ ناصر مزرعة خارج الدروازة واشتهر فيما بعد بحب الأدب والشعر ، وقد توفى بعد والده بفترة وجيزة (عام ١٩١٧م) .

الشيخ ناصر المبارك الصباح (ناصر باشا)

صورة تجمع الشيخ ناصر المبارك الصباح و سليمان العدساني

سباق الدراجات

يذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ مبارك الصباح قرر في إحدى السنوات – وبعد أن كثر عدد الدراجات في الكويت – إجراء سباق للدراجات من الكويت إلى الجهرة . وقد طلب إلى جميع الشباب الذين كانت لديهم دراجات الاستعداد للسباق فقام كل شاب بتجهيز دراجته ولبسوا الملابس الزاهية وارتدى كل منهم غترة وعقال وحمل كل واحد منهم بندقية بحسب طلب الشيخ مبارك وتوجهوا إلى الجهرة ، وكان عددهم حوالي ٢٥ شاباً . وقد غادروا المدينة صباحاً وعادوا في المساء ، وأخذوا معهم عدداً من الخيام والطعام . وكان الشيخ مبارك يرغب في أن يشاهد سكان الجهرة الدراجة التي كان يطلق عليها حصان الشيطان . وقد عاد الشباب في اليوم نفسه منهكين حيث كان الطريق رملياً والمسافة طويلة والمهمة صعبة ومتعبة ، وكان حسن بن علي جمال – الشقيق الأكبر للحاج إسماعيل – مع المتسابقين لحيازته دراجة ، كما كان معه عدد من أبناء الفريج الذين كانت لديهم دراجات وهم المرحومين عبد الحسين النقي ومحمد المتروك وموسى المزيدي . وكان معظم أصحاب الدراجات من منطقة الوسط وأبناء الشيوخ ، أما منطقة الشرق فلم تكن بها دراجات بينما كان عدد قليل من أبناء منطقة القبلة لديهم دراجات . ويذكر الحاج إسماعيل أن أخاه حسن عاد من الجهرة منهك القوى من الجهد الكبير الذي بذله وقد مرض لعدة أيام ثم توفي ، وكان عمره حوالي ٢٧ عاماً ، وهو حديث الزواج ولديه طفلان صغيران .

٤- الذهاب إلى الغوص

من الأعمال التي جرب الحاج إسماعيل فيها حظه الغوص ، فقد توجه إلى الغوص خمس مرات عزّال – أي على حسابه الخاص وليس مع سفن الغوص – لكنه لم يحصل على نتيجة ، وكان في كل مرة يتفق مع عدد من أصدقائه سواء في الديوانية أو الفريج ويستأجرون سفينة ويجهزونها بجميع المستلزمات ويتوجهون بها إلى أماكن الغوص لكنهم كانوا يعودون دون أن يحصلوا على شيء ، وكان شائعاً بين الشباب في ذلك الوقت أن يتشارك عدد منهم فيستأجروا سفينة صغيرة أو متوسطة الحجم يتوجهون بواسطتها إلى المغاصات للبحث عن اللؤلؤ ، فيمكثون هناك حوالي شهر أو أكثر ، وعادة ما يكون عددهم عشرة أفراد أو أكثر . ولا يغوص هؤلاء في الأماكن المعروفة أو العميقة بل يسيرون بالسفينة في المناطق متوسطة العمق وفي كثير من

الأحيان في محاذاة الساحل بمساعدة أحد النواخذة الذين يرافقونهم ، ويجلسون في بعض الأحيان على طرف السفينة لمشاهدة قاع البحر أثناء سيرها بالقرب من الساحل للبحث عن المحار ، فإن شاهدوه نزلوا إلى البحر متوجهين إلى القاع لالتقاطه .

ويتذكر أنه في إحدى المرات كان جالساً في ديوانية والده ودار حديث عن الغوص والمبالغ التي يحصل عليها الغواصون إن حالفهم الحظ وحصلوا على "حصباة" [1] ، وكان جالساً معهم المرحوم محمد المتروك . وفي نهاية الحديث قرروا تجربة حظهم فاستأجروا سفينة وكانوا حوالي عشرة أفراد من بينهم محمد المتروك الذي تزعمهم . ويقول الحاج إسماعيل – الذي كان عمره آنذاك ستة عشر عاماً – إنهم توجهوا إلى عدة أماكن وجمعوا كميات كبيرة من المحار لكنهم لم يحصلوا على شيء من اللؤلؤ عندما كانوا يقومون بفلقه في اليوم التالي . ويتذكر الحاج إسماعيل أن محمد المتروك كان كلما شاهد محارة كبيرة الحجم من بين المحار تناولها وأخذ يقلبها وينظر إليها بأمل ويقول لرفاقه مازحاً سنحصل غداً من هذه المحارة على حصباة ثمينة . وعند فلقها في صباح اليوم التالي لا يجدون فيها شيئاً . وكان الغواصون يقومون بفلق المحار في صباح اليوم التالي قبل بدء عملية الغوص للبحث عن المحار .

كما يذكر الحاج إسماعيل أنه كان لديهم صديق من أهل القطيف يدعى النوخذة أحمد العلي البحراني الذي كان لديه سنبوك فعرض على الحاج إسماعيل مرافقته مع عدد من أصحابه إلى الغوص فذهب معهم وكان عددهم ١٤ شخصاً . وقد ذهبوا إلى عدة مناطق وحصلوا على كميات كبيرة من المحار لكنهم عندما كانوا يفلقونها لا يجدون بداخلها إلا "سحتيت" [2] . وقد مكثوا في البحر شهرين دون نتيجة ثم توجهوا إلى القطيف ومكثوا عدة أيام . وقد قاربت مؤونتهم على الانتهاء فتأثر النوخذة وبدا عليه الضيق ، ويبدو أن ذلك انعكس على تعامله مع المرافقين ، فلم يرتح الحاج إسماعيل لتصرفاته . وفي تلك الأثناء جاءهم شوعي [3] لأبناء المرحوم يوسف النصف به طواويش في مقدمتهم المرحوم أحمد يوسف النصف وأخواه نصف النصف ومحمد النصف وعدد من المرافقين من بينهم علي النقي ونهام يدعى أحمد الحمد والحاج حسين الصايغ

---

(١) الحصباة هي لؤلؤة كبيرة الحجم وسعرها مرتفع جداً .

(٢) السحتيت هو اللؤلؤ صغير الحجم الذي ليس له قيمة تذكر ولا يرغب في شرائه تجار اللؤلؤ .

(٣) شوعي : سفينة خاصة بالغوص .

وأحد أبنائه وعدد آخر من المرافقين ، وكانوا يطوفون على سفن الغوص لشراء اللؤلؤ ، فانتهز الحاج إسماعيل الفرصة وطلب إلى المرحوم أحمد النصف العودة معهم إلى الكويت فرحب به لكنه أخبره أنهم سيتوجهون إلى الكويت بعد شهر فأبدى الحاج إسماعيل عدم ممانعته ، ثم توجه إلى النوخذة أحمد البحراني وأخبره بقراره الذهاب إلى الكويت . وقد غاص البحارة في شوعي أحمد النصف عدة مرات للبحث عن اللؤلؤ وهم في طريقهم إلى الكويت عندما مروا على عدد من المغاصات ، وغاص الحاج إسماعيل معهم في أعماق تصل إلى ٩ أبوع (جمع باع) - حوالي ١٤ متراً عمقاً - ولم يحصلوا على شيء ، فقرروا بعد عشرة أيام العودة إلى الكويت . وكان أحدهم قد حصل من قبل على حصباة عرض عليه أحد التجار شراءها بخمسة آلاف روبية .

وفي المرة الثالثة تكررت نفس الأحاديث عن الغوص في ديوان والده وكان من بين الحضور المرحومين محمد المتروك وموسى المزيدي وخالد فارس الوقيان وعبد المحسن فلاح الخرافي ومحمود بوشهري وجواد ششتري وجاسم الشيرازي . فتحمس المرحوم موسى المزيدي - وكان صديقاً حميماً لوالد الحاج إسماعيل - فعرض على الحاج إسماعيل الذهاب معه إلى الغوص فاتفق معهم حوالي عشرة أشخاص آخرين من بينهم المرحومين خالد الفارس الوقيان ومحمود بوشهري وجواد ششتري وجاسم الشيرازي ، واستأجروا جالبوتاً [1] اتفقوا مع صاحبه على إعطائه ١٠٪ من قيمة بيع اللؤلؤ الذي يحصلون عليه كما كان متبعاً . وقد اتفقوا على أن يغوصوا وأن يطوفوا على سفن الغوص لبيع المواد التموينية التي عادة ما تحتاج إليها تلك السفن ، وكذلك شراء اللؤلؤ منهم ، وهو ما يقوم به الطواويش . وقد وضع كل واحد منهم مبلغاً من المال اشتروا بجزء منه بعض المواد الغذائية والتتن والشاي والسكر والقرم (خشب الوقود) .

وقد توجهوا إلى عدة أماكن فغاصوا وحصلوا على كميات كبيرة من المحار لم يكن بداخلها شيء يذكر من اللؤلؤ . وقد مكثوا في تلك المنطقة عشرة أيام قرروا بعدها المغادرة إلى المنطقة المقابلة للعدان ، فتوجهوا إلى هناك وغاصوا في عدة أماكن في الطريق ، وكانوا كلما فلقوا الكميات التي يلتقطونها من المحار لا يجدون بداخلها لؤلؤاً ، وإن وجدوا يكون صيدهم من السحتيت . وقد استغرقت تلك الرحلة حوالي شهر عادوا بعدها كالعادة دون صيد .

---

(١) جالبوت : نوع من السفن الشراعية التي تستخدم للغوص أو للشحن أو النزهة .

أما في المحاولة الأخيرة لتجربة الحظ في الغوص فيذكر الحاج إسماعيل أنه وعدد من أصدقائه أعادوا الكرة مرة أخرى واستأجروا سفينة وتوجهوا بها إلى المغاصات . وقد قضوا العشرة الأيام الأولى يجولون من مكان إلى آخر دون أن يحصلوا على شيء . وفي أثناء تواجدهم في تلك الرحلة ، وبعد مغادرتهم الكويت بعدة أيام قرر والده ومجموعة من أصدقائه استئجار بوم كبير للتجول في البحر للتنزه والقنص في المناطق المختلفة القريبة من الشاطيء وقضاء عدة أسابيع في كشتة [1] بحرية وبرية في نفس المنطقة التي توجه إليها الشباب لملاقاتهم ومعرفة أحوالهم . وكانت مجموعة والده تضم بالإضافة إلى والده ، كلاً من المرحومين الشيخ سلمان الحمود والشيخ علي الخليفة والشيخ سالم الحمود والشيخ إبراهيم الجابر الفاضل وأبناء الشيخ سلمان الحمود وهم الشيخ حمود والشيخ دعيج ، وجمال عبد الله جمال وعبد الحسين النقي والشيخ علي العذبي والشيخ عذبي ، حيث استأجروا بوم ماء كبيراً تابعاً للملا صالح ، وذهب معهم سيد عبد الوهاب سيد خلف . وقد أخبروا الملا صالح أنهم سيذهبون بالبوم إلى القنص وأخذوا معهم نوخذة وطباخاً وعدداً من المساعدين والعمال وبنادق صيد وكميات كبيرة من المواد الغذائية والمؤن ، وحوالي ١٥ رأساً من الغنم و١٠ رؤوس من الماعز للحليب ، ثم توجهوا إلى منطقة العدان وبدأوا بالبحث عن الشباب . وقد استمروا بالسير والتنزه ثمانية أيام إلى أن شاهدوهم مقابل ساحل الخفجي ، فطلبوا إليهم البقاء معهم لعدة أيام ، وكان أفراد مجموعة الكشاتة ينزلون من سفينتهم إلى الساحل بعد صلاة الفجر ويتوجهون إلى البر لصيد الغزلان ، حيث كانوا يصطادون غزالاً أو اثنين كل يوم ويدعون الشباب لتناول الإفطار والغداء والعشاء معهم ، مما أدى إلى توقف الشباب عن مهمتهم الأساسية وهي الغوص وبيع المواد التي جلبوها معهم على سفن الغوص . وكان الطباخ ومساعدوه في سفينة والده ورفاقه يعدون إفطارين أثناء الصباح ويخبزون خبز الرقاق ويجهزون الحليب ويصنعون أنواع الحلوى ويحضرون الرهش وكل أنواع الطعام ثم يدعونهم لمشاركتهم . كما دأب عدد من أصدقاء والده على التوجه ليلاً إلى سفينة الشباب لقضاء السهرة معهم ولعب الكوت ثم العودة صباحاً للقنص مع مجموعتهم . وقد مكثوا حوالي أسبوع على هذه الحالة في الخفجي عند بوم والده وجماعته دون أي نشاط يمت بصلة إلى الغوص .

---

(١) كشتة تعني نزهة .

ويذكر الحاج إسماعيل أن مجموعة والده أبدوا رغبتهم في أحد الأيام في تناول وجبة سمك مع محمّر[1] ، وكانوا أمام خور الخفجي فتوجه الشباب بشباكهم لكرف السمك والربيان فملأوا جلتين (زنبيلين كبيرين) من الربيان والميد والشعوم وسلموها للطباخ الذي قام بطبخ الغداء . وكانت مجموعة والده يذبحون ذبيحة يومياً ومعها غزال أو اثنان ممّا كانوا يصطادون . وكانوا يتبادلون الزيارات معهم في الليل . ويذكر الحاج إسماعيل أن مجموعة والده كانوا يأخذون الماعز يومياً إلى البر أثناء النهار للرعي . وفي أمسية أحد الأيام وفي أثناء رعي الماعز قرب الساحل جاء قطيع من الغزلان ودخل بينهم ، فأخذ الشيخ سلمان الحمود بندقيته وأصاب أحد الغزلان ففروا جميعاً . وفي اليوم التالي كان الشيخ سلمان ومجموعته يتجولون في نفس المنطقة فشاهدوا الغزال الذي أصابه بالأمس ميتاً . ويذكر الحاج إسماعيل أن مجموعة والده كانوا يوقدون النار ليلاً ونهاراً للطبخ وعمل الشاي . وفي أحد الليالي شاهدوا السفينة وإذا بها تشتعل بالنيران حيث إن القرم[2] المستخدم لإشعال النار مس سطح السفينة مما أدى إلى اشتعال النار ، فهبوا جميعاً لإطفائه وجاءت مجموعة الشباب أيضاً معهم لمساعدتهم فتم إخماد النار . وقد مكثوا مع مجموعة والده حوالي أسبوع وجدوا بعده أن بقاءهم هناك غير ذي جدوى ، حيث إنهم نسوا مهمتهم الأصلية وهي الغوص ، فقرروا ترك عيشة الرخاء والعودة إلى ما جاءوا من أجله وهو الغوص وليس التنزه . فاستأذنوا منهم للتوجه مرة أخرى إلى الغوص حيث إنهم جاءوا للبحر لطلب الرزق وليس للكشتة . لكن الشيخ سلمان الحمود كان متمسكاً بهم وكان يصر على بقائهم ، وكانوا محرجين منه . فطلبوا إلى الشيخ علي الخليفة أن يطلب إلى الشيخ سلمان أن يأذن لهم بالذهاب لإكمال مهمتهم فطلب إليهم البقاء يومين إضافيين ثم استئناف رحلتهم . وقد غادروا بعدها لاستئناف مهمتهم دون أن يحصلوا على شيء يذكر من اللؤلؤ . وكانت تلك الرحلة في عام ١٣٢٦ هجرية (١٩٠٨م) وكان عمر الحاج إسماعيل آنذاك ١٦ عاماً . ويذكر الحاج إسماعيل أنه لم ييأس من الوضع بالرغم من عدم الحصول على شيء ، فحال عودتهم إلى الكويت أعاد الكرة واستأجر جالبوتاً على حسابه وأصبح هو النوخذة وأخذ معه عدداً من أصحابه وذهبوا إلى الغوص مرة أخرى فيما كان يعرف برحلة (الردة) ، لكنهم لم يحصلوا على شيء أيضاً ، ويبدو أن حظه مع الغوص كان سيئاً . ويعتقد الحاج إسماعيل أن الحصول على الدانة أو الحصباة مرتبط بالحظ ، إذ أن كثيراً من البحارة يذهبون كل سنة لكنهم لا يعودون بشيء ذي قيمة بينما تجد

---

(١) المحمّر : أرز يطبخ مع الدبس أو السكر ويؤكل مع السمك وهو من الأكلات الشعبية الكويتية .

(٢) القرم : هو أغصان نوع من الأشجار يجلب من الهند ويستخدم للوقود .

البعض الآخر يذهب لفترة قصيرة فيحصل على حصباة أو أكثر . ويذكر مثالاً على ذلك أن أحد العاملين لدى الشيخ ناصر المبارك اعتاد أن يذهب إلى الغوص كل عام ولمدة ٤ أعوام متتالية ويمكث هناك ما بين ١٠ أيام إلى ١٥ يوماً ويعود في كل مرة ومعه حصباة تصل قيمتها إلى ٥,٠٠٠ روبية بينما معظم البحارة يمكثون هناك لمدة أربعة أشهر دون الحصول على شيء ذي قيمة من اللؤلؤ .

ويذكر الحاج إسماعيل أن البحارة كانوا يقضون أوقاتهم أثناء الليل بالحديث وتبادل الأخبار التي يسمعونها عند نزولهم إلى المناطق الساحلية القريبة لشراء المواد التموينية ، وكانت أكثر أحاديثهم تدور حول حصول أحد البحارة على حصباة وآخر على دانة والمبالغ التي عرضها الطواويش عليهم لشرائها وما إلى ذلك من أحاديث . وكان الغواصون بين فترة وأخرى يذهبون إلى السواحل المقابلة للقطيف والقريبة من البحرين والأحساء للغوص . كما كانت سفن الغوص تتوجه إلى البحرين والقطيف وتاروت لشراء مواد التموين كالتمر والأرز والدهن وكذلك لتنظيف وصيانة سفنهم . ويبلغ عدد سفن الغوص التي تتوجه إلى المغاصات آنذاك المئات .

ويذكر الحاج إسماعيل أنهم كانوا يتوجهون إلى جزيرة فيلكا أثناء رحلة الغوص للتزود بالماء ؛ إذ كانت المناطق القريبة من سواحل الجزيرة مليئة بالماء العذب ، فكانوا (يمزرون) - أي يحفرون - الأرض بالقرب من الساحل فيخرج الماء العذب من الأرض على عمق لا يزيد عن مترين فيملؤون أوانيهم وعلبهم (قواطي التنك) . وتتوجه كثير من السفن إلى هناك للتزود بالماء . كما كانوا يتوجهون إلى منطقة الخضر (وهو أحد عباد الله الصالحين) حيث كان الكثير من الكويتيين - سنة وشيعة - يتوجهون إليها لتقديم النذور وزيارة مقام الخضر . ويذكر الحاج إسماعيل أن المنطقة كان بها (وطية) ، وهي كما كان الاعتقاد سائداً موطئ قدم أحد أولياء الله الصالحين . كما يتوجه الكشّاتة إلى فيلكا لقضاء بعض أوقاتهم ويذهبون إلى منطقة سعد وسعيد في الجهة الأخرى من الجزيرة . كما اعتاد كثير من أبناء العائلة الحاكمة التوجه إلى فيلكا للكشتة في أيام الربيع ، ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ سالم الحمود الصباح ومجموعته عثروا في أحد المرات على صخرة قديمة محفور عليها كتابة غير معروفة فأحضروها معهم إلى الكويت . كما يذكر أن الشيخ مبارك الصباح كان يرسل إلى فيلكا الغزلان التي كان يتم صيدها وهي غير مصابة ، ويذكر أيضاً أن جزيرة فيلكا كان بها غزلان برية .

مقام الخضر في فيلكا قبل هدمه .

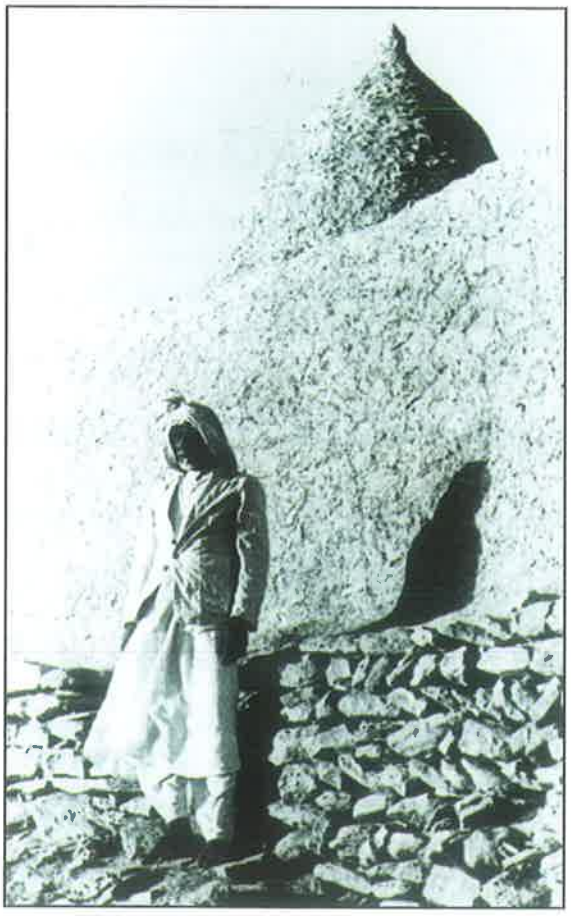

جانب آخر من مقام الخضر في فيلكا وأمامه أحد المواطنين .

ويتوجه بعض الغواصين إلى الساحل مقابل منطقة جبيل بالسعودية حيث كانت توجد عين ماء هناك في وسط البحر يخرج منها الماء العذب ، وتسمى (غْمسة) وعمقها حوالي باعين ونصف (أي حوالي ثلاثة أمتار ونصف) . ويذكر الحاج إسماعيل أنه غاص هناك وشاهد العين وكانت عبارة عن صخرة كبيرة مربعة الشكل في وسطها فتحتان كبيرتان يتدفق منهما الماء العذب بقوة . ويغوص البحار وبيده القربه وقد ربطت بحبل لتعليقها في رقبته ، فيضع فوهتها مقابل الفتحة التي يندفع منها الماء إلى أن تمتلئ القربة بالماء العذب فيقوم بإغلاقها ويعود بعد ذلك إلى القارب أو الجالبوت ، وتسمى تلك العين أيضاً (عين بوعلي) .

ويشير الحاج إسماعيل أيضاً إلى أنه كان يتوجه مع مرافقيه إلى المدن الساحلية أثناء فترة الغوص في منطقة الأحساء وكذلك القطيف وتاروت حيث توجد هناك أنواع عديدة من التمور منها الخنيزي والمجيري وهي أنواع جيدة . كما يذهبون إلى الجبيل لوجود عدد من معارفهم ، لكنهم لا يمكثون مدة طويلة هناك لوجود أعداد كبيرة من "الإخوان" الذين كانوا يضايقون الناس ، مما يجعلهم يعودون إلى السفينة بعد تناول العشاء عند أحد أصدقائهم من النواخذة هناك يدعى إبراهيم بن أحمد . ويتذكر الأحساء والقطيف التي كانت مليئة بالنخيل والتي يشتري الغواصون منها كميات كبيرة من التمور ، بينما توجد فواكه كثيرة في منطقة الجبيل . ويذكر أن (تاروت) كانت تضم عين ماء كان يسبح فيها الغواصون وبها نوع من السمك صغير الحجم لا يزيد عن حجم الإصبع يتغذى على الأوساخ ، وماؤها ساخن ، وهي مقسمة إلى قسمين أحدها مخصص للرجال والآخر للنساء . كما يذكر وجود جبل مرتفع خارج مدينة الجبيل توجد به صخرة كبيرة مربعة الشكل مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله . أمانة الله ومحمد وعلي) ، وقد تم مسح تلك العبارات فيما بعد وكتب بدلها (اغلبني تغتني) . كما يذكر وجود غار في ذلك الجبل أشيع أنه إذا تم إدخال رمح بداخله ملفوف طرفه بالقطن وتدويره داخل الغار يخرج منه تراب ناعم مخلوط بمسحوق بلون الذهب .

أما الأحساء ففيها عيون ماء كثيرة يسمى إحداها (الخرج) ، وهي عبارة عن حوض كبير وعميق ، وتوجد حول عيون الماء تماثيل قديمة على شكل أصنام ، وتزرع هناك أنواع كثيرة من المنتجات الزراعية ، ويقال إنهم كانوا يزرعون الأرز في الماضي . وكانت الأحساء آنذاك تحت حكم الأتراك .

الفصل الثالث

لمحات من النشاط الاجتماعي في الماضي

الحاج علي بن إسماعيل جمال (والد الحاج إسماعيل): نموذج من رجال الكويت الأوائل

رحلة الحاج علي بن إسماعيل جمال إلى الحج

طلعات البر

مزرعة حولي

وفاة الحاج علي بن إسماعيل جمال

الفصل الثالث

لمحات من النشاط الاجتماعي في الماضي

الحاج علي بن إسماعيل جمال (والد الحاج إسماعيل) نموذج من رجال الكويت الأوائل

يذكر الحاج إسماعيل أن والده كان يعمل بتجارة الحبوب والمواد الغذائية وكان يتوجه إلى الشواطئ الإيرانية بالسفن الشراعية لجلب الحبوب والمواد الأخرى لبيعها في محله الذي يقع في سوق المناخ القديم الواقع غرب سوق التجار بالقرب من بهيتة [1] . وكانوا يستأجرون ثلاث دكاكين هناك ، أحدهما لوالده ، والثاني لأخيه الأكبر حسن ، والثالث للحاج إسماعيل نفسه ، وذلك في العقد الأول من القرن العشرين ، وتعود تلك الدكاكين للشيخة موضي بنت الشيخ دعيج الصباح (عم الشيخ مبارك الصباح) ، وكانوا يبيعون فيها القمح والشعير . وقد انتقل الحاج إسماعيل بعد ذلك إلى دكان صغير في السوق الداخلي مقابل مسجد السوق الكبير بالقرب من محل عبدالكريم أبل ، ثم انتقل فيما بعد إلى محل آخر في الصفاة . وكان "المناخ" عبارة عن ساحة كبيرة يحيط بها عدد من الدكاكين تباع فيها الحبوب والأرز والمواد الأخرى . ويذكر الحاج إسماعيل أن موقع دكاكينهم أصبح فيما بعد مقراً لأول بنك أنشئ في الكويت عام ١٩٤٢م وهو البنك الإمبراطوري الإيراني الذي أصبح فيما بعد البنك البريطاني للشرق الأوسط .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه كان لوالده أصدقاء كثيرون من بينهم المرحومين الشيخ حمود الصباح شقيق الشيخ مبارك والشيخ جابر الفاضل والحاج عبد اللطيف العثمان والد عبد الله العثمان و عبد الحسين النقي و حسين المرهون و موسى المزيدي وعدد كبير من آل معرفي وآل غالب وآل قاسم ، وكان عدد منهم يلتقون صباح كل يوم في دكان أحد أبناء المسلم الذي كان يبيع الدهن لتبادل الأحاديث والأخبار ، وكانوا يتبادلون الزيارات في الدواوين ويدعو كل منهم الآخر لتناول الغداء في بيوتهم ، ويذهبون إلى البر سوياً أثناء الربيع . ويذكر الحاج إسماعيل أن والده كان يحب تناول لحم الجمال فكان إذا رغب في ذلك يوصي المرحوم عبداللطيف

---

(١) بهيته : مرتفع يقع أمام بوابة قصر السيف من ناحية الجنوب في بداية مدخل سوق التجار .

العثمان ليشتري له أفضل الأنواع ، وكان الشيخ جابر الفاضل من أقرب أصدقاء والده ، وكان يأتي معه في كثير من الأحيان إلى المنزل لتناول الغداء معاً ، كما أن الشيخ حمود الصباح والحاج علي اسماعيل جمال وعائلتيهما أديا فريضة الحج معاً في نفس الحملة عام ١٣١٣ هجرية (١٨٩٦م) .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الوضع المالي لوالده كان جيداً ، وكان يهوى الزراعة مما جعله يشتري مزرعتين إحداهما في منطقة دسمان والأخرى في منطقة الصوابر ، كما شارك عدداً من أصدقائه في شراء مزرعة خارج المدينة في منطقة حولي ، وقد زرع بإحدى مزارعه داخل المدينة كمية من النخيل والسدر ، لكنه باع تلك المزرعة في حوالي عام ١٩١٠م على إبراهيم العبد الله (والد عبد الرزاق البصير) ، وكانت تلك المزرعة تقع بالقرب من دسمان ، وتجاورها من ناحية الغرب مزرعة حيي الشمالي ، وقد اشترى والده تلك المزرعة من شخص من العوازم وكانت مساحتها ١٠٠٠ متر مربع ، وقد اقترح عليه شراءها الشيخ صباح مبارك الصباح الذي أهداه أرضاً مجاورة لها تبلغ مساحتها ٤,٠٠٠ متر مربع ، فأصبحت مساحة مزرعته ٥,٠٠٠ متر مربع ، وكانت مزروعة بالأثل . وقد بنى الحاج علي إسماعيل جمال حائطاً للمزرعة وزرع بها ٤ سدرات ووضع بها أعداداً كبيرة من الأغنام وكذلك الحمير . وكانت المزرعة مليئة بالطيور وكان الشيخ صباح مبارك الصباح يرافق الحاج علي إسماعيل جمال صباح كل يوم إلى المزرعة التي كانت تقع على حدود الديرة ، لصيد الطيور بالساليه التي توضع فوق السدر ، ويتم صيد المئات من الطيور . وكانت الطيور تحط على الأثل فيقومون بهزه فتتوجه الطيور إلى السدر التي تغطيه الساليه فيتم صيده . وكانوا يصطادون ما بين ٥٠-١٠٠ طائر في كل (كشّة) . وقد حفر المرحوم الحاج علي إسماعيل جمال حفرة كبيرة في المزرعة حيث كان (يُجفّت) [1] الطيور ويضعها بالحفرة ليتم إرسالها إلى السوق فتباع بسعر ٤ آنات للوقية . كما كان لديه عدد من الصبيان (العمال) الذين كانوا يصطادون الحمام البري بالبندقية في المزرعة ويصل صيدهم إلى حوالي ٢٠ حمامة في اليوم أثناء الربيع ، وكانت تجاور مزرعة الحاج علي بن إسماعيل جمال مزرعة المرحومين حيي الشمالي وعلي الوزان ، وكانت تلك المزرعة مليئة بالطيور ويصطادون كميات كبيرة جداً منها يومياً تصل أعدادها المئات ويأخذونها إلى السوق للبيع .

---

(١) يُجفت الطير : يشبك جناحي الطير معاً بطريقة يصعب على الطير فكها مما يمنعه من الطيران .

ديوان آل جمال

كان هناك ديوانان لآل جمال لا يقل عمر كل منهما عن مائة وستون عاما . ويقع الأول في منزل المرحوم عبد الله بن جمال والآخر في منزل المرحومان إسماعيل وإبراهيم أبني مرواح ، زوجي ابنتي جمال . وكان لكل ديوان روداه من أصدقاء وأنسباء وأقارب لأصحاب الديوانيتين . وكان الديوانان عبارة عن حوشين – أو بيتين– منفصلين عن البيت الرئيسي الذي تسكنه كل عائلة ، ولهما باباهما الخاصان بهما والمستلزمات الخاصة الأخرى . وكان ديوان المرحومين إسماعيل وإبراهيم (جدي الحاج إسماعيل من الأب والأم) قبل شرائه عبارة عن منزل مجاور لمنزلهما يعود للمرحوم رجب السماك . وقد تم شراؤه في حوالي عام ١٨٥٠م لاستخدامه ديواناً ، وكان يحتوي عل حجرتين صغيرتين . وفي عام ١٨٨٠م تم هدم الديوان من أساسه من قبل المرحومين علي بن إسماعيل ومحمد بن إبراهيم بعد وفاة أبويهما وتوسعته بشراء قطعة أرض من الحكومة تم استدخالها من الحفرة المجاورة للبيت من ناحية القبلة . وقام بالبناء أحد الأستادية المشهورين آنذاك وهو الأستاد سيد حيدر الشيرازي . وكان الديوان يفتح كل ليلة لاستقبال الأصدقاء والأقارب ومن رواده عدد من آل معرفي وآل قاسم وآل بهبهاني والمرهون والمزيدي وغيرهم من سكان الفريج والأحياء القريبة . كما كان من زوار الديوانية الشيخ محمد بن موسى المزيدي ومن بعده السيد مهدي القزويني وهما العالمان الدينيان للشيعة على عهد المرحومين الحاج علي بن إسماعيل ومحمد بن إبراهيم وذلك في بداية القرن الماضي .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الديوان أصبح مركزاً مهماً للفريج أثناء حياة والده ، حيث كانت تقام فيه الأعراس للعائلة والأقارب والأصدقاء ، كما كان يؤمه الضيوف الزائرون من الخارج للسكن فيه أثناء مكوثهم في الكويت ، كما كانت تقدم فيه الولائم في الأعياد لرواد الديوانية والأقارب والأصدقاء في عيد الفطر وعيد الأضحى لتناول الغداء .

ويذكر الحاج إسماعيل أن والده ورواد ديوانه كانوا من المهتمين بالآراء والأفكار الفقهية المختلفة للمذاهب الإسلامية ، فكان والده وخاله محمد إبراهيم جمال يشتريان الكتب الفقهية من مختلف المذاهب لقراءتها في الديوانية ومعرفة الآراء والفتاوى الدينية لكثير من المسائل الشرعية . ويذكر الحاج إسماعيل أن والده كان يطلب إليه أثناء شبابه قراءة صفحات من تلك الكتب أمام الحضور في الديوانية ليستمعوا ويناقشوا الآراء المختلفة ، وكان يقوم بقراءة تلك الكتب أمام زوار الديوانية وعمره اثنتا عشرة سنة . وكان من بين الكتب الموجودة في الديوانية صحيح البخاري وعدد من الكتب الفقهية الأخرى التي جلبت من مصر وكان أحدها يتكون من ١٣ جزءًا .

كما يذكر الحاج إسماعيل أن ديوانية والده شهدت عدة لقاءات وحوارات فقهية بين عدد من علماء وفقهاء أهل السنة والشيعة للمساهمة في فهم كل منهم لفقه ومعتقدات الآخر . فقد عقدت العديد من الجلسات حضرها المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي كان يصطحب معه المرحوم الشيخ محمد الشنقيطي - وهو أحد الفقهاء المعروفين الذين جاءوا إلى الكويت في عهد المرحوم الشيخ مبارك الصباح - ودارت مناقشات فقهية مستفيضة بينهما وبين المرجع الشيعي في الكويت آنذاك المرحوم السيد مهدي القزويني ، حيث تم تبادل الآراء وشرح المعتقدات في سبيل تقارب المذاهب الإسلامية وفهم بعضها للآخر .

المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

المرحوم الشيخ محمد أمين الشنقيطي

ويذكر الحاج إسماعيل أن والده اشترى في حوالي عام ١٩١٨م أثناء الحرب العالمية الأولى مروحة للديوانية تعمل بالكيروسين ملحق بها مصباح ، وتبدأ المروحة بالعمل بعد أن تسخن عند إشعال الكيروسين ، وكانت تضيء الديوانية أثناء الليل وتلطف الجو بتحريك الهواء . وقد اشتراها الحاج علي بن إسماعيل جمال من حسين المرهون الذي جلبها من الهند في إحدى رحلاته إلى بومبي ، وكانت قيمتها ١٠ روبيات . وقد ظلت المروحة في إحدى زوايا الديوانية إلى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي حيث تم التخلص منها مع بقية الأثاث القديم وتم رميها في (الصبخة) الواقعة خلف البيت القديم عند مغادرة العائلة ذلك المنزل قبل هدمه من قبل دائرة أملاك الدولة بعد تثمينه .

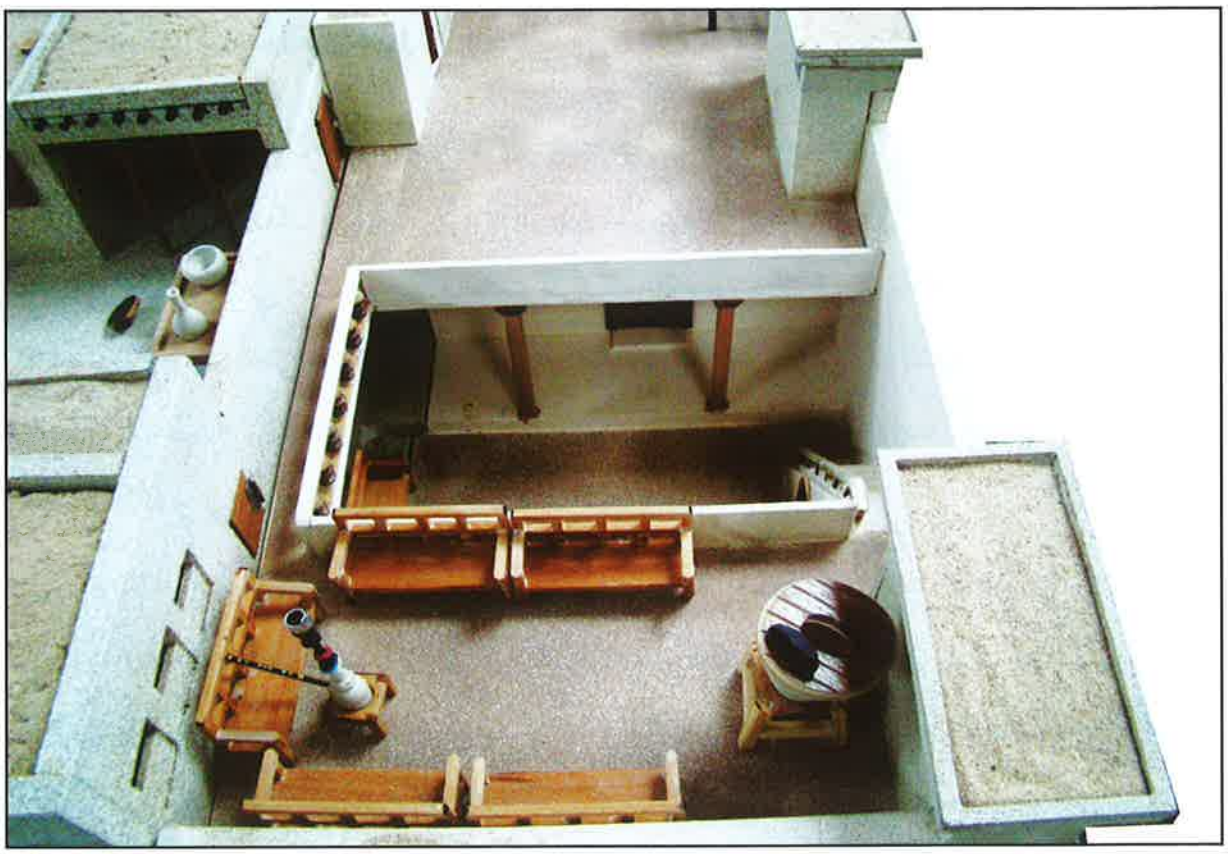

مجسم ديوان الحاج إسماعيل جمال في الديرة ويشاهد
سطح الديوانية الذي استخدم للجلوس أثناء الصيف .

وقد أدخلت عدة تصليحات على الديوان على مر السنين خاصة عندما أصبحت الأمور بيد المرحوم الحاج إسماعيل جمال بعد وفاة والده ، حيث أعاد ترميم الغرفة الرئيسية بالديوان وتم مسح وزخرفة الحيطان بالجبس وجهز سطح الديوانية للجلوس هناك في ليالي الصيف بدلاً من الجلوس بالحوش ، وبنى حديقة صغيرة في وسط حوش الديوانية زرع فيها دالية عنب وزهوراً وما شابه ذلك . كما جهز حجرة كانت في مدخل حوش الديوان لسكن عمال الكاركة .

رحلة الحاج علي بن إسماعيل جمال إلى الحج

يذكر الحاج إسماعيل أن والده الحاج علي بن إسماعيل جمال توجه لأداء فريضة الحج عام ١٣١٣ هجرية (١٨٩٦م) بواسطة الجمال حيث استغرقت الرحلة مائة يوم . وكان ذلك في عهد حكم الشريف حسين للحجاز . وقد رافقه في تلك الرحلة عدد من أفراد العائلة ومن بينهم ابن عمه محمد بن إبراهيم جمال والحاج محمد رجب علي (زوج شقيقته) ، وعدد من أصدقائه وفي مقدمتهم الشيخ حمود الصباح شقيق الشيخ مبارك الصباح . كما كان معه عدد من نساء العائلة من بينهم أخواته وزوجته . ويذكر الحاج إسماعيل أن حملات الحج في الماضي كانت مختلطة وتضم السنة والشيعة .

ويذكر الحاج إسماعيل أن والده لم يكن يرغب في البداية في اصطحاب زوجته (والدة الحاج اسماعيل) لكونها قد وضعت حديثاً أحد أبنائها هو عبد الرزاق الذي كان عمره ثلاثة أشهر ، فلم يرغب في ترك ابنه الصغير بعيداً عن والدته التي ستضطر إلى تركه لفترة تزيد عن ثلاثة أشهر . كما كان عمر الحاج إسماعيل آنذاك ثلاث سنوات . وقد تأثرت والدته كثيراً عند سماعها بأنها لن تتوجه إلى الحج مع زوجها ، وأصابها نوع من الإحباط ، وكان الحجاج يستعدون للسفر إلى الحج ابتداء من شهر رمضان حيث يقومون بشراء حاجاتهم من ملابس وإحرامات ومحمل (أو كواجة كما تسمى محلياً) - وهي عبارة عن قفص خاص مصنوع من الخيزران أو أغصان الأثل يوضع اثنان منه على ظهر البعير ، واحد في كل جانب ، ويفرش داخله فرش خاص ليجلس عليه الحاج ، ويركب كل اثنين من الحجاج على ظهر الجمل ، كل منهما في محمل خاص به . وقد حاولت والدة الحاج إسماعيل بكل وسيلة إقناع زوجها باصطحابها إلى الحج دون نتيجة ؛ لذلك قضت شهر رمضان في ذلك العام وهي تعاني من الكآبة والحزن لا تدري ما تصنع ، وكانت صديقاتها يأتين إليها لتسليتها لكنها لم تكن تعير لذلك بالاً ، بل كان جل همها أنها إذا لم تؤّد فريضة الحج مع زوجها فمن يأخذها إلى هناك فيما بعد .

وينقل الحاج إسماعيل عن والدته أن إحدى صديقاتها - وهي زوجة الشيخ محمد موسى المزيدي العالم الديني للشيعة آنذاك - زارتها في أحد الأيام فعرفت القصة منها فنقلتها إلى زوجها . وكان الشيخ محمد المزيدي يزور ديوان آل جمال مرة في الأسبوع ، وعند قدومه إلى الديوانية ألح على الحاج علي جمال بضرورة اصطحاب زوجته معه للحج نظراً لصعوبة مجيء فرصة أخرى لها لتأدية هذه الفريضة ، وأكد له

إمكانية البحث عن مرضعة لولده عبد الرزاق ، وبعد الضغط على الحاج علي جمال وافق على ذلك . وتذكر المرحومة الحاجة شيخة – والدة الحاج إسماعيل – أنها كانت في تلك الليلة مستلقية على السرير تحيط بها الكآبة ، فجاءت إليها إحدى عبدات العائلة – وتدعى حليمة – لتزف إليها الخبر ، فظنت الحاجة شيخة بأنها تدعوها إلى تناول السحور فقالت لها أنها لاتريد أن تتسحر ، فصاحت حليمة وقد غمرتها الفرحة ياعمتي إنني لا أدعوك إلى السحور بل إن الحاج علي يرغب في إبلاغك بأنه وافق على أن تتوجهي معه إلى الحج . وتذكر المرحومة الحاجة شيخة أنها ما كادت تسمع بالخبر حتى نهضت من فراشها وقد غمرتها الفرحة وزالت عنها جميع الهموم وتوجهت إلى زوجها وكان أخوها محمد جالساً بجانبه فأخبراها بالقرار وطلبا إليها الاستعداد للسفر وتجهيز الحاجات الضرورية لذلك من مثل لوازم الاحرام وما شابه . وقد بدأت المرحومة الحجية شيخة بشراء الحاجات الخاصة للسفر ابتداء من صباح اليوم التالي . كما تذكر أنها حصلت على مرضعة كانت قد جاءت لتوها من البصرة ، وتكفلت برضاعة ابنها عبد الرزاق أثناء غيابها . أما الحاج إسماعيل فكان عمره آنذاك ثلاث سنوات ، وقد ترك لدى جدته التي اعتنت به أثناء سفر والدته . وكان في بيتهم في ذلك الوقت – كما يذكر الحاج إسماعيل – سبع من العبدات واثنان من العبيد الذكور ، كان ثلاث منهن تابعين لوالده وأربع تابعين لخاله محمد إبراهيم جمال . وكان المنزل آنذاك يضم ما يقارب الثلاثين شخصاً من العائلة .

وقد غادرت الحملة الكويت في شهر ذي القعدة عام ١٣١٣ هجرية (١٨٩٦م) ، وتوجهت أولاً إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة ، وعادوا إلى الكويت في أواخر شهر محرم من عام ١٣١٤ هجرية . ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ مبارك الصباح استولى على الحكم في تلك الفترة من عام ١٣١٣هجرية . ويضيف نقلاً عن والده أن الشيخ حمود الصباح – شقيق الشيخ مبارك الذي رافقهم في الرحلة – توجه رأساً إلى القصر حال وصولهم إلى الكويت عائدين من الحج وقابل الشيخ مبارك لمعرفة القصة .

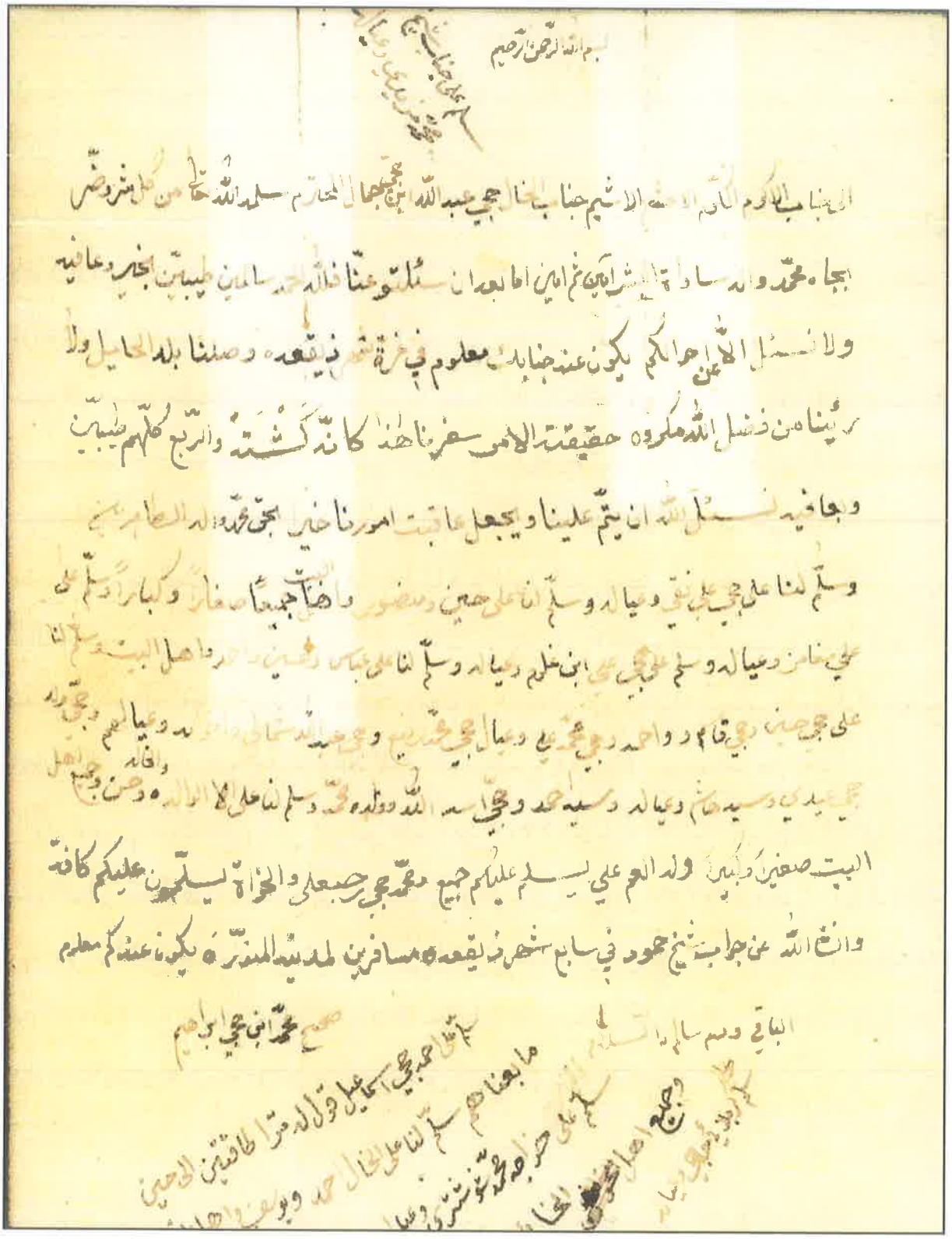

رسالة من المرحوم الحاج محمد بن إبراهيم جمال (خال الحاج إسماعيل) أرسلها من المدينة المنورة أثناء ادائه فريضة الحج عام ١٣١٣هـ (١٨٩٦م) إلى خاله المرحوم عبد الله بن جمال يشرح له فيها رحلة الحج .

مضمون الرسالة التي أرسلها المرحوم محمد إبراهيم جمال إلى خاله المرحوم عبد الله جمال من المدينة المنورة في شهر ذي القعدة ١٣١٣ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب الأكرم المكرم الأحشم الأشيم جناب الخال حجي عبد الله بن حجي جمال المحترم سلمه الله تعالى من كل شر وضر بجاه محمد وآله سادات البشر آمين ثم آمين . أما بعد إن سألتوا عنا فلله الحمد سالمين طيبين بخير وعافية ولا نسأل إلا عن أحوالكم يكون عند جنابك معلوم في غرة شهر ذي القعدة وصلنا بلد الحايل ولا رأينا من فضل الله مكروه حقيقة الأمر سفرنا هذا كأنه كشته والربع كلهم طيبين وبعافية نسأل الله أن يتم علينا ويجعل عاقبة أمورنا خيراً بحق محمد وآله الطاهرين . وسلم لنا على حجي علي نقي وعياله وسلم لنا على حسين ومنصور وأهل البيت جميعاً صغاراً وكباراً وسلم على مغامس وعياله وسلم على حجي علي ابن غلوم وعياله وسلم لنا على عباس وحسين وأحمد وأهل البيت وسلم لنا على حجي حسين وحجي قاسم وأحمد وحجي محمد علي وعيال حجي محمد رفيع وحجي عبد الله الشمالي واخوانه وعيالهم وحجي ولد حجي عيدي وسيد هاشم وعياله وسيد أحمد وحجي أسد الله وولده محمد وسلم لنا على الوالدة والخاله وحسن وجميع أهل البيت صغيراً وكبيراً . ولد العم علي يسلم عليكم جميع ومحمد حجي رجب علي والخوات يسلمون عليكم كافة وانشاء الله عن جواب شيخ حمود في سابع شهر ذي القعدة مسافرين للمدينة المنورة يكون عندكم معلوم الباقي ودُم سالم والسلام .

سلم لنا على الخال أحمد ويوسف وأهل بيتكم سلم على خواجه محمد ششتري وعياله وجميع أهل الخان وسلم على كربلائي حجي وعياله . سلم لنا على جناب الشيخ محمد المزيدي وعياله .

صحح محمد بن حجي ابراهيم

زواج حسن (الأخ الأكبر للحاج إسماعيل)

كان الحاج على بن إسماعيل جمال يكن لابنه الأكبر حسن الكثير من الود والمحبة والاحترام ، وكان حسن يساعد والده في إدارة أعماله الذي يعتمد عليه في معظم الأمور . وقد تزوج حسن وعمره حوالي ٢١ عاماً حيث أقام له والده الحاج علي حفلاً كبيراً في ديوانه والعديد من الولائم . وكان كثير من أصدقاء الحاج علي إسماعيل جمال ومن بعده أصدقاء الحاج إسماعيل يقيمون حفلات زواج أبنائهم في ذلك الديوان . ويذكر الحاج إسماعيل أن حفل زواج أخيه حسن كان يختلف عن حفلات الزواج الأخرى لأفراد العائلة الآخرين ، نظراً لمنزلة حسن لدى والده وحبه المفرط له . وقد أقيم حفل الزواج أثناء فصل الربيع وكانت الذبائح تصل إلى البيت من كل مكان لكثرة أصدقاء والده وتقديرهم له لكرمه وحسن تعامله مع الناس ، وكان كل واحد منهم يحضر ما بين ثلاث إلى خمس ذبائح . وقد تم إحضار فرق الطقاقات[1] لعدة ليال لإحياء حفل الزواج ، وأقاموا عدة ولائم للأقارب والأصدقاء ، وكانوا يذبحون الذبائح يوميا ولعدة أيام لدعوة الأصدقاء والأقارب .

كانت فرق الطقاقات النسائية تحيي حفلات الزفاف بالغناء والرقص حيث تستمر بعض الاحتفالات لعدة أيام .

(١) فرق شعبية نسائية تحيي حفلات الزواج .

وكان الزواج في الماضي مناسبة يحتفل بها أهل الزوج وأقاربه وبخاصة المقتدرون منهم الذين يقومون بدعوة الأصدقاء إلى الولائم وإحضار فرق الغناء لإقامة الحفلات في بيت المعرس والعروس وتوزيع الملبّس[1] وزفاف المعرس إلى منزل العروس يصحبه أقاربه وأصدقائه ، وما إلى ذلك من عادات .

حفلات الزواج في الماضي

يذكر المرحوم الحاج إسماعيل أن من العادات التي درج عليها ذوو المعرس في الماضي استعداداً لزواج ابنهم أن يحضروا الحلاق لحلاقة شعر المعرس في إحدى الأمسيات فيتجمع أصدقاؤه وأقاربه من الشباب ويصفقون ويغنون ثم يتم توزيع الملبّس على الحضور ، فيقوم أحد البارزين من الحضور بحمل زبيل[2] مملوء بالملبّس ممسكاً بيده صحن صغير ليغرف من الزبيل ويوزع على كل فرد من الحضور حصته . وكان المرحوم محمد المتروك في مقدمة القائمين على ذلك في الفريج وعدد من الفرجان المحيطة ، عندما كان الحاج إسماعيل شاباً ، حيث كان يتزعم الشيلات وحفلات الزواج ، ويشجع الحضور على الغناء والتصفيق وترديد الشيلات ، ويتفاعل معه الحضور ويستمرون في ذلك إلى منتصف الليل . كما تقام حفلات «المالد»[3] لثلاث ليالي متتالية يقرأون فيها قصة ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويصطف الحضور صفين حول الملا الذي يقرأ (المالد) وأناشيد المديح النبوي فيصفق الحضور ويتمايلون ، كما تأتي بعض الفرق المتخصصة لذلك ، وعادة ما تتكون من عدد من العميان (فاقدي البصر) ويصطفون صفين وهم جلوس ويتمايلون مرددين (حي الله ، حي) ويتجاوب معهم الحضور في ترديد كلمة (حي . . .حي . . .حي . . .) ، وكان بعضهم يحفظ مدائح نبوية فيلقيها في الحفل بألحان جميلة ، وكذلك كانوا يرددون أشعار شعبية منها مثلا بعض الأبيات التي تقول :

أيا أحمد الهادي هنيئاً لك البُشرى

نُهنيك بالحورا خديجةً الكبرى[4]

---

(١) الملبّس : حلويات – «سكاكر» – تصنع محلياً وهي محشوة بالجوز

(٢) زبيل : زنبيل ، وهوسلّة مصنوعة من سعف النخيل .

(٣) «المالد» هو احتفال تذكر فيه قصة ولا دة النبي محمد (ص) وتنشد فيه الاناشيد الدينية .

(٤) السيدة خديجة زوجة الرسول الأولى .

وتقام حفلات الرجال عادة في الدواوين الكبيرة التي تسع أكبر عدد ممكن من المدعوين ، ومن ليس له ديوان يقيم الحفل في ديوان أحد أصدقائه أو جيرانه . ويقوم الحضور بترديد ما يقوله الملا ويصفقون ، وهكذا إلى أن يحين موعد العشاء . وكان من أهم المنشدين لتلك الأشعار في تلك الفترة في منطقة الوسط ملا جمعه حسين باقر و عبد الله العبد الله وهو من الحساوية الحافظين لقصة المولد النبوي ، والذي كان يقوم بإحياء حفلات المالد التي تستمر ثلاث ليالي . كما يقوم الحضور ، وبخاصة الشباب من أصدقاء المعرس ، بزفافه ويطوفون به بالسكيك [1] وهم يرددون الأغاني الخاصة بالمناسبة ومعهم مصباح ويتوجهون بالمعرس إلى منزل العروس وهم ينشدون الأغاني التي يحفظونها . ومن الأناشيد التي كانت شائعة في تلك المناسبة :

يامعيريس عين الله تراك　　القمر والنجوم تمشي وراك

إلى آخر الأنشودة .

وعند وصولهم إلى منزل العروس يستقبلهم الحاضرون هناك ، ويدخلون المنزل ، ويحضر لهم أهل البيت ماء الورد والبخور والشربت ، ويزفون المعرس إلى حجرة العروس ، ويمكثون حوالي ١٠ دقائق ثم يقولون لهم (حيّا الله من زار وخف) أي حان موعد المغادرة فيغادر الرجال المكان ، وتزدان حجرة المعرس عادة بالمرايا واللمّاعيات ووسائل الزينة التقليدية والمساند والمطارح والفَرش الجديد ، وبعد مغادرة الرجال تأتي النساء لتصفق وتغني والمعرس جالس إلى ما بعد منتصف الليل وتتجمع النساء حول العروس ويصفقن ويرششن المدعوات بماء الورد .

ويجلس المعرس والعروس متجاورين ، كما يقوم بعضهم بوضع أصبع المعرس بجانب أصبع العروس ويغسلانهما بماء الورد ، ويقدمون عدد من الريالات - وفيما بعد الروبيات - إلى المرأة التي تكون مهمتها الاهتمام بالعروس . كما تحضر حفل النساء فرقة الطقاقات التي تردد الشيلات الخاصة بها لتطرب الحضور من النساء ، ويستمر الحفل إلى الصباح .

---

(١) السكيك : جمع سكة وهي اسم يطلق على الطرقات في الأحياء الكويتية القديمة .

فرقة الطقاقات

طلعات البر

يتذكر الحاج إسماعيل أن والده الحاج علي بن إسماعيل جمال كان مغرماً بطلعات البر ، وكان يمكث مع أصدقائه هناك ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر أو أكثر أثناء فصل الشتاء والربيع ، وكانوا يذهبون إلى هناك في بداية الشتاء ، ويمكثون إلى نهاية موسم البارح . وكانوا مجموعة من حوالي اثني عشر شخصاً من بينهم المرحومين عبدالحسين النقي وموسى المزيدي وحسين المرهون وجمال عبدالله جمال ويوسف النقي وعددا من أبناء عبدال ، وكان المرحومان جمال ويوسف النقي أصغر المجموعة سناً وهم الذين يقومون بأعمال الطبخ وعمل اللبن . وكانوا يتوجهون إلى منطقة البدع على ساحل البحر بالقرب من رأس البر ، وينصبون خيامهم هناك ، ويمكثون إلى موسم البارح ، ويأخذون معهم جميع التجهيزات المطلوبة كالأواني والتنور لعمل الخبز وكل ما يلزم من استعدادات .

كما كانوا يأخذون معهم حوالي ٤٠ رأساً من الغنم منها للذبح والآخر للحليب (مناح وذباح كما يقال) ويُحضر كل واحد منهم عدداً من هذه الأغنام ، وكانت قيمة رأس الغنم آنذاك روبيتين . ويقومون بحفر بئر بجانبهم ويبنون مواقد للطبخ ويستأجرون أحد البدو (شاوي) لرعي الغنم والاعتناء بها حيث كان يسرح بها طوال النهار ويعود للمخيم ليلاً . ويخصصون خيمة للبن والمواد الغذائية . وكان رئيسهم المسؤول عن الترتيبات الخاصة بالبر المرحوم حسين المرهون ، الذي كان يحفظ الخيام وعدة البر بعد انتهاء الموسم في ديوانيته الواقعة في فريج جمال ، بالقرب من منزل علي النقي مقابل منزل الحاج علي بن إسماعيل جمال . وكان بعضهم يغلق دكانه أثناء وجوده بالبر بينما يذهب بعضهم على ظهر حماره إلى المدينة صباحاً لفتح دكانه ويعود مساءً للمخيم لقضاء باقي النهار هناك والمبيت ليلاً ثم يتوجه صباحاً إلى العمل . ويستغرق الطريق من البدع إلى الديرة حوالي ساعة واحدة سيراً على ظهر الحمار .

المرحوم عبد الحسين علي النقي

المرحوم موسى محمد المزيدي

المرحوم جمال عبد الله جمال

المرحوم يوسف علي النقي

وكانوا يتناولون فطورين الأول بعد صلاة الفجر وهو عبارة عن تمر وقهوة ، أما الفطور الثاني فيتناولونه بعد طلوع الشمس حيث يتناول كل منهم كوباً من الحليب الطازج وقرص من الخبز الذي يقومون بخبزه بأنفسهم . وكان المرحومان موسى المزيدي وعبدالحسين النقي يقومان بعمل الخبز ، أما المرحومان جمال عبدالله جمال ويوسف النقي فيقومان بصنع اللبن من حليب الأغنام الموجودة معهم . كما يقوم بعضهم الآخر بطبخ الغداء ، وكان كل منهم يقوم بالعمل الموكل إليه وخدمة المجموعة .

وكانوا يقومون في بعض الأحيان بدعوة أصدقائهم الذين يأتون من الديرة إلى المخيم للتنزه وتناول وجبة الغداء ثم وجبة العشاء وكان عدد الحضور في بعض الأحيان يصل إلى أربعين شخصاً ، ويذكر الحاج إسماعيل أنه كان شاباً في ذلك الوقت لا يتجاوز عمره ١٥ سنة (حوالي عام ١٩٠٦م) وكان يتوجه مشياً مع أصدقائه إلى مخيم والده فيخرجون من الديرة صباحاً ويصلون إلى البدع قبل الظهر . كما كانوا يذهبون في بعض الأحيان على ظهور الحمير أو بواسطة الدراجات ، ويقضي الشباب وقتهم في البر في المشي ولعب المقصي وكرة القدم من الصباح حتى غروب الشمس . أما الكبار فيتجولون في البر بين الأعشاب وزهور الربيع ويلعبون الكوت بوستة وينشغلون بالطبخ وتجهيز الخيام والاعتناء بها .

ويذكر الحاج إسماعيل أن والده وعدداً من مجموعته كانوا في أثناء وجودهم في البر يقومون بغف الأعشاب[1] وقص أشجار العرفج وأخذها لبيوتهم كعلف لحيواناتهم . وكان يعمل لدى والده اثنان من العمال كانا يقومان بجمع الأعشاب والعرفج ويضعانها على ظهور الحمير ويأخذانها إلى البيت . وكانت توجد في منزل الحاج علي بن إسماعيل غرفتان في حوش الغنم لخزن العرفج والثمام والربلة[2] والعشب لإطعام الغنم والبقر والحمير وكذلك البغال التي كانت تدير رحى الكاركة . وكانوا يملؤون الغرفتين بكميات تكفي لأشهر طويلة ، ويقوم أحد العمال بغف العرفج والآخر بقطع بقية الأعشاب .

وقد كبرت مجموعة البر فيما بعد ، وانضم إليهم عدد من أبناء الشيوخ هم المرحومين سلمان وسالم وعلي أبناء الشيخ حمود الصباح ، وبلغ عددهم حوالي ٢٥ شخصاً . وبعد سنوات توقفوا عن الذهاب إلى البدع واشتروا مزرعة في منطقة حولي مقابل صيهد بيان القريب الآن من موقع مستشفى مبارك الكبير لقربه من الديرة ، وصاروا

---

(١) غف الأعشاب أي قطع الجزء العلوي منها فقط .

(٢) أنواع من النباتات الصحراوية .

ينصبون خيامهم هناك ويخيمون صيفاً وشتاءً في تلك المنطقة . وكان يوجد بالقرب منهم فوق الصيهد بيت للشيخ خزعل حاكم المحمرة آنذاك ، والذي اعتاد أن يخيم فيه أثناء الشتاء والربيع مع مرافقيه وأصدقائه وخدمه عند قدومه إلى الكويت .

الشيخ سالم الحمود الصباح

الشيخ سلمان الحمود الصباح

مزرعة حولي

تشارك الحاج علي بن إسماعيل جمال (والد الحاج إسماعيل) مع ثلاثة من أصدقائه هم المرحومين حسين المرهون وعبد الحسين النقي وموسى المزيدي في شراء مزرعة في منطقة حولي في بداية القرن الماضي (حوالي عام ١٩٠٧م) بمبلغ ٧٠٠ روبية من شخص من عائلة بويابس ، وكانت كبيرة الحجم وتحتوي على عدة آبار وعين ماء كبيرة وتقع أسفل صيهد بيان . ثم اشتروا فيما بعد عدداً من المزارع المجاورة لها بأسعار مختلفة وأدخلوها فيها . وتوجد بالقرب منها مزرعة أخرى للمرحوم أحمد مدوه بنى فيها منزلاً ومسجداً ، وكانوا يتبادلون معه الزيارات .

وقد قام الحاج علي بن اسماعيل وشركاءه ببناء حائط للمزرعة وحجرتين للجلوس ومطبخ . كما بنوا

حجرتين للغنم وزرعوا كمية من النخيل والسدر وحفروا بها ٣ آبار كبيرة كانت الحمير تسحب المياه منها لسقي المزروعات التي من أهمها الطماطم والخضراوات . وقد تصدر المرحومين عبد الحسين النقي وموسى المزيدي عملية العناية بالمزرعة ومتابعة شؤونها والترتيب لاستقبال أصدقائهم فيها والقيام بما تحتاجه من أعمال .

النشاط في مزرعة حولي

بدأ والد الحاج إسماعيل ومجموعته بعد شراء المزرعة بقضاء فصل الربيع فيها حيث ينصبون الخيام ويمكثون هناك أشهر الربيع ويأتيهم أصدقاؤهم ليلياً لتناول العشاء ولعب الكوت بوستة وقضاء النهار بالتجول والبحث عن الفقع والسير بين الأعشاب في الهواء الطلق . وكان بين زوارهم عدد من أصدقاء الحاج علي بن اسماعيل جمال في مقدمتهم الشيخ سالم الحمود والشيخ سلمان الحمود والشيخ علي الخليفة ، كما كان يزورهم الشيخ أحمد الجابر الذي كان قد بنى عدة بيوت في منطقة بيان المقابلة لهم والتي كانت تعود سابقاً للشيخ خزعل قبل اعتقاله . ويبدأ مجلسهم في بداية الليل بمزرعة الحاج علي إسماعيل جمال ومجموعته ثم يتوجهون قبل منتصف الليل إلى مزرعة الشيخ أحمد الجابر للعشاء ولعب الكوت ، ويمكثون إلى الساعة السادسة ليلاً بالتوقيت العربي (أي منتصف الليل) ويسهرون في بعض الليالي إلى الصباح . وكان عدد منهم يتجمعون أثناء النهار لجمع الفقع الذي كان متوفراً بكثرة هناك في الأرض القريبة منهم والتي كانت محمية للشيخ مبارك الصباح وتقع أسفل صيهد بيان وتمتد شرقاً إلى البحر حيث ترعى فيها أغنامه وجماله . وتشتهر تلك المنطقة بنمو الفقع من نوع الزبيدي وهو ذو لون أبيض طري بطبيعته ، كما أن هناك أنواعاً أخرى من الفقع من بينها الكما ولونه رمادي والخلاص ويميل لونه إلى الإحمرار وهو أفضل الأنواع طعماً . وكانت وقية الفقع تباع آنذاك بآنتين بالصفاة ويعرضه الباعة في العمّاريات[1] التي يباع فيها أيضاً الإقط والدهن واللبن . وكانت كميات الفقع التي تنمو في المدينة والصحراء كبيرة جداً وتنمو في كل مكان تقريباً ، وتشاهد في بعض الأحيان فوق سطوح المنازل . كما كان ينمو نوع من النبات المماثل يسمى "فطر" ، وكانت تقع جنوب مزرعتهم فوق الصيهد[2] مزرعة للشيخ خزعل حاكم المحمرة أهداه إياها الشيخ مبارك الصباح ، وقد بنى فيها قصراً واعتاد أن يقضي فيها جانباً من فصل الربيع . ويمكن تحديد موقعها الآن بالقرب من مستشفى مبارك الكبير .

وكان يطلق على تلك المنطقة سابقاً بيان ، وقد تم تغيير اسمها إلى الجابرية في الستينيات من القرن الماضي .

---

(١) العمّارية هي عريش صغير كان يستخدمه الباعة في الصفاة لعرض بضائعهم للبيع ، وهو يحميهم من الشمس والمطر .
(٢) الصيهد هو مرتفع رملي بالصحراء .

قصة طريفة:

يذكر الحاج إسماعيل قصة طريفة وقعت في إحدى الليالي في مزرعة والده في حولي ، فيقول كان فريق الكوت مندمجاً في اللعب وكان من بين اللاعبين المرحومين الشيخ علي الخليفة [1] والشيخ سالم الحمود والشيخ سلمان الحمود ومحمد المتروك وعلي إسماعيل جمال . وكان محمد المتروك إذا لعب الكوت «يغيّب» كما يصفه الحاج اسماعيل ، أي يندمج بصورة كاملة باللعب بحيث لا يشعر بمن حوله . وكانت معه في تلك الليلة خيرزانه طويلة وضعها بجانبه في أثناء اللعب ، وكان يجلس بجانبه الشيخ علي الخليفة وهو من الفريق المضاد ، وكان علي الخليفة ضخم الجسم كبير الأفخاذ كما يصفه الحاج إسماعيل . وفي أثناء اللعب انفعل محمد المتروك من شدة الحماس فأمسك بالخيزرانة وبدون شعور ضرب الشيخ علي الخليفة ضربة قوية على فخذه دون أن يحس أو يشعر من كان بجانبه ، وبعد ذلك بلحظة أحس بما صنع فاعتذر من الشيخ علي الخليفة وقبّله فقبل الشيخ علي الخليفة الاعتذار . وقد عرف عن محمد المتروك حبه للمرح والمزاح وكان عندما يمارس لعبة الكوت لا يشعر بمن حوله ، كما اشتهر بتواجده النشط في حفلات الزواج حيث يحرص على أن يكون في مقدمة الذين يزفون المعاريس والمشاركة الفعالة في حفلات الزواج لأبناء أصدقائه المقربين . وكان من كبار تجار منطقة الوسط وشريكاً للمرحوم عبدالمحسن الخرافي وله مكاتب تجارية في البصرة والمحمرة ، وكان يقضي كثيراً من وقته لمتابعة تجارته عن طريق مكتبه في البصرة . كما كان صاحب أول بناية أسمنتية بنيت في الكويت على ساحل البحر مقابل الفرضة مشاركة مع المرحوم عبدالمحسن الخرافي .

محمد المتروك

ويذكر الحاج إسماعيل أن مزرعة حولي أهملت في أيامها الأخيرة بعد أن توفي ثلاثة من الشركاء في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي ، ولم يبق منهم إلا موسى المزيدي الذي رمى عدة البر والزراعة في آبار المزرعة بعد وفاة أصدقائه وتركها على حالها تندثر يوماً بعد يوم ، فتهدمت الحيطان ودفنت الآبار ولم يبق من معالمها إلا القليل . ويذكر الحاج إسماعيل أنه زار المرحوم موسى المزيدي في الأربعينيات واقترح عليه إعادة بناء

(١) كان الشيخ علي الخليفة رئيساً للأمن العام في الكويت في تلك الفترة . وقد توفي عام١٩٤٢م .

حيطان المزرعة لحفظها من التلف ومن العابثين وتفادي إمكانية الاستيلاء عليها من قبل المتصيدين لهذه الفرص ، لكنه لم يبد أي تجاوب أو اهتمام فزاد وضعها سوءاً إلى أن بدأت إدارة أملاك الدولة بتثمين أجزاء بسيطة منها قطعة قطعة . ويبدو أن الجزء الباقي منها لم يتم تثمينه وراح أدراج الرياح بسبب عدم متابعة الورثة للموضوع .

ويذكر الحاج إسماعيل أن المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح أعجب بالمزرعة التي كانت تعتبر من أفضل المزارع في حولي آنذاك لاهتمامهم بها وجمال ترتيبها ، وطلب إلى موسى المزيدي شراءها وذلك بعد وفاة شركائه حسين المرهون وعبد الحسين النقي وعلي إسماعيل جمال فأخبره موسى المزيدي أنه يملك ربع المزرعة فقط والباقي يعود لورثة شركائه وهو مستعد لإعطائه حصته من المزرعة لكنه لا يستطيع إجبار الورثة على البيع . وبعد فترة طلب الشيخ أحمد الجابر إلى موسى المزيدي ردم الآبار لأنه يرغب في بناء شارع يمر داخل المزرعة ، وتم فتح شارع يمر في وسطها بعد ردم الآبار ، وبدأت المزرعة بالاندثار منذ ذلك التاريخ ، وهجرت لفترة طويلة امتدت من منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي تقريباً إلى أن تم البدء بتثمينها بصورة مجتزأة ابتداء من ستينيات القرن الماضي . ويقع مكان المزرعة الآن على الطريق الدائري الرابع في منطقة حولي ويبدأ طرفها الشرقي عند بداية جسر الدائري الرابع الذي يتقاطع مع طريق الفحيحيل مقابل المسجد المطل على الدائري الرابع من ناحية الجابرية . وكانت بالقرب منها أرض أهداها الشيخ مبارك الصباح للشيخ خزعل حاكم المحمرة الذي كان يتوجه إليها أثناء فترة الربيع ، حيث استمر في ذلك إلى أواخر أيام حكمه في منتصف العشرينيات من القرن الماضي ، وقبل إلقاء القبض عليه عام ١٩٢٥م من قبل رضا شاه بهلوي الذي استولى على الحكم في إيران . وقد أهملت الأرض بعد غياب الشيخ خزعل لفترة ثم بنى فيها الشيخ أحمد الجابر الصباح ثلاثة بيوت ومسجداً ، وكان ينصب خيامه هناك أثناء فترة الربيع لجمال منظر المنطقة وتوفر الفقع فيها .

قصة طريفة من البر

كان عدد من الشيوخ يتوجهون أثناء فترة الشتاء والربيع بعيداً إلى منطقة الفنيطيس . وكان في مقدمتهم الشيخ جابر الفاضل الدعيج الصباح وابنه إبراهيم الجابر وكذلك سالم وسلمان الحمود الصباح وعلي الخليفة وعائلاتهم . وكان في المنطقة آبار مياه عذبة وكثير من الأعشاب والنباتات البرية كالعرفج الذي تتغذى عليه الأغنام والجمال . وكانوا يأخذون معهم أغنامهم وأبقارهم وجمالهم لرعيها هناك ، ويصل عدد أغنامهم إلى ٣٠٠ رأس .

ويذكر الحاج إسماعيل عن والده ، الذي كان يرافقهم في تلك الرحلات ، أن الشيخ جابر الفاضل كان حاد البصر ، وكان في أحد الأيام ، وفي أثناء جلوسه فوق أحد التلال قبل الغروب ينتظر قدوم راعي الأغنام (الشاوي)

الذي يأخذ الأغنام من الصباح للرعي ، وكان في تلك الأثناء ينظر في الأفق فرأى ذئباً يعرج من بعيد وهو يسير نحو الأغنام فأمر خدمه أن يتعقبوه حيث كان الذئب يتحين الفرصة للهجوم على الأغنام . فتوجه خدمه ورجاله ناحية الذئب وأطلقوا عليه النار فسقط فاصطادوه واحضروه إلى المخيم ثم ذبحوه وأشعلوا النار لعمل الوليمة ثم قاموا بشويه وأكله .

كما يذكر الحاج إسماعيل ولع والده بجمع وتربية الأغنام من نوع (العِرْبْ) وهي من أطيب وأغلى السلالات . فقد كان يذهب مساء كل يوم أثناء الربيع إلى السوق للبحث عن الأنواع الطيبة من الأغنام ، ويشتري ما يعجبه منها . وكلما جمع ما بين خمس إلى ست أغنام أرسلها إلى البر لتسرح مع أغنام المرحومين الشيخ سلمان الحمود الصباح والشيخ علي الخليفة والشيخ جابر الفاضل في البر حتى وصل عددها إلى مائتين وخمسين رأساً من الغنم . وعند وفاة والده ذهب الحاج إسماعيل إلى الشيخ سلمان الحمود طالباً استلام أغنام والده لبيعها لكنه تفاجأ عندما أخبره بسرقتها من قبل بعض البدو في الصحراء . وبعد فترة من البحث لم يحصلوا إلا على عدد قليل منها كان من بينها ست أغنام فقط من قطيع والده .

ويتذكر الحاج إسماعيل عدداً من القصص التي تعكس ولع وحب والده ومجموعته لطلعات البر والنزهات . ويذكر أنه عندما كان صبياً في أثناء قيام والده بإعادة تعمير منزلهم في حوالي عام ١٩٠١م – وكان عمر الحاج إسماعيل حوالي ١٠ سنوات – اشترى والده حمارين واستأجر عدداً من العمال واستاداً للقيام بترميم المنزل . وقد توجه والده إلى ناحية المجاص خلف دروازة العبد الرزاق آنذاك واختار قطعة صغيرة من الأرض وطلب إلى العمال العمل فيها لاستخراج الجص لاستخدامه في البناء ، وقد دأب خلال فترة البناء على الذهاب مع أصدقائه عصر كل يوم لتلك المنطقة للكشتة وكانوا يأخذون معهم العشاء للموقع في منطقة الصوابر التي تضم عدداً من المزارع ولم تكن مسكونة بكثافة آنذاك . وكانت فيها مزرعة للمرحوم إسماعيل معرفي ومزرعة للمرحوم جمال عبد الله جمال وأخرى للمرحومة الشيخة موضي بنت الشيخ حمود ، وكان يأتي إلى الموقع أصدقاء والده على ظهور حميرهم ومعهم صبيانهم (خدمهم) لقضاء أوقات الفراغ والتنزه وتبادل الأحاديث . وكانوا يتجمعون حول المكان ويلقون بالعرفج والأخشاب والفضلات واليَلّة [1] ثم يوقدون الموقع ليلاً ليستمر في الاحتراق طوال الليل ونهار الغد ليتم استخراج الجبس بعد يومين .

ويذكر الحاج إسماعيل أن من صفات والده أنه كان شديد الحساسية حريصاً على سمعته إلى أقصى الحدود بالغ الخجل

---

(١) اليَلّة هي روث الجمال .

لا يقبل بأن يسمع كلمة تمس مصداقيته أو توحي بأن أحداً يمن عليه . كما كان تعامله مع التجار يتصف بالندية والحرص على السمعة الطيبة والاستقامة في العمل . ويذكر الحاج إسماعيل أن والده كان يسير في أحد الأيام في الطريق فالتقي به المرحوم الحاج محمد الشاهين الغانم فأخبره أن أحد أبناءه كان قد اشترى منه ١٠٠ خيشة من الأرز بالدّين ، وكان ذلك دون علم الحاج علي ، عندما كان ذلك الابن يدير أعماله بعد وفاة ابنه الأكبر حسن ، الذي كان مسؤولاً عن إدارتها قبل ذلك ، فوعده خيراً . ولم يلبث الحاج علي أكثر من يوم أو يومين للتفكير بالموضوع ثم قام بعد ذلك وعلى الفور ببيع إحدى مزارعه بألف روبية وسدد القيمة للمرحوم الحاج محمد الشاهين ، وكانت تلك المزرعة تقع في وسط المدينة في منطقة الصوابر بالقرب من منزل عائلة عبد السلام ، وقد اشتراها منه ابن هزيم .

وفاة الحاج على إسماعيل جمال

يروي الحاج إسماعيل قصة وفاة والده عام ١٣٤٧ هجرية (١٩٢٨م) ، ويقول إن والده كان يتوجه صباح كل يوم إلى ديوان المرحوم الشيخ سلمان الحمود ويبقى هناك لفترة ثم يتوجه بعدها إلى السوق بعد شرب القهوة . وكان في أحد الأيام جالساً في الديوان فأحس بألم شديد في بطنه فسقط من الألم وتم نقله إلى المنزل في سيارة الشيخ سلمان الحمود . ويذكر الحاج إسماعيل أنهم نقلوا والده إلى سطح المنزل مساء ذلك اليوم وكان الوقت صيفاً واستمرت صحته في التدهور السريع في أثناء الليل ، ويبدو أنه أصيب بانفجار الدودة الزائدة ، فطلب إلى الحضور أن يساعدوه على كتابة وصيته فنودي بابناء خاله المرحومين الحاج حسين عبد الله جمال والحاج جمال عبد الله جمال وشهدوا على الوصية التي أوكل بموجبها إلى ابنه الحاج إسماعيل تنفيذها والعمل على لم شمل العائلة والسهر على مصالحها . وما إن أصبح الصباح حتى أسلم الحاج علي بن إسماعيل جمال روحه إلى بارئها ، وبذلك أصبحت المسؤولية على عاتق ابنه الحاج إسماعيل .

ومن القصص التي يرويها الحاج إسماعيل عن والده الحاج علي أنه استدان في إحدى المرات مبلغاً قدره ٣,٠٠٠ روبية من الشيخ سالم المبارك الصباح ثم أعاد إليه المبلغ بعد فترة عن طريق الملا صالح الذي كان يعمل سكرتيراً للشيخ سالم ، لكن الملا صالح لم يعطه وصلاً بالمبلغ ويبدو أنه لم يسجل المبلغ بالدفتر . وبعد عدة سنوات من وفاة الشيخ سالم المبارك واستلام الشيخ أحمد الجابر للحكم ذكر في إحدى إعلانات الحكومة اسم علي إسماعيل جمال من ضمن المدينين للشيخ سالم المبارك بمبلغ ٣,٠٠٠ روبية . وأرسل الشيخ أحمد الجابر إلى الحاج إسماعيل يستفسر منه عن الموضوع . فذهب الحاج إسماعيل إلى الشيخ أحمد الجابر وأخبره أن والده كان قد سدد الدين وسلمه للملا صالح . كما أخبره بأنه على استعداد لبيع بيوتهم وإعطائه المبلغ إن أمر بذلك ، فأجابه الشيخ أحمد الجابر أنه لا داعي لذلك وطلب إليه نسيان الموضوع .

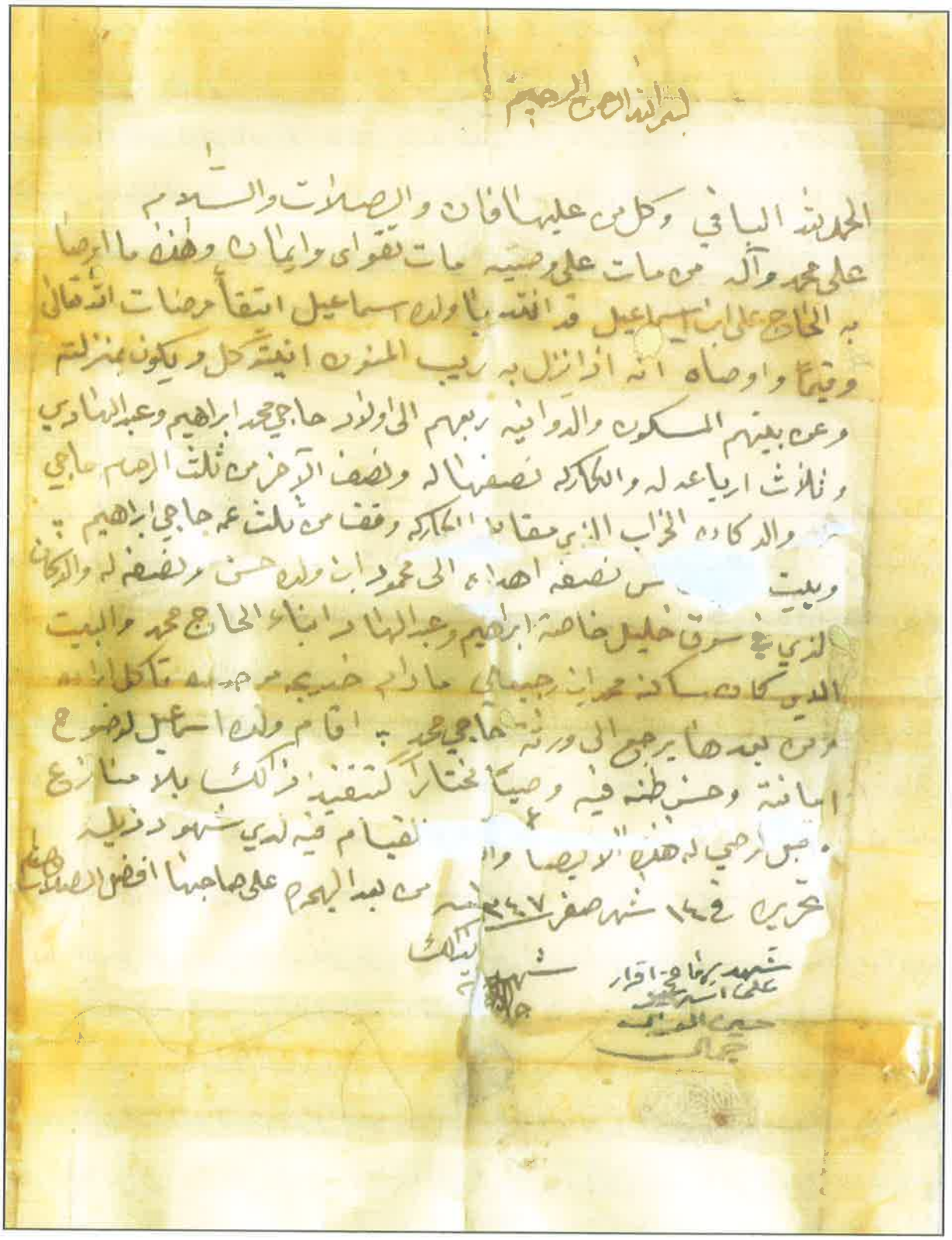

وصية الحاج علي بن إسماعيل جمال

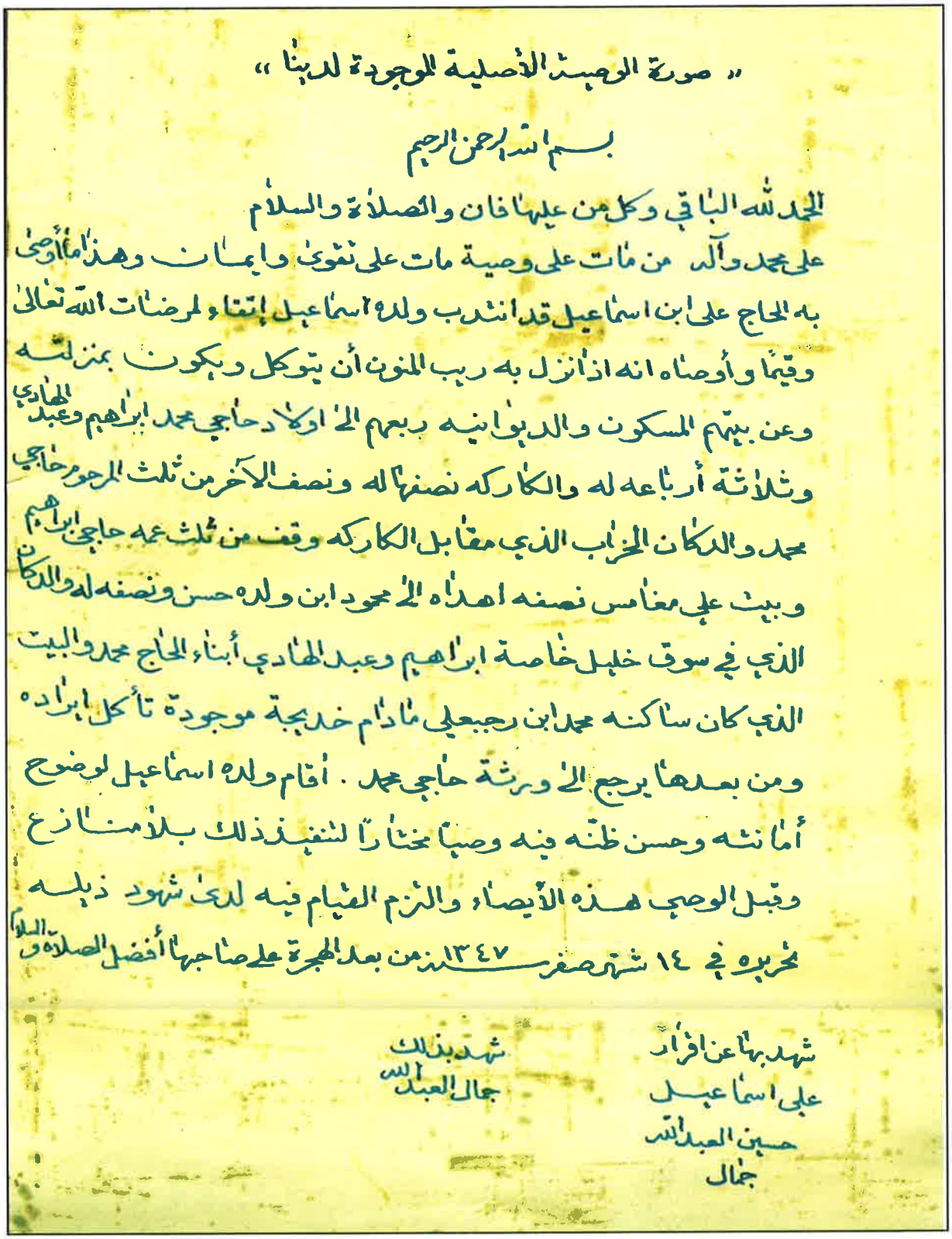

« صورة الوصية الأصلية الموجودة لدينا »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الباقي وكل من عليها فان والصلاة والسلام
على محمد وآله من مات على وصية مات على تقوى وايمان وهذا ما أوصى
به الحاج علي ابن اسماعيل قد انتدب ولده اسماعيل إبتغاء لمرضات الله تعالى
وقيما وأوصاه انه اذا نزل به رب المنون أن يتوكل ويكون بمنزلته
وعن بيتهم المسكون والدبوانيه ربعهم الى اولاد حاجي محمد ابراهيم وعبد الهادي
وثلاثة أرباعه له والكاركه نصفها له ونصف الآخر من ثلث المرحوم حاجي
محمد والدكان الخراب الذي مقابل الكاركه وقف من ثلث عمه حاجي ابراهيم
وبيت علي معاس نصفه اهداه الى محمود ابن ولده حسن ونصفه له والدكان
الذي في سوق خليل خاصة ابراهيم وعبد الهادي أبناء الحاج محمد والبيت
الذي كان ساكنه محمد ابن رجبعلي ما دام خديجة موجودة تأكل ابراده
ومن بعدها يرجع الى ورثة حاجي محمد . أقام ولده اسماعيل لوضوح
أمانته وحسن ظنه فيه وصيا مختارا لتنفيذ ذلك بلا منازع
وقبل الوصي هذه الأيصاء والتزم القيام فيه لدى شهود ذيله
تحريره في ١٤ شهر صفر سنة ١٣٤٧ من بعد الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

شهد بها عن اقرار
علي اسماعيل
حسين العبدالله
جمال

شهد بذلك
جمال العبدالله

توضيح لوصية الحاج علي بن إسماعيل جمال تمت إعادة كتابتها بعد تلف بعض الجمل في الوصية الأصلية المبينة في الصفحة المقابلة

الفصل الرابع

إعادة تشغيل الكاركة وما بعد ذلك

العمل بالكاركة

الذهاب إلى الحج

الهوايات

الزراعة في الكويت

الجراد

الماء في الكويت

الفصل الرابع

إعادة تشغيل الكاركة وما بعد ذلك

العمل بالكاركة

استمر الحاج إسماعيل جمال في بيع الحبوب في محله بالصفاة إلى عام ١٣٤٧ هجرية (١٩٢٨م) . وفي صباح أحد أيام صيف ذلك العام أصيب والده بآلام شديدة في بطنه فتم نقله إلى المنزل حيث توفي في فجر اليوم التالي كما ذكرنا من قبل ، وبذلك أصبحت المسؤولية على عاتق ابنه الحاج إسماعيل . ويذكر الحاج إسماعيل أن عمله البسيط لبيع الحبوب لم يكن يدر عليه دخلاً مجزياً لإعالة ما يقارب من ثلاثين شخصاً من العائلة الساكنين معه في البيت الكبير ، ولم يكن قد تبقى كثير من أموال وأملاك والده بعد أن زهد في العمل بعد وفاة ابنه الكبير حسن ، والخسارة الكبيرة التي مني بها بعد ذلك نتيجة لعدم متابعته المباشرة لتجارته . ويذكر الحاج إسماعيل أن المرحوم الحاج محمد بن عبد الله جمال سأله في أثناء عزاء والده بالحسينية الخزعلية عما هو فاعل بعد وفاة والده لإعالة الأهل فأخبره الحاج إسماعيل بأنه ليس أمامه حل لمواجهة الوضع وخاصة أن الوضع الاقتصادي العام كان سيئا في ذلك الوقت ، فتشاور معه ثم اقترح عليه إعادة تشغيل الكاركة التي كانت قد أغلقت في عام ١٩١٧م بعد وفاة محمد بن إبراهيم جمال ، وعرض عليه أن يقدم له سلفة قدرها ٣,٠٠٠ روبية لمصاريف تشغيلها . فوافق الحاج إسماعيل على الفكرة ، وطلب المرحوم الحاج محمد بن عبدالله جمال إلى الحاج إسماعيل أن يجمع إخوانه ليتشاوروا بحضور الحاج محمد في الموضوع ، فاجتمعوا وأخبرهم الحاج محمد جمال بالنية لإعادة

المرحوم محمد بن عبد الله جمال
الذي يعود له الفضل في إعادة تشغيل الكاركة .

فتح الكاركة بشرط أن يديرها الحاج إسماعيل على أن يلتزم الجميع بإطاعة أوامره والعمل تحت إدارته دون أي اعتراض ، فوافق الجميع على ذلك . كما أخبرهم الحاج محمد بأن الحاج إسماعيل أصبح الآن بمنزلة والدهم وسيقوم بإدارة أمور العائلة وتزويجهم والصرف على البيت من دخل الكاركة . ويذكر الحاج إسماعيل أنه توجه مع إخوانه وعدد من شباب العائلة إلى الكاركة في اليوم التالي وتم فتح أبوابها بعد أن كانت مغلقة لفترة امتدت حوالي ١٣ سنة ، وقاموا بتنظيفها من الأتربة والأوساخ التي تراكمت بداخلها على مر السنين . كما جهزوا العدة والأدوات المتبقية بداخلها من الفترة السابقة ، وقام الحاج إسماعيل بشراء عدد من الحصن والبغال لإدارة الرحى ، وبدأ بتشغيلها بنفس العدة السابقة ومنها الرحى القديمة بعد أن جلب ما يحتاجونه من مواد كالسمسم والملح والمواد الأخرى والتجهيزات اللازمة . ومما يذكره الحاج إسماعيل أنه لم تكن لديه أي خبرة أو فكرة أو معرفة سابقة بصناعة الهردة والرهش مما جعله يتصل بأحد كبار السن الذي سبق له أن عمل بالكاركة مع الحاج محمد إبراهيم جمال قبل إغلاقها ويدعى السيد علوي البحراني الذي قام بتعليمهم تفاصيل العمل وخطوات الإنتاج ، وظل معهم لفترة من الزمن إلى أن أتقنوا الصنعة . وكان لدى السيد علوي البحراني آنذاك مدار[1] لصناعة الطحين .

ويقول الحاج إسماعيل أنه بعد فترة قرر تبديل الرحى القديمة فتوجه مع عدد من أصدقائه وبعض أفراد العائلة إلى منطقة الوطية فلم يجدوا أرضاً صخرية صلبة هناك تصلح لقطع الرحى منها ، فقرروا التوجه إلى عشيرج واستأجروا تشالة (سفينة شراعية متوسطة الحجم) للذهاب إلى هناك وكان معه حوالي اثنا عشر شخصاً كان من بينهم المرحومان محمد بن عبد الله جمال وعيسى الشمالي . وقد تم قطع صخرة كبيرة على شكل رحى وتعديلها وتشكيلها ووضعوها بالتشالة وأوصلوها إلى النقعة ، ثم قاموا بدحرجتها إلى أن تم إيصالها إلى الكاركة لكنها كانت هشة ، وعند وصولها إلى الكاركة حاول أخوه عبدالرزاق تسويتها بالهيب لكنها انكسرت ،

(١) مدار : رحى لطحن الحبوب وتحويلها إلى دقيق .

وفشلت المحاولة وذهب عناؤهم وتعبهم أدراج الرياح . ويقول الحاج إسماعيل أن الجميع تعاون وتكاتف على البدء بتشغيل الكاركة والعمل على إنجاح التجربة مما أدى إلى دخول السوق بقوة وتحقيق نتائج باهرة . ويذكر الحاج إسماعيل أنه سدد سلفة الحاج محمد بن عبدالله جمال التي قدمها له لتشغيل الكاركة خلال أقل من سنة . وقد استمر الحاج إسماعيل وعدد من أفراد العائلة في العمل في الكاركة لفترة استمرت حوالي اثنين وثلاثين عاماً إلى عام ١٩٦١م ، عندما قامت إدارة أملاك الدولة بإزالة الكاركة بعد تثمينها . وقد استمر الحاج إسماعيل بالعمل في الكاركه طوال تلك الفترة ، لكن إخوانه وعدداً من أبنائهم لم يستمروا طويلاً في العمل لصعوبته والمشقة التي كانوا يعانونها من العمل اليدوي ، فتوجهوا للتجارة ، وافتتح بعضهم محلات لهم في الأسواق المختلفة ، بينما استأجر الحاج إسماعيل طوال تلك الفترة أعداداً من العمال الأجانب لمساعدته في إدارة الكاركة ، وكانت لديه في وقت من الأوقات ٦ حمير وبغال للعمل بالكاركة وكانوا يأوونها في حوش خاص للدواب خلف المنزل . ويذكر الحاج إسماعيل أنه اشترى في إحدى الفترات بغلة من النجف بالعراق لتدوير الرحى وكانت كما يصفها كبيرة الحجم قوية البنية شرسة الطبع ، وكانت إذا خرجت من الحظيرة المخصصة لها في المنزل يهرب الأطفال ويختبئون في الغرف خوفا منها . وكان يتوجه بها إلى الكاركة يوميا بعد صلاة الفجر للبدء في العمل فيمتطي ظهرها إلى هناك ، وكانت في بعض الأحيان ، وخاصة في الليالي الممطرة ، تقفز وهو على ظهرها وتستمر في ذلك إلى أن تلقيه أرضاً وتهرب ، وإذا لم تستطع قذفه كانت تضع رأسها في الأرض وتقوم بحركات قوية ولا تتوقف عن ذلك إلا بعد سقوطه من على ظهرها ، ثم تلوذ بالفرار وتتوجه إلى إسطبل المرحوم الشيخ أحمد الجابر في منطقة بنيد القار لتبقى مع خيوله . وكان الشيخ أحمد الجابر يرسل لهم أحد رجاله للطلب إليهم استرجاعها .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه كان للكاركة زبائن متنوعون بحسب المنتج ؛ فالخبازون مثلاً كانوا من عملاء الكاركة وكانوا يشترون السمسم لوضعه على الخبز ، بينما يشتري أصحاب محلات الحلويات وصنّاع الرهش الآخرون الهردة والسمسم والدبس ، بينما يشتري أصحاب السفن الحل لتزييت جدران سفنهم . كما يشتري المواطنون العاديون الهردة والرهش والسمسم والحلويات الأخرى كالسمسمية والقبيط وغيره . ويذكر الحاج إسماعيل أن المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح - حاكم الكويت آنذاك - كان من أهم عملاء الكاركة أثناء فصل الربيع حيث اعتاد التوجه إلى البر للقنص يرافقه عدد من أصدقائه في خمس سيارات ، وكان يرسل مندوبه المرحوم عيسى بن عون إلى الكاركة لشراء عدد من قواطي الرهش الكبيرة ، وقد اعتاد عيسى بن عون

في بعض الأحيان اصطحاب كل من الشيخ جابر الأحمد والشيخ صباح الأحمد إلى الكاركة عندما كانوا صغار السن لشراء الرهش للبر . وكان عيسى بن عون في كل مرة يشتري ما بين ثلاث إلى أربع قواطي كبيرة من الرهش . كما بدأوا بتصدير الهردة إلى خارج الكويت وخاصة إلى البحرين بعد أن توسع العمل حيث يتم تعبئتها في قواطي كبيرة تشحن بواسطة سفن القطاعة إلى هناك .

الشيخ أحمد الجابر الصباح (عام ١٩١٩م)

ويذكر الحاج إسماعيل أن الكاركة كانت تعمل أثناء الشتاء فقط ، وإذا حل فصل الصيف يتم إغلاقها لفترة تمتد إلى ثلاثة أشهر لعدم شراء الناس منتجاتها ، فتكون تلك فترة عطلة واستراحة اعتاد الحاج اسماعيل أثنائها على السفر إلى خارج الكويت مع عائلته حيث كان يتوجه إلى العراق أو إيران لقضاء فترة الصيف في السياحة والزيارة .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه حاول في عام ١٩٤٢م تركيب ماكينة لطحن السمسم بدلاً من تدوير الرحى بواسطة البغال واشترى ماكينة مستعملة من المرحوم عبدالله العثمان بمبلغ ٥٠٠ روبية ، وساعده في المحاولة المرحوم عبدالستار آغا علي[1] ، لكن المحاولة لم تنجح . وبعد سنتين من ذلك بدأ المرحوم السيد مهدي السيد أحمد – الذي كان يعمل بالكاركة – مكننة

(١) كان المرحوم الحاج عبدالستار آغا علي صاحب افكار وخبرة تقنية مميزة . وكان يقوم بإدارة مكائن الطحين التي تعود لوالده وتشغيلها وإصلاح أعطابها . وكان للمرحوم آغا علي ٣ مكائن لطحن الحبوب منذ بداية الثلاثينيات من القرن الماضي إحداها في منطقة الميدان في الشرق والأخرى في منطقة الدهلة في القبلة والثالثة في الصفاة . وقد توقف العمل في مكائن الطحين في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي بعد أن قررت الحكومة استيراد الدقيق مباشرة من الخارج وبيعه على المواطنين .

العمل ، واستمر في محاولاته إلى أن استطاع تشغيل الماكينة بعد شراء "كير" خلفي قديم لإحدى السيارات من السكراب قام بتركيبه على الماكينة ، وبذلك تم تشغيل الرحى ، وكان ذلك في عام ١٩٤٤م . لكن الرحى القديمة لم تتناسب مع قوة الماكينة وطاقتها ، فتم استيراد رحى حديثة من لندن في عام ١٩٤٦م ، وبعد عام واحد تم استيراد ماكينة حديثة من لندن كانت ذات نوعية جيدة وسرعة كبيرة لإدارة الرحى الجديدة ، وذلك بمساعدة السيد جعفر حيدر آل رشيد الذي كان يعمل آنذاك في البنك البريطاني للشرق الأوسط ، وبذلك تم مكننة الكاركة بعد حوالي مائة عام من العمل اعتماداً على البغال والخيول . وقد تقاعد الحاج إسماعيل عن العمل عام ١٩٦١م بعد إغلاق الكاركة القديمة وأصبح يقضي أوقاته في زيارة أصدقاءه في محلاتهم في سوق الخضرة وغيره من الأسواق صباح كل يوم إلى أن توفاه الله عام ١٩٩٣م عن عمر يزيد على مائة عام .

الذهاب إلى الحج

أدى الحاج إسماعيل جمال فريضة الحج مرتين ، المرة الأولى بواسطة الجمال والثانية بواسطة السيارات . وكانت المرة الأولى في عام ١٣٥١هـ (١٩٣٤م) وذلك بعد إعادة تشغيل الكاركة بحوالي خمس سنوات . وقد استغرقت الرحلة ١٠٠ يوم وتوجهوا من الكويت إلى المدينة المنورة أولاً بحملة الحاج علي المؤمن الذي دفعوا له ١٢٠ ريالاً نمساوياً (ماريا تيريزا) للشخص الواحد ، وكانت الرحلة في أثناء الشتاء الذي تميز باعتدال الجو ووفرة الأمطار ، وكانت الحملة تتكون من حوالي ٥٠ جملاً . وقد غادروا الكويت في شهر شوال من عام ١٣٥١هـ (مارس ١٩٣٤م) وعادوا في شهر محرم عام ١٣٥٢هـ (مايو ١٩٣٤م) ، وكان الطريق يستغرق شهراً من السير ذهاباً وشهراً آخر للعودة ويقضون حوالي أربعين يوماً ما بين زيارة المدينة المنورة والقيام بمناسك الحج في مكة المكرمة . ومن الذين رافقوه في الحجة الأولى المرحومين الحاج مكي حسين الجمعة وحسن بن الشيخ موسى المزيدي وعباس الحمر وعائلاتهم . كما رافقته زوجته وأخته وأحد المطوعات المعروفات في الفريج وتدعى الحجية عبيدة عيدي . وقد جرى العرف أن تشكل كل خمس عائلات من الحجاج مجموعة يشتركون في الطبخ والسكن في خيمة خاصة بهم ، حيث يتم تقسيم الخيمة إلى جزأين أحدهما خاص بالرجال والآخر للنساء . وتقوم النساء بالتعاون للطبخ حيث يقمن بخبز الخبز و" التبدون" وعمل الكباب والحلوى والمأكولات الأخرى في أثناء توقف القافلة للصلاة والإستراحة .

وتسير القافلة في معظم الأحيان ليلاً وتتوقف نهاراً للإستراحة . ويحمل كل شخص بيده طاسة (وعاءً معدنيّاً) أثناء المسير يضع به غداءه أو إفطاره ، وكانوا في بعض الأحيان يسيرون أثناء النهار أيضاً ، وإذا ما صادفوا رعاة الأغنام في الطريق كانوا يشترون منهم الذبائح لوجباتهم الرئيسية كما يشربون عندهم اللبن . ويرافق كل حملة دليل ليدلهم على الطريق وخاصة أثناء السير ليلاً ، حيث يسترشد بالنجوم لتحديد مسارهم .

ويذكر أنهم توجهوا عن طريق حفر الباطن ، وكان في ذلك الطريق ٦ آبار يتزود الحجاج منها بالماء ، وهي آبار كبيرة وعميقة جداً وكانوا يُصَدرون الماء (أي يسحبونه من الآبار) بواسطة الجمال التي تسحب القربة الكبيرة المربوطة بالحبل من البئر . ويأخذ الحجاج معهم الأواني والأوعية كالقِرَب و"الدْلاوة" [١] لسحب الماء من الآبار . وكانت تلك الآبار قديمة جداً وتحتوي على كميات كبيرة من الماء لكنها مهملة وتتساقط فيها الأتربة والأوساخ وروث الحيوانات .

وهناك درب يدعى (وصافة) ودرب يدعى (حرة) يوجد بهما "مراوي" [٢] بالطريق ، ويبعد المروى عن الآخر مسيرة يومين . ويمر الحجاج بمدينتي عنيزة وبريدة ، وهما من المدن الكبيرة التي تضم دكاكين ، وكانوا يمكثون فيهما يومين أثناء الذهاب والعودة . كذلك كان في الطريق قرى يسكن فيها الرطاوية وكانوا من الجماعات المتعصبة الذين لا يعتبرون غيرهم مسلمين ، ولم يكونوا يردون السلام على الحجاج ولا يرحبون بهم .

وكان أصحاب الحملات يشترون الجمال قبل السفر بفترة ويجهزونها بالمحامل (أو الكواجات) [٣] وهي نوعان : الأول يسمى (ناطوط) والثاني (مِحْمل) ، ويركب على ظهر كل جمل شخصان ، ويسع المحمل شخصاً واحداً ويتم وضع محملين على ظهر الجمل ، ويبلغ عرض المحمل ذراعين ليجلس بداخله الحاج .

---

(١) الدْلاوة جمع دَلو وهو السطل .

(٢) "المراوي" جمع مروى وهومكان يتوافر فيه الماء .

(٣) "كواجات" جمع "كواجه" وهي المحمل الذي يوضع على ظهر الجمل ليجلس فيه الحاج .

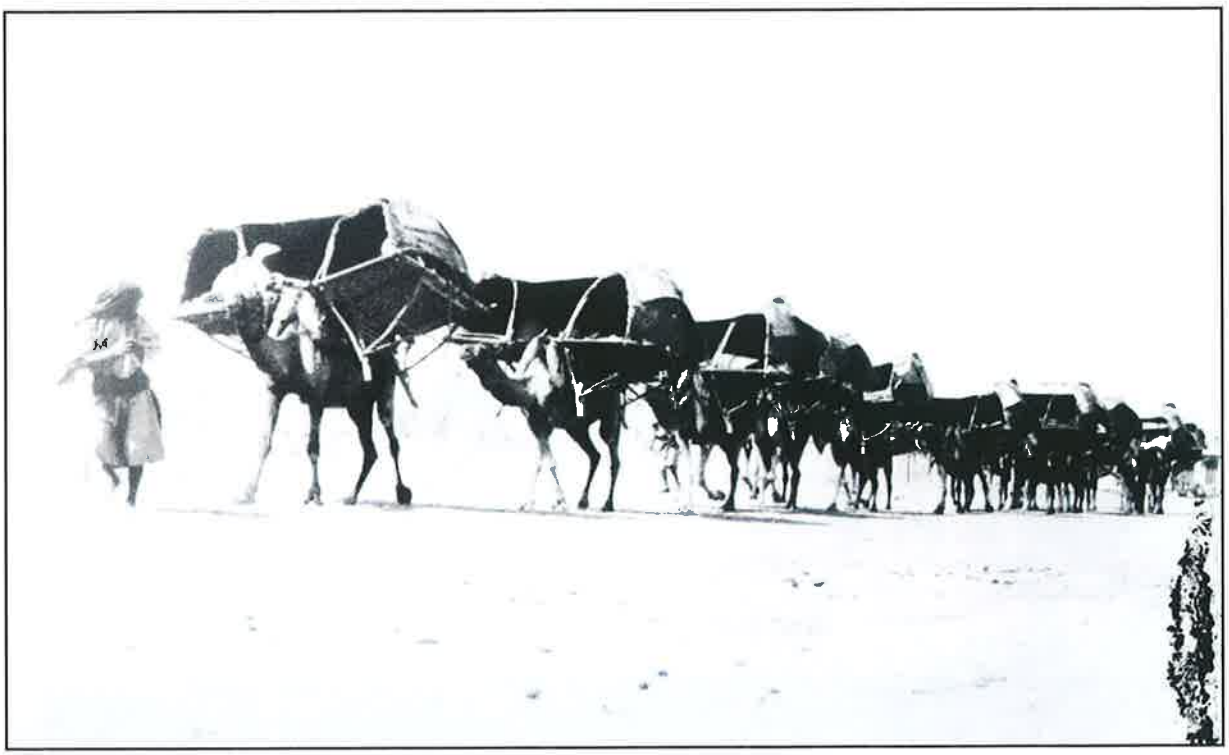

قافلة جمال تجوب الصحراء بجمال عليها محامل أو (كواجات) لنقل المسافرين . ويشاهد "الحادي" الذي يقود الجمال .

وتوجد فتحة بين المحملين الموضوعين على جانبي ظهر الجمل ليتمكن الراكبين من الحديث فيما بينهما . ويقود كل جمل جمّال (أو حادي) وهو يمشي معه طول الطريق ويطلق عليه (مْكيري) أي أنه يعمل بالأجرة (أو الكرْوة) كما يطلق عليها محلياً . والمكيري من البدو ، وهو متعود على المسير في الصحراء ، ويؤدي فريضة الحج عادة مع الحجاج ويتناول الوجبات مع الحملة .

ويذكر الحاج إسماعيل أنهم استأجروا "كواجات" للنساء وكبار السن من الرجال ، بينما ركب الشباب مباشرة على ظهور الجمال فيما كان يسمى (الناطوط) ، وكان كثير من الرجال ، وبخاصة الشباب منهم ، يركبون (نواطيط) ويحمل كل واحد منهم طاسته التي تحتوي على طعامه بيده . ويذكر أيضاً أنه اعتاد مع عدد من شباب الحملة على النزول من على ظهور الجمال في أثناء المسير ليتجولوا أو يجلسوا في بعض الأماكن في الطريق لعمل الشاي والقهوة وتناول الزهاب[1] ثم يستأنفون السير مشياً ليلحقوا بالقافلة . كما كانوا يسبقون الحملة في بعض الأحيان ثم ينتظرون

(١) الزهاب : الغذاء الذي يأخذه المسافر معه لتناوله في الطريق

جمال عابرة للصحراء ، ويشاهد على أحدها راكب (ناطوط) وعلى ظهر الجمل الذي يليه مِحْمَل أو (كواجة) تستخدمها النساء وكبار السن

قدومها في الطريق بعد قطعهم لمسافات طويلة مشياً على الأقدام لينضموا إليها مرة أخرى ، بينما يتركونها أحياناً أخرى لتكمل مسيرها ثم يلتحقون بها فيما بعد . وكان الطريق واضح المعالم وهو عبارة عن جادة طويلة واحدة ، وكانوا يختارون الأماكن المخضرة والقريبة من الجادة للجلوس وتناول الغداء وتدخين الكدو (النارجيلة) وشراء اللبن من البدو الذين يمرون في تلك المناطق . ويذكر الحاج إسماعيل أن السير مشياً في الطريق كان مسلياً وعبارة عن (كشتة) وخاصة أنه كان في أثناء فصل الشتاء . وقد استغرق الطريق من الكويت إلى المدينة المنورة خمسة عشر يوماً .

ويذكر أنهم عندما وصلوا إلى المدينة المنورة سكنوا في منطقة " النخالوة " ، وهم إحدى الجماعات من المواطنين القاطنين في المدينة المنورة ، ولدى هؤلاء مزارع كبيرة في أطراف المدينة المنورة يزرعون فيها النخيل والمنتجات الزراعية الأخرى . وقد سكنت كل عائلة من الحجاج في غرفة خاصة بها . وتقع منطقة النخالوة قرب المقابر جنوب البقيع ويصفهم الحاج إسماعيل فيقول إنهم كانوا أناساً طيبين يرحبون بالحجاج ، وكانت المدينة المنورة في ذلك الوقت صغيرة الحجم محدوده السكان . وقد مكثوا في المدينة المنورة حوالي أسبوعين

زاروا خلالها المسجد النبوي الشريف وقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمساجد القديمة والبقيع والمزارات الأخرى وموقع غزوة أحد ، وبعد ذلك توجهوا بالجمال إلى مكة المكرمة . وقد استغرق الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة تسعة أيام كانوا يسيرون في أثنائها بمحاذاة البحر . ويوجد في الطريق من المدينة إلى مكة العديد من المقاهي والمطاعم وأماكن لبيع المواد الغذائية والأسماك حيث كانوا يشترون الأسماك الطازجة ويقومون بطبخها ، وقد تزودوا بالمواد الغذائية من منطقة رابغ . وسكنوا في مكة المكرمة في أحد البيوت قبل توجههم إلى منى وعرفات . ويشير الحاج إسماعيل إلى أسواق مكة والمدينة في تلك الفترة فيقول إن أسواقها كانت تحتوي على أنواع كثيرة من البضائع التي تجلب من الشام ومصر وأهمها الألبسة والأقمشة والعتر ، وقد اشتروا كميات من هذه البضائع وأهمها لعب الأطفال والأحذية النجدية والألبسة المختلفة لتقديمها كهدايا (صوغة) لأهاليهم وأصدقائهم عند عودتهم إلى الكويت حيث استغرق الطريق من مكة إلى الكويت تسعة وعشرين يوماً . ويذكر أنهم أرسلوا "بشيراً" قبل وصولهم إلى الكويت فجاء إليهم الأهل والأصدقاء في منطقة الحجاج لاستقبالهم قبل دخول الكويت ومعهم وجبة العشاء التي تناولوها قبل توجههم إلى الكويت بالسيارات التي نقلتهم من منطقة الحجاج إلى الكويت ، حيث استغرق الطريق ساعتين . وكانت السيارات قليلة في ذلك الوقت .

ويذكر الحاج إسماعيل أن فترة ذهابهم إلى الحج صادفت أوائل سنوات استيلاء الملك عبدالعزيز آل سعود على الحكم وإعلان تأسيس المملكة العربية السعودية (التي تأسست في عام ١٩٣٢م) ، ويقول إن مجموعات "الإخوان" كانوا في أوج سلطتهم آنذاك ، وكانوا لا يتقبلون من أحد أن يخالفهم الرأي في أي شيء ، وكانت مجموعات منهم قد سلبت أغنام وجمال وأموال الكثير من القبائل التي لا تجاري عقائدهم ، وبخاصة القبائل الشيعية التي كانت تقطن المنطقة ما بين مكة والمدينة ، ويذكر الحاج إسماعيل أن بعض تلك القبائل أصبحت نتيجة لذلك تعيش على الكفاف ولا تستطيع أن تحصل على ما يسد الرمق إلاّ بصعوبة بالغة .

ويقول إنه شاهد أبناءهم يأتون إلى حملات الحجاج طلباً للغذاء ، ويذكر أن عباس الحمر الذي كان يقوم بطبخ الأرز لمجموعتهم من الحملة كان إذا قام بشخل الأرز (أي فصل الماء عن الأرز بالمشخل) يتراكض أطفالهم لالتقاط حبات الأرز التي تسقط على الأرض لتناولها . وكانوا إذا عرفوا أن الحجاج من الشيعة ينشدون بعض الأناشيد عن أئمة أهل البيت ليحصلوا منهم على قليل من التمر والخبز أوالدراهم البسيطة ، وكان من ضمن العشائر التي تقطن هناك عشيرة تدعى بني عبدالله . وكان الشيعة الحجازيون بعد سيطرة الإخوان يخافون الذهاب

لأداء فريضة الحج نظراً إلى أنه في حالة حصول أي سرقة كانوا يتهمون بها ويعاقبون عليها مما جعلهم يمتنعون عن الذهاب إلى مكة لسنوات عديدة . وكان الوضع في الحجاز في تلك الفترة غير آمن وغير مستقر في بداية سيطرة " الإخوان " عليه ، على عكس الوضع في نجد التي أصبحت في قبضتهم منذ فترة طويلة

صورة قديمة للمدينة المنورة ويشاهد المسجد النبوي الشريف .

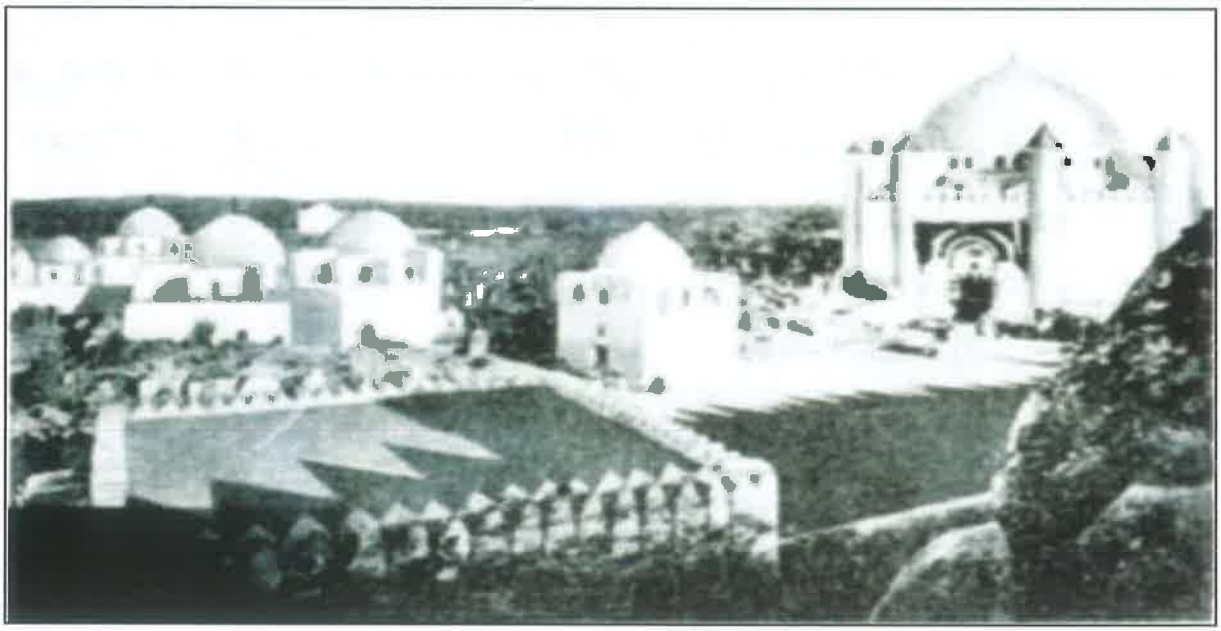

" بقيع الغرقد " كما بدا في بداية القرن الماضي في المدينة المنورة قبل هدمه وإزالة القباب التي كانت تغطي قبور عدد من الأئمة بينهم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب والإمام زين العابدين والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق وغيرهم من الأئمة .

وأصبح فيها الوضع مستقراً وتطبق فيها القوانين بحسب ما يريده الإخوان الذين كانوا يجبرون الناس على اتباع معتقداتهم . فقد كانت تقطع يد من يتهم بالسرقة وتطبق بقية الأحكام بصرامة . ويذكر الحاج إسماعيل القصة المشهورة التي كان يتداولها الناس من أن أحد البدو جاء وأخبر المسؤول أنه شاهد خيشة في الصحراء بها قهوة فسأله كيف عرفت أن بداخلها قهوة فأجاب بأنه لمسها بإصبعه ، فتم قطع إصبعه عقاباً على ذلك .

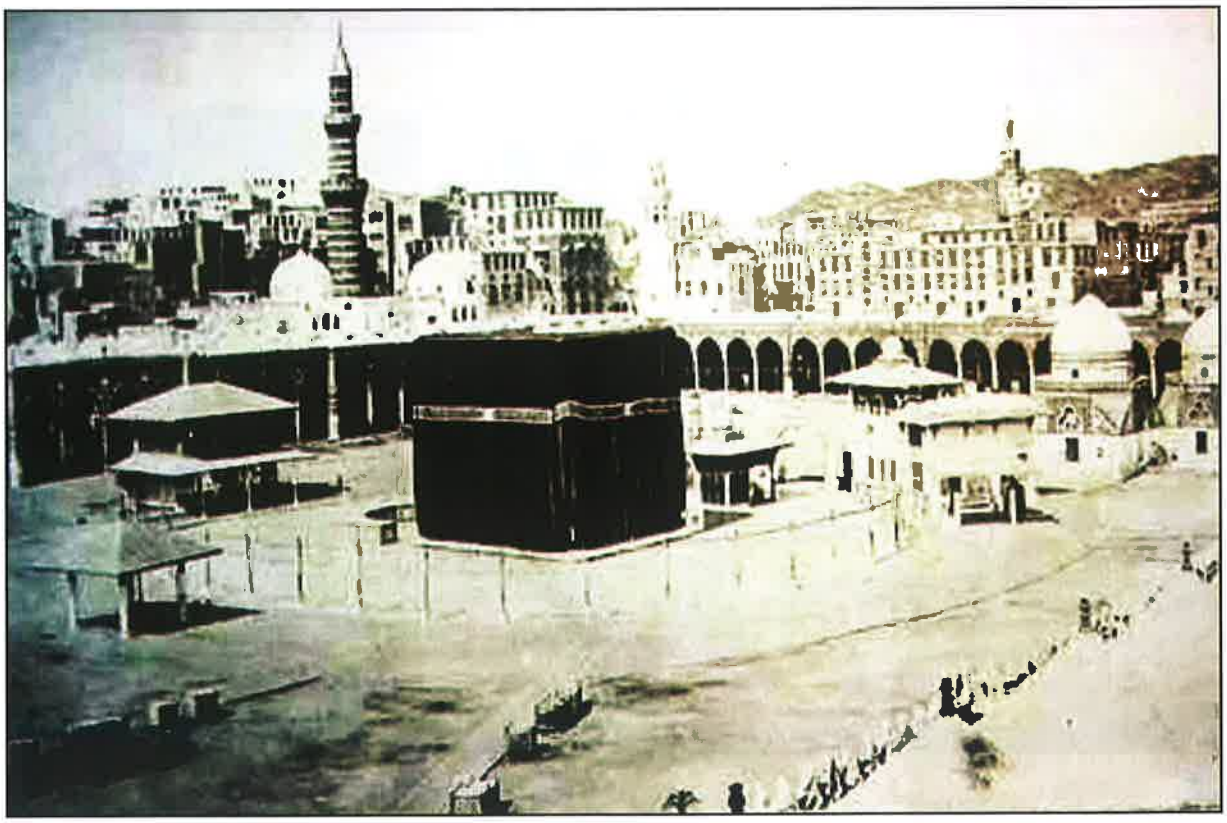

الحرم المكي الشريف كما بدا في بداية القرن الماضي .

وكانت مكة والمدينة تحت حكم الأشراف قبل سيطرة الإخوان على الوضع ، وكان الأشراف الذين حكموا الحجاز قبل ذلك تابعين للدولة العثمانية أثناء فترة حكمهم ، وهم من ذرية الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . وكان الشيعة الحجازيون قبل سيطرة الإخوان في وضع جيد وآمن نسبياً ، ويقومون بتوجيه الحجاج وإرشادهم لمناسك الحج وزيارات الأضرحة وقبور الأئمة ، كما كانوا يطوّفون الحجاج ويعتنون بهم . لكن نشاطهم وظهورهم تقلص بصورة كبيرة ثم اختفى بصورة شبه كاملة بعد أن سيطر الملك عبد العزيز على الحكم وبدأ الاخوان في مضايقتهم وتكفيرهم .

أحد أحياء مكة المكرمة كما بدا في بدايات القرن العشرين .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه لدى عودتهم إلى الكويت علموا بوفاة جدته (أم والده) أثناء تواجدهم في الحج .

إصلاحات وبناء إضافي في البيت القديم

قام الحاج إسماعيل بعد وفاة والده بإصلاحات وإضافات كثيرة على بناء المنزل . ويذكر أن أول مشكلة واجهته هي تهشم (الصُوَرْ)[1] الذي كان يحمل سطح الليوان الشمالي ، مما شكل خطورة بسقوط سقف الليوان . فقام بهدم الليوان وإعادة بنائه ووضع له (صُوَرين) جديدين بدل الصُوَرْ المكسور وشَيد (إحيا)[2] السطح من جديد . كما أدخل فيما بعد بعض التعديلات على الديوانية في الثلاثينيات والأربعينيات وجهز سطحها وبنى له درجاً في وسط الحوش وبدأ الرواد باستخدام السطح كديوانية أثناء فترة الصيف بدلاً من الحوش الذي كان محاطاً بعدد من الغرف والحيطان المرتفعة التي تحد من هبوب نسيم الهواء ، كما قام الحاج إسماعيل ابتداء من منتصف الثلاثينيات بتعمير وترميم المنزل عدة مرات أثناء توقف الكاركة عن العمل في فصل الصيف بمساعدة عدد من شباب العائلة الذين كانوا يعملون معه بالكاركة وخاصة أخوه حسين وابن أخيه محمود بن حسن . وكان يشتري في كل سنة ١٠٠ كيس من الأسمنت ، ويقوم شباب العائلة بجلب الرمل من ساحل البحر على ظهور حمير الكاركة للترميم والبناء وإصلاح الحوائط والغرف .

وكان من طبيعة الحاج إسماعيل حبه للعمل والنشاط . ويذكر أنه عندما قرر المرحوم محمد بن عبدالله جمال توسعة بناء ديوانيته أشرف الحاج إسماعيل على ترميمها وبناء أساساتها ، ومن بعد ذلك تم إحضار الاستاد إبراهيم عبد السلام لإكمالها والقيام بالأعمال التشطيبية .

ومن أعمال البناء التي قام بها في البيت القديم أنه بنى بركة أسمنتية في وسط الحوش في حوالي عام ١٩٤٠م بمساعدة أخوه حسين . وكان الماء في البيت قبل ذلك يخزن في خمسة خزانات كبيرة من الفخار يطلق على الواحدة منها " يْحله" والجمع " يْحال" [3] موضوعة في وسط

---

(١) الصُوَر (والجمع صْورة) عبارة عن أغصان أشجار طويلة وسميكة تستخدم كجسور لصف الجندل عليها لحمل الأسقف .

(٢) الإحيا هو السور أو الحائط المحيط بالسطح .

(٣) يْحال جمع يْحلة وهي جرة كبيرة (خزان) مصنوعة من الفخار توضع في الحوش لتخزين الماء .

الحوش . فجلب أستاداً بنّاءا وعدداً من العمال فحفروا الموقع ووضعوا الطين بالحوش وتم جلب كميات كبيرة من الصخر ، وأشرف شخصياً على البناء وشارك فيه مشاركة مباشرة ؛ حيث قام بنفسه ببناء جدران البركة من الصخر والأسمنت ، وكان عرض الجدار ذراعاً واحداً (قدماً ونصف قدم) وكان يضع خلف الصخر طيناً ليمسكه ويضع حوله أسمنتاً من الداخل . وبعد اكتمال بناء الحائط أحضر أحد الأستادية هو إبراهيم الشيرازي لمسح جدران البركة بالأسمنت وتم مسح الجدران بسماكة (٤ أصابع) – أي حوالي ٧ سنتيمترات . وقد أعرب الأستاد إبراهيم الشيرازي عن إعجابه بطريقة بناء البركة التي بنيت بطريقة فنية دقيقة أفضل مما كان يقوم به الأستادية . ثم شيد الحاج إسماعيل لها سقفاً من الخشب (الچندل) وشكله على شكل قبة لتتحمل الضغط لمنع السقف من السقوط ، ووضع فوق الخشب ورقاً ثم صب فوقه السقف الأسمنتي ، وقد استغرق بناء البركة عشرين يوماً . وكانت قيمة كيس الإسمنت في ذلك الوقت روبيتين ، وقد استخدم في بنائها ٢٠٠ كيس . وظلت البركة لسنوات عديدة تملأ بالماء ، سواء بواسطة الحمّارة الذين كانوا يجلبون الماء بالقِرَبْ فوق ظهور حميرهم ، أو من مياه الأمطار التي كان يتم جمعها بواسطة (الشتري) . والشتري عبارة عن قطعة كبيرة من القماش القطني السميك من نفس نوعية أشرعة السفن ، يتم تعليقها فوق الحوش أثناء نزول المطر وتربط أطرافها بالحبال بالسطح لتغطية الحوش بهدف جمع مياه الأمطار لتصب في البركة من خلال فتحة بوسط الشتري ، وكانت البركة تسع كميات كبيرة من الماء ، ولم يتم تسرب الماء منها أبداً لكونها مبينة بشكل محكم .

ومن أعمال البناء التي قام بها الحاج إسماعيل في البيت في أوائل الخمسينيات تشييد ٣ غرف فوق السطح الجنوبي للمنزل بعد أن سكن مدرسو وزارة المعارف قصر الشيخ خزعل بن مرداو المجاور للمنزل . وكان المرحوم سليمان المسلم القناعي قد اشترى قصر المرحوم الشيخ خزعل الذي كان مهجوراً لسنوات طويلة وسكنه لفترة قصيرة قبل انتقاله إلى السالمية ثم استأجرته منه إدارة المعارف (وزارة التربية) لسكن المدرسين المصريين الذين قدموا إلى الكويت في تلك الفترة . وكان ذلك القصر مرتفعاً ويطل على حوش المنزل ويكشف عمّن بداخله فقرر المرحوم الحاج إسماعيل بناء تلك الغرف على السطح لحجب الرؤية من ذلك الجانب ، وكان بناء الغرف الثلاث من الطابوق الأسمنتي .

الهوايات

١ - صيد السمك

يذكر الحاج إسماعيل أن من الهوايات التي أغرم بها أثناء شبابه صيد السمك ، فقد كان يغلق دكانه الواقع في السوق الداخلي مساء كل يوم يصادف فيه مد البحر (السجي) في ذلك الوقت ، ويتوجه إلى ساحل البحر مشياً قبل فترة السجي بساعتين تقريباً ويحمل معه السالیه إلى دوحة بنيد القار مقابل قصر دسمان الذي شيده الشيخ جابر المبارك . ويلقي السالیه من هناك وهو في طريق عودته إلى أن يصل إلى نقعة معرفي المقابلة لمسجد الخليفة ، فيصطاد كمية من الأسماك يحضرها إلى البيت لغداء اليوم التالي ، وتستغرق رحلته هذه ما بين ثلاث إلى أربع ساعات حيث يعود ليلاً إلى البيت . ولم يكن الحاج إسماعيل في ذلك الوقت دائم الحضور في ديوان والده ، وكان يمارس تلك الهواية مساء كل يوم يصادف فيه وقت المد أثناء المساء ، ويذهب معه في بعض الأحيان عدد من أصدقاء والده من بينهم المرحومان موسى المزيدي وعبد الحسين النقي . ويشير إلى أن تلك المنطقة كانت توجد فيها أسماك من نوع اللخمة والفريالة وهي أسماك سامة . وقد لدغته في إحدى المرات فريالة في أسفل قدمه عندما داسها أثناء سيره على الساحل فتوجه مشياً إلى المنزل وبقيت تؤلمه لفترة امتدت أربعاً وعشرين ساعة ، ويذكر أنه لم ينم في تلك الليلة من شدة الألم . ويضيف أنه لم يكن هناك علاج خاص لمثل هذه الحالات التي يظل المصاب في أثنائها يتألم إلى أن تبرأ الإصابة بعد يوم أو يومين . ويذكر أنهم كانوا يضعون في بعض الأحيان قطعة صغيرة من التمر المعجون على الإصابة فيخف الألم . ولم يكن الحاج إسماعيل من المولعين بالحداق (الصيد بالميدار) لكن أصدقاء والده ومن بينهم المرحومان موسى المزيدي وعبد الحسين النقي كانوا يتوجهون إلى راس الأرض في موسم المربعانية[١] في أثناء الشتاء للحداق . كما كانوا يستخدمون الطاروف[٢] على الساحل عند ذهابهم إلى البر لصيد السبيطي .

---

(١) المربعانية رياح شمالية باردة تستمر لفترة أربعين يوماً من أوائل ديسمبر إلى منتصف يناير .

(٢) الطاروف شبك طويل يستخدم لصيد الأسماك بالقرب من الساحل يمسكه شخصان كل واحد منهما من أحد طرفيه .

٢ - الزراعة والمزرعة

كان من أهم هوايات الحاج إسماعيل جمال الزراعة . فقد أُغرم بها وتعلم أسرارها وأُسسها من التجربة الطويلة التي خاضها في هذا المضمار . وكان لوالده من قبله مزرعتان في الديرة ، ثم تشارك مع عدد من أصدقائه واشتروا مزرعة كبيرة في حولي في بداية القرن الماضي (حوالي عام ١٩٠٧م) . ويبدو أن الحاج إسماعيل قد تأثر بميول والده نحو الزراعة فحذا حذوه . فقد اشترى في الثلاثينيات من القرن الماضي أرضاً واسعة في منطقة (باب الهوا) التي تقع في أقصى منطقة الشرق من المدينة . وتقع بالقرب منها العديد من المزارع ومنها مزرعة الشيخ سالم الحمود المبارك الصباح ومزرعة الشيخ فهدالسالم وإسماعيل معرفي . كما توجد بالقرب منها مقبرة النصارى القديمة . وكانت مساحة الأرض ٢,٠٠٠ متر مربع اشتراها بمبلغ ١٢٠ روبية من أحد عبيد الشيوخ ، وقام ببنائها بنفسه وبمساعدة المرحوم خلف الوزان الذي عرض عليه الحاج إسماعيل مشاركته في زراعتها بعد اكتمال البناء . كما استأجر عاملي بناء كان يعطي الواحد منهما أجراً قدره ٥ آنات في اليوم ، أحدهما اسمه بومرزوق والآخر فرج . وكان الحاج إسماعيل وخلف الوزان يقومان مساءً بجمع الطين وتقييله (أي صب الماء عليه) من البئر الذي تم حفره ، ثم يترك طوال الليل رطباً ليتخمر ويكسب قوة ولزوجة . ويأتي العمال في اليوم التالي قبل شروق الشمس ليقوموا بخلط الطين وتجهيزه ليقوم الحاج إسماعيل بعملية بناء الحائط بمساعدة العمال . وكان كل عامل يضع الطين في زبيل كبير وينقله من مكان القيله إلى موقع البناء ليتسلمه الحاج إسماعيل ويبني الحائط . وكانت طريقة البناء التي اتبعها تسمى (العروق) أي بناء الحائط بصب الطين في خطوط مستطيلة على شكل طبقات يبلغ ارتفاع الطبقة حوالي ٢٠-٣٠ سم . ويتم صب طبقة واحدة في اليوم وانتظارها لتجف لتوضع فوقها طبقة أخرى في اليوم التالي وهكذا إلى أن يكتمل بناء الحائط . وكان الحاج إسماعيل يعمل يومياً إلى أذان الظهر مع العمال حيث يؤدون الصلاة ويتناولون الغداء الذي كان يجلب من البيت . وعند انتهائه من إكمال البناء لذلك اليوم يتوجه لمساعدة خلف الوزان لتجهيز كمية أخرى من الطين لعمل اليوم التالي . . . وهكذا . وكان الحاج إسماعيل يتوجه إلى المزرعة بواسطة دراجته بينما يذهب خلف الوزان مشياً .

وعندما اكتمل البناء بدأ الاثنان بزراعة الأرض حيث تم حفر ٣٦ بئراً في المزرعة بواسطة عمال متخصصين بحفر الآبار يتقاضى الواحد منهم روبية واحدة لحفر البئر . كما كان بعضهم الآخر يتقاضى ١٤ آنة بينما قام المرحومان الحاج إسماعيل وخلف الوزان بحفر عدد من الآبار أيضاً ، ويبلغ عمق البئر ٣ أبوع[١] . ويذكر الحاج إسماعيل أن حفر الآبار كانت حرفة مهمة في الماضي يقوم بها أناس متخصصون يعملون بحفر البئر ثم بناء حائط صخري يحيط بالبئر من الداخل لحماية جدرانه من السقوط . وكان هناك شخص أعمى متخصص بحفر الآبار يدعى مهنا المهنا لا يكاد أحد يضاهيه في كفاءة العمل بحفر البئر وجمال منظره واستقامة حيطانه ودقة إنجازها .

وكان المرحوم مهنا يتقاضى روبية وربع للبئر بينما يتقاضى غيره روبية واحدة أو ١٤ آنة . ويبدأ مهنا عمله بحفر حفرة صغيرة أولاً ثم ينزل بداخلها ويكمل حفر البئر بطريقة فنية متقنة لا يجيدها أحد غيره . وكان كلما تعمق في حفر البئر قام بتوسعته أكثر . وعندما يقوم ببناء الحائط الداخلي للبئر يصبح مستقيماً بدون عيوب بالرغم من كونه ضريراً . ويصف الحاج إسماعيل الآبار التي كان يحفرها مهنا بأنها مستقيمة (كأنبوب البندقية) . ويستخدم "هيباً" صغيراً ذا طرف عريض ومشحاف[٢] ، ويحمل معه "زبيل" لجمع التراب من البئر ، ويساعده شخص آخر يقف عند فوهة البئر لسحب زبيل الطين من داخل البئر إلى الخارج . وقد تم زرع كامل أرض المزرعة من جميع أنواع الخضراوات كالاشبنت والخس والكزبر والحلبة والفجل والبصل .

---

(١) الباعات أو (الأبُوع) جمع "باع" وهو وحدة قياس تبلغ طول ذراعي الإنسان من طرف اليد إلى الطرف الآخر عند فردهما . ويبلغ طول الباع حوالي ١٨٠ سنتيمتراً .

(٢) المشحاف آلة حديدية صغيرة مسطحة يستخدمها المزارع أو العامل لحفر وتسوية الأرض .

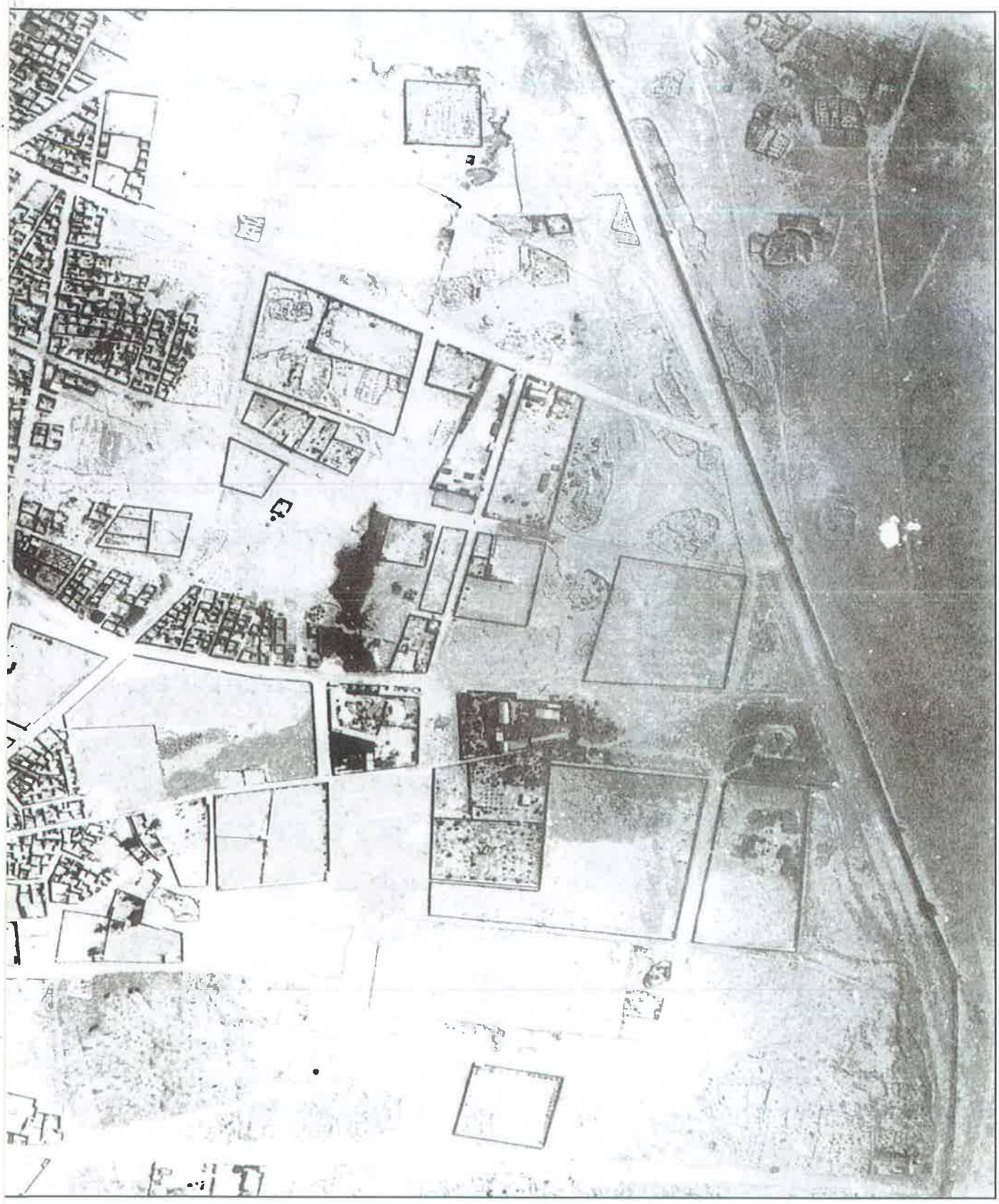

التصوير الجوي لمنطقة المزارع في شرق المدينة القديمة وما يجاورها من مناطق (عام ١٩٥١م)

مخطط لمنطقة المزارع في الشرق (باب الهوا) مع اسماء عدد من أصحاب المزارع

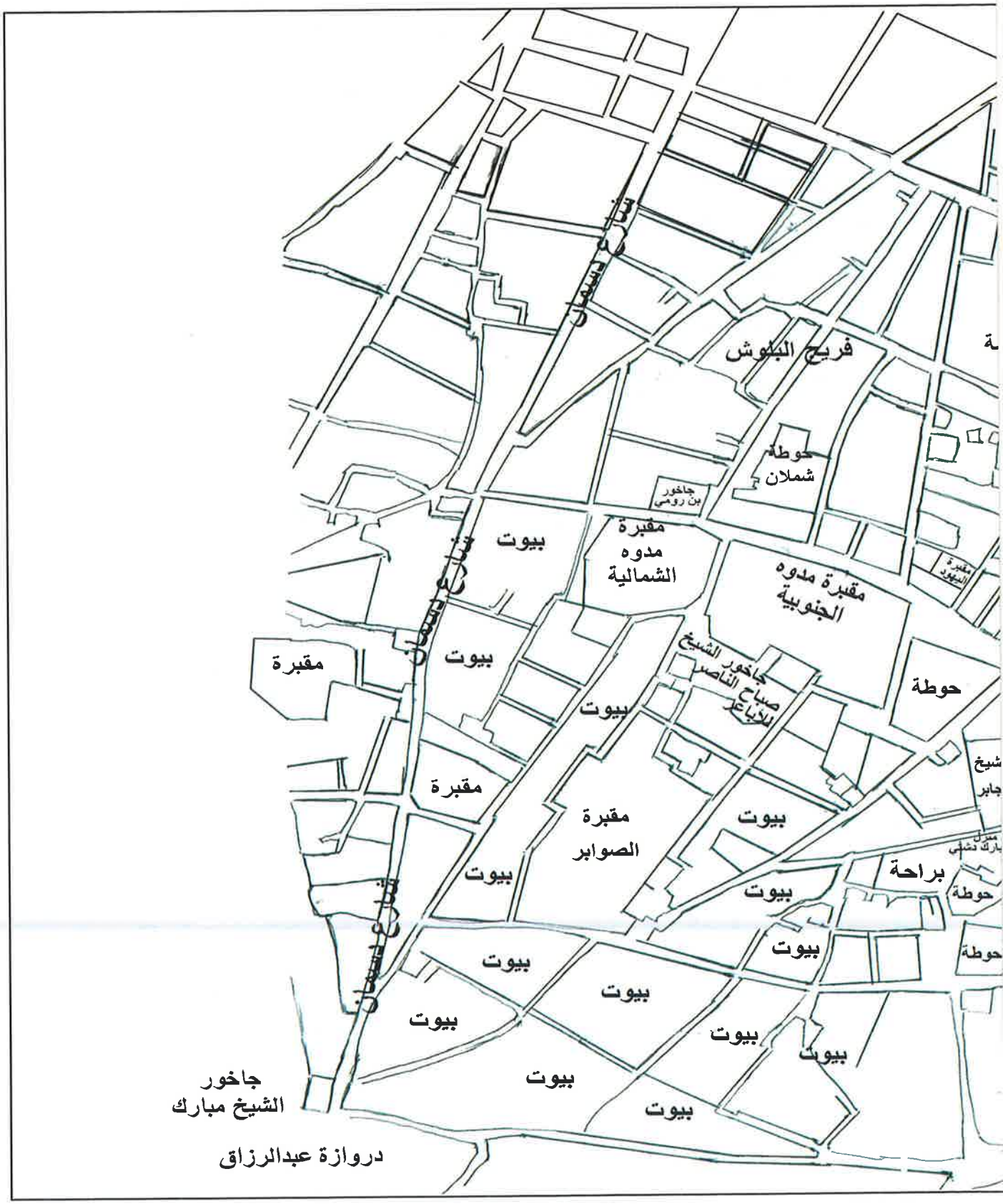
فريح البلوش
حوطة
شملان
جاخور
بن رومي
بيوت
مقبرة
مدوه
الشمالية
مقبرة مدوه
الجنوبية
مقبرة
اليهود
مقبرة
جاخور الشيخ
صباح الناصر
الصباح
حوطة
مقبرة
مقبرة
الصوابر
بيوت
براحة
حوطة
حوطة
جاخور
الشيخ مبارك
دروازة عبدالرزاق

ويذكر الحاج إسماعيل أن المزرعة أصبحت قطعة خضراء لا تكاد ترى فيها مساحة غير مزروعة . وقد عمل خلف الوزان سنتين مع الحاج إسماعيل في المزرعة وكان قوي البنية ينجز العمل بكفاءة ودقة وسرعة دون كلل أو ملل . وكان في أثناء موسم الزراعة يقوم بنقل الإنتاج مشياً إلى السوق ، حيث يقوم بقطع الخضراوات مساء وإزالة الأتربة والسماد من عليها ثم غسلها في حوض كبير لتطهيرها ، ويتم بعد ذلك وضعها في زبيل كبير يتوجه به إلى بيتهم ليقوم في الصباح الباكر بأخذه إلى السوق للبيع . كما اهتم الحاج إسماعيل بزراعة الخس حيث زرع في إحدى السنوات مائة وخمسين "شرباً" [1] من الخس ، ويذكر أن هذا المنتج يحتاج إلى كميات كبيرة من الماء والسماد . وكانوا ينقعون السماد في قواطي الكيروسين الكبيرة لعدة أيام ثم يصبونه في "شروب" الزرع ويتم سقي الخس مرتين باليوم من الآبار فيكبر حجمه . ويباع بسعر يصل إلى نصف روبية للوقية ، ويعتبر ذلك المبلغ كبيراً في ذلك الوقت . ويذكر أنه باع في أحد المواسم ما قيمته ٤٥٠ روبية من الخس في يوم واحد ، وكان ذلك مبلغاً لا يستهان فيه . وكانوا في أثناء الموسم يضعون الكميات الكبيرة من الخس في شلفان[2] وينقلونها إلى السوق على ظهور الحمير . أما بقية الخضراوات فتباع بالربطة (أو الشدّة) ، وتباع ٣ شّدات مقابل بيزة واحدة ، ويتم قطع - أو حش - الخضار ما بين ٦ إلى ٧ مرات خلال الموسم . وكانت حيطان بعض الآبار تتهدم عند نزول المطر فيقوم المرحوم خلف الوزان بإعادة بنائها بالرغم من برودة الجو وصعوبة العمل . وكان ينزع ملابسه وينزل إلى البئر في أصعب أيام الشتاء لإعادة بناء ما سقط من جدرانه وتنظيفه ، ويحمل الحاج إسماعيل التب (السطل) لمناولة الطين وإخراجه من البئر . وكانا يعملان بالمزرعة من طلوع الشمس إلى ما بعد المغرب بساعة واحدة . وقد شغلت المزرعة الحاج اسماعيل عن عمله الأصلي عدة سنوات حيث توقف عن السفر إلى الدورق لجلب الحبوب والتمور وكرس وقته للمزرعة التي أصبحت جزءًا من حياته .

ومن المزارع القريبة منه مزرعة عيسى الوزان ، كما كان من أصحاب المزارع حيي الشمالي وعلي الوزان ، وكانت مزارعهم تمتلىء بالطيور أثناء الربيع فيقومون بصيدها بالساليه ويأخذونها للسوق لبيعها ، وتباع إما حية أو مذبوحة . ويصطاد بعض أصحاب المزارع ما يقارب من ١,٠٠٠ طائر في اليوم يأخذونها إلى السوق

---

(١) الشرب عبارة عن حفرة مستطيلة غير عميقة أو مجرى تزرع فيه الخضراوات .

(٢) شلفان جمع شِليف وهو كيس الخيش كبير الحجم الذي يعبأ به الفحم أو التتن (التمباك) أو البضائع خفيفة الوزن .

للبيع ، وهناك أكثر من عشرين نوعاً من طيور الربيع التي تتواجد في الكويت في فصل الربيع ، منها الحمّامي العربي والحمّامي الحساوي والقليلبة ودجاجة عْدي وأنواع أخرى كثيرة . وكانوا يقومون بتربية الحمّامي العربي بينما يتم ذبح الحمّامي الحساوي للأكل . ويذكر الحاج إسماعيل أنهم كانوا يحفرون حفراً بالمزرعة لصيد دجاج عْدي حيث إن ذلك الطير يتوجه مباشرة إلى الحفرة عند دخوله إلى المزرعة ويضع رأسه فيها ويبقى كذلك فيأتون لصيده ، وتعتبر دجاجة عْدي من الطيور الجميلة والمرغوبة .

ويذكر الحاج إسماعيل أن المرحوم الشيخ سلمان الدعيج الصباح كان قد هدم بيته في إحدى السنوات لإعادة بنائه فسكن بمزرعته القريبة من مزرعة الحاج إسماعيل ، وكان يمر عليهم في المزرعة في أوقات الفراغ لصيد الطيور ويدعوهم لتناول الغداء معه في بعض الأحيان بينما يتناول الغداء معهم في أحيان أخرى .

وقد اشترى الحاج إسماعيل بعد فترة مزرعة أخرى بالقرب من المزرعة الأولى ، وكانت مساحتها ٢,٠٠٠ متر مربع وبنى فيها ٤ غرف وحفر بها عدداً كبيراً من الآبار واستأجر شخصاً لزراعة السدر والاعتناء به حيث زرع ٧٠ سدرة كانت تنتج كميات كبيرة من الكنار(النبق) ، ومكث ذلك الشخص فيها ثلاث سنوات . وقد أسكن الحاج إسماعيل في المزرعة في فترة لاحقة إحدى العائلات للحراسة وكان يذهب إلى هناك مساء كل يوم على ظهر حماره لقضاء أوقاته بين السدر والمزروعات الأخرى وخاصة في أيام الربيع . ويأخذ معه في بعض الأحيان بناته الصغيرات ويركبهن بجانبه على ظهر الحمار ويرافقه إلى هناك المرحوم الحاج موسى أبو الحسن – وكان من أقرب أصدقائه- الذي يمتطي ظهر حمار آخر ترافقه أيضاً ابنته الصغيرة التي كانت صديقة حميمة لبنات الحاج إسماعيل . وكن يلعبن ويمرحن بالمزرعة ويجمعن الكنار إلى ما قبل غروب الشمس ويعدن بعد ذلك إلى البيت . وكان لدى الحاج إسماعيل آنذاك ستة حمير وبغلة لتشغيلها بالكاركة لإدارة الرحى التي تطحن السمسم . واعتاد الحاج إسماعيل على جمع الكنار يومياً من المزرعة لتوزيعه على أصدقائه بالديوانية وفي الفريج ، كما كان يحضر إلى العائلة وإخوانه كميات أخرى . ويعتبر الكنار في ذلك الوقت من الثمار المحببة للكويتيين لقلة أنواع الفواكه التي تصل إلى الكويت من العراق وإيران وغلاء ثمنها وعدم استطاعة الكثير من المواطنين شراءها .

السدرة الوحيدة المتبقية من سبعين سدرة زرعها الحاج إسماعيل جمال في الثلاثينيات من القرن الماضي في إحدى مزارعه في منطقة باب الهوا ، وهي تقع الآن مقابل معرض الغانم للسيارات في الشرق ، على الرصيف ، مطلة على شارع عمر بن الخطاب .

جذع السدرة يحكي عدد السنوات التي مرت عليه دون أن يروى بقطرة من الماء فيما عدا مياه الأمطار الشحيحة

بقايا إحدى السدر التي كانت مزروعة في منطقة باب الهوا ، وتقع الآن على الرصيف الأوسط في شارع عمر بن الخطاب

ويذكر الحاج إسماعيل أن المرحومة والدته كانت تعاتبه دوماً بأنه يعطي الكنار الجيد لأصدقائه ويترك النوعيات غير الجيدة لأهله وإخوانه . ويقول الحاج إسماعيل أنه كان يتضايق من ذلك لكنه لم يكن يعلق أو يرد على عتاب والدته لاحترامه وتقديره لها . ويقول إنه كان جالساً في إحدى الأمسيات في الدكان التابع للكاركة وكان متضايقاً في ذلك اليوم وإذا بالمرحوم صالح جمال يرافقه المرحوم عبد الله الملا صالح يأتيانه بالدكان ويسلمان عليه ويبدأ الحديث معهما . فأخبره صالح جمال برغبة عبد الله الملا صالح في شراء المزرعة . ويقول الحاج إسماعيل إن مفتاح المزرعة في ذلك اليوم كان في جيبه فأخرجه وأعطاه للمرحوم عبد الله الملا ولم يشترط عليه أي سعر ، كما أن عبد الله الملا لم يسأل عن القيمة ، ويذكر الحاج إسماعيل أنه لم يخطر بباله قط بيع المزرعة ، لكن العتاب الذي كان يتلقاه بعدم إعطاء أفضل الأنواع من الثمار لأفراد العائلة جعله يقرر التخلص من ذلك الإشكال . وبعد أربعة أيام أرسل له عبد الله الملا ٤٥٠ روبية ولم يكن هذا المبلغ يساوي ربع قيمة المزرعة التي اشتراها الحاج اسماعيل قبل عدة سنوات بمبلغ ١,٠٠٠ روبية وزرع فيها ٧٠ سدرة وشيد فيها غرفاً وحفر آباراً وزرعها من أنواع الخضراوات الكثيرة . وقد استلم الحاج إسماعيل المبلغ ولم يعلق أو يعترض على الموضوع ، وبقيت عنده المزرعة الثانية . ويقول الحاج إسماعيل أن عبد الله الملا جاءه بالكاركة بعد سنتين يطلب شراء المزرعة الثانية وعرض عليه ٦٠٠ روبية فاشترط عليه الحاج إسماعيل أن يبادله بأرض ثانية تقع شرقي مزرعته بالإضافة إلى المبلغ فوافق عبد الله الملا على ذلك ، وذهبا معاً إلى الأرض وشاهداها . وظل الحاج إسماعيل ينتظر استلام الأرض البديلة طويلاً لكنه لم يستلم شيئاً . وقد بنى عبد الله الملا على أرض المزرعة إثني عشر بيتاً أجرها على شركة نفط الكويت لإسكان موظفيها بعد أن وقع عقداً معهم لذلك . كما بنى له عليها بيتاً كبيراً وحديقة . لكن الحاج إسماعيل لم يستطع الصبر والانتظار طويلاً دون أن تكون لديه مزرعة لممارسة هوايته المفضلة فاشترى في منتصف الأربعينيات أرضاً صغيرة في فريج الصوابر بالقرب من مسجد الحياك (مسجد الإمام الصادق حالياً) بمبلغ ٣,٧٥٠ روبية وبنى فيها بركة وحجرتين وزرع عدداً من السدر والنخل والمزروعات الأخرى ، وكان يتوجه إليها مرتين في اليوم صباحاً ومساءً . ونظراً لكونها تقع بين البيوت بدأ صبيان الفريج بالتسلق على الجدران وقطف الكنار والبلح وتخريب المزروعات في أثناء غياب الحاج إسماعيل مما جعله يتضايق من ذلك ويطلب إلى الحكومة تثمينها فتم له ذلك في منتصف الخمسينيات وقدرت قيمتها بمبلغ ٤٤٥,٠٠٠ روبية فاشترى بجزء من قيمتها بناية أوقفها لأعمال الخير .

ويذكر الحاج إسماعيل أن عبد الله الملا اشترى أيضاً عدداً من المزارع في تلك المنطقة من بينها مزرعة للمرحوم الحاج فرج عوض بهبهاني ، وكانت تلك المنطقة تضم الكثير من المزارع من بينها مزرعة الشيخ سالم الحمود الصباح الذي زرع فيها عرفج ونبتت منه كميات كبيرة . كذلك كانت هناك مزرعة للشيخ فهد السالم الصباح الذي أعطى منصور قبازرد أرضاً هناك فبنى عليها الحمام الحالي(حمام الشرق الأوسط) كما توجد مزرعة للمرحوم إسماعيل معرفي أصبح مكانها الآن المغتسل الجعفري .

وكان من المزارع التي لا تبعد كثيراً عنهم مزرعة المرحوم الحاج جمال عبدالله جمال الذي اشترى مزرعتين بالقرب من مقبرة الصوابر ، وقد بنى فيها الحاج جمال غرفة صغيرة ساعده في بنائها الحاج إسماعيل ، وكان الحاج إسماعيل يذهب معه إلى المزرعة ، وكذلك المرحوم عبدالرحيم النقي ، لصيد الطيور هناك . وقد ضمت المزرعة ثلاثة أثلات كبيرة جداً تتجمع عليها الطيور أثناء الربيع . وقد طلب عبدالرحيم النقي إلى جمال شراء نصف المزرعة فباعه نصفها بسبعين روبية وكتب على وثيقتها أن نصف المزرعة يعود للمرحوم عبدالرحيم علي النقي . وكان بجانب مزرعة المرحوم جمال بن عبدالله مزرعة للمرحوم جابر الصباح وكذلك صباح الناصر الصباح الذي قسم مزرعته فيما بعد وباعها على الناس الذين بنوا عليها بيوتاً سكنية . وكانت في تلك المنطقة مزارع أخرى تعود للعوازم والرشايدة وتضم آباراً كثيرة ، وتمتد المزارع من تلك المنطقة إلى الدسمة . وقد اعتاد عدد من العوازم في ذلك الوقت على شراء الأراضي وحفر آبار فيها وزراعتها ثم بيعها . وكان الحاج جمال عبدالله جمال لديه تجارة وأعمال في مدينة المحمرة ، وكان دائم الذهاب إلى هناك حيث يمكث لعدة أشهر لتصريف أعماله ، مما يشغله عن متابعة أمور المزرعة . ويذكر المرحوم الحاج إسماعيل أن المرحوم الشيخ صباح الناصر كتب في أحد المرات رسالة للمرحوم الحاج جمال يطلب إليه فيها أخذ الأثل الموجود بمزرعته فكتب إليه جمال بالموافقة فتم قطع الأثلات الثلاثة ونقل الأغصان إلى مزرعة الشيخ صباح الناصر بالجهرة لاستخداماته هناك . وقد بقيت مزرعة جمال مهجورة مدة طويلة إلى أن تم تثمينها .

ويتذكر الحاج إسماعيل أن فترة إنشغاله وعمله بالمزرعة كانت من أحلى الأيام ، إذ كان يقضي أيامه هناك منشغلاً بهوايته المفضلة بينما اعتاد أصدقاؤه ورواد الديوانية أن يزوروه هناك في الأمسيات لقضاء وقتهم بين الخضرة والمزروعات المختلفة وشرب الشاي والقهوة في تلك الأجواء الجميلة . كما اعتاد على دعوتهم للعشاء هناك مراراً حيث كانوا يقضون أوقاتاً ممتعة ، وكانوا يتوجهون إلى المزرعة مشياً على الأقدام . ومن

بين الذين اعتادوا الذهاب إلى المزرعة المرحوم الشيخ إبراهيم المزيدي . كما كان يدعو المرحوم السيد جواد القزويني وعدداً من رواد ديوانه ويستأجر سيارة لنقل السيد جواد إلى هناك ثم إعادته قبل صلاة المغرب .

الزراعة في الكويت

ضمت مدينة الكويت في الماضي مزارع كثيرة في الشرق والقبلة وكانت تسقى من الآبار ، كما كان هطول الأمطار يساعد على نمو النباتات الموسمية سواء الخضراوات أو الحشائش في البر أو القمح في عدد من المناطق . وكان الاعتماد الرئيسي للري على الآبار التي كان الماء يستخرج منها بواسطة القرب . ومن أهم الأشجار المثمرة في الكويت السدر وقليل من النخل الذي كان يزرع بالجهرة لتوافر الماء نسبياً هناك في الآبار . وكان الأثل من الأشجار المنتشرة في الكويت حيث تتوجه إليها الطيور للظل أثناء الربيع في طريق هجرتها . كما كانت هناك زراعة بسيطة في قرى الجنوب كالفنطاس والفحيحيل والمنقف حيث يزرع البطيخ والطماطم والخيار وغيرها ، ويزرع البعض القمح بصورة محدودة في العديلية وخيطان بينما يزرع العوازم الخضراوات في منطقة الدسمة . ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ صباح الناصر وعدداً آخر من الشيوخ كانوا يتشاركون مع بعض

الشيخ صباح الناصر الصباح

المهتمين بالزراعة لزراعة القمح في منطقة العديلية حيث يتم تجهيز الأرض ثم يبذرونها وينتظرون هطول الأمطار لسقيها فتنتج كميات لا بأس بها يتم حصادها وجلبها إلى الديرة لاستخدامهم الخاص بينما يتم تغذية حيواناتهم بالتبن الذي يتم فصله عن القمح . وتستخدم الحمير والبغال لحرث الأرض ، ولا يحتاج القمح إلى كميات كبيرة من الماء بل تكفيه لينمو هطول الأمطار بالموسم ما بين ثلاث إلى أربع مرات ، على عكس الأرز الذي يحتاج إلى كميات كبيرة من الماء ولا يمكن زراعته في الكويت . وكانوا بعد جفاف سنابل القمح يستخدمون قطعاً طويلة خاصة من الخشب لضربه بهدف فصل التبن عن الحبوب . كذلك كانت هناك زراعة محدوده في حولي والنقرة ، بينما اشتهرت الجهرة بزراعة البلح حيث يجلب منها بلح السعمران إلى السوق الذي كان صغير الحجم لقلة الماء والسماد . ويملك بعض الأفراد مزارع خاصة بهم في مناطق الشرق وخاصة في منطقة باب الهوا التي تقع في أقصى شرق المدينة لزراعة الخضراوات والسدر ، بينما يملك بعض الشيوخ كالمرحوم الشيخ صباح الناصر وغيره مزارع في الجهرة وغيرها من القرى ، وقد تمت زراعتها بالنخيل والجت (البرسيم) والخضراوات . وكانت المياه تسحب من الآبار في المزارع الكبيرة بواسطة الحمير وكذلك الجمال ويتم تفريغها في أحواض مبنية من الصخر والطين بالقرب من الآبار ثم يتم توزيعها على الشروب للسقي . وقد جلب الشيخ صباح الناصر في الأربعينيات من القرن الماضي مضخات لسحب المياه من الآبار بدلاً من الحمير لمزارعه في الجهرة .

ويذكر الحاج إسماعيل أن عدداً من أصدقائه من أبناء الفريج والمناطق المحيطه كانوا يتشاركون مع عدد من الشيوخ لزراعة القمح في منطقة خيطان . ومن هؤلاء المرحومين الحاج يلي أحمد إبراهيم وعبد الحسين النقي وغريب دشتي وآل الكوت وغيرهم ، حيث شارك بعضهم كل من المرحومين الشيخ صباح الناصر الصباح والشيخ علي الخليفة الصباح والشيخ سالم الحمود الصباح والشيخ سلمان الحمود الصباح . وكان الحاج إسماعيل وعدد من أصدقائه يتوجهون إلى مزارع أصدقائهم في خيطان على ظهور الحمير لقضاء الوقت في فصل الربيع حيث يمكثون عدة أسابيع . ويتوجه الحاج إسماعيل إلى هناك على ظهر البغلة التي كانت تدير رحى الكاركة . ويذكر أنهم دعوا في أحد المرات المرحوم الشيخ إبراهيم المزيدي لقضاء يوم هناك ، وقد صادف ذلك اليوم مناسبة وفاة

مزارع من الجهرة

أحـد الأئمة . وقـد جاءهم إلى المخيم المرحوم سـليمان الرندي الذي كانـت مزرعته مجاورة لهم ، وأحضـر معـه المرواس (طبـل صغير) وجلـس معهم في الخيمـة وبدأ يغنـي بوجود الشـيخ ابراهيم المزيـدي ممـا أدى إلـى إحراجهم . ويشـير الحاج إسـماعيل إلـى أن الحكومـة في عهد الشـيخ أحمد الجابـر الصباح بدأت بتشـجيع إنشـاء المزارع عن طريق بيع الأراضي بأسـعار زهيـدة على المواطنين بشـرط بناء حوائط حولها . وكانت تنشر الإعلانات بخصوص ذلك وتطلب إلى الراغبين في شراء أراضـي للزراعـة تقديم طلب للجهـات الحكومية المختصة . وقد باعت الحكومـة أراضي في منطقة حولـي بسـعر ٥ روبيات للمسـاحة البالـغ طولها ١٠٠ ذراع وعرضهـا ١٠٠ ذراع (أي ١٠,٠٠٠

ذراع مربع) أي حوالي ٢,٠٠٠ متر مربع [١] ، وكان الشخص المسؤول عن ذلك هو سلطان الفليج . وبتحويل القيمة لواقعنا اليوم يصبح سعر الأرض ذات المساحة البالغة ١,٠٠٠ متر مربع حوالي ٢٠٠ فلس تقريباً . ويذكر الحاج إسماعيل أن الأمطار في الماضي كانت غزيرة وتستمر في الهطول طوال فترة الشتاء وتستمر في بعض الأحيان لمدة أسبوعين متتاليين أو أكثر فتصبح الصحراء خضراء في فصل الربيع ترعى فيها الأغنام فترات طويلة من العام . ويذكر أن الأغنام كانت لا تستطيع المشي في منتصف النهار من كثرة ما تتناوله من أعشاب فتجلس على الأرض فترات طويلة لتجتر ما في معدتها من غذاء . كما يذكر أن الرعاة من مختلف المناطق الصحراوية القريبة كانوا يجلبون أغنامهم إلى صحراء الكويت للرعي . فقد اعتاد المخكرة [٢] من جنوب العراق على جلب حميرهم وأغنامهم للرعي داخل حدود الكويت وكانوا في منتصف النهار يربطون أفواه دوابهم وأغنامهم للتوقف عن الأكل حتى لا تصيبهم تخمة من الإفراط في تناول الحشائش . ومن المعروف أن بعض أنواع الأعشاب كالربلة والثمام والصريم وغيرها تزيد من كميات اللبن في الأغنام والجمال . كما كانت الأمطار تؤدي إلى هدم الكثير من البيوت الطينية وملأ الحفر الموجودة بين البيوت لاستقبال السيول . ويذكر الحاج إسماعيل أنه هطلت أمطار غزيرة في إحدى السنوات التي أطلق عليها سنة الهدامة [٣] فامتلأت الصحراء بالخبارى والبحيرات الصغيرة التي ظلت أكثر من شهرين مليئة بالمياه . كما تهدمت كثير من المنازل وسقطت حيطان المزارع وانجرفت المزروعات والأشجار إلى ناحية البحر ، وكانت السيول تتجه من منطقة الدسمة إلى منطقة الشعب ، وقد تهدم في تلك الفترة السد الذي بناه الشيخ سالم المبارك من قبل في منطقة النقرة بهدف حجز مياه الأمطار ، حيث

---

(١) يبلغ طول الذراع حوالي ٤٥ سم والذراع المربع حوالي ٢ , متر مربع وبذلك تصبح مساحة ١٠,٠٠٠ ذراع مربع تساوي حوالي ٢,٠٢٥ متر مربع .

(٢) المخكرة أو الخكرة هم بدو من جنوب العراق كانوا يتوجهون إلى الكويت أثناء الربيع مع حميرهم ذات الحجم الصغير واللون الرمادي المائل إلى اللون البني لبيع منتجات الألبان التي يصنعونها ويشترون بقيمتها المواد التموينية كالشاي والسكر والقهوة وغيرها .

(٣) نزلت أمطار غزيرة عام ١٩٣٤م (١٣٥٣هجرية) تهدمت على أثرها الكثير من المنازل ، وقد أرخ الكويتيون ذلك الحدث وأصبحوا يشيرون إليه بسنة الهدامة . كما أصبحوا يقرنون تاريخ وقوع أي حدث مهم بسنة الهدامة ، فيقال مثلاً أن الحدث الفلاني وقع بعد الهدامة بسنتين أو ثلاث سنوات ، وهكذا .

جرفته الأمطار والسيول إلى البحر أيضاً . ويذكر الحاج إسماعيل أن الناس اعتادت على التوجه إلى تلك الخبارى للتنزه آخذة معها الشاي وبعض المأكولات لقضاء أوقاتها هناك في فترة الربيع . كما دأب أصحاب الدراجات من الشباب إلى الذهاب إلى هناك ومعهم الخيام لقضاء النهار في تلك المناطق .

وكان الكثير من الكويتيين يتوجهون إلى البر في فصل الربيع للتنزه وجمع الحشائش لأغنامهم ودوابهم حيث يتم خزنها في غرف مخصصة لذلك في بيوتهم لإطعام الحيوانات طوال العام . ويستخدم الأولاد نبات الصريم بوضعه (بالشبچ)[1] لصيد الطيور حيث أن ذلك النبات كان به ثمر يشبه حب الرمان وكان يجلب الطيور إلى (الشبچ) الذي كان يُنصب فوق السطوح لصيد الطيور .

الجراد:

كانت كميات هائلة من الجراد تتوجه في الماضي إلى الكويت فتحول البلاد إلى وضع غير طبيعي ، حيث تغطي تلك الأفواج السماء وتحجب الشمس من كثرتها وتخلق جواً يمتزج فيه الشعور بالفرح لدى الأطفال وشباب الفرجان ، والفزع لدى أصحاب المزارع من الخسائر التي تنتظرهم . فمن جهة يتهيأ الأهالي لصيد أكبر كميات ممكنة لطبخه وأكله ، بينما يتوجه الأطفال والنساء إلى السطوح لصيد أكبر كمية ممكنة منه . أما الصيادون فيجهزون أنفسهم بعد أن يعرفوا مواقع نزوله بالصحراء للتوجه إلى هناك مساء ومع كل منهم حمار أو أكثر وقد أخذوا معهم أعداداً من الخياش لملئها بأكبر كميات ممكنة منه . وتنزل أفواج الجراد إلى الأرض مع حلول الظلام مما يساعد الصيادين على جرف كميات كبيرة منها وتعبئتها بالخياش بواسطة المكانس . وتشاهد في بعض الأحيان الثعابين في الخياش حيث تخرج من جحورها ليلا لأكل الجراد فيجرفها الصيادون مع الجراد داخل الخياش . ويأتي الجراد عادة في بداية الربيع بعد انتهاء موسم المربعانية ، وتباع الخيشة بحوالي نصف روبية أو روبية واحدة بحسب توافره . ويتوجه الناس إلى الصفاة لشرائه حيث تكون الأسعار هناك أقل من الأسواق الأخرى نظراً لتوجه الصيادين مباشرة إلى هناك لبيعه . وتمتلئ الأسواق وبخاصة دروازة العبد الزراق منه حيث يشتريه أصحاب الدكاكين وهو معبأ بالخياش ، فيبيعه البعض وهو حي بينما يضع بعض

---

(١) الشبچ : مصيدة للطيور مصنوعة من نوع من أنواع القصب . ويتم وضع عدد من هذه المصائد فوق السطوح وتوضع حولها بعض النباتات لجلب الطيور لصيدها .

تعتبر صحراء الكويت من أفضل المراعي للأغنام والإبل أثناء فصل الشتاء والربيع بعد هطول الأمطار لتوفر كميات كبيرة ومتنوعة من الأعشاب فيها . وتشاهد الصحراء في هذه الصورة وقد غطتها الأعشاب بينما تسير الجمال بوسطها بين مراعيها الغنية (١٩٢٤م) .

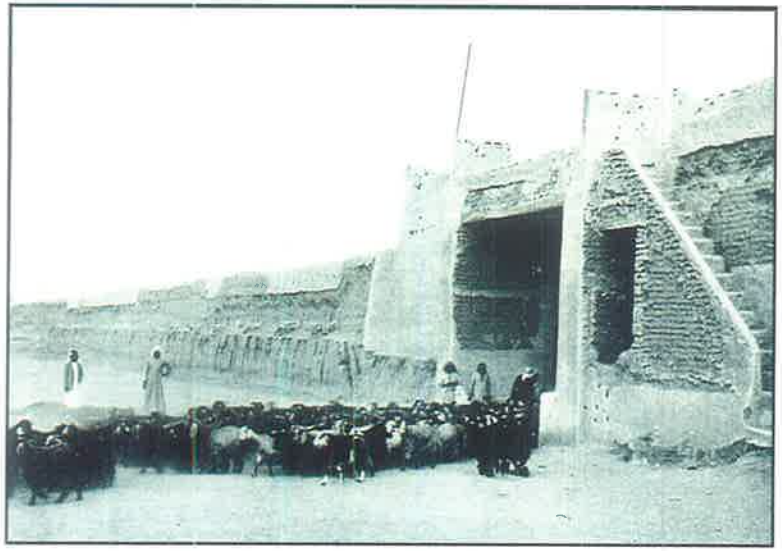

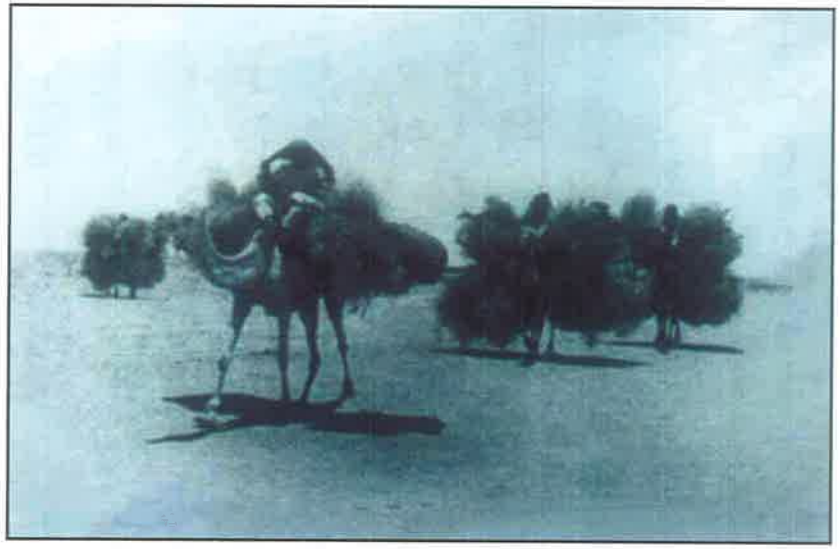

الجمال وقد حملت على ظهورها كميات كبيرة من الحشائش إلى المدينة لبيعها كأعلاف لأصحاب الأغنام بينما تشاهد الأغنام في الصورة الأخرى وقد عادت مع الراعي – أو الشاوي – من الصحراء قبل الغروب وهي داخلة إلى المدينة من بوابة السور بعد أن قضت يومها في الصحراء وهي تتناول مختلف أنواع الأعشاب .

الباعة أمام محلاتهم أو بالبسطات القدور المليئة بالجراد المطبوخ لبيعه على الأطفال والمارة . كما تستعد بعض العائلات لتهيئة القدور لطبخه وتجفيف الفائض عن الحاجة منه للأيام والأسابيع أو الأشهر القادمة لتناوله . أما أصحاب المزارع فكانوا هم المتضررين الذين يفقدون كل ما قاموا بزراعته من خضراوات وبذلوا لأجله من جهد وعرق ليتحول في غضون ساعات قليلة إلى أرض قاحلة ليس بها إلا أعواد صفراء . فعندما كان يمر الجراد على مناطق المدينة المزروعة تجد الأرض التي أمامه خضراء اللون بينما لا تمر إلا دقائق حتى تصبح أرضاً جرداء ليس بها أي شيء يدل على أنها كانت مزروعة من قبل . ويذكر الحاج إسماعيل أن أحد أصحاب المزارع القريبة من مزرعته- وكان من الظرفاء- كان إذا توجه الجراد إلى مزرعته يغادر المزرعة تاركاً خلفه الدلو (السطل) الذي يستخدمه لاستخراج الماء من البئر في مكانه ، وهو يومئ إلى أفواج الجراد أثناء خروجه من المزرعة قائلا تفضلوا . . . تفضلوا . . . ثم يغادر مزرعته إلى بيته ليعود في اليوم التالي ليرى المزرعة وقد تحولت إلى أرض قاحلة . وكان الجراد أيضا يقضي على الأعشاب والحشائش وكذلك أوراق السدر والنخيل داخل المدينة وخارجها .

وبعد انتهاء موسم الجراد بعدة أسابيع يأتي موسم (الدبى) وهو صغار الجراد الذي يفقس بعد فترة من قدوم الجراد الذي يضع بيضه تحت الأرض الرملية في المزارع والصحراء ، وكأنه يشير إلى أنه لا يكفيه قضاؤه على المزارع في جولته الأولى ليعطي الفرصة لصغاره بإكمال ما بدأه من خراب . . . فالدبى يخرج بعد أن تدفأ الأرض وذلك بعد أربعين يوما من وضع البيض فيها . وعندما يفقس البيض يخرج منه الدبى بحجم النملة الصغيرة ثم ينمو بسرعة عجيبة لنهمه في تناول الأعشاب فيملأ المدينة مرة أخرى ويتناول كل شيء أمامه . وينمو الدبى ويصبح أكبر كثيرا من حجم الجرادة ويتحول إلى ما يسمى(اليخاخ) بعد نموه ويقف على الحيطان فيغطيها وتبدو صفراء اللون من كثرته ويمكث من عشرة أيام إلى أثني عشر يوما وهو يطير ويأكل كل ما يصادفه من غذاء وأعشاب بشراهة عجيبة ويرمي أوساخه في كل مكان . وبعد ذلك يطير بأفواج كبيرة مغادراً المدينة متوجها ناحية البحر فيرتاح الناس ويتنفسون الصعداء . ويسقط معظم اليخاخ في البحر ويموت ويصبح غذاء للأسماك . كما تمتلئ آبار المزارع من اليخاخ الميت وتصبح آسنة وتحتاج إلى تنظيف . لذلك يحرص أصحاب المزارع على تغطية فوهات الآبار لتجنب سقوط اليخاخ بداخلها . ولا تصلح اليخاخة للأكل كالجراد لسوء مذاقها وخلوها من (اللحم) .

ومما هو معروف أن الكويتيين في الماضي كانوا يرغبون في تناول الجراد ، الذي يشكل وجبه رئيسية لأعداد كبيرة من العائلات لفترات طويلة من الزمن لرخص ثمنه وقيمته الغذائية المرتفعة ، حيث يتناوله بعضهم مع التمر كوجبه كاملة . وكانت تلك العائلات تشتري عدداً من الخياش لطبخه وتناوله في وجبه الغداء . ويتم طبخ الجراد في قدور كبيرة يوضع فيها الملح ويلقى بها الجراد وهو حي . ويفضل الجميع طعم الأنثى التي يطلق عليها (المُكنة) وجمعها (المكن) لوجود البيض في أحشائها ، ويكون حجمها متوسطاً ولونها بنيّاً على عكس لون وشكل الذكر الذي يسمى (العصفور) وهو ذو لون أصفر وليس له طعم مميز . وهناك عائلات -خاصة أصحاب الدخول المحدودة- تشتري أعداد كبيرة من خياش الجراد تصل إلى عشرة خياش لطبخه وتجفيفه بنشره فوق السطوح لفترة ثم تخزينه في خياش لتناوله أثناء فترة الشتاء .

وكانت بعض النساء من العائلات ذات الدخول المحدودة يجلسن في دروازة عبد الرزاق وبعض الساحات والبرايح وأمامهن القدور التي تحتوي على الجراد المطبوخ لبيعه والحصول على بعض الدخل . كما كانت بعض النساء أيضاً تتوجهن إلى ساحل البحر أثناء فترة الثبر- أي فترة الجزر- لالتقاط الزبابيط (صدف البحر) ، وغليها بالماء الحار ثم عرضها بالسكيك والساحات حيث يجلسن وأمامهن القدور لبيع (الزبابيط) على الأولاد والمارة ، بينما تصيح كل منهن " زبابيط . . . كبار . . .وناضج . . ." لإغراء الأطفال بشرائه وتناوله ، وكانت كل أربع زبابيط تباع ببيزة واحدة . وكان كثير من العائلات تعاني من الفقر مما يجعلها تعتمد في غذائها على الوجبات الرخيصة حيث يتناولون الزبابيط أو الجراد مع التمر ، بينما تعتمد عائلات أخرى على التقاط الزبابيط وطبخه ثم بيعه لتحصل على نصف روبية أو أقل من ذلك في اليوم .

الماء في الكويت

اعتمد الكويتيون منذ نشأة الكويت إلى بدايات القرن العشرين على آبار المياه العذبة التي كانت موجودة في عدة مناطق من الكويت ، وكذلك على مياه الأمطار التي كانت تتجمع على شكل بحيرات صغيرة أو (خباري) تستمر لعدة أسابيع أو ربما أشهر بعد هطول الأمطار . كما توجد عدة مراوي (جمع مروي) - وهي عبارة عن آبار مستديمة في مناطق مختلفة - تحتوي على الماء العذب ، ومن المناطق التي اشتهرت بتوافر المياه العذبة في الماضي الدسمة والنقرة والعديلية والشامية وأخيراً حولي التي اكتشفت

فيها المياه العذبة في حوالي عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) ، وقد سميت بهذا الاسم عندما تم حفر آبار فخرج منها ماء عذب . والمراوي عبارة عن آبار غير عميقة يصل عمقها ما بين باع إلى باعين (حوالي ٣ أمتار) وكانت تمتليء من مياه الأمطار والسيول التي تتوجه للمناطق المنخفضة فتحتفظ بالماء مدة طويلة . وكان الناس يجمعونها بعد هطول الأمطار بينما تتسرب كميات كبيرة منها تحت الأرض فيأتي الناس صيفاً لاستخراجها من الآبار ويتم ملء القرب منها ، كما ينقلها الحمّارة إلى البيوت لبيعها .

ويستذكر الحاج إسماعيل قصة تعكس العقلية التجارية المتطورة لدى التجار الكويتيين الأوائل ومحاولة استفادتهم من الأحداث لترويج بضاعتهم ، فيقول إنه وفي خضم فترة اكتشاف آبار حولي العذبة طلب المرحوم جاسم بودي من المرحوم الملا عابدين بن باقر نقش كلمة حولي بخط جميل ليضعها كعلامة تجارية (أو ماركة) على ربطات القماش التي كان يستوردها من لندن . وكان المرحوم جاسم بودي من كبار التجار ويملك أعداداً كبيرة من الدكاكين والمحلات ويستورد الأقمشة من بريطانيا لبيعها على أصحاب المحلات . وقد قرر في تلك السنة إطلاق اسم (حولي) كماركة جديدة أو (علامة)

الحمّارة وقد وقفوا مع حميرهم في سوق الماء لبيع الماء على المواطنين ويشاهد على يمين الصورة أحد الكشكين اللذان شيدهما الشيخ مبارك الصباح والذي يطل على السوق .

على نوع من القماش . وقد خط الملا عابدين كلمة حولي وأرسلها جاسم بودي إلى لندن فطبعت ووضعت على طاقات القماش (الربطات) كماركة جديدة وقدم جاسم بودي للملا عابدين ٥ روبيات مقابل ذلك ، وتم بيع كميات كبيرة من ذلك القماش . وقد استخدمت كلمة حولي في ذلك العام كماركة لعدة منتجات بعد أن اشتهرت المنطقة بمائها العذب . وقد اشتهر الملا عابدين بن باقر في بداية القرن الماضي بخطه الجميل بالإضافة إلى كونه شاعراً بارعاً وصاحب مدرسة لتعليم الأولاد القرآن الكريم والقراءة والحساب .

ويذكر الحاج إسماعيل أن تلك الفترة – العقد الأول من القرن العشرين – شهدت أيضاً بدء سفر الأبوام إلى شط العرب لجلب الماء من هناك . وقد تم بناء سفن خاصة لذلك الغرض وضعت فيها خزانات خشبية يطلق على الواحد منها (فنطاس) . وكانت الرحلة تستغرق يوماً أو يومين ذهاباً وإياباً للسفن الصغيرة بحسب اتجاه الرياح ، بينما تستغرق رحلة السفن الكبيرة حوالي ٥ ساعات ذهاباً و ٥ ساعات إياباً خاصة في موسم البارح ، وكان الماء يعبأ من الشط في خزانات خشبية توضع في جوف السفينة ، وتحتوي كل سفينة على عدد من الخزانات يتراوح ما بين ٦ إلى ٨ خزانات بحسب حجمها . وكان الحمّارة والكنادرة ينقلون الماء من السفن إلى البيوت ، ويحمل الكندري تنكتين تعلقان على طرفي عمود يضعه على كتفه ، بينما يضع الحمّار ٣ قرب على ظهر الحمار ، واحدة على كل جانب ، يتم ربطها بالأخرى ، وتوضع الثالثة فوق الاثنتين وتربط بهما . وكان أصحاب أبوام الماء يبيعون تنكة الماء بثلاث بيزات أو آنة واحدة ، بينما يبيع الحمّارة والكنادرة التنكة بآنتين أو ثلاث آنات مع أجرة النقل . وقد أدى توجه الأبوام إلى الشط لجلب الماء إلى ترك الناس مياه الآبار وازدياد عدد الأبوام التي تنقل الماء من شط العرب إلى ما يقارب مائة بوم . وكانت الأبوام تشاهد بعد عودتها من الشط وهي تقف في النقع المخصصة لها ومن حولها الناس وقد تجمعوا بأعداد كبيرة لشراء الماء . كما كان بعض الناس يذهبون سباحة إلى تلك الأبوام أثناء المد ومعهم قِرَبهم لملئها بالماء مباشرة من الأبوام قبل أن تصل بالقُرب من الساحل داخل النقعة ، حيث ينتظر العشرات من الناس دخولها إلى النقعة لشراء الماء .

وكان الحمّار أو الكندري يتوجه إلى البيوت ليصب الماء في أوعية كبيرة مصنوعة من الفخار (تسمى يْحلَة) كانت موجوده في كل بيت ، وتستخدم لخزن الماء ، ويدفن نصفها السفلي بالأرض والنصف الآخر فوق مستوى الأرض للتمكن من اغتراف الماء منها وكذلك تنظيفها . وكان لكل عائلة عميل خاص بهم من أصحاب الحمير يقوم بتزويدهم بالماء . وقد بنى بعض المتمكنين من المواطنين بركاً في بيوتهم في بداية العشرينات من القرن الماضي بعد أن وصل الأسمنت إلى الكويت . وكانوا يستخدمون (الشِتْري) لتوجيه مياه الأمطار إلى فوهة البركة ، والشتري عبارة عن قطعة كبيرة من القماش السميك يتم نشره فوق الحوش لجمع مياه الأمطار وتوجيهها إلى البركة .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الجو أصبح بارداً جداً في إحدى السنوات - وكان ذلك في عهد الشيخ مبارك الصباح - فتوقف جلب الماء من شط العرب لصعوبة العمل ، إذ كان عمال النقل في عملهم يقفون على "الجالي" [1] لاغتراف الماء من الشط وصبه في خزانات السفينة ، مما يؤدي إلى ترطب ثيابهم وتعرضهم للبرد الشديد والمرض . فخرج الناس إلى البر لحفر الآبار للحصول على الماء بعد أن كادت مياههم تنفد ، وكأنهم عادوا سنوات طويلة إلى الوراء بعد أن توقفوا عن تلك العملية لسنوات . وكان من لديه حمار آنذاك في حالة أفضل من غيره ، حيث كان يضع عليه القرب ويتوجه به إلى مواقع الآبار القديمة لجلب الماء . أما الذين لم يكن لديهم حمير فكانوا يأخذون أوانيهم من مكان إلى آخر للحصول على الماء .

الحمّارة وهم في طريقهم إلى داخل المدينة بعد أن ملأوا قِرَبهم من الماء الذي كان يستخرج من الآبار في المناطق خارج السور كالشامية والدسمة وحولي .

(١) الجالي هو لوح مستطيل من الخشب يتم تثبيته في جدار السفينة الخارجي على جانبيها ليقف عليه العامل أو البحار لاغتراف الماء العذب من الشط وصبه في خزانات السفينة .

أبوام الماء بعد وصولها من شط العرب إلى النقعة ويشاهد الحمّارة وقد ملأوا قِرَبهم من الماء لبيعه على عملائهم .

الفصل الخامس

شخصيات في ذاكرة الحاج إسماعيل

الشيخ مبارك الصباح

الملك عبدالعزيز آل سعود

الشيخ جابر المبارك الصباح

الشيخ سالم المبارك الصباح

الشيخ أحمد الجابر الصباح

الشيخ خزعل بن مرداو

الشيخ موسى بن محمد المزيدي

الشيخ محمد بن موسى المزيدي

السيد مهدي الموسوي القزويني

السيد جواد الموسوي القزويني

الشيخ إبراهيم محمد المزيدي

الملا عابدين بن حسين باقر

الاستاذ راشد الرباح

الفصل الخامس

شخصيات في ذاكرة الحاج إسماعيل

١ - الشيخ مبارك الصباح

ولد الحاج إسماعيل جمال عام ١٣١٠هـ (١٨٩١م) في آخر عام من عهد الشيخ عبد الله الثاني بن صباح ، الحاكم الخامس للكويت ، وكان عمره حوالي ٥ سنوات عندما استلم الشيخ مبارك الصباح دفة الحكم عام ١٨٩٦م . وكان والده ووالدته وخاله وعدد آخر من عائلته قد توجهوا إلى الحج في ذلك العام برفقة الشيخ حمود الصباح شقيق الشيخ مبارك الصباح . وكان الشيخ حمود الصباح وأبناؤه سالم الحمود وسلمان الحمود أصدقاء للحاج علي والد الحاج اسماعيل .

وكان الحاج إسماعيل منذ طفولته وفي أثناء فترة دراسته لدى الملا عابدين يشاهد الشيخ مبارك الصباح مرتين في اليوم وهو يمر أمام مدرسة الملا عابدين الواقعة قرب بهيتة والتي منحها الشيخ مبارك الصباح للملا عابدين لتدريس الأطفال . وكان الحاج إسماعيل آنذاك يشاهد بإعجاب امتطاء الشيخ مبارك الصباح لفرسه المزين بالذهب عند مروره في سوق التجار في طريقه إلى الكشك الجنوبي صباحاً والكشك الشمالي مساءً وهو محاط بالفداوية يتقدمهم المرحومان محمد الخبيزي وسليمان الرندي وهما يناديان (بالك ياولد . . . . بالك ياولد . . .) ليفسح المارة الطريق لموكب الشيخ ، وكان عمر الحاج اسماعيل آنذاك حوالي ١٠ سنوات . ويتذكر أن الشيخ مبارك كان طويل القامة ذا هيبة ووقار ، يرتدي لباساً فاخراً مكوناً من الشلاح[١] المخيط من قماش أبيض خفيف من النوع الفاخر الغالي الثمن المسمى (ريزه) وهو يجلب من الشام ، وعادة ما كان يلبس فوقه زبوناً[٢] مطرزاً بالزري[٣] وغترة حمراء وعقال زري وبشتاً دربويه (مطرزاً بالزري أيضاً) .

وكان الحاج إسماعيل قد سمع كثيراً عن الشيخ مبارك الصباح وطموحاته وعلاقاته مع جيرانه والمشاكل

---

(١) الشلاح هو ثوب خفيف فضفاض له أكمام طويلة وواسعة ، وهو مطرز بخيط من البريسم (الحرير) .

(٢) الزبون ثوب كالدشداشة ضيق الشكل مفتوح من الأمام يشبك الجزء الأوسط منه بخيط من البريسم أو قيطان .

(٣) الزري خيط من الحرير مكسو من الخارج بطبقة رقيقة جداً من الذهب .

التي واجهها بعد استلامه للحكم ولجوئه للإنجليز لعقد معاهدة الحماية معهم بعد أن نصحه صديقه الشيخ خزعل حاكم المحمرة بالإقدام على ذلك لحماية نفسه وبلده من أطماع المتربصين به ، وما تبع ذلك من استقرار أمني وسياسي وازدهار اقتصادي عم الكويت على مدى سنوات طويلة . كما شهد الحاج إسماعيل الاحداث والتطورات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية التي شهدتها الكويت بعد ذلك ، ومن بينها بناء قصر السيف ، وزواج الشيخ حمد المبارك نجل الشيخ مبارك ، ومشاهدة الاحتفالات التي شهدتها الكويت في تلك المناسبة . كما عايش بناء المستشفى الأمريكي والمدرسة المباركية وإيواء الشيخ مبارك ودعمه لعبد الرحمن آل سعود وعائلته عند لجوئهم إلى الكويت بعد استيلاء ابن رشيد على الرياض[1] ، ثم عودتهم إلى بلادهم منتصرين بعد أن زودهم الشيخ مبارك الصباح بالمال والرجال لاستعادة ملكهم والثأر لهم من ابن رشيد ، وكثيراً من الأحداث الأخرى .

الشيخ مبارك الصباح مرتدياً لباساً مطرزاً بالزري

(١) توجه الأمير عبد الرحمن بن فيصل آل سعود إلى الكويت عام ١٨٩١م في عهد الشيخ عبد الله بن صباح ، الحاكم الخامس للكويت ، وذلك بعد تولي عبد الرحمن الحكم بسنتين ، ونشوب الحرب بينه وبين محمد بن عبد الله بن رشيد .

ويذكر الحاج إسماعيل القصة المعروفة لخلاف الشيخ مبارك الصباح مع أخويه الشيخ محمد والشيخ جراح فيقول إن الشيخ مبارك كان في عهد أخيه الشيخ محمد (شيخ بر) ، أي أنه كان مسؤولاً عن القبائل وعلاقاتهم بالحكومة وتقديم المساعدات لهم لاتقاء شرهم ، وكان همه تقريب بدو الصحراء من حكم آل الصباح لشد أزرهم . لذلك كان يحتاج إلى الأموال لشراء كميات كبيرة من التمر والقمح والأرز والسكر والقهوة لجلب ودّهم وتجنب أعمال النهب والسلب للأغنام والجمال والخيول التابعة للكويت وللعائلة الحاكمة والمنتشرة في البر . لكن أخويه لم يكونا يستجيبان لطلباته ، وكان يلح عليهما في الطلب دون نتيجة ، ولما لم يجد بداً من ذلك قرر التخلص منهما واستلام السلطة فكان له ذلك . فأصبح الكويتيون في أحد الأيام وإذا الأمور منتهية والحكم بيد الشيخ مبارك الصباح ، وكان ذلك في عام ١٣١٣هـ (١٨٩٦م) .

توقيع اتفاقية الحماية

اشتد الضغط على الشيخ مبارك الصباح بعد استلامه للحكم من قبل عدة جهات كان في مقدمتها الدولة العثمانية وعبد العزيز بن رشيد والبدو ويوسف آل الإبراهيم الذي لم يترك وسيلة إلا اتبعها في سبيل زعزعة حكم الشيخ مبارك ، كان في مقدمتها تأليب العثمانيين عليه والتعاون مع عبد العزيز بن رشيد لمحاربة الشيخ مبارك . كما عمل على تجهيز حملة جهز لها عدداً من السفن التي تحمل أعداداً كبيرة من المحاربين الذين جمعهم لغزوالكويت . لكن مرور إحدى السفن الكويتية ومشاهدتها لسفن يوسف الإبراهيم أنقذت الكويت ، حيث توجه صاحب السفينة الكويتية – وهو المرحوم علي بوكحيل – إلى الكويت بعد أن تم إلقاء القبض عليه من قبل سفن يوسف الإبراهيم ثم إطلاق سراحه بعد أخذ تعهد منه بعدم إبلاغ الشيخ مبارك بالموضوع . فكان أول ما قام به حال وصوله إلى الكويت التوجه إلى الشيخ مبارك وإبلاغه بالموضوع فجهز الشيخ عدداً من السفن التي استعدت للغزاة وتجمعت في منطقة بنيد القار للمواجهة ، كما توجه المواطنون الكويتيون أثناء الليل وهم يحملون المصابيح إلى ساحل البحر الممتد من بنيد القار إلى الشويخ مما أفسد خطة يوسف الإبراهيم بعد مشاهدة سفنه استعداد الكويتيين للمواجهة .

كما اشتدت المطامع العثمانية في الكويت في عهد الشيخ مبارك وتم إرسال سفينة تركية إلى المياه الكويتية للضغط على الشيخ مبارك ، مما أدى إلى اقتناع الشيخ مبارك الصباح بنصيحة الشيخ خزعل وإلحاحه على ضرورة

عقد معاهدة مع بريطانيا لحماية الكويت من الأخطار الخارجية . فأرسل أحد العاملين لديه وهو علي عبدال إلى بوشهر يرافقه الحاج ماتقي آل غالب الذي كان من تجار السلاح لمقابلة أخيه الحاج نجف آل غالب ، الذي كان يتخذ ميناء بوشهر مقراً لإدارة أعماله ، والطلب إليه الاتصال برئيس الخليج (المندوب السامي البريطاني في الخليج) الذي كان يتخذ من بوشهر مقراً له ، وإعلامه بأن الشيخ مبارك مهدد من قبل الأتراك ويرغب بمساعدة بريطانيا وعقد اتفاقية حماية معها ، وكان الحاج نجف ذا علاقة وطيدة مع رئيس الخليج . فاستقبل الحاج نجف علي عبدال والحاج ماتقي ورحب بالفكرة ورافق الاثنين لمقابلة رئيس الخليج ، وعرضوا عليه رغبة الشيخ مبارك في توقيع المعاهدة ، فسارع إلى قبول الطلب وقام باتصالاته حول الموضوع ثم عاد الوفد إلى الكويت ومعه الموافقة على عقد الاتفاقية ، وكان ذلك في عام ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) . كما سارعت بريطانيا إلى إرسال منور حربي (باخرة) إلى الكويت لإنذار الباخرة التركية التي كانت راسية في المياه الكويتية وطلبت إليها مغادرة المنطقة وإلا سيتم إطلاق النيران عليها ، فسارعت تلك الباخرة إلى مغادرة المياه الكويتية . وبذلك أمنت الكويت من الأخطار المحيطة بها من كل جانب والتي تمثلت في تهديدات الدولة العثمانية وبدو الجزيرة وبدو العراق والشمال . وقد زار رئيس الخليج الكويت بعد توقيع الاتفاقية وتم استقباله بترحاب من الشيخ مبارك والمواطنين ، وتم تزيين الشوارع بسعف النخيل ورفعت لافتات كتب عليها عبارة أهلاً وسهلاً كان من بينها لافتة علقت على بهيتة مقابل قصر السيف .

استقبال رئيس الخليج اللورد كيرزون عام ١٩٠٣م في الكويت بعد توقيع اتفاقية الحماية
ويشاهد فرسان الشيخ مبارك الصباح وهم في الاستقبال

وكان الحاج ما تقي آل غالب وشقيقه الحاج نجف آل غالب من كبار تجار السلاح في الكويت ، وكان الحاج ما تقي يدير تجارتهما من الكويت ، بينما اتخذ الحاج نجف بوشهر مقراً حيث يقوم من هناك بعقد صفقات شراء الأسلحة من مسقط لإرسالها إلى الكويت والدول المجاورة . وكانت الأسلحة تجلب من فرنسا إلى مسقط ، ومن ثم يستلمها الحاج ماتقي وغيره من التجار في الكويت . وكان منزل المرحومين الحاج ماتقي والحاج نجف يقع مقابل منزل الشيخ مبارك ويجاور ديوانهم منزل شاهين الغانم الواقع على ساحل البحر بالقرب من نقعة الشيوخ ، وتربط الأخوين علاقة وطيدة وثقة متبادلة بالشيخ مبارك الصباح .

استقرار الوضع الأمني وما نتج عنه من تطورات :

كان لتوقيع اتفاقية الحماية مع بريطانيا أثر كبير على الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية في الكويت . فقد تنفس الشيخ مبارك الصباح الصعداء وبدأ بالنظر في الأمور التي تؤدي إلى استقرار البلاد وتطورها وخاصة بعد معركة الصريف عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) التي لم يوفق فيها ؛ فقد دخلت بريطانيا بقوة إلى الكويت بعد معركة الصريف وأعطت دعماً قوياً للشيخ مبارك . ويذكر الحاج إسماعيل أن الإنجليز بعد توقيع المعاهدة نصبوا علم بريطانيا (وكان يطلق عليه البندير) بالقرب من ساحل البحر أمام الموقع الذي أصبح فيما بعد دار الاعتماد البريطاني (والذي أصبح يدعى بيت ديكسون فيما بعد) ، وذلك لردع الأتراك ومنعهم من الاقتراب من سواحل الكويت . كما زار رئيس الخليج الكويت وتجول في الأسواق للإعراب عن دعم بريطانيا للكويت ، لكن الإنجليز لم يرسلوا قوات أو جيوشاً إلى الكويت في تلك الفترة . وقد جاء المعتمد البريطاني بعد توقيع الاتفاقية بعدة سنوات واستأجر منزلاً من أحد التجار مقابل ساحل البحر ورفع على سطحه العلم البريطاني ثم تم بناء أسكلة[1] أمام واجهة المنزل توصل إلى ساحل البحر ورفع عليها العلم البريطاني أيضاً .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه في إحدى السنوات بعد توقيع معاهدة الحماية مع بريطانيا بفترة قصيرة جاءت عدة مناور بريطانية إلى الكويت (سفن حربية) وأنزلت عددا كبيرا من الجنود قاموابمساعدة الكويتيين بحفر

---

(١) رصيف صخري يمتد من الساحل إلى داخل البحر .

خندق (أو "خدَد" كما كان يطلق عليه) حول مدينة الكويت بعمق يزيد عن المتر امتد من بنيد القار شرقاً إلى الشويخ غرباً . وكان إذا نزل الرجل داخل الخدد لا يُرى إلا رأسه . ويقع موقع ذلك الخندق في مكان سور الكويت قبل بنائه ، وكان الهدف من ذلك حماية الكويت من الهجمات التي كانت تتعرض لها من البادية وجماعة يوسف بن إبراهيم .

وقد شجع الشيخ مبارك الإنجليز على تنفيذ بعض المشاريع التي يستفيد منها الجانبان فأرسلت بريطانيا بعد عدة سنوات المعتمد السياسي ، وتم فتح مكتب للبريد في الكويت ، وبدأت بريطانيا في البحث عن النفط ، فتوجه عدد من المهندسين وفرق العمل التابعة لهم إلى منطقة كاظمة وبنوا عدة مساكن ومكاتب من الخشب لعمالهم ومهندسيهم ، وعملوا هناك ما يقارب سبع سنوات للتنقيب عن النفط فلم يجدوا كميات مجدية ، وكان ذلك في أواخر عهد الشيخ مبارك . وقد شجعهم على ذلك أن أرض كاظمة كانت بها مناطق تحتوي على مادة القار (الأسفلت) الذي كان يخرج من باطن الأرض ، وخاصة في ايام الصيف . وكان بعض البدو يتوجهون إلى هناك للبحث عن القار (أو السيّالي كما يطلق عليه محلياً) وجلبه إلى المدينة على ظهور الحمير . وقد اشتهر شخص من الصّلَب يدعى (حْمَيّر) كان يأخذ معه علباً معدنية كبيرة ويملؤها من هناك ويضعها على ظهور الحمير لبيعها في المدينة ، كما كان يذهب إلى ناحية الصبية أيضاً لجمع القار . ويشتري أصحاب الدكاكين قوطي السيالي بثلاث روبيات من هؤلاء ويبيعونه بثلاث روبيات وربع .

وكان الشيخ مبارك الصباح قد شيد مبنى كبيراً في منطقة كاظمة قبل توقيع المعاهدة ، ربما ليوهم الأتراك بأن تلك المنطقة مأهولة بالسكان حتى لا يتشجعوا ويطمعوا فيها وينزلوا قواتهم حيث كانت أعين الدولة العثمانية وألمانيا آنذاك تراقب حدود الكويت الشمالية لتنفيذ مشروعهم بمد خط للسكة الحديد إلى كاظمة . وقد بنى ذلك المبنى المرحوم راشد الرباح أحد أهم أستاذية البناء في الكويت . وبعد فشل التنقيب عن النفط في كاظمة توجهت الأنظار إلى منطقة الجنوب .

ومن الأعمال التي قام بها الشيخ مبارك أثناء فترة حكمه أن أرسل ما يقارب ٢٠٠ شخص إلى بر قضي بعد أن تم اكتشاف بعض الآثار القديمة هناك ، حيث تم بناء بيوت وحوطة كبيرة . وقد قام بذلك راشد الرباح أيضا الذي كان وعماله يواصلون أعمال البناء ليل نهار لإنجاز مهمتهم . كما أن من الأعمال التي قام بها الشيخ مبارك بناء قصر السيف عام ١٩٠٦م الذي كان يعد من أكبر المباني وأجملها في ذلك الوقت ، وجلب مكينة

للكهرباء للقصر بعد اكتماله كان يقوم بتشغيلها شخص هندي تم جلبه للقيام بذلك العمل ، كما بنى بجانب القصر من ناحية الغرب الفرضة لرسو السفن الصغيرة ومتوسطة الحجم ، وأسس الجمرك الذي كان في البداية عبارة عن عشة صغيرة يجلس فيها المسؤول عن ذلك النشاط وهو المرحوم أمان ، ثم تم توسعتها وتنظيم عملها وفرض ضريبة قدرها ٤٪ على المواد الداخلة إلى الكويت ، يتم تحصيلها نقداً أو من جنس البضاعة نفسها . كما أسس الجمرك البري لجباية الضرائب على البضائع الخارجة من الكويت ، وعين عليه أحد عماله هو المرحوم دهيمان الذي كان مقره في مدخل السوق الداخلي . كما حول الوقية إلى ٥ أرطال بدلاً من ٥ , ٤ رطل ، ونظم الأوزان وأمر الحدادين بصب معايير حديدية جديدة معتمدة ذات أوزان دقيقة . وكان الوزن قبل ذلك في المحلات والدكاكين غير دقيق ، ولم تكن هناك رقابة على الأوزان . وقد صنع الحدادون عدة أثقال تزن وقية واحدة ، ونصف وقية ، وربع وقية ، مما جلب دخولاً إضافية للحدادين من وراء هذه المهمة .

كما قام الشيخ مبارك بتوسعة الأسواق وبناء أسواق جديدة منها سوق الخضرة الذي بناه المرحومان الأستاذ إبراهيم عبد السلام والأستاذ راشد الرباح في حوالي عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) ، وكذلك سوق التناكة الذي أصبح فيما بعد سوق الجت ، وأجر تلك الدكاكين على التجار بروبية واحدة بالشهر . كما شجع على تطوير بعض الأسواق القديمة والمتهالكة وخاصة في المنطقة المقابلة لمسجد السوق الكبير ، حيث كانت تلك المنطقة عبارة عن ساحة يباع فيها الماء بالقِرَبْ الموضوعة على ظهور الحمير التي تقف هناك بانتظار المشترين ، وكان الماء يجلب إلى هناك من آبار الدسمة وحولي والنقرة والشامية حيث يتم حفر الآبار هناك لاستخراج الماء العذب . كما كان يباع في تلك الساحة الحمير والبقر ، بينما ضم مدخل السوق الداخلي عدداً من المحلات لبيع اللحم والسمك والخضراوات . وكانت توجد حوطة كبيرة هناك بالقرب من بيوت النقي القريبة من السوق ، وهبها الشيخ مبارك للمرحوم ناصر البدر الذي بنى عليها قيصرية سميت قيصرية البدر وأصبحت تضم باعة اللؤلؤ (الطواويش) . وقد تم نقل سوق الماء القديم من هناك إلى الساحة المقابلة لسوق بن دعيج من ناحية القبلة والتي سميت فيما بعد ساحة الصرافين ، ولم تكن منطقة الصفاة قد نشطت بعد في ذلك الوقت ، لكن بناء الأسواق وتمددها شجع البدو القادمين من الصحراء على إناخة جمالهم في جنوب ساحة الصرافين التي امتدت فيما بعد جنوبا وغربا ؛ فقد بدأت تلك الساحة في بدايات القرن العشرين تستقبل الجمال القادمة من الصحراء للإناخة بها بدلاً من المناخ القديم بعد أن توسعت الأسواق وأصبحت تلك الساحة ملتقى لكثير من الأسواق الجديدة المجاورة كسوق الخضرة وسوق التناكة والأسواق الأخرى التي يشتري البدو حاجاتهم

منها . وقد ضمت تلك الساحة أعداداً كبيرة من العمّاريات والبسطات لبيع ما يحتاجه القادمون من الصحراء وامتدت مع مرور الأيام لتتصل بالأرض الشاسعة جنوبا لتشكل ساحة الصفاة المعروفة . وكانت الأسواق قبل ذلك تنتهي في ساحة الصرافين التي كان يطلق عليها الصفاة قبل أن يتم بناء دكاكين الصرافين فيها من قبل الشيخ سالم المبارك .

وقد ضمت تلك الساحة عدداً من المقاهي منها مقهى مشهور بالقرب من سوق الدهن كان يطلق عليه قهوة الشريطية[١] . وكانت المنطقة شمال تلك الساحة تضم العديد من (البخاخير)[٢] العائدة للشيوخ قبل توسع الأسواق . ومن المباني المشهورة التي قام الشيخ مبارك الصباح بتشييدها في تلك الساحة الكشكان[٣] المشهوران لاستقبال المواطنين وسماع شكاويهم وحل قضاياهم . وكان الشيخ مبارك قبل ذلك وفي أوائل أيام حكمه يجلس صباحا في قهوة صغيرة بالصفاة (مقهى) ويمضي هناك ساعة ثم يعود إلى القصر ويكرر ذلك مساءً . ويتوجه إلى هناك ممتطيا الفرس المزينة بحلي الذهب . وبعد توقيع المعاهدة مع الإنجليز جلبوا له عربتين مذهبتين من الهند تجرهما الخيول التي جلبت معهما ، وتسع كل عربة أربعة أشخاص بالإضافة إلى السائق ، وكانت الخيول من نوع خاص ، فقد كانت صغيرة الحجم وذات ألوان غريبة ، فبعضها كان لونه أحمر والآخر أسود وغيره أبيض وأصفر وأبرق ، ولم يشاهد أهل الكويت هذه الألوان للخيول من قبل . وقد استخدم الشيخ مبارك تلك الخيول لتجر العربات المذهبة التي صار يتوجه بها إلى مقره بالكشك في ساحة الصرافين التي كانت مركز المدينة آنذاك قبل توسع المدينة جنوباً وغرباً وامتدادها إلى الصفاة . ويذكر الحاج اسماعيل أن هذه العربة استخدمت لركوب حاكم الهند الإنجليزي الذي زار الكويت بعد توقيع اتفاقية الحماية والذي استقبل استقبالاً كبيراً وزينت له الشوارع والساحات . وبعد فترة أحضرت للشيخ مبارك عربة تجرها الثيران لنقل الماء فاستخدمها لجلب الماء من منطقة السرة . ومعروف عن الشيخ مبارك أنه يفضل شرب ماء السرة التي كانت تضم آباراً عميقة ذات مياه عذبة . وكانت عربات الماء مصنوعة من المعدن ويفرغ منها الماء في خزانات خشبية (تسمى الواحدة منها فنطاس) وضعت بالقرب من قصر الشيخ الواقع في المدخل الشمالي لسوق

---

(١) الشريطي هو الشخص الذي يقوم بشراء البضاعة من مصادرها الأصلية ثم يقوم ببيعها على أصحاب المحلات والمشترين الآخرين لتحقيق الربح .

(٢) بخّار يعني مخزن .

(٣) الكشك : هو بناء من طابقين جزءه العلوي من خشب ، كان يبنيه التجار إما للسكن أو كديوان أو ملتقى .

التجار في منطقة بهيتة ، وكانت موصلة بأنبوب كبير يوصل الماء إلى داخل القصر . وقد أحضرت له بعد فترة سيارة جاء معها سائق هندي مكث عدة سنوات في الكويت ، ثم استلم منه العمل شخص كويتي يدعى علي بن حسين بو خنفر ، وصار الشيخ مبارك يتوجه بتلك السيارة ذات اللون الأحمر من بهيتة إلى الصفاة مروراً بالسوق الداخلي ثم إلى قصره في منطقة السرة . ويتذكر الحاج إسماعيل أن السيارة شهدت حادثاً مرورياً - ربما كان الحادث الأول من نوعه في تاريخ الكويت - وهو أن أحد الصبيان تسلق خلف السيارة اثناء سيرها في السوق الداخلي فسقط وأصيب بجروح بسيطة . وكان الصبي هو المرحوم ناصر يوسف النقي . كما يذكر الحاج اسماعيل أن تلك السيارة بقيت دون استعمال بعد وفاة الشيخ مبارك ولم يستخدمها الشيخ جابر المبارك ولا الشيخ سالم المبارك من بعده ، إذ كانا يفضلان ركوب الخيل على استخدام السيارة التي تم بيعها فيما بعد .

كما أحضرت للشيخ مبارك من بومبي باخرة صغيرة لجلب الماء إلى قصره من شط العرب سماها (سْعيَّد) ، ويخت لاستخدامه الشخصي سماه (مشرف) اشتراه بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ روبية ، وقد أضيفت إلى اليخت بعض التحسينات في الكويت وشيدت فيه حجرتين من الخشب . ويذكر الحاج إسماعيل أن الملا عابدين أرخ وصول اليخت "مشرف" بجملة كتبت على اليخت تقول : (مشرف الصباح مركوب المبارك) . وعند إضافة ما ترمز إليه الأحرف في تلك الجملة من أرقام يصبح مجموعها ١٣١٤ (أي عام ١٣١٤ هجرية) وهوالعام الذي استلم فيه الشيخ مبارك الحكم ، والذي يصادف عام ١٨٩٦م [١] .

كما كان من نتائج توقيع الاتفاقية بدء البواخر بالتوجه إلى الكويت ؛ حيث بدأت أولاً ترسو في المياه الكويتية مرة كل شهر ، ثم أصبحت ترسو مرتين كل شهر ، وبعدها صارت تصل مرة كل أسبوع ، وأصبح بعضها ينقل البضائع من أوروبا إلى الكويت مباشرة . وكانت البضائع القادمة من البلدان الأوروبية تصل إلى الكويت قبل ذلك عن طريق الهند أو البصرة ثم تنقل من هناك بالسفن الشراعية الكويتية . كما بدأت تلك البواخر بنقل الركاب الذين كانوا يستخدمون السفن الشراعية الكويتية قبل ذلك للتنقل ما بين الكويت وبومبي والنيبار وعدن . وشهد عهد الشيخ مبارك توجه السفن الشراعية التي بنيت خصيصا لنقل الماء من

---

(١) انظر إلى ما ترمز إليه الأحرف من أرقام في (حساب الجُمَّل) في الملحق رقم (٢) . ويعطي هذا النوع من الرموز رقما معينا لكل حرف من الحروف الأبجدية . وكان الشعراء ينظمون الشعر ليُشير البيت الأخير أو الجملة في مجملها إلى تاريخ معين .

شط العرب بالتوجه إلى هناك لنقل الماء إلى الكويت بعد أن ازداد عدد السكان وأصبحت الآبار لا تكفي لتزويد المواطنين بالماء . وقد توسع ذلك النشاط بسرعة وأصبحت الكويت تعتمد اعتماداً شبه كلي على ذلك المصدر إلى أن وصل عدد سفن نقل الماء إلى ما يقارب مائة سفينة فيما بعد ، وأصبح توافر الماء نتيجة لذلك يعتمد على شدة الرياح واتجاهها ، فإن خفّت حدة الرياح أو توقفت توقفت السفن الشراعية عن الذهاب إلى الشط فيصبح الماء شحيحاً . وكان الشيخ مبارك الصباح إذا شح الماء يأمر بأن تتوجه سفينته (سْعيّد) إلى الشط وتنقل الماء إلى الكويت ويأمر بتوزيعه على المواطنين بالمجان . وكان الماء القادم من شط العرب بالأبوام يجمع في البداية في خزانات كبيرة مصنوعة من الفخّار تسمى الواحدة منها (يْحَلَه) والجمع (يْحال) وكذلك درامات مصنوعة من التنك وضعت على ساحل البحر ليعاد توزيع الماء منها على الحمّارة والكنادرة الذين كانوا يبيعونه على السكان . وقد تم فيما بعد بناء عدد من البرك بالقرب من ساحل البحر في مناطق الكويت المختلفة . وكان سعر قوطي الماء يصل إلى بيزة أو بيزتين حسب توافر الماء .

ومما يشير إلى اهتمام الشيخ مبارك الصباح بتوفير المياه للمواطنين قيامه بجلب آلة لتحلية مياه البحر في ذلك الوقت الذي لم يفكر في الموضوع أحد غيره . ويذكر الحاج إسماعيل أنه تم جلب مكينة لتحلية مياه البحر تم تركيبها على ساحل البحر مقابل كشك الشيخ سلمان الحمود ، لكن تلك المكينة ، التي أطلق عليها الكنديسة ، واجهت مشاكل فنية كثيرة فتم تفكيكها فيما بعد وبيعها ، وأرسلت إلى ميناء عدن .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ مبارك الصباح كان يملك عدداً كبيراً من النخيل في البصرة يقع على مساحات شاسعة تمتد من المنطقة القريبة من البحر في الفاو إلى المنطقة المقابلة للمحمرة وكذلك في منطقة المعامر . وكان وكيله عليها ابن أخيه الشيخ سلمان الحمود الصباح الذي كان يتوجه إلى هناك بين فترة وأخرى في سمبوك تابع للشيخ مبارك يدعى (الأبيض) لتفقد الأوضاع . وكانت كميات كبيرة من تمور تلك المزارع تباع للتجار الكويتيين الذين يأخذونها بسفنهم إلى الهند . وكان الفلاحون في الماضي يتفقون مع صاحب الأرض على أن يضمنوا النخيل (أي يعتنون بزراعتها وتلقيحها وقطف ثمارها وبيعها) مقابل استلام مبلغ معين أو نسبة معينة من قيمة البيع . وكان الملا صالح ومحمد بن خميس وكاتب آخر يتابعون حسابات وأحوال نخيل الشيخ مبارك في البصرة . وكان لدى الشيخ مبارك ثلاث سفن شراعية تجلب له وللعائلة الحاكمة البلح والرطب والتمور والفواكه من مزارعه بالبصرة ، وتصل سفينة واحدة من سفنه إلى الكويت

يومياً من هناك أثناء الموسم . ويجلب البلح في سلال من الفاو ومعظمه من نوع (القنطار) الذي كان شائعاً آنذاك ، وتزن السلة ما بين ٣ إلى ٤ وقيات وتؤخذ إلى بيت الشيخ مبارك مباشرة ثم يتم توزيعها على أفراد العائلة الحاكمة . كما كانت تجلب لهم كميات كبيرة من الدبس – وهو عصير التمر – معبأ في عبوات كبيرة مصنوعة من الجلد يطلق عليها "دْباب" ومفردها "دبّة" ، وتحاط الدبة بشبك من الحبال لحمايتها ، وتسع كل دبّة حوالي مَنْ ونصف إلى مَنّين اثنيْن[1] من الدبس . ويذكر الحاج إسماعيل أن بيوت الشيوخ والتجار وكثير من الناس في الماضي لم تكن تخلو من (الدْباب) ذات الأحجام المختلفة لتخزين الدبس والدهن العداني فيها .

وقد واجه الكويتيون – ومن بينهم العائلة الحاكمة – الكثير من المشاكل مع الفلاحين العراقيين فيما يخص أراضيهم الزراعية حيث كانت الحكومات المتعاقبة تحركهم كيف ما شاءت للضغط على الكويتيين وابتزازهم . وقد بدأ ذلك في عهد الشيخ مبارك الصباح ثم في عهد الشيخ أحمد الجابر ومن بعده في عهد الشيخ عبد الله السالم وإلى وقتنا الحاضر حيث كان أبسط ما يدعيه الفلاحون أنهم هم الذين يقومون بزراعة النخيل والاعتناء بها وجمع ثمارها لكنهم لا يستلمون حقوقهم بالكامل .

قصة طريفة: الشيخ مبارك وسيد أسد الله

كان الشيخ مبارك الصباح يعرف جميع التجار ومستويات دخولهم ونوع تجارتهم . وقد تضايق كثيرون منهم عندما فرض الشيخ مبارك ضريبة على الواردات بعد معركة الصريف عام ١٩٠٠م . ويذكر الحاج إسماعيل قصة طريفة لأحد التجار الذي كان قد قدم من إيران للإقامة في الكويت في عهد الشيخ عبد الله بن صباح ، الشقيق الأكبر للشيخ مبارك الصباح – وكان يدعى سيد أسد الله . فقد افتتح سيد أسد الله دكاناً له بالقرب من بهيتة مقابل قصر السيف وكان يقضي نهاره في دكانه لبيع الحبوب والمواد الغذائية الأخرى . وكان سيد أسد الله في أحد المرات قد جلب كمية من الباجلا المعبأة في خياش من القصبة لبيعها في الكويت . وكان أمان – وهو أحد العاملين لدى الشيخ مبارك – قد تم تعيينه حديثاً مسؤولاً عن الجمرك ، فطلب

---

(١) المَنْ يساوي ١٦٨ رطلاً .

أمان إلى سيد أسد الله دفع ريال (نمساوي) ضريبة على كل خيشة من الباجلا [1] ، فرفض سيد أسد الله دفع الضريبة وبقي بالقرب من محله بانتظار قدوم الشيخ مبارك الصباح الذي اعتاد على ارتياد ذلك الطريق يومياً عند توجهه إلى الصفاة للجلوس بالكشك . وكان الشيخ مبارك يمتطي حصاناً أحمر اللون عندما يتوجه إلى هناك يحيط به الحرس ، وعند خروجه من منزله وقبل ركوبه الفرس توجه سيد أسد الله نحوه فسأله الشيخ مبارك : ما الخبر يا أبو محمد؟ فسلم سيد أسد الله على الشيخ مبارك فرد عليه السلام فقال له أسد الله مشتكياً : إنني عندما كنت في إيران كنا نسمع أن شيخ الكويت يوزع العيش على الناس مجاناً وهذا ما دعانا إلى المجيء إلى الكويت ، والآن أحضرت كمية من الباجلا من إيران لبيعها بالدكان وقد طلب مني مسؤول الجمرك أمان أن أدفع ريالاً على كل خيشة ، وقد كلفتني الخيشة الواحدة نصف ريال ، فكيف أدفع ضريبة أكثر من القيمة؟ فتبسم الشيخ مبارك ونادى أمان وقال له لا تأخذ ضريبة أكثر من غران ونصف على خيشة الباجلا [2] من الآن فصاعداً ، أما سيد أسد الله فلا تأخذ منه ضريبة أبدا . وكان سيد أسد الله كما يذكر الحاج إسماعيل ظريفاً مرحاً كثير المزاح أنيساً في مجلسه .

قصة أخرى ... القراصنة !

يذكر الحاج اسماعيل أن المنطقة شهدت في فترة من الفترات أثناء حكم الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل نشاطاً للقراصنة الذين كانوا يسطون على السفن في شمال الخليج وشط العرب وينهبون ما فيها ويقتلون من يقاومهم . وقد تم إلقاء القبض على عدد منهم من قبل رجال الشيخ خزعل ، وكانوا من عائلة الحميدي في منطقة المحمرة ، فطلب الشيخ خزعل من الشيخ مبارك سجنهم في الكويت ، فأحضروا وأودعوا في سجن بالقرب من إسطبل الشيوخ (الجاخور) الواقع في دروازة العبد الرزاق ، وكانوا سبعة إخوان ، وكانوا قد آذوا أصحاب السفن ونشروا الرعب في المنطقة . وبعد مرور حوالي سنتين على سجنهم بدأوا يخططون للهرب من

---

(١) يساوي الريال النمساوي حوالي روبيتين (أي ٣٢ آنة) .

(٢) يساوي الغران ٤ آنات (أي ١٦ بيزة) ، أي أن الشيخ مبارك خفض الضريبة على خيشة الباجلا من ٣٢ آنة إلى ٦ آنات (أي أقل من الخمس) .

السجن بالرغم من أن أرجلهم كانت مقيدة بالحديد . فقاموا بتجهيز صفائح من التنك[1] ليفكوا بها سلاسل الحديد حيث نجحوا في ذلك وهربوا من السجن ، واختفوا في سطح أحد المنازل القريبة من دروازة العبد الرزاق تمهيداً للهروب من الكويت . ويُنقل عن صاحبة المنزل أنها توجهت في ذلك اليوم كعادتها قبل صلاة الفجر إلى الغنم لحلبهم وإذا بها لا تجد بهم حليباً لقيام أحد ما بحلبهم ، فتشاءمت من ذلك وتوجهت إلى زوجها الذي كان يتوضأ في وسط الحوش وأخبرته بالقصة . وما هي إلا لحظات وإذا بعدد من الأشخاص يدخلون الحوش ويطلبون من صاحبه إيوائهم في بيته إلى المغرب حيث أنهم ينوون السفر ، فطردهم من المنزل فخرجوا ، لكنّ واحداً منهم نجح في التسلل إلى سطح المنزل دون معرفة صاحبه واختفى في إحدى الغرف العلوية . وكان لتلك الغرفة درج يوصلها مباشرة بالدهليز الذي يوصل إلى الشارع مباشرة ولا يتصل بالحوش .

وعند قدوم حراس السجن صباحاً إلى عملهم لم يجدوا السجناء فبدأوا بالبحث عنهم إلى أن ألقي القبض عليهم ما عدا واحداً منهم . وعند التحقيق معهم أفادوا بأنهم لا يعرفون مكان اختفاء أخيهم لكنهم حاولوا الاختباء في أحد المنازل لكن صاحبه طردهم ، فتوجه الحراس إلى ذلك المنزل للبحث عن اللص فلم يعثروا عليه . وعندما كانوا يهمون بمغادرة إحدى الغرف بسطح المنزل والتي كان لها درج إلى الشارع صاح أحد الحراس بصوت عالٍ أخرج من تحت السرير وإلا أطلقنا عليك النار ، دون أن يعرف أن هناك أحداً ، وفجأة خرج اللص الذي كان مختبئاً بين الفرش الموضوعة تحت السرير فألقي القبض عليه . وعندما تم إحاطة الشيخ مبارك بالقصة طلب إحضار صاحب المنزل فاستفسر منه عن الموضوع فأخبره أنهم هجموا عليه عند الفجر في منزله فطردهم ، ويبدو أن أحدهم استطاع الاختباء في إحدى الغرف العلوية دون علمه . فأنّبه الشيخ مبارك وقال له إنه كان من المفروض أن يدخلهم المنزل ثم يخبر عنهم الحكومة لتقوم بإلقاء القبض عليهم بدلاً من طردهم . فتم حبسه وأمر الشيخ مبارك بمصادرة أملاكه حيث قام الفداوية بدخول البيت ومصادرة ما فيه . وبعد حوالي شهر توسط عدد من التجار لدى الشيخ مبارك فعفى عنه وأطلق سراحه وقام عدد من التجار بمساعدته وإعادة تأثيث منزله وجلب بعض الحاجيات إليه بما فيها المواد الغذائية .

---

(١) التنك : صفائح رقيقة من الحديد المطلي بالكروم .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ مبارك الصباح بنى للكويت مجدا وعزة وموقعاً بارزاً بين البلدان ، كما أعطى للكويتيين وبخاصة التجار منهم هيبة وقوه بالخارج ، وكان الكل يحترمهم ويقدرهم . ويؤخذ على الشيخ مبارك فرض ضرائب مرتفعة على الكويتيين لم يعرفوها من قبل . فقد اضطر الشيخ مبارك الصباح إلى فرض ضرائب على الكويتيين لتغطية نفقات الحروب والغزوات التي كان يقوم بها على بعض البدو والمناطق المختلفة لتأمين الكويت ولتلبية طموحاته بالتوسع . وقد أدى ذلك إلى عدم ارتياح الكويتيون وخاصة أنهم لم يتعودوا على دفع الضرائب . فقد فرض ضريبة على البضائع الواردة عن طريق البحر وعين أحد عماله ويدعى أمان مسؤولا عن جمع الضرائب وتم بناء عشه له على البحر لتحصيل الضرائب من السفن الشراعية التي تصل إلى الكويت وتحمل المواد المختلفة . كما فرض ضريبة على البضائع الخارجة من الكويت عن طريق البر وعين شخص يدعى دهيمان ثم تلاه صالح العسكر لجبايتها . وكان دهيمان ومن بعده صالح العسكر يتخذان بقايا بوابة السور الثاني الواقعة في المدخل الجنوبي للسوق الداخلي مقراً لهما ، وكان يطلق على ذلك الموقع (الصنقر) . وكانت البوابة عبارة عن (طاق) – أي بوابة كبيرة على شكل قوس – كان بداخلها حجرة استخدمت كمكتب لجباية الضريبة (أو الودي)

الشيخ مبارك الصباح في حوالي عام ١٩٠٠م وبجانبه عدد من أفراد أسرته ، ويقف على يمينه ولي عهده الشيخ جابر المبارك .

على كميات التمور والأرز وغيره من المواد التي كان يشتريها البدو من المدينة . وكان يتم وزن تلك المواد وحساب الضريبة بناء على ذلك . كما فرضت ضريبة على سفن الغوص وكذلك على عمليات بيع وشراء العقار ، وقد وصلت الضرائب إلى نسبة ١٠٪ بينما وصلت ضريبة العقار إلى الثلث . وكانت تلك الضريبة تفرض حتى ولو تم بيع البيت في نفس اليوم لأكثر من مرة حيث يضطر البائع الأول والبائع الثاني إلى دفع ثلث قيمة البيع للحكومة . وقد استمرت ضريبة العقار لمدة سنتين إلى أن نقل بعض المقربين إلى الشيخ مبارك تذمر الناس فقام بتخفيض تلك الضريبة .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه كان لدى الشيخ مبارك الصباح عدداً من المساعدين والعاملين الذين يعتمد عليهم في كثير من الأمور وكان في مقدمتهم الملا صالح الذي كان يعمل سكرتيراً خاصاً له وكذلك محمد الخميس الذي كان يقوم بعمل مماثل ، لكن الملا صالح كان أقرب إلى الشيخ وكان أكثر إنجازاً وكفاءة في العمل من محمد الخميس مما أدى إلى اعتماد الشيخ مبارك عليه بصورة أكبر . وقد قربه الشيخ مبارك إليه وأصبح يعتمد عليه بصورة كبيرة ويثق به ويستشيره في كثير من الأمور . وقد استمر الملا صالح في عمله كسكرتير للحاكم إلى أواخر عهد الشيخ أحمد الجابر الصباح الذي عين ابنه عبد الله مكانه بعد أن تقاعد الملا صالح . كما كان لدى الشيخ مبارك عدد من العاملين من بينهم المرحومين مطلق بوحديدة وشخص آخر يدعى فهيدان . وكان بوحديدة يشرف على صيانة وتنظيف دراجات أبناء الشيوخ والعربات التي تجرها الخيول يساعده في ذلك فهيدان الذي يقوم بتنظيفها والحفاظ عليها ووضعها في البخّار (المخزن) القريب من بهيتة ، وهو عبارة عن دكان كبير خصصه الشيخ مبارك لحفظ العربات والدراجات . كما كان فهيدان يعتني بالخيول .

الملا صالح بن محمد الملا

لجأ عبدالرحمن آل سعود وإخوانه وأبناؤه وعوائلهم إلى الكويت في عهد الشيخ عبد الله الصباح الحاكم الخامس للكويت بعد استيلاء ابن رشيد على ملكهم في الرياض[1] ، وقد استمر الشيخ مبارك الصباح في إيوائهم ومساعدتهم عند استلامه للحكم . وقد سكنوا في عدد من الجواخير (المخازن الكبيرة) الواقعة خلف سوق الخضرة القديم وكان يُجري لهم رواتب ويقدم لهم الدعم المادي والمعنوي طوال مكوثهم في الكويت . وبعد هزيمة الشيخ مبارك في معركة الصريف على يد عبد العزيز بن رشيد أراد أن يثأر منه ، وفي نفس الوقت يساعد آل سعود لاستعادة ملكهم . فشجع الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، الذي كان مع والده في الكويت ، على الذهاب إلى الرياض ليقضي على البدو المعادين للشيخ مبارك وزوده بالأموال والأسلحة وحوالي ٤٠٠ شخص لمساعدته للهجوم على الرياض ومحاولة إزالة حكم ابن رشيد . كما شجعه على القضاء على حجلان الذي حكم الرياض بعد انتزاع الحكم من آل سعود ، والذي كانت علاقاته سيئة مع الشيخ مبارك ، ويعود حجلان إلى نفس قبيلة عبدالعزيز بن رشيد . وقد توجه عبدالعزيز آل سعود سراً إلى الرياض وبدأ بالتربص بحجلان وتحين الفرص للانقضاض عليه . وقد أخبرته إحدى النساء من الجماعات الموالية له عن أوقات تواجد وخروج حجلان من القصر ، وأشارت إلى أنه يتوجه فجر كل يوم إلى الإسطبل لتفقد الخيول ، وربما كان ذلك أنسب وقت للقضاء عليه ، فاستعد عبدالعزيز للحظة الفاصلة وتوجه ليلاً مع مجموعة من أنصاره نحو القصر ، وعند الفجر خرج حجلان كعادته من باب القصر متوجهاً إلى الإسطبل لتفقد الخيول فتوجه عبدالعزيز وأنصاره نحو الباب وهم يَحْبون على أيديهم وأرجلهم وبيدهم السيوف ، وعندما شاهد حجلان عبدالعزيز حاول الهرب إلى داخل القصر لكن عبدالعزيز كان أسرع منه فلحقه وأمسكه من رجله وهو يحاول دخول القصر وجرّه إلى الخارج واستل سيفه وقطع رأسه . وعندما شاهد أصحاب عبدالعزيز المنظر توجهوا إلى داخل القصر وألقوا القبض على من فيه ، وبذلك انتهى عهد حجلان في الرياض . وقد أرسل عبدالعزيز بن سعود عدداً من رسله إلى الكويت بعد استيلائه على الرياض ليزف

---

(١) يذكر السيد حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه " تاريخ الكويت السياسي " أن الأمير عبد الرحمن آل سعود وعائلته لجأوا إلى الكويت في عام ١٣٠٩ هجرية (١٨٩١م) في عهد الشيخ عبد الله الثاني بن صباح (الشقيق الأكبر للشيخ مبارك الصباح) .

البشرى للشيخ مبارك الصباح بمقتل حجلان واستلام عبد العزيز الحكم في الرياض (وكان ذلك في عام ١٩٠٢م) . ويذكر الحاج إسماعيل أن الجمال وصلت إلى الكويت في فترة الضحى من ذلك اليوم لتزف البشرى إلى الكويتيين بهزيمة حجلان ، فعم الكويت الفرح واستبشر الناس بهزيمة عدوهم حجلان حليف عبدالعزيز بن رشيد .

وبعد استيلاء عبدالعزيز آل سعود على الرياض بدأ يفكر في مواجهة عبدالعزيز بن رشيد . كما تحالف مع الإنجليز ليحارب ويقاوم حكم العثمانيين ، فبدأ الإنجليز بمحاصرة الأتراك بينما بدأ عبدالعزيز آل سعود يعد العدة لغزو مكة والمدينة وغيرها من المناطق التي كانت تابعة للشريف حسين .

ويذكر الحاج إسماعيل أن أعداداً كبيرة من الجنود الأتراك وكذلك البدو الموالون لهم بدأوا بالهروب والتوجه إلى مناطق مختلفة من الجزيرة العربية ومنها الكويت للحفاظ على حياتهم . وقد باع هؤلاء اسلحتهم بأسعار زهيدة في أسواق الكويت وكان من بينها أنواع مختلفة من البنادق يطلق على بعضها (أم خمس) ونوع آخر يدعى (أم ركبة) وهي بندقية ألمانية الصنع كانت تباع بحوالي خمسين روبية وصار الناس يشترونها بروبيتين أو ثلاث روبيات ،وكانوا يبيعون معها الطلقات أيضاً . وكان عمر الحاج إسماعيل في ذلك الوقت حوالي ١١ سنة .

٢- الملك عبدالعزيز آل سعود

قضى عبدالرحمن آل سعود وعائلته ردحاً من الزمن في الكويت وتلقوا ترحاب الشيخ مبارك الصباح ودعمه أثناء وجودهم . كما كان يشجعهم على استعادة ملكهم الذي انتزعه منهم آل رشيد . وبعد أن نجح الأمير عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود في الاستيلاء على الرياض بدأ الإنجليز بدعمه بالمال والسلاح لبسط سيطرته على المناطق المجاورة والتي كانت تخضع للحكم العثماني ، ويقال إنهم كانوا يُجرون له راتباً شهرياً قدره ١٠٠,٠٠٠ روبية لدعم جيشه والاستعداد لتوسيع نفوذه . وكان إذا ما سأله أتباعه عن مصدر تلك الأموال يقول لهم إنها جزية يأخذها من الإنجليز . وقد ساعده ذلك على تأسيس جيش قوي مجهز بالأسلحة ، وجمع البدو من حوله الذين لبسوا العمائم والثياب الجيدة وشكلوا ما سمي بالأخوان وأصبحوا يحاربون باسم الإسلام ويُدفعون إلى غزو المناطق المجاورة . وكان معظمهم قبل ذلك لا يستطيع الحصول على لقمة عيشه إلا بالمشقة ، وكان ذلك كله بدعم من الإنجليز والشيخ مبارك الصباح .

الشيخ مبارك الصباح وعلى يمينه الأمير عبد العزيز آل سعود الذي زار الكويت عام ١٩١٠م بعد أن احتل الرياض وأصبح أميراً لها ، ويشاهد واقفاً بينهما الأمير سعد بن عبد الرحمن شقيق الملك عبد العزيز .

وقد وطّد عبدالعزيز بن سعود حكمه بعد استيلائه على الرياض وبنى مدينة الرطاوية التي سكن فيها أنصاره الذي أطلق عليهم اسم الإخوان وتحول معظمهم إلى (مطاوعة) ، وكانوا يحملون القرآن ويلبسون العمائم ، وكان الملك عبدالعزيز يخطب فيهم ويحثهم على القتال ويقول لهم إنكم أنتم المسلمون فقط ، وكلما تقتلون الكفار – يقصد منافسيه – فأنتم في الجنة ، وإذا قتلوكم فستذهبون أيضاً إلى لجنة . واستمر عبدالعزيز آل سعود في حروبه وغزواته للسيطرة على باقي مناطق نجد إلى أن تم قتل عبدالعزيز بن رشيد . وبعد انتصار عبدالعزيز آل سعود على بن رشيد توجه إلى الأحساء فحاصره العجمان هناك فكتب للشيخ مبارك الصباح يستنجد به ، فأرسل الشيخ مبارك عدداً من أبناء الصباح لنجدة عبد العزيز وكان في مقدمتهم الشيخ سالم المبارك والشيخ أحمد الجابر ففكوا الحصار عن جيش عبدالعزيز بن سعود وخرج من قبضتهم . لكن عبدالعزيز استمر في حروبه ، وكان يهاجم البدو والقبائل ويتم الاستيلاء على

أغنامهم وأموالهم إلى أن استقوى . وفي عام ١٩١٣م سيطر على الأحساء وتم قتل حاكمها الذي كان يتبع الحكومة العثمانية وهو من آل جمعة المنصور . ويذكر الحاج إسماعيل أن قصورهم هناك بقيت بعد ذلك لفترة طويلة ثم أزيلت . وكانت منطقة دارين مركزاً للأتراك وتضم مباني وقصوراً ونخيلاً كثيرة . ويذكر الحاج إسماعيل أيضاً أن كثيراً من الجنود الأتراك من فلول الجيش التركي بدأوا بالهروب بعدما استعرت تلك المعارك والحروب ، وتوجه كثير منهم إلى الكويت ، وكان من بينهم من كان من جيوش ابن رشيد . وقد مكثوا لفترة في الكويت ثم طلب إليهم الشيخ مبارك مغادرة البلاد ، وزودهم بأعداد كبيرة من الحمير توجهوا بها إلى البصرة .

وقد استمر عبد العزيز آل سعود في حملاته إلى أن بسط نفوذه على معظم الجزيرة العربية ، وكان قد توجه - كما أشرنا من قبل - أولاً من الكويت إلى الرياض واستولى عليها عام ١٩٠٢م ، واستمر في قتاله لابن رشيد للسيطرة على باقي مناطق نجد إلى أن تم قتل عبد العزيز بن رشيد عام ١٩٠٦م ، ثم بدأ حملته على الشريف حسين بالحجاز عام ١٩١٩م بعد أن استولى على الأحساء عام ١٩١٣م . وفي عام ١٩٢١م أعلن نفسه سلطاناً على نجد ، وفي عام ١٩٢٦م ملكاً على الحجاز وسلطاناً على نجد ، وفي عام ١٩٣٢م أعلن تأسيس المملكة العربية السعودية .

وقد ساعد الإنجليز الملك عبدالعزيز في احتلال مكة والمدينة بعد أن حاصرهما ، وكان القنصل البريطاني آنذاك في جدة فتوجه إليه الشريف حسين ليستنجد به فقابله القنصل وطلب إليه الإستسلام لابن سعود فرفض الشريف حسين فأصر القنصل على ذلك وجاءت السفن البريطانية إلى جدة واقتحم جيش ابن سعود مكة والمدينة وسقطتا في يده ، وأصبح منذ ذلك الوقت حاكماً على الحجاز ، وقام الإنجليز بترحيل الشريف حسين بإحدى السفن خارج الحجاز ، وكان لدى الشريف حسين كميات كبيرة من الليرات الذهبية وكذلك قطع كبيرة بحجم الطابوق من الذهب والفضة فتم شحنها مع بقية ثروته ومجوهراته بمساعدة الإنجليز بإحدى السفن إلى الخارج . وكان الشريف حسين آنذاك تابعاً لحكم الدولة العثمانية شأنه شأن بقية البلدان العربية كالشام واليمن والقطيف وغيرها من البلدان . ويذكر الحاج إسماعيل أن الشريف حسين كان معروفاً بالبخل بالرغم من ثروته الطائلة .

علاقة الملك عبد العزيز بالكويت بعد وفاة الشيخ مبارك الصباح

بدأ الملك عبدالعزيز بتغيير موقفه من الكويت بعد وفاة الشيخ مبارك الصباح ، وبدأ ينظر إليها نظرة أخرى ، وذلك بعد أن بدأت علاقات الكويت أثناء حكم الشيخ سالم المبارك تتأزم مع البريطانيين والشيخ خزعل وكذلك مع الملك عبدالعزيز . وقد توسع نفوذ الإخوان والرطاوية وامتد في تلك الفترة بعد أن أمدّهم الملك عبدالعزيز بالأموال والسلاح ، وكان بعضهم يأتي إلى الكويت ويتناولون الكويتيين بالسب والقذف والتكفير ، وقد وقف لهم الشيخ علي الخليفة بالمرصاد . فقد كان مسؤولاً عن الأمن آنذاك ، وكان يعاقب المعتدين منهم ويجلدهم بالخيزران ، لكن الملك عبدالعزيز طلب عدم معاقبتهم عندما علم بذلك .

وقد حاول الشيخ خزعل آل مرداو حاكم المحمرة التوسط بين الشيخ سالم المبارك والملك عبدالعزيز فأرسل ابنه كاسب إلى الكويت واتفق مع الشيخ سالم المبارك على إرسال كتاب مصالحة مع الشيخ كاسب والشيخ أحمد الجابر الصباح إلى الرياض لحل الإشكالات مع الملك عبدالعزيز ، ومكثوا فترة هناك إلى أن تم الاتفاق على معالجة مسألة الحدود بين الكويت والسعودية حيث تم الإتفاق ووقعه الملك عبدالعزيز والشيخ أحمد الجابر ، وبعد مغادرة الوفد للرياض بفترة وجيزة وصل خبر وفاة الشيخ سالم المبارك إلى الملك عبدالعزيز الذي لم ينتظر طويلا فأرسل حالاً مبعوثاً إلى الشيخ أحمد الجابر والشيخ كاسب بن خزعل وكانا لا يزالان في طريق العودة إلى الكويت ليعلمهم بالخبر ويطلب إليهم العودة إلى الرياض . فاستقبلهم مرة أخرى وعزى الشيخ أحمد الجابر لوفاة الشيخ سالم وهنأه في نفس الوقت على كونه سيكون الأمير الجديد للكويت ، وأكد له زوال جميع المشاكل وأن الرياض والكويت بلد واحد ولا فرق بينهما بعد الآن وقام بتمزيق الاتفاقية .

لكن اعتداءات الإخوان استمرت في عهد الشيخ أحمد الجابر على الكويتيين في البر وداخل الحدود الكويتية ، وحصلت كثير من المناوشات ، وقاموا بنهب الخيول والأغنام والأموال التابعة للكويتيين ، كما نهبوا سروحاً[1] كثيرة من الأغنام والجمال التابعة لآل الصباح والموجوده في البر والتي تقدر بالآلاف ، وكان هؤلاء يأتون من ناحية الجهرة وينهبون كل ما يشاهدونه أمامهم . كما هجموا في أحد الاعتداءات على قافلة كبيرة من (المُخكْرة) المتوجهين إلى الكويت من العراق ونهبوا دوابهم من الحمير والأغنام والأموال والبضائع

(١) السروح جمع سِرْح ويساوي ١,٠٠٠ رأس من الغنم أو الإبل .

وقتلوهم شر قتلة ، وكانوا في بر الكويت وليسوا بعيدين عن سور الكويت ، ولم يغفر لهم ذلك بالرغم من أنهم كانوا داخل حدود الكويت وبالرغم من العلاقة الجيدة بين الشيخ أحمد الجابر والملك عبدالعزيز . كما أن الإنجليز ، وبالرغم من كل تلك التعديات ، لم يحركوا ساكناً . وقد استمرت اعتداءات الاخوان والرطاوية على الكويت لفترة طويلة . فقد أغاروا في أحد المرات على ممتلكات الكويتيين من الأغنام والجمال ونهبوها (وكان ذلك في بداية عام ١٩٢٨م) فعلم الشيخ علي السالم المبارك مسؤول الأمن آنذاك فجهز مجموعة من الرجال لتتبعهم بقيادته ودارت معركة معهم في منطقة الرقعي هزم الاخوان فيها وتركوا ما نهبوه وهربوا . لكن الشيخ علي السالم أصر على اللحاق بهم بسيارته بالرغم من نصيحة الشيخ علي الخليفة له بتركهم لكنه كان مصمماً على ذلك . وفي أثناء محاولته اللحاق بهم غرزت سيارته في الرمال ، ولم تنجح المحاولات لإخراجها ، فشاهده المعتدون من بعيد فعادوا وأحاطوا به وهم ينوون قتله ، وكان لابساً ملابس فاخرة من قماش ثمين يدعى (تِيرما) فطلبوا إليه نزع ملابسه فنزعها فأطلقوا عليه النار واستولوا على الملابس ولاذوا بالفرار . ولم يكن هؤلاء يعرفون صديقاً أو ما شابه ذلك بل كان همهم السلب والنهب وقتل من لا يتفق معهم والاستيلاء على أمواله .

الشيخ علي السالم المبارك الصباح

٣ - الشيخ جابر المبارك الصباح

توفي الشيخ مبارك الصباح عام ١٣٣٤هجرية (١٩١٥م) وحكم من بعده الشيخ جابر المبارك الصباح الذي لم يستمر طويلاً بالحكم . وكان الشيخ جابر المبارك ينوب عن والده أثناء سفره إلى الخارج . ويذكر الحاج اسماعيل أنه أثناء إحدى رحلات والده إلى المحمرة لزيارة الشيخ خزعل ثار عليه الأهوازيون وبنو كعب ، فأرسل الشيخ مبارك رسالة إلى الشيخ جابر يطلب إليه تجهيز عدد من السفن والرجال لمساعدة الشيخ خزعل ، لكن المهمة لم تتحقق لعدم رغبة الكويتيين ، وبخاصة التجار ، في الدخول في مشاكل ليس لهم فيها شأن ، وكان الشيخ جابر يشاطرهم نفس الشعور .

الشيخ جابر المبارك الصباح

وكان الشيخ جابر المبارك طيب القلب كريماً يحب الناس . ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ جابر وبعد وفاة والده واستلامه للحكم ذهب لمشاهدة خزائن والده فاندهش من ضخامة الثروة وتعهد بأنه إذا أطال الله في عمره فإنه سيجعل الكويت ترقص من الازدهار والتقدم . كما قام عند استلامه للحكم بدعوة أبناء عمومته الذين توجهوا إلى البصرة والزبير بعد استلام الشيخ مبارك الصباح للحكم للعودة إلى الكويت وطمأنهم على سلامتهم . وكان أقرب الناس إليه المرحومان سالم الحمود وسلمان الحمود أبناء عمه الشيخ حمود الصباح ، ولم تطل فترة حكم الشيخ جابر المبارك الذي توفي بعد سنة وعدة أشهر من استلامه للحكم .

٤ - الشيخ سالم المبارك الصباح

الشيخ سالم المبارك الصباح

استلم الشيخ سالم المبارك الحكم بعد وفاة أخيه الشيخ جابر . ويذكر الحاج اسماعيل أن الشيخ سالم واجه مشاكل كثيرة وتوترت علاقته مع الملك عبد العزيز آل سعود وكذلك مع الشيخ خزعل . كما لم تكن له علاقة جيدة مع الإنجليز الذين لم يرتاحوا له ، وقد تكالبت على الكويت في عهده الكثير من القبائل وزادت التحرشات والاعتداءات على الكويت وحدودها . ويذكر الحاج إسماعيل أن حدود الكويت في عهد الشيخ مبارك كانت تصل إلى القطيف وكان له كلمة ونفوذ على سكان البادية في تلك المناطق التي كانت تدين له بالولاء . لكن وفاة الشيخ مبارك شجعت كثيراً من القبائل على الطمع بالخيرات التي كانت تتمتع بها الكويت وأغرتهم على القيام بهجمات متكررة للاستيلاء على ما يستطيعون من أموال وأغنام وثروات أخرى متوافرة . ويشير الحاج إسماعيل إلى أن الشيخ سالم المبارك كان متدينا وتميزت علاقته مع والده الشيخ مبارك بالفتور ، وقد اعتاد أن يقضي معظم أوقاته أثناء حكم والده بالفنطاس ، وكان أقرب أصدقائه الشيخ أحمد الفارسي ، كما أن علاقته مع الشيخ خزعل لم تكن جيدة ، وكذا مع الإنجليز التي ساءت علاقته معهم وخاصة مع القنصل البريطاني ، مما أدى إلى توجه الإنجليز لبناء علاقات أفضل مع الملك عبد العزيز . وقد قضى الشيخ سالم معظم فترة حكمه القصير في الحروب والنزاعات التي كانت تعكس أطماع الكيانات المحيطة بالكويت .

كما عانى الكويتيون كثيراً من الناحية الاقتصادية أثناء حكم الشيخ سالم المبارك ، فقد كانت الحرب العالمية الأولى على أشدها فيما منعت بريطانيا تصدير المواد الغذائية وغيرها إلى خارج الكويت خشية من وصول تلك المواد إلى الدولة العثمانية ، مما أدى إلى كساد الأسواق ومعاناة الناس وانخفاض دخولهم وتفشي البطالة .

ومن أهم إنجازات عهده بناء سور الكويت الثالث الذي حمى البلاد من الطامعين فيها والمتربصين بها .

أجرى الشيخ سالم المبارك في عهده بعض التعديلات على المبنى الرئيسي لقصر السيف . وتشاهد في الصورة البوابة التي شيدها في المبنى الشرقي للقصر عام ١٩١٨م والتي كتب عليها " لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك" . كما يشاهد الدرج الدائري المزدوج الذي بني ليربط الدور الأول بالدور الأرضي .

بناء السور

بني سور الكويت عام ١٣٣٨ هجرية (١٩٢٠م) أثناء شهري شعبان ورمضان ، وذلك بعد أن ازدادت أطماع الجماعات المتربصة بالكويت بعد وفاة الشيخ مبارك الصباح من أمثال فيصل الدويش والإخوان الذين أرسلهم عبدالعزيز بن سعود الذي ساءت علاقته مع الشيخ سالم . وقد قرر الشيخ سالم المبارك بناء السور بعد التشاور مع وجهاء وتجار البلاد حيث قرر الجميع المساهمة في البناء سواء بالمال أو بالعمل . وكان ذلك بعد انتهاء معركة حمض ضد الكويت التي قادها فيصل الدويش ، ومما شجع هؤلاء على الهجوم على الكويت فتور العلاقات وتأزمها بين الشيخ سالم والإنجليز .

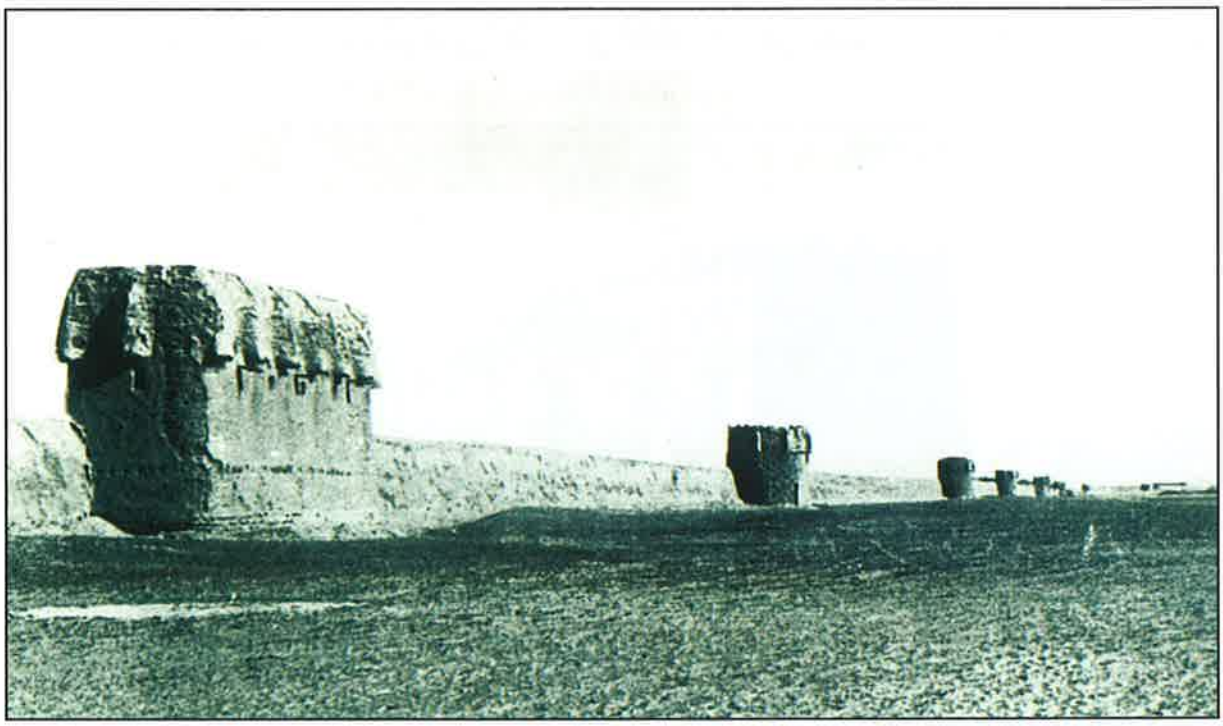

سور الكويت وتشاهد الغُوَل (أبراج المراقبة) على امتداده .

ويذكر الحاج إسماعيل أن عمره آنذاك كان ٢٨ عاما ، وقد شارك في بناء السور كأستاد ، إذ كانت لديه الخبرة في البناء حيث كان يقوم بتعمير حيطان مزارعه وبناء ما ينهدم من جدران منزلهم بسبب الأمطار . وكان بناء السور على طريقة (العروق) أي بناء الحائط من الطين وصبه على شكل طبقات لتشكيل الحائط ، دون استخدام اللِّبن (أي الطابوق الطيني) . ويذكر أنه أوكل إليهم وكذلك فرجان منطقة الشرق بناء الجزء

الشرقي من السور الممتد من دروازة البريعصي (الشعب) إلى البحر ناحية بنيد القار ودسمان . أما الجهة القبلية من السور ابتداء من دروازة البريعصي إلى ناحية الشويخ فأنيط بناؤها بفرجان منطقة القبلة . ويذكر الحاج إسماعيل أن أعدادا كبيرة من الرجال في منطقتهم كانوا يتجمعون في الحسينية الخزعلية بعد صلاة العشاء في شهر رمضان ، ويتوجهون من هناك إلى موقع البناء بمجموعتين كبيرتين ، إحداهما تتوجه من ناحية البحر بقيادة السيد مهدي القزويني العالم الديني للشيعة آنذاك ، والمجموعة الأخرى تتوجه إلى الموقع عن طريق دروازة العبد الرزاق ، وكانوا يرفعون البيارق أثناء مشيهم ويرددون الأناشيد الوطنية و" الشيلات" ، إلى أن يصلوا إلى هناك . ويستغرق الطريق إلى الموقع حوالي نصف ساعة مشيا بين السكيك والأزقة ، أما من كان لديه دراجة فكان يقطع الطريق في حوالي ١٠ دقائق . وكانوا يجلبون الطين للبناء من الأراضي المجاورة للسور ومن المطاين القريبة حيث يتم تقييل الطين (أي خلطه بالماء) في الصباح ليتم استخدامه ليلاً للبناء .

إحدى بوابات السور .

ويذكر الحاج إسماعيل أن المرحوم الحاج إسماعيل بن محمد علي معرفي كان مسؤولا عن تجهيز المواد والإعداد للعمل أثناء الليل . وكان يجلب يوميا ما بين عشرين إلى ثلاثين عاملا في أثناء النهار يعملون بالأجرة على حساب آل معرفي وعدد آخر من التجار في منطقة الوسط لتجهيز (القيلة) ، حيث كان يتم تجهيز كميات كبيرة جدا منها لتكفي العمل أثناء الليل الذي كان يقوم به أعداد كبيرة من المتطوعين . ويتم تجهيز كميات كبيرة من القيلة في مواقع مختلفة من منطقة السور تفصل بينها مسافات قصيرة في المنطقة الواقعة ما بين الدروازة ودسمان لتكون قريبة من مواقع العمل ، ليتم إنجاز العمل بسرعة وكفاءة .

وكان المرحوم إسماعيل معرفي يقوم أيضا بشراء الصخاخين والزبلان[1] لخلط الطين وتفريغه بالزبلان ونقله لمواقع العمل ، كما كان يجلب عمالاً لحفر الآبار بالقرب من مواقع بناء السور ، ويبلغ عمقها حوالي باعين(حوالي ٣ أمتار) . كما كان المرحومان إبراهيم معرفي وصالح معرفي يجلبان عمال البناء صباحا على حسابهم لتجهيز الطين أيضا ، ويبدأ المواطنون المتطوعون العمل بعد صلاة العشاء ويعملون لمدة ثلاث ساعات يوميا يعودون بعدها إلى بيوتهم لتناول السحور ، وقد تكفل تجار كل منطقة وفريج بتحمل جزء من تكاليف البناء .

ويذكر الحاج إسماعيل أن كل مجموعة من المتطوعين كانت تستلم جزءًا خاصا بها من البناء ، وكان زعيم مجموعتهم هو المرحوم حسين المرهون الذي كان يبدأ العمل بعد وصوله إلى الموقع بخلط القيلة تمهيداً لاستخدامها للبناء وهو يردد بعض (الشيلات) أو الأهازيج التي كان من بينها : الله يا هي قيلة . . . والطين منهو يشيله . . . ويصفق الحضور ويتراقصون أثناء قيامهم بالعمل ، وكان لكل منهم دور معين .

وقد تم إنجاز بناء السور في حوالي شهرين ، كما تم عمل ٤ بوابات[2] وأكثر من عشرين غولة (برج) للمراقبة على امتداد السور الذي كان ارتفاعه يبلغ حوالي أربعة أمتار . وقد بني السور بطريقة بناء (العروق) ويبلغ عرض الجزء السفلي منه حوالي مترين تتناقص سماكته تدريجياً كلما ارتفع . وقد تبنت الحكومة تكلفة عمل البوابات التي قام بصناعتها القلاليف .

---

(١) الصخين هو المسحاة أو المجراف ، أما الزبلان فهي جمع زبيل وهو الزنبيل المصنوع من الخوص .

(٢) تم بناء بوابة المقصب بعد فترة من الزمن .

كان السبب الرئيسي لحرب الجهرة هو سوء التفاهم الذي عكر صفو العلاقات بين الشيخ سالم المبارك والملك عبد العزيز ، وكذلك التشدد الذي صبغ نظرة الإخوان والوهابيين تجاه غيرهم ، وميولهم لتكفير من لا يتفق معهم . وكان فيصل الدويش القائد الرئيسي لهذا الاتجاه ورأس الحربة ضد الكويت . كما شجع موقف الانجليز غير الودي من الشيخ سالم هؤلاء على القيام بتلك الحرب التي أرادوا بها الاستيلاء على الكويت . كما أن موقف الإنجليز المعروف بأنهم دائما ما يقفون مع القوي لتعزيز مصالحهم أدى إلى تشجيع الأخوان للهجوم على الكويت ، وكان ذلك الموقف واضحا في أواخر أيام الشيخ مبارك .

فيصل الدويش زعيم الاخوان .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الكويت كانت في تلك الفترة تتوقع هجوم الإخوان عليها في أي لحظة ، وكان ذلك هو السبب الرئيسي لبناء السور . وقد توجه الكويتيون بقيادة الشيخ سالم إلى الجهرة لمواجهة الغزاة حيث رافق الشيخ عدد كبير من المواطنين بالإضافة إلى سكان الجهره وبادية الكويت . أما حماية المدينة فأصبحت بيد الفرجان والمناطق الداخلية المختلفة . ويذكر الحاج إسماعيل أن رجال كل فريج كانوا يتوجهون إلى ناحية السور أثناء الليل حيث تتناوب الفرجان في كل منطقة للحراسة في الجهات المقابلة من السور لفرجانهم .

وكانوا يصعدون إلى أعلى الغُوَلْ (أبراج الحراسة) لمراقبة المناطق المقابلة لهم ، ويحرس في كل غولة ما بين ١٠-١٢ شخصاً . كما يذكر الحاج إسماعيل أن السيد مهدي القزويني لعب دوراً مهماً في توزيع المهمات بين الأشخاص الذين كان يرسلهم من كل فريج . فقد كان يشرف كل ليلة على إرسال الرجال إلى مناطق السور المختلفة حيث كانت تبدأ المهمة في تمام الساعة الثانية ليلاً بالتوقيت العربي (أي بعد غياب الشمس بساعتين) لتبدأ كل مجموعة مهمتها في الحراسة . وكانت أعداد منهم تتوجه من ناحية البحر إلى المناطق الشرقية ، بينما تذهب المجموعات الأخرى عن طريق دروازة العبد الرزاق ، كما كان متبعاً أثناء فترة بناء السور . وكان السيد مهدي القزويني يرافق المجموعات المتوجهة إلى المواقع من ناحية البحر إلى منطقة بنيد القار حيث يقوم بتوزيع تلك المجاميع في الغول والأماكن المخصصة للحراسة . ويحمل الجميع البنادق ومنهم السيد مهدي الذي كانت لديه بندقية من صنع ألمانيا يطلق عليها (أم ركبة) وكان يعلق البندقية في رقبته .

ويذكر الحاج إسماعيل أن رحلات تلك المجاميع إلى منطقة السور كانت كالنزهة حيث كان كثير من المتوجهين إلى هناك يأخذون معهم بعض الأكلات الخفيفة المشهورة كالكليجة والتبدون والوجبات البسيطة لتناولها في منتصف الليل . وتستمر الحراسة إلى الفجر حيث يعودون إلى بيوتهم بعد صلاة الفجر .

٥ - الشيخ أحمد الجابر الصباح

كان الشيخ أحمد الجابر ضمن الوفد الذي ضمه والشيخ كاسب ابن خزعل إلى الرياض لمقابلة الملك عبد العزيز لحل مسألة الحدود بين الكويت والسعودية بوساطة من قبل الشيخ خزعل . وبعد مغادرتهم الرياض جاء خبر وفاة الشيخ سالم المبارك إلى الملك عبد العزيز الذي أرسل إليهم فعادوا ونقل لهم الخبر وهنأ الشيخ أحمد بكونه سيصبح أميراً للكويت وأخبره أن الكويت والرياض صارا بلداً واحداً ومزق الاتفاقية التي سبق وأن وقعها مع الشيخ أحمد قبل مغادرته .

الشيخ أحمد الجابر الصباح

وقد واجه الشيخ أحمد العديد من المشاكل منذ بداية عهده في الحكم ؛ ففي بداية حكمه عام ١٩٢١م بدأ القنصل البريطاني بالتدخل وزرع الفتن وطلب إلى الشيخ أحمد الجابر تأسيس المجلس التشريعي ، فرفض الشيخ أحمد تدخل القنصل الإنجليزي في شؤون الكويت ، لكنه وافق بعد فترة على تأسيس مجلس تشريعي . لكن ذلك المجلس لم يستمر طويلاً ، نظراً لتدخله في كل صغيرة وكبيرة ومحاولته سلب الصلاحيات من الحاكم والخلافات التي دبت بين أعضائه فتم حلّه .

وقد اشتدت المعارضة ضد الشيخ أحمد الجابر في منتصف الثلاثينيات وأواخرها متمثلة في المطالبة بالمشاركة بالحكم وتأسيس مجلس جديد وازداد الشعور بالتذمر من قبل بعض التجار وخاصة بعض العائلات في منطقة القبلة ، وكثرت الاجتماعات وتوسعت المعارضة ، وبدأت بعض الأصوات تطالب بالوحدة مع العراق ، وزاد الوضع سوءًا خاصة مع تدهور الأوضاع الاقتصادية التي عمّت الكويت والمنطقة ، وصارت المنشورات تطبع وتنشر متحدية السلطة ، كما بدأت المعارضة بعد فترة بانتقاد الإنجليز فيما اتصفت سلطة الحكومة بالضعف ، إلى أن تم تأسيس مجلس عيّن فيه عدد من رجال المعارضة وأصبحوا يفرضون قراراتهم على الحكومة ويتحدونها . وكانوا يصدرون إعلانات يومية ضد الحكومة وتعقد اجتماعاتهم في منزل راشد عبد الغفور حيث تزداد طلباتهم بعد كل اجتماع . كما بدأ القنصل الإنجليزي يمر عليهم ويحاول التوسط وتهدئتهم ، وكان من قراراتهم التي فرضوها نفي الملا صالح سكرتير الشيخ ويده اليمنى إلى خارج الكويت نظراً لموقفه الصلب ضدهم حيث توجه إلى المحمرة منفياً إلى هناك .

كما كانت مواقف بعض أعضاء مجلس الشورى سلبية من بعض فئات الشعب الكويتي ، فقد كانوا يصدرون بيانات ضد الشيعة لوقوفهم مع الحكومة . وقد وقف الشيعة موقفاً صلباً مع الحكومة ووقعوا عرائض وبيانات تؤيد الشيخ أحمد الجابر وتدعم مواقفه ضد المجلس ، وكانت البيانات تجلب للحسينية الخزعلية ويوقعها الناس تأييداً للشيخ أحمد ، وكان في مقدمة الداعمين للحكومة السيد جواد القزويني أبرز علماء الشيعة في الكويت آنذاك والذي كان يحتفظ بعلاقة قوية مع الشيخ أحمد الجابر . وكان كثير من شباب الشيعة يتجمعون في الحسينية الخزعلية ويتوجهون من هناك إلى الصفاة في مظاهرات مؤيدة للحكومة ، ويتوجهون مرات أخرى إلى قصر دسمان وهم يهتفون (دار العز أحمد فيها . . .) و (شيخنا أحمد . . . الله يعزه) . وقد زار وفد من المجلس التشريعي منزل السيد جواد القزويني في إحدى الليالي واجتمعوا معه

ومع عدد من وجهاء الشيعة في محاولة لجذبهم إلى صفوفهم في أواخر أيام المجلس ، لكن موقف السيد جواد وجماعته كان صلباً في دعم الحكومة وعدم تغيير موقفهم مما أعطى دعماً أكبر للمرحوم الشيخ أحمد الجابر .

وكان المجلس قد استلم شؤون الدفاع والمالية وأصبحت الحكومة في أواخر الأيام دون سلطة تذكر ، وبدأ المجلس في بياناته في تلك الفترة يهاجم بريطانيا والقنصل مما أدى إلى أن يغير القنصل موقفه ويؤيد الشيخ أحمد الجابر بعد أن كان يقف على الحياد . وقد طلب الشيخ أحمد الجابر إلى زعماء الشيعة أن يكتبوا خطاباً تأييداً للشيخ يوقعه أكبر عدد ممكن من المواطنين يطالبون فيه ببقاء الشيخ وإلغاء المجلس . وقد أحضرت الوثيقة إلى الحسينية الخزعلية ووقعها عدد كبير من الحضور ، ثم تجمعت بعد ذلك أعداد كبيرة من المواطنين والشيوخ وتوجهوا إلى قصر دسمان في مظاهرات مؤيدة للشيخ أحمد حيث امتلأ القصر . ويذكر أن الشيخ أحمد الجابر أخبر القنصل أن حكومة الملك غازي في العراق طامعة في ضم الكويت وهي تؤيد المعارضين وهي على اتصال بهم مما دعا القنصل إلى الطلب إلى الشيخ أحمد الجابر بالتريث قليلاً . وبعد عدة أيام أعلن عن مقتل الملك غازي في حادث سيارة اصطدمت بعمود الإنارة ، وكان ذلك في شهر أبريل عام ١٩٣٩م . كما أصبحت الحكومة البريطانية بعد ذلك في صف الشيخ أحمد الجابر بعد أن تسلمت من الشيخ توقيعات المواطنين بتأييده .

الشيخ أحمد الجابر الصباح في أواخر أيامه .

وعندما شعر الشيخ أحمد الجابر أن الأمر وصل حداً لا يحتمل ، وبدأ بعض الشيوخ بالتململ بعد أن استلم المجلس مقاليد القرارات المهمة وسيطر على دوائر المالية ثم الشرطة والجيش ، وبدأوا بتحدي السلطة ، قرر الشيخ أحمد الجابر عدم السماح لهم بالسيطرة على الأوضاع بصورة كاملة والاستيلاء على السلطة ، خاصة مع التأييد القوي الذي لاقاه

من بقية المواطنين فقرر مهاجمتهم في مقر تجمع زعمائهم في قصر نايف حيث كان يجتمع عدد من قادة المجلس هناك . وقد حاول الشيخ عبد الله السالم تهدئة الأمور وتجنب المواجهه لكن المجلس أصر على مواقفه . وقد وقعت اشتباكات متفرقة بين الجانبين في السوق الداخلي بين الشرطة ومؤيدي المجلس ، وقامت مظاهرات في الصفاة مؤيدة للحكومة فقررت الحكومة حسم الموضوع وأعطيت الأوامر بالهجوم فتصدر الشيخ علي الخليفة الصباح وعبدالله المبارك الصباح الأمر وتم الهجوم عليهم حيث كانت أعداد من قياداتهم تتجتمع في قصر نايف فاستسلموا للحكومة ، وتم القبض على عدد منهم وسجن آخرون وعادت الأمور إلى طبيعتها . كما أعيد الملا صالح إلى عمله سكرتيراً للشيخ أحمد الجابر بعد حل المجلس ، وتم تنظيم حفل استقبال له عند عودته من قبل الحكومة . وقد استمر الملا صالح بعد ذلك في عمله لعدة سنوات امتدت إلى عام ١٩٤١م عندما قدم استقالته فعين مكانه ابنه عبدالله الملا صالح سكرتيراً للأمير .

الشيخ علي الخليفة الصباح رئيس الأمن العام في أثناء أحداث المجلس التشريعي .

الشيخ أحمد الجابر وعبد الكريم أبل

يذكر الحاج إسماعيل أن عبد الكريم أبل كان من كبار تجار الكويت في بداية القرن الماضي ، وكان أميناً للصندوق للشيخ أحمد الجابر الذي كان يثق به وتربطه به علاقة وثيقة ، وكان يحفظ الأموال لديه في منزله قبل افتتاح البنك البريطاني في الكويت عام ١٩٤٢م . وكان عبد الكريم أبل يرفض استلام أي مقابل مالي بدل ذلك العمل . وكان بعض التجار غير مرتاحين من تلك العلاقة بين الشيخ أحمد الجابر وعبد الكريم أبل وكانوا يطلقون الإشاعات بأن عبد الكريم أبل يتصرف بأموال الشيخ ويتاجر بها دون علمه ويستفيد من ذلك . فلما سمع عبد الكريم أبل بذلك تضايق كثيراً واستأجر عدداً من الحمير وحمل على ظهورها الأموال التابعة للشيخ أحمد وتوجه بها إلى قصره ليسلمه إياها ، فما كان من الشيخ أحمد إلا أن أكد ثقته بعبد الكريم أبل وأصر على إبقاء ودائعه وأمواله وحساباته لديه وطمأنه وأكد له أنه لا يسمع لكلام الوشاة ، وهكذا استمر عبد الكريم أبل في مهمته إلى أن توفي في حوالي عام ١٩٤٦م ، فأودعت أموال الشيخ أحمد الجابر وحساباته لدى ابنه أحمد عبد الكريم أبل إلى أن توفي الشيخ أحمد الجابر ، واستمر أحمد أبل في ذلك إلى ما قبل وفاته بعدة سنوات حيث طلب إلى ورثة الشيخ أحمد الجابر استلام أموالهم وإعفاءه من تلك المهمة .

المرحوم عبد الكريم أبل

٦ - الشيخ خزعل بن مرداو

كانت عائلة مرداو تحكم منطقة كبيرة من شمال الساحل الإيراني والمناطق الداخلية القريبة منه ، وتشمل بوشهر وششتر ودسبول والأهواز والدورج والقصبة والمحمرة . وكان الشيخ جابر بن مرداو – والد الشيخ خزعل – يعين مندوبين عنه في تلك المناطق لتضمين الأراضي الزراعية واستلام الضرائب والرسوم منهم . وكانوا يزرعون القمح والشعير وبقية المحاصيل الزراعية . وقد سار الشيخ خزعل على نهج والده بالرغم من الثورات التي قامت ضده .

الشيخ خزعل بن مرداو

ويشير الحاج إسماعيل إلى أن الشيخ خزعل بن مرداو حاكم المحمرة كان من أخلص أصدقاء الشيخ مبارك الصباح ، وكان يزوره باستمرار ويمكث في الكويت في بعض الأحيان مدة طويلة قد تستغرق شهرين أو أكثر وخاصة في فصل الربيع ، حيث يقضي أيامه مع الشيخ مبارك في البر وخاصة في منطقة بيان التي يطلق

عليها الآن (الجابرية) ، كما كان الشيخ مبارك يزور الشيخ خزعل في المحمرة باليخت مشرف . وقد بنى الشيخ خزعل له بيتا في بيان بالقرب من أرض الشيخ مبارك الصباح التي كانت تعتبر محمية له وتمتد من هناك شرقاً عبر منطقة الرميثية إلى ساحل البحر . كما بنى قصراً وديواناً في منطقة دسمان بالقرب من قصر دسمان وكذلك قصراً آخر في فريج جمال المتفرع من فريج الفرج . وكان الشيخ مبارك والشيخ خزعل دائمي الاتصال مع بعضهما ويتبادلان الآراء والنصائح باستمرار ويعتبران حليفين بصدق ، حيث كان كل منهما يهتم بمصلحة الآخر واستقرار كيانه .

الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل بن مرداو حاكم المحمرة .

وكان الشيخ خزعل أول من أشار على الشيخ مبارك بعقد اتفاقية الحماية مع الإنجليز بعد معركة الصريف لضمان أمنه ولاتقاء شر جيرانه ، سواء من الأتراك الذين كانوا يحكمون العراق وأجزاء من شبه الجزيرة العربية ، أو من الإخوان ، أو من البدو في البر الذين كانوا يغيرون على الأغنام والدواب التابعة للكويت .فقبل الشيخ مبارك الفكرة وخاصة أن سفينة حربية تركية كانت قد رست في مياه الكويت في ذلك الوقت مما شجع الشيخ مبارك على أن يعجل بعقد المعاهدة .

قصر الشيخ خزعل بن مرداو في منطقة دسمان .

جانب من داخل قصر الشيخ خزعل .

وكان للشيخ خزعل أصدقاء من بعض العائلات الكويتية ، كان يزورهم في دواوينهم وفي بعض الأحيان يشارك بعضهم في مشاريع مختلفة ويقدم لهم قروضاً من أمواله لينجزوا أعمالهم التجارية . كما تزوج من بنات إحدى العوائل الكويتية بينما امتنعت عائلات أخرى عن تزويجه مما خلق نوعاً من الجفاء والمشاحنة معهم . وكان الشيخ خزعل يحرص على مرور علماء الدين في الكويت ويبدي احترامه وتقديره لهم ، وبخاصة السيد مهدي الموسوي القزويني الذي عاصر حكم الشيخ مبارك الصباح حوالي سبع سنوات (من عام ١٩٠٨ وهي سنة قدوم السيد مهدي إلى الكويت إلى عام ١٩١٥ وهي سنة وفاة الشيخ مبارك) ، وكان الشيخ خزعل يحضر صلاة الجماعة في مسجد المزيدي أثناء تواجده في الكويت ، وكذلك المجالس الحسينية في منطقة الوسط ، ويزور ديوان السيد مهدي القزويني مساء كل يوم أثناء وجوده في الكويت للقاء وجهاء ورجال الشيعة الذين كانوا من رواد ديوان السيد مهدي .

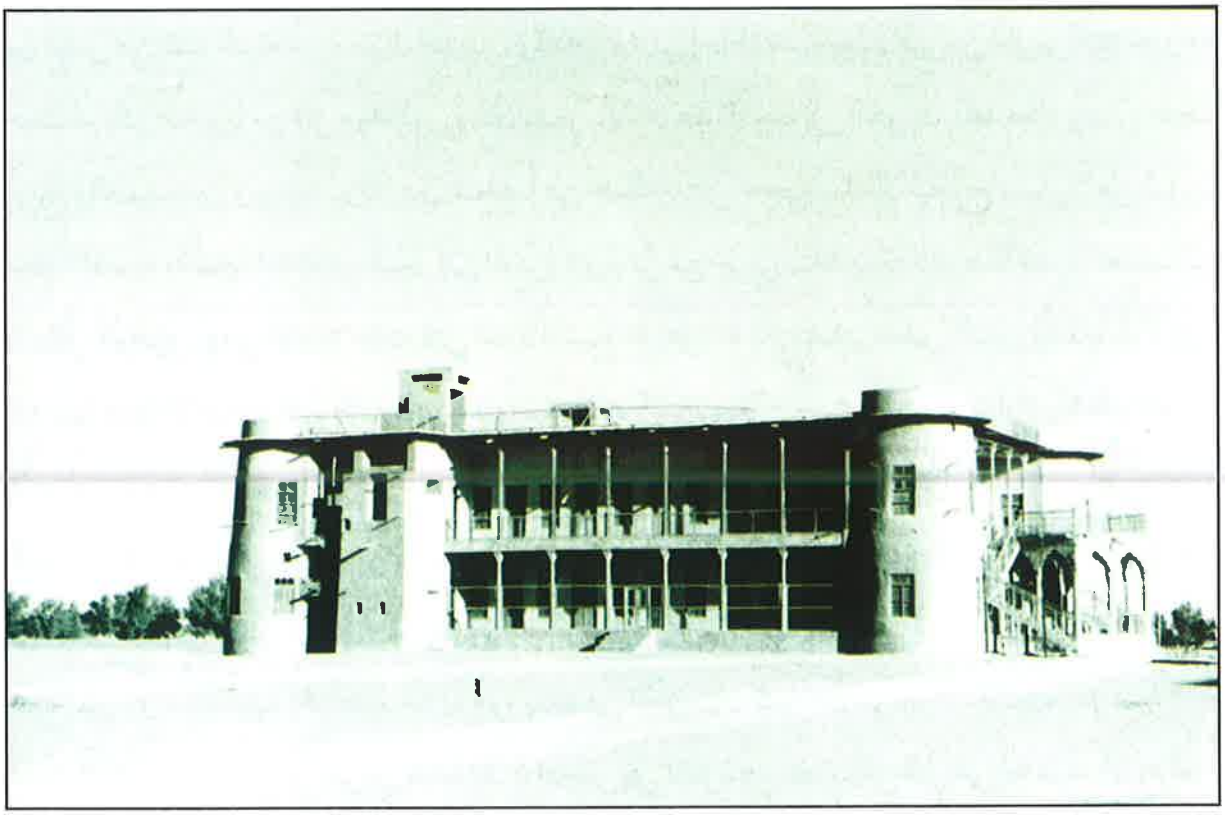

ديوان الشيخ خزعل حاكم المحمرة بالقرب من قصر دسمان كما ظهر في عام ١٩٣٩م .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ خزعل كان وراء فكرة إنشاء الحسينية الخزعلية في فريج جمال في منطقة الوسط ، ويذكر الحاج إسماعيل القصة من وراء بناء الحسينية فيقول إنه صادف وجود الشيخ خزعل في الكويت في إحدى السنوات أثناء شهر محرم ، وكان يقام مجلس للعزاء في غرفة كبيرة ملحقة بمسجد المزيدي بعد صلاة العشاء ، وكان الشيخ خزعل يحضر ذلك المجلس ، فاقترح على الحضور من التجار بناء حسينية كبيرة تسع أعداداً أكبر من الحضور ، وعرض أن يكون هو أول المتبرعين لبنائها فتجاوب معه بعض التجار وكان في مقدمتهم آل معرفي . وقد تمت الترتيبات لذلك وبدأت أعمال البناء في عام ١٩١٤م واكتملت في عام ١٩١٧م .

ويذكر الحاج إسماعيل أن سكان المحمرة والأهواز والدورق كانوا قد ثاروا في إحدى السنوات على الشيخ خزعل فاستعان بالشيخ مبارك الصباح لمساعدته ضد الثوار وحاول الشيخ مبارك تجهيز ١٠ سفن بالرجال والسلاح لكنه لم ينجح في ذلك ، لكن الشيخ خزعل قضى على الثوار بقسوة وأغدق الأموال على رجال العشائر فنجح في إسكاتهم ، وكان الشيخ خزعل يسكن مدينة الفيلية لشعوره بالأمان فيها ، وكان قليل الظهور بين الناس في بلده لخوفه من احتمال اغتياله ، وقد اعتاد على إحاطة نفسه بعدد كبير من الحرس عند خروجه حيث لم يكن محبوباً من قبل مواطنيه . وكان يشعر بالأمان عند قدومه إلى الكويت ، مما جعله يقضي معظم الربيع والصيف بين ربوعها . وقد عين شخصاً من عماله يدعى حجي سلطان ليصبح مسؤولاً عن شؤون منطقة القصبة بكاملها ابتداء من البحر إلى المحمرة ، ويذكر عن حجي سلطان أنه كان ظالماً شديد العقاب لمن لا يمتثل لأوامره . ومن الإصلاحات التي تعود للشيخ خزعل أنه قام بتعمير بعض المدن والقصبات ، وفي مقدمتها مدينة الأهواز- التي كان يطلق عليها قبل ذلك "الناصرية"- حيث قام بمد الشوارع وأعمال التعمير الأخرى . ويذكر أن الشيخ خزعل قام بنفي عدد من رجال الدين الذين قادوا الثوار ضده إلى خارج إمارة المحمرة ، وكان من بينهم شيخ دين يدعى سيد عيسى كمال الدين الذي تزعم المعارضة في المحمرة حيث نفاه إلى الكويت وبقي تحت الإقامة الجبرية فيها لمدة طويلة . ويذكر الحاج إسماعيل أن سيد عيسى كمال الدين أصبح من رواد الحسينية الخزعلية خلال فترة بقائه في الكويت . كما كان من رواد الحسينية الخزعلية أحد زعماء الأكراد الذي نفاه الإنجليز في بداية القرن الماضي إلى الكويت وكان يدعى البرزاني ، وهو من أتباع أهل السنة لكنه كان كثير التردد على الحسينية الخزعلية ، وكان يرتدي اللباس العربي وعقالاً من الزري .

واستمر الشيخ خزعل في حكم المحمرة إلى أن استلم رضا شاه بهلوي الحكم في إيران بدعم من الإنجليز عام ١٣٤٢ هجرية (١٩٢٣م) ، فبدأ بالقضاء على المعارضة ونفوذ رجال الدين . وبعد أن سيطر على إيران أعد خطة للقضاء على حكم الشيخ خزعل في المحمرة بعد أن فشلت حملاته العسكرية . فأوعز إلى قائد جيشه بالطلب إلى الشيخ خزعل إقامة حفل عشاء يرمز إلى المصالحة بين الشيخ خزعل ورضا شاه بعد أن نجحت الوساطه بينهما . فتم إقامة الحفل في يخت الشيخ خزعل بالمحمرة . ويذكر الحاج إسماعيل أنه وفي أثناء حفل العشاء أعد الجنرال الإيراني العدة وجهز عدداً كبيراً من الجنود والضباط لاقتحام اليخت وإلقاء القبض على الشيخ خزعل ، ونجحت الخطة وتم تطويق الشيخ خزعل وإلقاء القبض عليه من قبل رجال الشاه وأمروه بالاستسلام وتم نقله إلى طهران بالسيارات . وكان ذلك في عام ١٣٤٤هجرية (١٩٢٥م) . وقد قضى الشيخ خزعل بقية حياته في السجن إلى أن توفي عام ١٩٣٦م (١٣٥٥ هجرية) .

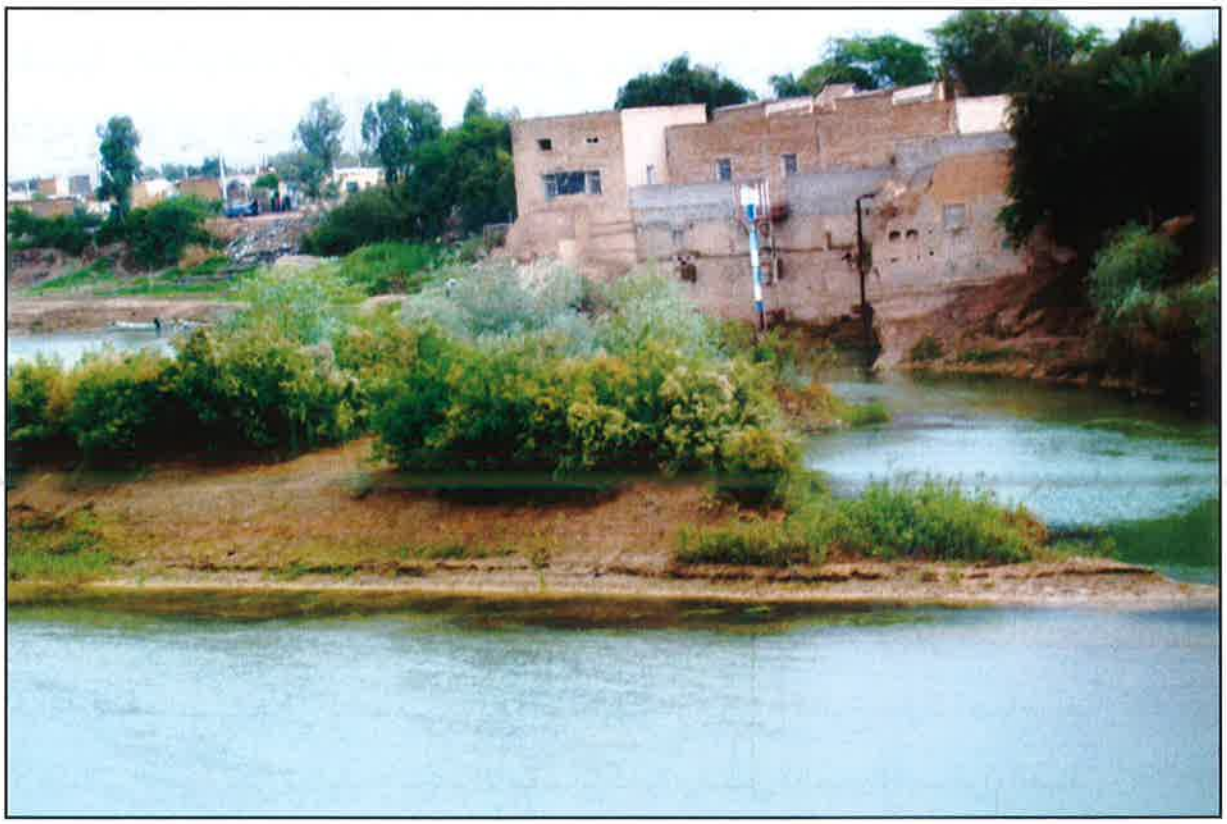

قصر الشيخ خزعل في مدينة الحميدية كما بدا عام ٢٠٠٩م بعد هجره بحوالي خمسة وثمانين عاماً .

بناء الحسينية الخزعلية

بدأت فكرة بناء الحسينية من قبل الشيخ خزعل بن جابر آل مرداو حاكم المحمرة ، وذلك لاستقبال الأعداد الكبيرة من الناس في شهر محرم . وقد عرض الشيخ خزعل المساعدة في بنائها فتجاوب معه عدد من التجار وفي مقدمتهم المرحوم عبد الكريم معرفي . وقد خصص الحاج عبد الكريم معرفي أحد البيوت الذي كان يعود قبل ذلك لآل عيدي والذي اشتراه بمبلغ ٣,٠٠٠ روبية . وكان قد اشترى ذلك البيت من آل عيدي شخص يدعى الحاج صفر وسكن فيه لفترة من الزمن ، وبعد وفاته اشتراه الحاج على أسطى أحمد بهبهاني الذي باعه فيما بعد للمرحوم الحاج عبد الكريم معرفي عام١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م) ، وقد خصصه سكنا للمرجع الديني آنذاك السيد مهدي القزويني الذي جاء إلى الكويت في عام ١٩٠٨م فسكن فيه حوالي خمس سنوات إلى عام ١٣٣٢هـ(١٩١٣م) ثم انتقل إلى منزل آخر في فريج القناعات بناه المرحوم محمد علي معرفي ليصبح وقفا لسكن المرجع الديني بعد أن برزت فكرة بناء الحسينية . وقد تبرع الحاج عبد الكريم معرفي بالبيت الذي أخلاه السيد مهدي لتبنى مكانه الحسينية . كما تبرعت المرحومة خديجة معرفي بمبلغ من المال للمساهمة في بناء الحسينية . وطلب الشيخ خزعل إلى التجار البدء في المشروع فتم شراء عدد من البيوت الصغيرة المحيطة بذلك البيت ، كما تبرع الشيخ مبارك الصباح بمنزل مجاور كان ملكاً له للمشروع ، وتم هدم تلك البيوت استعداداً للبدء في البناء ، وتبرع الشيخ خزعل بمبلغ ١٠,٠٠٠ روبية للبناء وأحضر خريطة للمبنى الجديد من المحمرة ، وبدأ البناء عام ١٣٣٣ هـ (بداية عام ١٩١٤م) ، وقام بالبناء كل من المرحوم راشد الرباح ، وكان من أشهر أستاذية البناء ، بمساعدة المرحوم على أسطى أحمد بهبهاني . كما تم جلب عدد من الأستادية من العراق لتلبيس الواجهة بالطابوق الأصفر الذي جلب من البصرة ، وأشرف على البناء المرحوم حسن بن عبد الكريم معرفي . وقد تكلف بناء الحسينية حوالي ٣٥,٠٠٠ روبية ساهم الشيخ خزعل بمبلغ ١٠,٠٠٠ روبية منها ودفع الباقي المرحوم عبد الكريم معرفي من ثلث المرحومين الحاج حيدر والحاج نصير معرفي . كما تبرع عدد آخر من التجار . وتبرع الشيخ مبارك الصباح أيضاً بقطع من الأخشاب الكبيرة التي تستخدم لدعم الأسقف الكبيرة وتسمى (الصْورة) بسكون الصاد ، ومفردها صُوَرْ . وتستخدم الصورة كجسور لأسقف الصالات الكبيرة حيث يتم صف الچندل عليها لتشكل

ما يشبه الجسور الإسمنتية في وقتنا الحاضر التي يقوم عليها السطح . كما تبرع الشيخ مبارك الصباح بالمندات والچندل[1] .

وقد توفي الشيخ مبارك الصباح عام ١٩١٥م أثناء بناء الحسينية الخزعلية وأقيم له مجلس عزاء بالحسينية وكانت غير مكتملة البناء آنذاك ولم يتم تسقيفها بعد . وقد استلم الحكم من بعد الشيخ مبارك ابنه الشيخ جابر المبارك . وقد اكتمل بناء الحسينية بعد ذلك بفترة قصيرة وتبين أنه لم يتم تخصيص مكان للطبخ والغسيل وحوض للماء . فطلب الجماعة إلى الحاج على بن إسماعيل جمال (والد الحاج إسماعيل) أن يخبر الشيخ جابر المبارك بالوضع ويشير إليه بوجود منزل مجاور للحسينية من الناحية الغربية يعود للمرحومة الشيخة موضي بنت الشيخ دعيج الصباح عم الشيخ مبارك ، ويرغبون في إلحاقه بالحسينية ، فتوجه علي بن اسماعيل جمال إلى الشيخ جابر المبارك وأحاطه بالوضع فأرسل الشيخ جابر المبارك إلى الشيخه موضي وأخبرها أنه يريد البيت للحسينية فأجابته أنه ليس لديها شيء يعز على الشيخ جابر وأعطته المنزل الذي ألحق بالحسينية دون مقابل . وقد عوض الشيخ جابر المبارك الشيخة موضي الدعيج بثلاثة دكاكين في السوق الداخلي بالقرب من مسجد السوق الكبير . وتم هدم البيت المذكور وإلحاقه بالحسينية حيث تم بناء مطبخ وسرداب وحوض ودورات مياه مكانه . وبذلك اكتمل بناء الحسينية عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) والتي أطلق عليها الحسينية الخزعلية . وكان بناؤها من الصخر والطين وتم تغطية واجهتها القبلية بالطابوق الأصفر الذي جلب من البصرة . أما الأبواب فقد صنعها أستادية تم جلبهم من بوشهر .

وقد بدأت القراءة فيها في محرم من ذلك العام ، وكان أول المقرئين فيها المرحوم الملا جاسم بن عيدو ، ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ خزعل كان يحضر القراءة في الحسينية الخزعلية إذا صادف مجيئه إلى الكويت في شهر محرم . وكان يجلس في صدر المجلس بالقرب من مكان جلوس علماء الدين وفي مقدمتهم المرحوم السيد مهدي القزويني ، وكان يبدي احترامه وتقديره لهم . وقد ذاع صيت الحسينية

---

(١) المندات ومفردها مندة هي عمود خشبي سميك يتم تركيبه عمودياً في واجهة اللواوين ليوضع فوقه جسر خشبي (صُوَرْ) يحمل الچندل الذي يتكون منه سقف الليوان وكذلك الغرف . أما الچندل والمفرد چندله فهي سيقان نوع خاص من الأشجار يجلب من شرق أفريقيا ويستخدم لدعم أسقف المنازل التي تغطى بالطين بعد وضع حصران (بواري) مصنوعة من نوع خاص من نبات البامبو فوق الچندل الذي يوضع فوقه باسچيل لدعمه . والباسچيل شرائح من نبات من أنواع البامبو يتم صفه فوق الچندل على شكل مربعات قبل فرش البواري فوقه .

جانب من القاعة الرئيسية بالحسينية الخزعلية وتشاهد (المندات) التي تحمل السقف في وسطها .

الخزعلية وأصبحت مركزاً لسكان منطقة الوسط حيث بدأ الناس بتلقي العزاء فيها في حالات الوفاة وكذلك الاحتفالات بالمناسبات المختلفة .

كما كانت تستقبل الرواد في ليالي شهري محرم وصفر وكذلك شهر رمضان لإلقاء المحاضرات الدينية وذكر سيرة أهل البيت ، بينما كانت أبوابها تفتح صباح كل يوم ليقوم المرحوم السيد مهدي القزويني بقراءة المسائل الفقهية والأحاديث النبوية والإجابة على استفسارات الحضور . كما أصبحت مركزاً يتوجه إليه الشهود برؤية هلال عيد الفطر في كل عام ، إذ كان الشيعة في الكويت ومنذ القدم يهتمون برؤية هلال شهر رمضان وعيد الفطر وبقية الأشهر العربية . ويذكر الحاج إسماعيل أن من أهم (شوّافة) الهلال في عهد المرحوم الشيخ محمد المزيدي المرحوم علي النقي وأبناؤه يوسف وعبد الحسين ، وكانوا أول من يراه في الكويت . وقد اعتادوا على إطلاق العيارات النارية من بنادق الصيد التي كانت لديهم من فوق سطح منزلهم عندما يشاهدون هلال العيد ، ثم يتوجهون بعد الإفطار إلى ديوان المرحوم الشيخ محمد المزيدي في مسجد المزيدي للشهادة على رؤية الهلال . كما يأتي إلى الديوان أيضاً الشهود الآخرين فيعلن الشيخ محمد المزيدي ثبوت هلال العيد ويصلي صلاة العيد في صباح اليوم التالي في مسجد المزيدي .

الجزء العلوي من المندات الضخمة التي يبلغ ارتفاعها أكثر من ٨ أمتار والتي تبرع بها
المرحوم الشيخ مبارك الصباح للحسينية الخزعلية .

وقد بدأ الشهود بعد ذلك بالتوجه إلى الحسينية الخزعلية عند رؤيتهم للهلال في زمن المرحوم السيد مهدي القزويني واستمر ذلك العرف إلى عام ١٩٨٥م وهي السنة التي تم فيها هدم الحسينية . ويذكر الحاج إسماعيل

أن المرحوم الشيخ علي السالم المبارك الصباح[1] كان يرسل رسولاً من طرفه إلى السيد مهدي القزويني في الحسينية الخزعلية للسؤال عن ثبوت هلال العيد ، فإن ثبت لدى السيد مهدي يصبح الأمر مشاعاً ويفطر الجميع . كما اعتاد السيد مهدي على إرسال المرحوم الحاج حسين بن إبراهيم وكيل الحسينية الخزعلية آنذاك إلى الشيخ علي السالم ليخبره بثبوت الهلال . ومن العادات التي دأب عليها حكام الكويت منذ بناء الحسينية الخزعلية مجيئهم إلى هناك في ثاني أيام عيدي الفطر والأضحى لتقديم التهاني للمرجع الديني ووجهاء منطقة الوسط ابتداء من عهد السيد مهدي القزويني إلى السيد جواد القزويني والسيد علي شبر ، حيث كان رجال منطقة الوسط ووجهاؤها من الشيعة يلتقون هناك في اليوم الأول والثاني من أيام العيد لتلقي التهاني ولقاء بعضهم بعضاً .

الحاج حسين ابراهيم وكيل الحسينية الخزعلية لسنوات طويلة ، والذي كان يرسله السيد مهدي القزويني إلى الشيخ علي السالم لإبلاغه بثبوت هلال العيد .

(١) المرحوم الشيخ علي السالم المبارك الصباح هو نجل الشيخ سالم المبارك الصباح حاكم الكويت آنذاك ، وكان مسؤول الأمن في عهد والده . وقد استشهد الشيخ علي السالم في معركة الرقعي عام ١٩٢٨م .

ويذكر الحاج إسماعيل أن الحسينية الخزعلية أصبحت منذ اكتمال بنائها مركزاً لسكان منطقة الوسط . فقد اعتاد السيد مهدي القزويني أن يلقي المحاضرات الدينية فيها ليلياً تقريباً ، ويحضر إلى هناك الكثير من المهتمين . كما اعتاد عدد من رجال الأحياء القريبة التوجه إلى هناك صباح كل يوم لشرب القهوة وتبادل الأحاديث قبل التوجه إلى محلاتهم ودكاكينهم ، وأصبحت الغرفة التي يسكن فيها المقريء ديواناً صباحياً يتوجه إليه هؤلاء أثناء فصل الشتاء قبل توجههم إلى محلاتهم . أما في فصل الربيع والصيف فكانوا يجلسون في الليوان لقضاء بعض الوقت قبل التوجه إلى السوق ، حيث استمر ذلك إلى ما قبل هدمها . كما اعتاد عدد من رجال وشباب منطقة الوسط في السنوات الأولى من افتتاح الحسينية الخزعلية التوجه إلى حوش المطبخ أثناء الظهيرة في أيام شهر رمضان للسباحة في الحوض الذي بني هناك والنوم بالسرداب طلباً لبرودة الجو .

الحضور أثناء إلقاء المقريء محاضرته بالحسينية الخزعلية في السبعينيات من القرن الماضي .

٧ - الشيخ موسى بن محمد المزيدي

قدم الشيخ موسى بن محمد المزيدي إلى الكويت من الحلة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي بعد أن اتصل رجال الشيعة في الكويت بمراجعهم في النجف طالبين إليهم إرسال عالم ديني مقيم بينهم ليرشدهم ويعلمهم أمور دينهم ويحكم في القضايا الشرعية . ويعتبر الشيخ موسى محمد المزيدي أول عالم ديني معتمد من المرجعية الجعفرية في النجف يتسلم مسؤولية البت في الأمور الفقهية للمذهب الجعفري في الكويت . وقد قدم الشيخ موسى مع عدد من أفراد عائلته وسكن في منطقة الوسط ، وكان الشيخ موسى المزيدي مولعاً بالعلم والأدب ضليعاً في أمور الدين ، وكان أول من صلى جماعة في مسجد الصحاف عند بنائه . وقد ساهم في بناء مسجد الصحاف كثير من عوائل الشيعة ومن مختلف الفرقاء ، ويذكر أن عبدالله بن جمال ساهم في المسجد من خلال التبرع بالأبواب . ولم يبق الشيخ موسى المزيدي في البداية طويلاً حيث حدث بعض سوء الفهم مع بعض وجهاء الشيعة فغادر إلى الدورق . وكان ذلك في عهد الشيخ جابر بن عبد الله الصباح ، الحاكم الثالث للكويت والملقب بجابر العيش ، الذي أرسل له مِحْمَل (سفينة شراعية) وطلب إليه العودة إلى الكويت بعد مصالحته ، فعاد إلى الكويت وبقي لفترة طويلة قبل أن يغادرها متوجها إلى الدورق مرة أخرى بعد أن تكررت مطالبات الناس له من هناك للتوجه إليهم . وقد حاولت جماعته في الكويت ثنيه عن ذلك طالبين منه البقاء في الكويت لكنه لم يستجب إلى ذلك . وكان الشيخ موسى المزيدي يعتبر الحاكم الشرعي للشيعة في الكويت أثناء تواجده ، وكان في حالة وقوع أي مشكلة شرعية بين أطراف الشيعة يقوم بالحكم فيها وحلها ، وإذا لم يستطع ذلك تتدخل السلطات الحكومية لحل الأمر . وبعد وفاته تم تعيين ابنه الشيخ محمد بن موسى المزيدي مكانه ، وصار يصلي في ديوان آل شمساه الواقع بالقرب من مسجد الحداد وفريج الصاغة في منطقة الوسط في بداية قدومه إلى الكويت .

٨ - الشيخ محمد بن موسى المزيدي

كان الشيخ محمد بن موسى المزيدي يتلقى العلوم الفقهية في النجف أثناء تواجد والده في الكويت ، حيث أرسله والده إلى هناك لدراسة أمور الدين على أيدي علماء الحوزة الدينية حيث قضى عشرين عاماً هناك . وعند وفاة والده الشيخ موسى تبوأ الشيخ محمد بن موسى المزيدي موقع والده في الكويت ليقوم

بأعمال القضاء والتصدي للقضايا الشرعية لجماعة الشيعة في الكويت ، وكان من أبرز علماء الكويت في زمانه . وقد بني في عهده مسجد المزيدي الحالي عام ١٣٠٢هـ (حوالي عام ١٨٨٣م) على أرض كان يملكها والده الشيخ موسى المزيدي . وكانت تلك الأرض عبارة عن حوطة (أرض محاطة بسور من الطين) بالقرب من مسجد القناعات وتوجد بالقرب منها مقبرة مختلطة كان يدفن فيها السنة والشيعة آنذاك . وكان يسكن في الحوطة عدد من الحيَّاك الذين يأتون من الأحساء للعمل بالحياكة ، فاقترح عليه بعض جماعته بناء مسجد على تلك الأرض فوافق الشيخ محمد المزيدي وتبرع بالأرض وبُني عليها مسجد المزيدي بتبرع من عدد من تجار ورجال الشيعة في منطقة الوسط . كما بُني سكن للشيخ محمد المزيدي فوق سطح المسجد وكذلك مكتبة وقد أرخ أحد الشعراء تأسيس ذلك المسجد بالبيت التالي :

وهاك في فقرةٍ تاريخ مطلعه سينائه قد أضا قم واعبد الأحدا

(١٣٠٢هـ)

ويصادف هذا التاريخ عام ١٨٨٣م حسب حساب الجُمّل[١] .

وببناء مسجد المزيدي أصبح هناك ثلاثة مساجد رئيسية للشيعة في الكويت .

وقد مكث الشيخ محمد المزيدي في الكويت لفترة ثم بدأ بالذهاب إلى الدروق في منطقة المحمرة للبقاء ستة أشهر هناك ثم العودة إلى الكويت لستة أشهر أخرى وهكذا ، وكان لدى الشيخ محمد المزيدي زوجتان إحداهما في الكويت والأخرى في الدروق ، كما كان لعائلته نخيل وأملاك في الدروق مما اضطره إلى تقسيم وقته بين الكويت والدروق . وقد استمر في ذلك إلى أن توفاه الله في عام ١٣٢٧ هجرية (١٩٠٨م) . ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ مبارك الصباح كان في مقدمة المعزين بوفاة الشيخ محمدالمزيدي ، حيث جاء إلى ديوان المزيدي للتعزية وهو يمتطي الفرس وكان في استقباله الشيخ إبراهيم المزيدي .

---

(١) انظر جدول حساب الجُمّل في ملحق رقم (٢) .

٩ - السيد مهدي الموسوي القزويني (١٩٠٨م - ١٩٢٥م)

قدِم السيد مهدي الموسوي القزويني إلى الكويت كمرجع ديني للشيعة عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٨م) وذلك بعد شهرين من وفاة الشيخ محمد المزيدي . وقد سكن في منزل الشيخ محمد المزيدي لفترة امتدت شهرين ثم قررالعودة إلى العراق ، واقترح أن يقوم الشيخ إبراهيم محمد المزيدي مقام والده كمرجع شرعي ، لكن الجميع أصروا على بقائه فطلب إعطاءه مهلة للتشاور مع مرجع الشيعة في مدينة النجف آنذاك السيد كاظم اليزدي الذي كان قد بعثه إلى الكويت . فتوجه إلى النجف ومكث هناك شهرين ثم عاد إلى الكويت ومعه زوجته وابنه جمال وسكن في منزل يعود لآل عيدي استأجره له آل معرفي ، ويقع ذلك المنزل في الموقع الذي بنيت عليه الحسينية الخزعلية القديمة عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) . وبدأ يصلي جماعة في مسجد المزيدي الذي بني في زمن الشيخ محمد المزيدي . وقد ولد له ابن آخر في الكويت سماه كمال لكنه فقد ابنيْه جمال وكمال في غضون أشهر قليلة ، حيث توفى أحدهم ثم تبعه الآخر بعد فترة وجيزة . وما أن مرت أشهر قليلة إلا وتوفيت زوجته أيضاً . فتوجه بعد فترة إلى كربلاء وتزوج وعاد إلى الكويت مع زوجته الثانية . وقد ولد له ابنان في الكويت من زوجته الثانية هما المرحوم السيد مير محمد والسيد مير علي - أطال الله في عمره - وهو حالياً في الكويت . وقد استمر السيد مهدي القزويني بالسكن في نفس المنزل إلى أن تقرر بناء الحسينية الخزعلية في مكان ذلك المنزل لموقعه المتميز ، حيث انتقل السيد مهدي إلى منزل آخر في فريج القناعات اشتراه الحاج محمد علي معرفي ليستخدم سكناً للمرجع الديني المقيم في الكويت .

وكان السيد مهدي القزويني من أكثر علماء الدين نشاطاً وحنكة وحكمة وتفاعلاً مع الناس وقيادة وورعاً ، وقد عاصر الكثير من الأحداث المهمة التي شهدتها الكويت آنذاك وتفاعل معها وكان له دور بارز في كثير منها . فقد بنى علاقات وطيدة وثقة متبادلة مع الحكام الذين عاصرهم وهم المرحومون الشيخ مبارك الصباح والشيخ جابر المبارك والشيخ سالم المبارك والشيخ أحمد الجابر . كما بنى علاقات جيدة مع علماء الدين السنة الذين عاصروه وكذلك مع المواطنين البسطاء الذين كانوا يزورونه للاستفسار عن المسائل الدينية بالإضافة إلى تجار ورجالات الشيعة في الكويت . ويشير الحاج إسماعيل إلى شخصية السيد مهدي القزويني فيقول إنه كان شخصاً متواضعاً ذا أخلاق عالية ، وعالماً فاضلاً ومصلحاً وقيادياً يندر أن يعوض أو يقارن بأحد من الذين تعاقبوا على ذلك المقام .

ويذكر الحاج اسماعيل أنه كان للسيد مهدي القزويني دوراً مهماً أثناء بناء سور الكويت عام ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) . فعندما اتخذ الشيخ سالم المبارك القرار ببناء السور عرض الموضوع على تجار وأعيان الكويت من مختلف الفئات فرحبوا بالفكرة وتحمسوا لها وتم تقسيم العمل فيما بينهم على أن تبني كل منطقة ما يقابلها من موقع السور . فصار الإتفاق على أن يبني الشيعة الجزء الذي يبدأ من دروازة البريعصي(دروازة الشعب) إلى ساحل البحر شرقاً قرب دسمان . وقد اجتمع الشيخ سالم المبارك مرتين بالسيد مهدي القزويني بالحسينية الخزعلية بشأن الموضوع وأكد له السيد مهدي أن جماعته سيقومون بتنفيذ كل ما يأمره . وقد تم البدء ببناء السور بتآزر جميع الكويتيين الذين بذلوا جهوداً كبيرة لتشييده وكان ذلك أثناء شهري شعبان ورمضان من عام ١٣٣٨هـ . ويذكر الحاج اسماعيل أن جماعة الوسط من الشيعة كانوا يتجمعون بعد تناول الإفطار في الحسينية الخزعلية بزعامة السيد مهدي القزويني لينقسموا من هناك إلى قسمين يتوجه القسم الأول من الحسينية شرقاً عن طريق البحر إلى منطقة بنيد القار بقيادة السيد مهدي الذي كان يتقدمهم ، بينما تتوجه المجموعة الثانية من الحسينية الخزعلية عن طريق سكة الفرج جنوباً إلى دروازة العبدالرزاق في طريقها إلى دروازة البريعصي للبناء . وكان السيد مهدي يقوم بتنظيم العمل وتقسيم الناس إلى مجموعات للقيام بالمهمة . وكان يشارك بنفسه بحمل الطين ونقله إلى مواقع البناء بالرغم من أن الكثير من الحضور كانوا يطلبون منه عدم القيام بذلك ، لكنه كان يصر على العمل ويقول إنه يعمل ذلك لنيل الأجر والثواب .

السيد مهدي الموسوي القزويني

كما كان الشيعة في الأحياء الأخرى يتجمعون في بقية الحسينيات ويتوجهون من هناك إلى موقع السور . كما باشرت الفرجان الأخرى في منطقة الوسط والشرق والقبله ببناء الأجزاء الخاصة بها من السور حيث كانت كل مجموعة تبني الجزء المقابل لمنطقتها السكنية في الديرة إلى أن اكتمل البناء . وقد استغرق بناء السور شهرين وكان نصف العمل في شهر رمضان ، وكان الناس يتوجهون إلى هناك مباشرة بعد الإفطار ليعملوا إلى ما قبل فترة السحور حيث يعودون قبل صلاة الفجر بحوالي ساعة .

كما كان للسيد مهدي دوراً مهماً أثناء حرب الجهرة . فقد عرض على الشيخ سالم المبارك أن يشارك جماعته في الحرب والتوجه إلى الجهرة ، لكن الشيخ سالم تردد في قبول ذلك وأخبره أن الوهابيين والإخوان يكفروننا نحن السنة ، فكيف إذا علموا أن معنا شيعة يقاتلونهم . لذلك اتفق الاثنان على أن يقوم الشيعة بحراسة المدينة وبوابات السور . وقد قام السيد مهدي القزويني أيضا بهذه المهمة خير قيام حيث كان يحمل السلاح أثناء الليل وينظم عملية النطارة (الحراسة) ويرسل الرجال من جماعته إلى (الغُوَلْ) – الأبراج التي بنيت على امتداد السور للحراسة . كما كان يخرج ليلياً مشياً متجهاً إلى دروازة البريعصي عن طريق البحر مروراً بقصر دسمان حيث يقوم بتقسيم الناس لتقوم كل مجموعة بحراسة منطقة معينة من خلال تواجدها في الغُوَل .

كما كان للسيد مهدي أعمال اجتماعية كثيرة كان من بينها معالجة المرضى ، حيث كان خبيرا في العلاج والطب الشعبي . فكان إذا جاءه المريض يداويه ويصف له العلاج والدواء المناسب ويعوده في منزله ويسأل عنه إلى أن يشفى . كما كان يزور الدواوين ويستفسر عن أحوال جماعته باستمرار ، وقد افتتح ديواناً أصبح يؤمه أعيان منطقة الوسط وكل من يرغب بالاستفسار عن أي مسألة شرعية . وعرف أيضاً بدوره البارز في الافتاء وتناول المسائل والفتاوى الدينية ومحاربته للتعصب والغلو في الدين ولم يكن يرضى بالبدع والشوائب التي يمارسها الجهال . ويذكر الحاج إسماعيل أيضاً أن السيد مهدي القزويني كان ضليعا في العلوم الفقهية جريئاً في كلمة الحق شجاعاً لا يتردد في اتخاذ الموقف الذي يراه صائباً في جميع الأمور . وكان من صفاته أيضاً شجاعته الأدبية حيث لم يكن يرضى أن يسمع المغالين وهم ينطقون بما لا يرضي الله ورسوله أو يسيء إلى الإسلام أو أهل البيت . فكان رحمه الله لا يتردد في الطلب من الخطيب أن ينزل من على المنبر إن سمعه يتفوه بالأحاديث الضعيفة أو المغالاة في وصف أحد الأئمة .

ويذكر الحاج إسماعيل أن السيد مهدي القزويني علم أن بعض المجالس الحسينية في منطقة الشرق– في فريج البلوش– كانوا يقيمون نوعا من التمثيليات في أمسيات العشرة أيام الأولى من محرم حيث كانوا يحضرون عدداً من الخيول ويصطفون صفين أحدهم يمثل معسكر الإمام الحسين والآخر معسكر يزيد بن معاوية ويتحاورون ويتخاطبون ويحملون السيوف ويتحدى قوم القوم الآخرين وهي شبه

تمثيلية ، حيث يقومون بتمثيل المبارزة بين رجال المعسكرين ويؤدون أدوارا مختلفة يمثلون فيها معركة كربلاء ، فيتجمع الناس ليتفرجوا على المشهد وينبعث فيهم الحماس ويستمر المشهد إلى ما قبل آذان المغرب . فأرسل السيد مهدي على رؤسائهم وأمرهم بالتوقف عن ذلك العمل وعدم تكراره وحرّم ممارسة تلك التصرفات الغير لائقة بأهل البيت ، فتوقف أصحاب المجالس الحسينية عن ذلك منذ تلك الفترة . وكان ذلك في بداية العشرينات من القرن الماضي .

ويذكر الحاج إسماعيل أن السيد مهدي القزويني كان يعقد جلسات للحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية حيث شهد ديوان الحاج علي بن اسماعيل جمال- والد الحاج إسماعيل- في بداية القرن الماضي العديد من الجلسات الحوارية التي عقدت بين السيد مهدي القزويني والشيخ يوسف القناعي والشيخ محمد الشنقيطي الذي كان أحد الدعاة في عهد الشيخ مبارك الصباح والذي اتخذ الكويت مقرا له لسنوات عديدة غادر بعدها عام ١٩١٤ إلى الزبير .

ويذكر الحاج إسماعيل أن السيد مهدي الموسوي القزويني مكث في الكويت ١٧ عاماً كان مثالا للقائد الديني المسؤول الذي لم يحصل على أي شيء مقابل ما قدمه لجماعته وللكويت من خدمات . فقد عاد إلى العراق عام ١٩٢٥ م خالي اليدين إلا من الأعمال الجليلة والسمعة الطيبة والخدمات الكثيرة التي جاد بها أثناء بقاءه في الكويت . وقد عاد إلى البصرة بعد أن احتلت القوات البريطانية العراق ، إذ رأت المرجعية الشيعية في العراق آنذاك وجوب عودة السيد مهدي القزويني إلى البصرة ليجابه الأوضاع المستجدة ويوجه الناس لمقاومة الاحتلال ، خاصة بعد أن ألح عليه سكان البصرة بالعودة لينظم أمورهم . وقد استمر جماعة الوسط في الكويت بالإلحاح عليه في السنوات التالية للعودة دون جدوى فقامت المرجعية في النجف بتعيين أخيه السيد جواد القزويني ليحل محله عام ١٩٢٦ م . وقضى السيد مهدي بقية حياته في البصرة إلى أن توفي عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٩م) . وقد زار الكويت لعدة مرات أثناء وجوده بالبصرة حيث كان يأتي كل أربع إلى خمس سنوات ليبقى لعدة أيام ثم يعود إلى البصرة .

١٠ - السيد جواد الموسوي القزويني

توجه السيد جواد الموسوي القزويني إلى الكويت عام ١٩٢٦ م بعد مغادرة شقيقه السيد مهدي الموسوي القزويني إلى البصرة . وقد تصدى للأمور الدينية والاجتماعية وكذلك السياسية بحزم وكفاءة ، وكان عالماً متمكنا محنكا ذو مواقف مشهودة . وقد سكن في نفس منزل أخوه السيد مهدي الواقع في فريج القناعات واستمر في استقبال الناس في الديوان وكان يؤمه الكثير من المواطنين الشيعة والسنة ليلا لسماع آرائه والاستفادة من علمه وأخذ رأيه في كثير من الأمور . وكان يقوم بأمور القضاء الشرعي وحل النزاعات الشرعية التي تنشب بين الشيعة مطبقا أحكام المذهب الجعفري . وكان الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس المحكمة الشرعية آنذاك يتفهم آراءه ويسهل له الأمور في سبيل تطبيق أحكامه .

الشيخ عبد الله الجابر الصباح

السيد جواد القزويني

ويذكر الحاج اسماعيل أن الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس المحاكم كان يرسل أحد مندوبيه إلى السيد جواد القزويني في الحسينيه الخزعلية على عهد الشيخ أحمد الجابر للتأكد من ثبوت هلال عيد الفطر حيث كان الشهود يتوجهون إلى الحسينية الخزعلية للإدلاء بشهادتهم برؤية هلال العيد ليقوم الحاكم الشرعي بإعلان العيد أو إتمام الصيام . وقد تبوأت الحسينية الخزعلية هذا المقام لعشرات السنين منذ تأسيسها إلى يومنا الحاضر .

وكان السيد جواد القزويني قد بنى علاقة وطيدة مع حاكم الكويت آنذاك الشيخ أحمد الجابر الصباح ، وقد تجلى ذلك في موقفه الحازم بتأييد الشيخ أحمد الجابر الصباح أثناء أزمة المجلس التشريعي عام ١٩٣٨م حيث حث جماعته على الوقوف بقوة حول حكومة الكويت بقيادة الشيخ أحمد الجابر الصباح وذلك من خلال خطبه في التجمعات التي كانت تعقد في الحسينية الخزعلية والتي وقفت إلى جانب الحكومة . وكان لقادة المعارضة ، الذين تنازعوا مع الشيخ أحمد الجابر ، موقفا سلبيا من الشيعة نظراً لمساندة الشيعة للشيخ أحمد الجابر حيث وقف قادة وتجار الشيعة موقفاً صلباً مع الحكومة .

السيد جواد الموسوي القزويني وعدد من رواد مجلسه في منتصف الأربعينيات من القرن الماضي ، وبينهم المرحومين الشيخ إبراهيم المزيدي ، السيد علي الزلزلة ، السيد إسماعيل الصدر ، الشيخ حبيب المزيدي ، السيد حسن الزلزلة الحاج حبيب بوفتين ، الحاج نعمة الله الششتري والحاج محمود الخياط .

وقد حاول عدد من قادة المجلس التشريعي في فترة من الفترات مصالحة الشيعة وجذبهم إلى جانبهم حيث قام بعضهم في إحدى الليالي بزيارة السيد جواد القزويني في ديوانه للحوار معه وحثه على تغيير موقفه والوقوف معهم لكنه أبى ذلك وثبت على موقفه إلى أن انتهت الأزمة بحل المجلس [1] . وقد توفي المرحوم السيد جواد الموسوي القزويني عام ١٩٥٠م . وكان الحاج إسماعيل جمال من أقرب الناس إلى السيد جواد القزويني حيث كان دائم الحضور في ديوانه ومن المؤيدين لأفكاره وتوجهاته .

١١ - الشيخ إبراهيم محمد المزيدي

ولد المرحوم الشيخ إبراهيم محمد المزيدي في الكويت في أواخر القرن التاسع عشر (حوالي عام ١٨٧٠م) . وقد أرسله والده إلى النجف لتلقي العلم ومكث هناك لعدة سنوات عاد بعدها إلى الكويت ليحل محل والده

الشيخ إبراهيم المزيدي .

(١) أفادنا أحد رواد ديوان السيد جواد القزويني – وهو الحاج علي بن ملا محمد لطفي علي – أن أعضاء المجلس التشريعي الذين زاروا السيد جواد القزويني في ديوانه هم المرحومين الشيخ يوسف بن عيسى القناعي والسيد سليمان العدساني وسيد علي سيد سليمان والسيد مشعان الخضير . وقد قام الشيخ يوسف بن عيسى بتعريفهم على السيد جواد الذي رحب بهم وتم تقديم الشربت لهم ثم شرح سيد علي سيد سليمان موقفهم لسيد جواد .

بعد وفاته كقاضياً وعالماً دينياً للمسلمين الشيعة ، وكانت المحاكم الكويتية ترجع إليه بخصوص المسائل المرتبطة بالفقه الجعفري . وكان يتخذ من ديوان مسجد المزيدي مقراً له لفصل الخصومات بين الناس وحل مشاكلهم والنظر في أمورهم وما يرتبط بذلك من عقود الزواج والطلاق والوصايا ونحوها . وكان الشيخ إبراهيم المزيدي على صلة وثيقة وعلاقات حميمة مع السيد مهدي الموسوي القزويني ومن بعده السيد جواد الموسوي القزويني حيث كان دائم الحضور في ديوانهم . ويذكر عن الشيخ إبراهيم المزيدي بغضه للطلاق وعدم اللجوء إليه إلا في الحالات الميئوس منها . وتذكر له قصة مع زوج وزوجته قصداه للطلاق في أحد الأيام من الجهرة حيث وصلا عند المغرب ، وكانت سبل المواصلات آنذاك صعبة ومحدودة . فطلب منهما التأني إلى الغد وسمح لهما بالمبيت في إحدى الغرف التابعة لملحق المسجد . وما أن حل الصباح إلا وكانا قد تفاهما وقررا الاستمرار في الحياة الزوجية . وقد توفي الشيخ إبراهيم المزيدي عام ١٩٦٠ م عن عمر يناهز التسعين عاما تقريباً .

سيد علي شُبّر .

١٢- السيد على الحسيني شُبَّر

قدم السيد على شُبَّر إلى الكويت كعالم ديني عام ١٩٥٤م بعد مغادرة السيد زين العابدين الكاشاني الذي مكث في الكويت حوالي سنتين كعالم دين . وجاء السيد على شُبَّر في فترة كانت الطائفة الشيعية تعاني من الانقسامات والتشرذم في كثير من الأمور . وكان السيد علي شُبَّر عالماً حكيماً خلوقاً متواضعاً في تعامله مع الناس لا يفرق بين كبير وصغير . وقد تجمع الناس من حوله وكان ديوانه يفتح أثناء فترة الصباح وفي الليل وكان يزوره الناس من جميع الاتجاهات . وكان منزله وديوانه يقع في فريج القناعات ثم انتقل إلى منطقة الميدان . وكان حريصا على نشر الوعي الديني حيث كان من عادته أن يمكث في المسجد إلى ما بعد صلاة العشاء بساعة لقراءة المسائل الدينية على الناس والإجابة عن أسئلتهم الدينية . وقد توفي السيد علي شُبَّر عام ١٩٧٣م .

١٣ - الشيخ حبيب ابراهيم المزيدي

السيد حبيب ابراهيم المزيدي

ولد الشيخ حبيب ابراهيم المزيدي في الكويت وتعلم الفقه والعلوم الدينية على يد والده وكذلك على يد السيد جواد القزويني الذي كان دائم الحضور في مجلسه . وقد تسلم أمور القضاء والمسائل الشرعية الخاصة بالمذهب الجعفري بعد وفاة والده الشيخ ابراهيم المزيدي . وكان خطيبا بارعا يقوم بتوجيه الناس ووعظهم من على المنابر ، وقد سافر لهذا الغرض مرات عديدة إلى عُمان والإمارات والبحرين ودول الخليج الأخرى . وكان الشيخ حبيب قريبا إلى قلوب الناس الذين أحبوا فيه الخلق الرفيع والقوة في الوقوف إلى جانب الحق . وقد توفي الشيخ حبيب المزيدي في ١٩/ ٤/ ١٩٧٧م .

١٤ - الملا عابدين بن حسين باقر

يذكر الحاج اسماعيل أستاذه ملا عابدين بن حسين باقر فيقول أنه كان أديباً وشاعراً متمكناً وخطاطاً ماهراً وصاحب مدرسة لتعليم الأولاد . وقد ولد ملا عابدين في حي الميدان في منطقة الشرق عام ١٢٩٢هجرية (١٨٧٥م) ودرس في الكتاتيب القديمة في الفريج . وقد أسس له في البداية مدرسة لتدريس الأولاد في بيته الواقع على ساحل البحر مقابل نقعة الروضان لتدريس القرآن الكريم واللغة العربية والحساب في نهاية القرن التاسع عشر . وقد تعرف عليه الشيخ مبارك الصباح وأخذ ملا عابدين يحضر مجلس الشيخ مبارك الصباح ويلقي القصائد في مدحه .

وقد أعطاه الشيخ مبارك الصباح محلاً في مدخل سوق التجار بالقرب من منطقة بهيته لتدريس الأولاد فانتقل إلى هناك . وكان الملا عابدين ذو حس شعري رهيف سريع البديهة ينظم الشعر دون سابق تحضير في نفس المناسبة التي يعيشها أو المجلس الذي يدعى إليه لتخليد الحدث . وكان كلما رزق أحد من أقاربه بطفل أنشد فيه شعراً وأرخ من خلاله تاريخ ميلاده بالسنة الهجرية . وقد أكثر في مدح الشيخ مبارك الصباح وكذلك

الملك عبد العزيز آل سعود عندما استولى على الحكم . وكان يزور الملك عبد العزيز في قصره بالرياض على الدوام وكذلك مخيماته الربيعية في البر ، وكان الملك عبدالعزيز يكرمه ويرتاح لمقدمه . ومن الأحداث التي قال فيها الشعر وأرخ وقوعها بناء قصر السيف وزواج الشيخ حمد المبارك الصباح ، كما طلب منه الشيخ مبارك الصباح توثيق تاريخ استلامه لليخت الذي استلمه عام ١٣٢٤ هجرية وأسماه (مشرف) فسجل ذلك بالعبارة (مشرف الصباح . . . مركوب المبارك) والتي كتبت على اليخت . كما يذكر الحاج اسماعيل أن جاسم بودي ، الذي كان من كبار التجار في بداية القرن الماضي ، طلب من الملا عابدين نقش كلمة (حولي) لتصبح ماركة لقماش (البافته) الذي كان يستورده من لندن ، وذلك في غمرة اكتشاف الماء العذب في تلك المنطقة في عام ١٩٠٦م حيث ذاع صيتها . وبعد وفاة الشيخ مبارك استمر في نظم الشعر في مدح الشيخ جابر المبارك ثم الشيخ سالم المبارك ومن بعده الشيخ أحمد الجابر . وعندما حكم الشيخ سالم المبارك بعد وفاة شقيقه الشيخ جابر المبارك أشار عليه الملا عابدين بكتابة عبارة (لودامت لغيرك ما اتصلت إليك) على مدخل قصر السيف وخطها بيده . كما أرخ الملا عابدين بناء مسجد الصحاف ومسجد مراد الواقع بالقرب من براحة مبارك في منطقة الوسط .

الملا عابدين بن حسين باقر

وفي عام ١٣٣٦ هجرية (عام ١٩١٧م) أرخ الملا عابدين تدشين باب كبير ذو زخارف جميلة لمنزل المرحوم عبدالله جمال فتم حفر العبارة على الباب بخط جميل وهي تقول :

منزل راق وطاب وبه حُسن المآب
أرّخ السعد به فُتح الخير بباب

سنة ١٣٣٦ هجرية (الموافق ١٩١٧م)

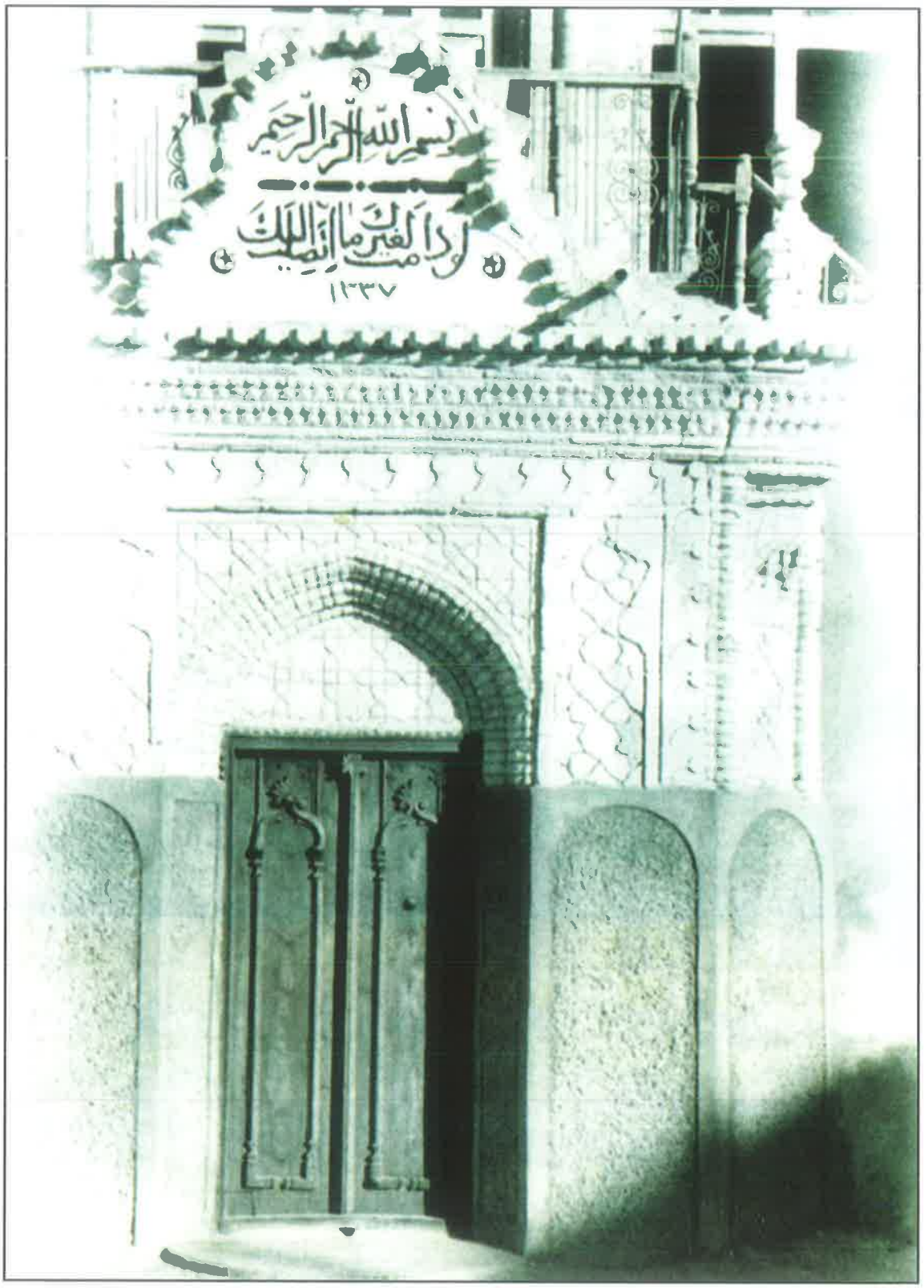

باب قصر السيف وعليه الحكمة التي تقول لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك .

وللملا عابدين قطع شعرية لا تحصى حيث تم طبع ديوان لشعره بمصر ، لكنه كان يحتفظ بمقطوعات شعرية كثيرة مدونة في أرواق كان يحتفظ بها داخل (سحّارة) كبيرة – صندوق خشبي في بيته – لكنها أهملت وضاعت بعد وفاته . وقد توفي الملا عابدين عام ١٣٦٧ هجرية (١٩٤٧م) .

١٥ - الأستاذ راشد الرباح (من أشهر أساتذة البناء في الماضي)

كان المرحوم راشد الرباح من أشهر وأمهر استادية البناء في الكويت في بداية القرن العشرين . وقد ساهم في بناء العديد من المباني المهمة والأسواق . وكان متقناً لعمله ، سريعاً في انجازه ، جديراً بالإعتماد عليه في أي مهمة . ويذكر أنه بنى سوق الخضرة بالإشتراك مع المرحوم إبراهيم عبدالسلام في فترة لم تتجاوز الشهرين .

وكان راشد الرباح قوي البنية طويل القامة لا يضاهيه أحد في سرعة انجاز البناء . وكان لا يبدأ العمل إلا بعد التأكد من توفر جميع المواد اللازمة لإكمال عمله لذلك اليوم كالصخر والطين والماء والعدد الكافي من العمال . ويذكر الحاج اسماعيل أن راشد الرباح كان يحضر معه ٤٠ عامل بناء إذا أراد العمل . ويذكر أيضاً أنه في أحد المرات طلب الشيخ مبارك الصباح من راشد الرباح ترميم مسجد الخليفة القريب من قصر السيف . فبدأ العاملون لدى الشيخ مبارك بجمع الطين والصخر واستمروا في ذلك لعدة أيام ، وكان كلما جاء راشد الرباح إلى الموقع يعود دون أن يبدأ في العمل . وكلما رآه الشيخ مبارك وسأله عن موعد بدء العمل يعده بأنه قريب ، بينما استمرت المواد بالتراكم يوماً بعد يوم والشيخ مبارك ينتظر البدء في العمل وراشد الرباح يعده بقرب البدء بالعمل . فأرسل عليه في أحد الأيام وسأله لماذا لا تبدأ فأخبره راشد أن المواد الموجودة تكفي فقط لعمله إلى فترة الظهر وطلب زيادة كمية الصخر والطين . فلما اكتملت المواد وتأكد أنها تكفي لعمل يوم واحد جاء ومعه عدد كبير من العمال فأنجز العمل في نفس اليوم . وكانت الأعداد الكبيرة من العمال التي تعمل معه لا تكاد أن تلحقه أو تجاريه في سرعة إنجاز العمل .

ويذكر الحاج اسماعيل أن المرحوم راشد الرباح كان يتقاضى أجرة يومية قدرها جنيه فرنسي ذهب قيمته ١٥ روبية ، بينما يتقاضى غيره من الأستاديه روبيتين في اليوم . وكان العمل الذي ينجزه في يوم واحد لا ينجزه غيره من الأستاذية في عشرة أيام . وكان ماهراً دقيقاً في طريقة البناء حيث يختار الصخرة

المناسبة حجماً وشكلاً لوضعها في المكان المناسب من الجدار أثناء بنائه ، دون الحاجة إلى تحريكها أو تغيير مكانها بعد وضعها . وكانت الحوائط تبنى من الطين أو الصخر البحري ، ويعتبر بناء الصخر أصعب كثيراً من بناء الطين نظراً لإختلاف حجم وشكل كل صخرة عن غيرها .

ويذكر الحاج اسماعيل أنه بالرغم من صعوبة العمل الذي كان يقوم به الأستاد راشد الرباح إلا أنه وبعد أن ينجز عمله عند المغرب كان يأخذ خيوط الصيد والميادير ويتوجه إلى البحر للحداق (صيد السمك) دون أن يكل أو يشعر بالتعب . وكان بيته بالقرب من مسجد البحر في منطقة الأسواق .

وكان من البنائين الأكثر شهرة في الكويت في بداية القرن الماضي أيضاً المرحومين ناصر الفرحان الذي بنى قصر السيف والمستشفى الأمريكي وأحمد الفرحان وعائلة عبدالسلام التي كان معظم أبناءها من الأستادية وفي مقدمتهم المرحومين إبراهيم عبدالسلام وعاشور عبدالسلام وأحمد عبدالسلام وكذلك خليفة البحوه ومحمد البحوه والأسطى أحمد عبد الخالق البنّا الذي اشتهر بالأعمال الفنية الدقيقة كعمل الكمرات (الأقواس) والديكورات ومساح الجبس .

١٦ - الحاج مراد بهبهاني (العطّار):

كان المرحوم الحاج مراد بهبهاني عطاراً لديه دكان في السوق الداخلي منذ حوالي عام ١٣٤٨هـ (١٩٠٥م) وكان موفقاً في عمله ، يؤمه الناس من المدينة والبادية ولا يكاد محله يخلو من الزبائن . وقد اشتهر بالحرص على تقديم النصيحة للزبائن ووصف طريقة استخدام الأعشاب والأدوية لعلاج الأمراض المختلفة . ويذكر الحاج اسماعيل أن الحاج مراد ما يكاد يفتح دكانه صباحاً حتى يتهافت عليه المشترين من كل صوب وخاصة البدو لشراء الأدوية والأعشاب الطبية . ويقع دكان الحاج مراد بالقرب من دكان عبدالله جمال بالقرب من مسجد السوق الكبير ، وكان موفقاً في محله إذ كان يبيع كميات كبيرة من بضاعته بينما لا تبيع غيره من المحلات نسبة بسيطة من بيعه ، ويعود ذلك إلى أنه كان يزيد في الكيل للمشترين ويعطيهم كميات كبيرة من الأدوية مقابل دراهمهم . وكان الحاج مراد دائماً يردد مقولة لأصدقائه ومعارفه أنه

يشتري البضاعة بالشِليف [1] ويبيعها بالمثقال ، مؤكداً حق المشتري والزبون بالحصول على أفضل خدمة وأكبر كمية يستحقها مقابل نقوده . وقد استمر الحاج مراد في عمله سنوات طويلة إلى أن كبر في السن فترك محله وأصبح يبيع الأدوية في منزله الذي كان يقع بالقرب من مسجد الحداد في منطقة كانت تسمى فريج الصاغة . وقد استمر الناس في التوجه إليه في منزله لشراء الأدوية والسؤال عن طريقة استخدامها إلى أواخر أيامه .

ويذكر الحاج اسماعيل أن المرحوم يوسف بن محمد حسين بهبهاني الملقب بيوسف شيرين تزوج سارة إبنة الحاج مراد بهبهاني وكان للمرحوم محمد حسين بهبهاني - والد يوسف شيرين - خمسة أولاد كان يوسف شيرين أكثرهم طموحاً وذكاءً وحباً للتعلم والإطلاع . وكان محمد حسين بهبهاني من كبار تجار منطقة الوسط في بداية القرن الماضي حيث كان يجلب الكثير من البضائع من ميناء بوشهر والمحمرة إلى الكويت . وقد بنى الحاج مراد منزلاً قريباً من منزله لابنته سارة وزوجها يوسف شيرين وشجعه على دخول مجال الأعمال التجارية فبدأ يوسف شيرين اتصالات تجارية مع المانيا وبريطانيا في بدايات القرن الماضي واجتهد لتعلم اللغة الإنجليزية حيث درس في مدرسة المعلم اسرائيل كدو الذي افتتح مدرسة لتعليم اللغة الإنجليزية في منتصف العشرينيات من القرن الماضي بالقرب من سوق خليل القطان القريب من سوق التجار . وقد نجح يوسف شيرين في تجارته ، وأصبح يعمل بالعقار فاشترى مساحات من الأراضي والمزارع داخل المدينة وبنى فيها عمارات ودكاكين للإيجار في عهد الشيخ أحمد الجابر . كما اشترى في الأربعينيات أرض كبيرة في منطقة الوطية بمبلغ ١٧,٠٠٠ روبية من نوخذه اليخت مشرف والتي كان قد أهداه إياها الشيخ مبارك الصباح . كما اشترى منزل يوسف المرزوق الكائن في منطقة القبلة مقابل البحر بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ روبية . وكان يوسف المرزوق قد احضر كبار الفنيين وأشهر النجارين من كراتشي لعمل الديكورات والأبواب وكذلك النقوش لذلك البيت الذي كان أول بيت في الكويت يبنى من الإسمنت ، وكان يوسف المرزوق من أكبر التجار الكويتيين آنذاك . كما بدأ أبناء يوسف شيرين وخاصة يعقوب ومراد أثناء الحرب العالمية الثانية باستيراد الأقمشة والساعات والمواد الالكترونية وتوسعت تجارتهم مع الأيام .

---

(١) الشِليف هو الخيشة ذات الحجم الكبير ، والمثقال هو أقل وحدة للوزن يتعامل بها التجار وأصحاب المحلات .

آل معـــــــرفـي

كان رجال آل معرفي من الأصدقاء المقربين لجد الحاج اسماعيل ووالده وعائلة جمال عموما . وكانوا أصحاب ثروة وجاه وكرم ، وقد بذلوا الكثير في سبيل الكويت وكانوا مقربين من الحكام . وكانت لديهم ثروة كبيرة بذلوا الكثير منها في أعمال الخير ، في مقدمتهم كل من المرحومين الحاج نصير معرفي والحاج حيدر معرفي وذلك في عهد الحاج علي بن اسماعيل جمال (والد الحاج اسماعيل) ، حيث لم يعاصرهم الحاج اسماعيل نفسه . لكنه عاصر كل من المرحومين محمد حسين معرفي الذي كان عميد عائلتهم في بدايات القرن الماضي ، ومحمد علي معرفي واسماعيل معرفي وصالح معرفي وعبد الكريم معرفي وعبد النبي وصالح ورضا وحسن . وكان لكل من هؤلاء عدد من الأبناء الذين نشطوا في التجارة وأصبحوا من أبرز التجار في بداية القرن الماضي . ويذكر الحاج اسماعيل أن ديوان آل معرفي كان مفتوحا على مدار الساعة لاستقبال الضيوف والرواد .

وكان آل معرفي من كبار التجار في الكويت منذ بدايات القرن التاسع عشر ، وكانوا يعملون بالتجارة ويملكون عددا من الأبوام السفارة التي تتوجه إلى الهند ، ولديهم نقعه تقع غربي نقعه الخميس . كما يملكون عدة عمايز لبيع الأخشاب ومواد البناء وأدوات البحر والسفن ، وتعود لهم عدد من المحلات في المدخل الشمالي من سوق التجار . وقد جلبوا مكينة لصناعة الثلج وطحن الحبوب والأرز في بداية القرن العشرين تم تركيبها على ساحل البحر بالقرب من ديوان ماتقي آل غالب ، في غرفة بنيت لذلك الغرض وشيدوا لها أسكلة (رصيف) وعينوا لها مديراً يدعى عباس ، وهو من المحمرة . وقد أسسوا شركة فيما بينهم لتدير العمل ، وكان قالب الثلج يباع بروبيه واحدة ويزدحم الناس خاصة في شهر رمضان لشراء الثلج من المكينة . وقد عملت المكينة لعدة سنوات ثم خسرت فتم تصفية الشركة وبيع المكينة التي تم شحنها إلى المحمرة . وكانت بيوت آل معرفي تقع بالقرب من بيت الشيخ مبارك الصباح وبيوت الشيوخ الآخرين ، وتربطهم علاقات وطيدة مع الشيخ مبارك الصباح والشيوخ الذين سبقوه .

وقد أصبح آل معرفي وكلاء للبواخر عندما بدأت بالتوجه إلى الكويت بعد توقيع اتفاقية الحماية مع بريطانيا عام ١٨٩٦م . وكان لدى آل معرفي شخص يدير أعمالهم يدعى ميرزا حبيب كان يتقن اللغة الانجليزية وهو من مدينة بوشهر في إيران ، وكان عمره آنذاك ٢٥ عاماً وكان نشيطاً شديد الذكاء يقوم بإنجاز

أعمالهم ومعاملاتهم ويدير علاقاتهم مع شركات البواخر وكان صلة الوصل بينهم وبين تلك الشركات . ويعمل معه اثنان من أبناء عبد الكريم معرفي هما حسن وعبد المحسن .

وقد منحهم الشيخ مبارك الصباح في بداية القرن الماضي أرض مساحتها ٢٠,٠٠٠ متر مربع بنوا عليها عمايِر . كما منحهم أراضٍ أخرى شيدوا عليها مزارع . وكانت سفنهم تقوم بتحميل التمور من مزارع الشيخ مبارك الصباح ومزارع الشيخ خزعل في الفاو لشحنها إلى الهند . ويذكر الحاج إسماعيل أن المرحوم عبد النبي معرفي كان يملك العديد من السفن وكان إذا سافر إلى النيبار يعامل معاملة الملوك هناك لثروته وعلاقاته المتشعبة ونفوذه وعدد السفن التي يملكها ، وكان يعمل تحت إمرته أكثر من ٢٠٠ شخص من النواخذه والبحارة . وكان يصرف الأموال الطائلة على مشاريعه ويختار أفضل النواخذة والبحارة والنهامين المشهورين ويدفع لهم مبالغ كبيرة خاصة عندما يتحسن الوضع التجاري وتصبح هناك منافسة فيما بين أصحاب السفن . وقد اشتهر تجار آل معرفي بتقديم سلف كبيرة للبحارة لجذبهم للعمل لديهم والاستمرار معهم .

ويقول الحاج اسماعيل أنه عندما وصل الكيروسين لأول مرة إلى الكويت أرسل الشيخ مبارك الصباح إلى محمد علي معرفي يقترح عليه أن يكون آل معرفي وكلاء للشركة لتوزيع الكيروسين فشكره محمد علي معرفي واعتذر عن ذلك وأخبره أنهم تجار ويرغبون في التركيز على تجارتهم ولا يرغبون في الدخول في هذا المجال ، فأخذت الوكالة شركة كريمكنزي (التي كانت وكيلة للبواخر آنذاك) ثم انتقلت الوكالة بعد ذلك إلى المرحوم يوسف أحمد الغانم وكان شاباً في ذلك الوقت . وقد وصل الكيروسين في البداية من روسيا وكانت ماركته (باورة) ثم تغيرت الماركة إلى (أسد) . وقد استأجرت الشركة الكاركة القديمة كمخزن لوضع علب الكيروسين حيث تم ملأها من القواطي . وكان موقع الشركة ومكتب كريمكنزي في مسقف حمود الجراح القريب من الكاركة .

ويذكر الحاج اسماعيل أن آل معرفي خسروا أموالاً طائلة في بداية القرن العشرين عندما بنوا سفينتين كبيرتين في النيبار أطلقوا على إحداهما اسم (المحمدي) والأخرى (العلوي) . فقد أرسلوا اثنان من شبابهم آنذاك وهما المرحومين عبد الله بن حجي محمد حسين معرفي (والد المرحومين مصطفى وعبد الصمد) وعلي بن حجي حسين معرفي إلى النيبار للإشراف على صنع تلك السفن . وكان معهما كل من المرحومين

عيسى آل صادق وعيسى ملا هادي . وقد انفقوا في البداية أموالاً طائلة على صنع السفينة الأولى وهي (المحمدي) وعند اكتمالها تم تصويرها وإرسال الصورة إلى الكويت فأعجب بها آل معرفي . وقد أخبرهم المرحومين عبد الله وعلي معرفي أن هناك كمية أخرى من الخشب متوفرة لصناعة بوم آخر مثيل للمحمدي فطلبوا منهما بناء بوم آخر .

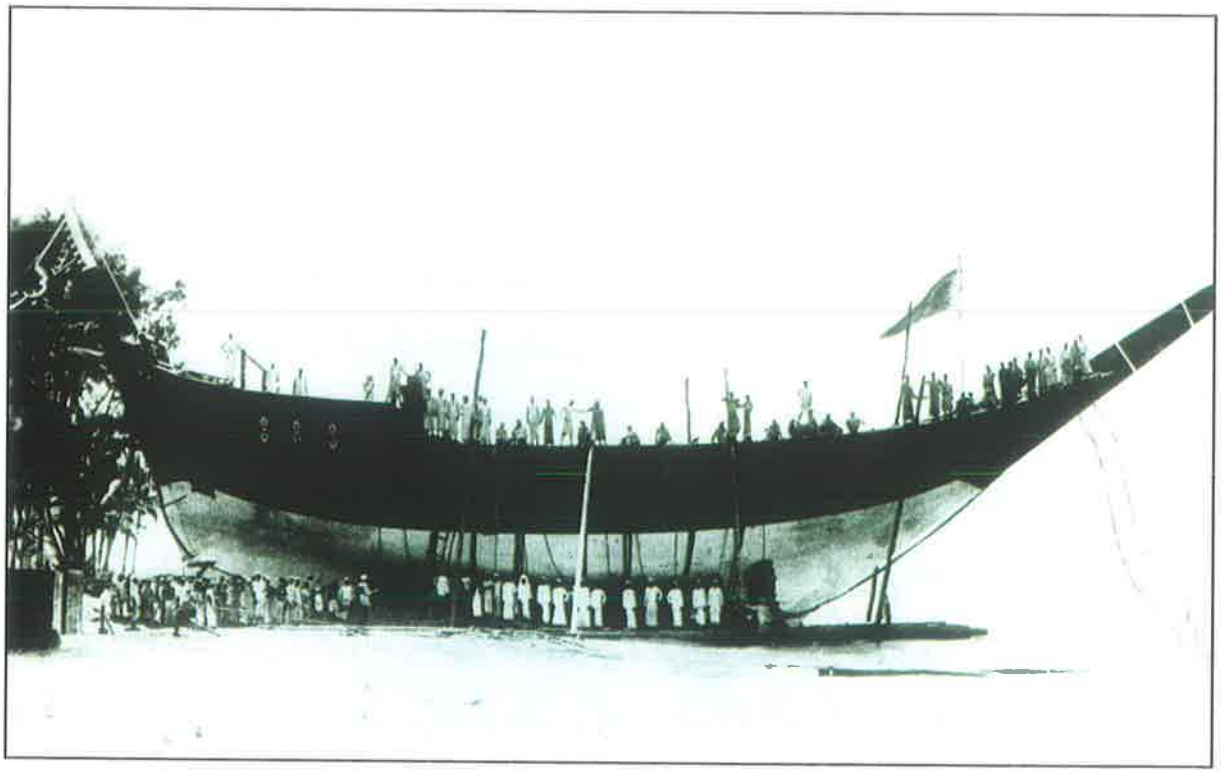

البوم المحمدي على ساحل ميناء كاليكوت بالهند قبل إنزاله إلى البحر

ومن سوء الحظ أن هذين البومين صنعا من خشب طري لم يتم تجفيفه حسب الأصول قبل البدء بصناعة السفينتين . وكان من المعروف أن الخشب المستخدم في صناعة السفن يجب تجفيفه قبل استخدامه لفترة قد تمتد إلى سنتين أو أكثر . فقد كان التجار الكويتيين يشترون الخشب من الهند ويشحنونه إلى الكويت ويتركونه ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات ليجف تماما ثم تصنع منه السفن .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه وبعد اكتمال بناء السفينتين أبحرتا إلى الكويت لكنهما لم تكادا تصلا حتى بدأ الخشب بالتشقق وتفككت السفينتان وبقيتا عدة سنوات راسية على الساحل دون استخدام ، إلى أن قرر آل معرفي بيعهما لعدم صلاحيتهما للإبحار فاشتراهما المرحوم أحمد الاستاد أحد استادية القلاليف بثمن بخس بلغ ٨,٠٠٠ روبية لإحداهما و٥,٠٠٠ روبية للأخرى . وكانت الواحدة منهما قد كلف بناءها ٨٠,٠٠٠ روبية . وقد قام أحمد الاستاد بتفكيك البومين وتجفيف الخشب ثم صنع من الخشب عدداً من التشاشيل والدُوَب وأبوام لنقل الماء من شط العرب إلى الكويت وحقق من وراء العملية أرباحاً كبيرة .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه كان من أقرب أصدقاء والده من آل معرفي المرحومين الحاج محمد حسين معرفي والحاج حسين معرفي . وكانا يجلسان صباح كل يوم مع والده بالكاركة القديمة مع عدد آخر من أصدقائهم لتناول القهوة وتبادل الأحاديث قبل توجههم إلى أعمالهم . كما كانا يصليان مع الحاج علي إسماعيل جمال خلف السيد مهدي القزويني في مسجد المزيدي ، وكانا من رواد ديوان الحاج علي إسماعيل جمال . ويذكر الحاج اسماعيل أنه كان أثناء صباه إذا جاءا إلى الديوانية يصب لهما القهوة وماء الورد . كما كانا يتوجهان مع والده وبقية مجموعتهم إلى سرداب الحسينية الخزعلية في أوائل أيام بنائها أثناء شهر رمضان للجلوس هناك أثناء فترة الظهيرة لبرودة الجو في السرداب في فصل الصيف ولوجود حوض ماء ، وكان ذلك في عام ١٣٣٦ هجرية (١٩١٧م) . وكان الحاج محمد حسين معرفي في شبابه معروفاً بالأناقة وارتداء الملابس الفاخرة غالية الثمن حيث كان يلبس بدلة في الصباح وأخرى في المساء وكان طيب النفس كريماً محباً لأصدقائه . ويذكر الحاج إسماعيل أنه بعد وفاة والده قلّت زيارات الحاج محمد حسين معرفي للديوانية خاصة بعد أن كبر في السن وفقد بصره . كما يذكر أنه كان عندما يصادفه في بعض الأحيان في الطريق يسلم عليه فيسأله الحاج محمد حسين من أنت فيقول له أنه إسماعيل ابن الحاج علي فتغلب عليه العَبرة ويتذكر صديقه القديم ويحيط به الحزن وتدمع عيناه .

آل غـالـــب

كان آل غالب من أغنى عائلات منطقة الوسط وكان في مقدمتهم الأخوين الحاج نجف والحاج ما تقي اللذان عملا لفترة طويلة في تجارة السلاح . وكان منزلهم مقابل منزل الشيخ مبارك الصباح وديوانهم مجاوراً

لبيت شاهين الغانم . وكان ديوانهم مفتوحاً على الدوام ويؤمه الضيوف طوال اليوم حيث كان يستقبل ما بين ١٠ إلى ١٥ ضيف في اليوم على الأقل . وكانوا يجلبون السلاح في عهد الشيخ مبارك الصباح من مسقط إلى الكويت ويتم إعادة تصديره إلى مناطق الجزيرة العربية والعراق وإيران . ويدير الحاج ما تقي أعمالهم من الكويت بينما يشرف الحاج نجف على ذلك النشاط من مدينة بوشهر الساحلية . كما عملوا في تجارة الأقمشة حيث كانت تصل للحاج ما تقي شحنات كبيرة من الأقمشة بواسطة البواخر عندما بدأت تصل إلى الكويت في بداية القرن الماضي . وكان الأخوين ذوي علاقة وطيدة وصداقة مع الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل حاكم المحمرة . وكان للحاج ماتقي خمسة أبناء ، ويذكر الحاج إسماعيل أن الحاج ماتقي أقام حفلات كبيرة عند تزويج أبناءه وبذخ من الأموال الطائلة دون حساب .

ويذكر الحاج إسماعيل أنه كان للحاج ماتقي موقفاً وطنياً بارزاً بعد معركة الصريف بقي في ذاكرة الشيخ مبارك الصباح إلى أواخر أيامه . فقد أسفرت تلك المعركة عن مقتل معظم جيش الشيخ مبارك وعودته مع عدد قليل من مرافقيه إلى الكويت . فتوجه الحاج ماتقي ومعه الحاج محمد علي معرفي إلى الشيخ مبارك وأخبروه بأنهم وكل ما يملكون رهناً لإشارته وأن كل خيرهم وأموالهم يعود فضلها إلى الله ثم إلى الشيخ مبارك وعرضوا عليه تقديم كل ما يملكون في سبيل الكويت وتحت إمرته سواء كان ذلك سلاح أو أموال أو مؤونة ، وأكدوا له أن مخازنهم تحت إشارته . فشكرهم الشيخ مبارك على تلك البادرة وأكد تقديره لذلك الموقف . وكان عدد آخر من تجار ووجهاء الكويت قد وقفوا نفس الموقف ، مما أدخل الطمأنينة في نفس الشيخ مبارك الذي عاد من تلك المعركة وقد خسر فيها كل شيء .

الحاج نجف آل غالب

ويذكر الحاج إسماعيل أن الشيخ مبارك لم ينسى ذلك الموقف للحاج ماتقي آل غالب . فقد وقعت حادثة بعد عدة سنوات اثبتت شهامة ووفاء الشيخ مبارك للذين وقفوا معه في وقت الشدة . فقد مرض الحاج ماتقي مرضه الأخير ولم يستطع أحد من الأطباء الشعبيين في الكويت علاجه ، وكان ذلك قبل بناء المستشفى الأمريكاني . فنصحوه بالتوجه إلى أحد الأطباء المشهورين في مدينة بوشهر للعلاج حيث كان ذلك الميناء من أهم المراكز التجارية في الخليج وبه إمكانيات تفوق الكثير مما كان متوافراً في الكويت وبلدان الخليج .

بعض المراسلات بين الشيخ مبارك الصباح والحاج نجف آل غالب وكذلك بين الشيخ خزعل والحاج نجف.

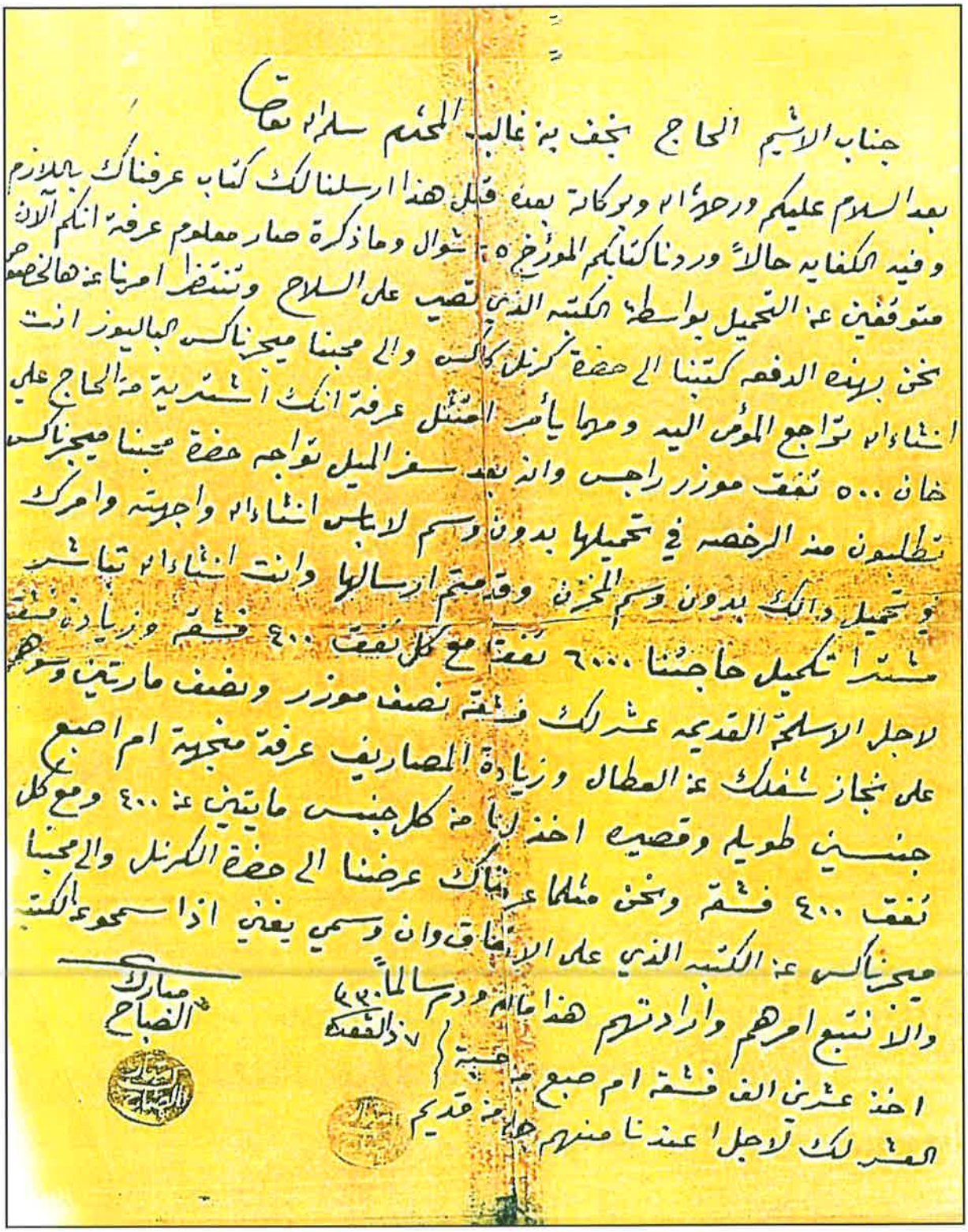

جناب الاشيم الحاج نجف بن غالب المحترم سلام تام

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعده قبل هذا ارسلنالك كتاب عرفناك بالبلازم وفيه الكفايه حالاً وردنا كتابكم المورخ ٥ شوال وماذكرة صار معلوم عرفة انكم الآن متوقفين عن التحميل بواسطة الكتبه الذي تصيب على السلاح وتنتظر امرنا عن هالخصوص نحن برينه الدفعه كتبنا الى حضة كرنل كاكس والى مجنا ميجر ناكس كاليوز انت انشاءالله تواجع المؤمر اليه ومهما يأمر احتمل عرفة انك انشاءالله تواجه حضة الحاج علي خان ٥٠٠ بقت موزر راجس وانه بعد سفر الميل تواجه حضة مجنا ميجر ناكس تطلبون منه الرخصه في تحميلها بدون وسم لاباس انشاءالله واجبته وامرك في تحميل ذلك بدون وسم المخزن وقد صبتم ارسالها وانت انشاءالله تباشر مشد التحميل حاجتنا ٦٠٠٠ بقة مع كل بقت ٤٠٠ فقة وزيادة فقة لاجل الاسلحة القديمه عندك فقة نصف موزر ونصف مارتين وهم على نجاز شغلك عن العطال وزيادة المصاريف عرفة منجبة ام اصبع جنسين طويل وقصير اخذ لنا من كل جنس مايتين عن ٤٠٠ ومع كل بقت ٤٠٠ فقة ونحن مثلما عرفناك عرضنا الى حضة الكرنل والى مجنا ميجر ناكس عن الكتبه الذي على الاتفاق وان وسمي يغني اذا سمحوء الكتبه والا نتبع امرهم وارادتهم هذا مالة ودمت سالماً

مبارك الصباح

اخذ عشرين الف فقة ام صبع من حبة } الفقه
العشرك لاجل اعندنا من هم حبة قديم

رسالة من الشيخ مبارك الصباح للحاج نجف آل غالب .

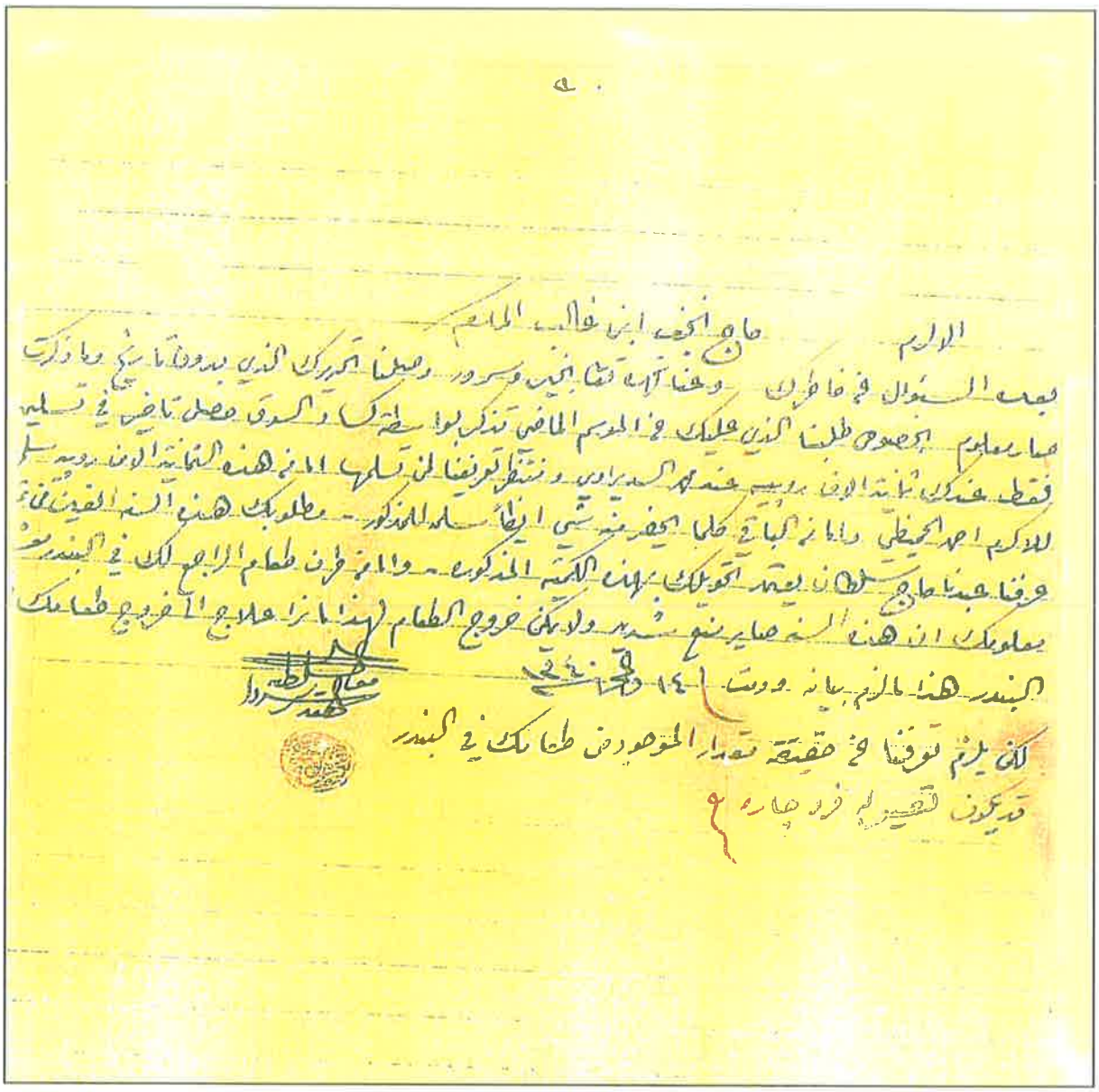

رسالة من الشيخ خزعل إلى الحاج نجف آل غالب .

فتم تجهيز سفينة شراعية خاصة لنقل الحاج ماتقي إلى بوشهر ، وكان ذلك في حوالي عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) . وقد رافق عملية التجهيز شيء من النشاط والحركة على الساحل بالقرب من منزل الحاج ماتقي المقابل لقصر السيف . وكان الشيخ مبارك يجلس صباح كل يوم مقابل شرفة القصر المطلة على البحر قبل توجهه للديوان ليشاهد النشاط والحركة اليومية للسفن ، فلاحظ وجود حركة غريبة ونشاط غير عادي بالقرب من منزل الحاج ماتقي . فأرسل أحد عماله للإستفسار عن الخبر فعاد عامله ليخبره أنه يتم إعداد

إحدى السفن الشراعية لنقل الحاج ماتقي آل غالب إلى بوشهر للعلاج بعد أن تدهورت حالته الصحية ولم يحصل على علاج شافٍ . فما كان من الشيخ مبارك الصباح إلاّ أن أمر بتجهيز يخته (مشرف) الذي كان قد استلمه حديثاً ليقوم بنقل الحاج ماتقي إلى ميناء بوشهر قائلاً هل يعقل أن يسافر الحاج ماتقي للعلاج بسفينة شراعية واليخت مشرف واقف في النقعة . وفعلاً تم نقل الحاج ماتقي آل غالب إلى ميناء بوشهر باليخت مشرف حيث مكث عدة أيام هناك انتقل بعدها إلى الرفيق الأعلى . وهذه قصة تثبت وفاء وتقدير الشيخ مبارك الصباح لمن وقف معه في الزمن الصعب .

ويذكر الحاج إسماعيل انه وبعد وفاة الحاج ماتقي آل غالب استمرت تجارته لفترة معينة ثم بدأت الأمور تسير نحو الأسوأ . فلم يكن أبناءه بالخبرة والحرص والمعرفة والحنكة التي تمتع بها الحاج ماتقي . فقد وصلت باخرة تحمل شحنة من قماش (المريكن) للحاج ماتقي بعد وفاته بعدة أسابيع كانت أرباحها حوالي ١٢٠,٠٠٠ روبية . وكانت تباع الفردة الواحدة (أو الطاقة) بثلاث روبيات . فاستلمها أبناءه لكنهم لم يكونوا ذوي خبرة بالتجارة والبيع والشراء . وبعد عدة سنوات بدأت الأمور بالتردي يوماً بعد يوم وسنة بعد أخرى . وكان أحد أبناء الحاج ماتقي مبذراً وذو طموحات كبيرة ولا يتوانى في بذل أي مبالغ لأبسط الأمور . وقد تنافس مع الشيخ خزعل وخلقت عداوات كبيرة بين الإثنين وكان ذلك في بداية عهد الشيخ أحمد الجابر ، فطلب الشيخ خزعل من الشيخ أحمد الجابر التدخل والعمل على نفيه إلى بومبي حيث تم ذلك بالتنسيق مع المعتمد البريطاني في الكويت آنذاك . وبقي هذا الرجل منفياً في بومبي لعدة سنوات إلى أن تمت إزاحة الشيخ خزعل عن حكم إمارة المحمرة واعتقاله من قبل رضا شاه بهلوي الذي استولى على الحكم في إيران في منتصف العشرينيات من القرن الماضي . وبعد فترة من سقوط حكم الشيخ خزعل عاد إلى الكويت من بومبي حيث لم تبق من ثروة والده إلا أموال قليلة مقارنة بما كانت عليه من قبل ، فأخذ جزءً منها وتوجه إلى القصبة واشترى بساتين من النخيل هناك وتزوج ومكث فترة من الزمن ثم عاد إلى الكويت وهو خالي الوفاض حيث أصبحت الأمور صعبة .

وكان أبناء المرحوم الحاج ماتقي آل غالب قد ورثوا ثورة كبيرة بعد وفاة والدهم وكانوا يرتدون الملابس الفاخرة من أنواع الأقمشة الثمينة آنذاك المسماة (تيرمه) وكان واحداً منهم إذا مشى في السوق يسير مزهواً وهو يلبس (صنكل) من الذهب ، وكان بهيكله الضخم وثيابه الفاخرة يلفت الأنظار . كما بدأ أحدهم ينافس

الشيخ خزعل في ثروته وبذخه وتصرفاته وسيرته . وكان يسير في السوق وقد ارتدى اللباس الفاخر والبشت الزري وعباءة (المدخل) وجيوبه مليئة بالليرات الذهبية . ويذكر الحاج إسماعيل أن أحد أبناء المرحوم الحاج ماتقي آل غالب - وهو المرحوم عبدالحسين - بنى له ديواناً ضخماً في بيته المقابل لقصر السيف والمطل على البحر وأرسل على مهندس ديكور من شيراز في حوالي عام ١٩١٢ وشيد الديوان الذي نقشت على حيطانه وأسقفه زخارف ونقوش جميلة ذات ألوان زاهية وتم تركيب مرايا لم يكن يوجد لها مثيل في الكويت وأطلق على ذلك الديوان اسم (الجُنينه) أي تصغير جنّة . كما قام بشراء عدة مزارع خارج المدينة . وقد بقيت (الجُنينه) مهجورة لعدة سنوات ثم استخدمت كمدرسة لتعليم الأولاد القرآن الكريم والحساب وبقية الدروس حيث استخدمها المرحوم السيد حسين السيد باقر الطباطبائي الذي عمل في التدريس في الثلاثينيات من القرن الماضي .

آل قـاسـم

يذكر الحاج إسماعيل أن عائلة آل قاسم كانت من كبار عائلات منطقة الوسط وكان من أبرز أفراد هذه العائلة في بداية القرن الماضي المرحومين عبد النبي محمد على قاسم وإخوانه عبد الرضا وعبد الكريم وكانوا من كبار التجار وأصحاب السفن وكذلك أبناء عمومتهم عبد الله وعبد الحميد وعبد المجيد . ولدى هذه العائلة أملاك كثيرة وديوان عامر كان مفتوحا على الدوام وخاصة قبل موسم السفر حيث يمتلئ بعشرات الرجال من نواخذه وبحرية استعدادا للسفر إلى الهند بالسفن التابعة لتلك العائلة . وكان عبد الرضا قاسم مسؤولاً عن حسابات الأبوام التابعة لهم ، بينما يشرف المرحومان خليل ابراهيم آل قاسم وصالح آل قاسم على أعمال سفنهم عند توجهها إلى البصرة لشحن التمور إلى كراتشي وبومبي في الهند . وكانت سفن آل قاسم تشاهد قبل موسم السفر وهي مصطفة على الساحل وهي مغطاة بالعرشان قبل البدء بتجهيزها استعداداً للسفر إلى البصرة . واعتادت بعض سفنهم التوجه إلى الهند مرتين في الموسم لنقل التمور وجلب البضائع المختلفة من هناك . وكانوا يغدقون الأموال على النواخذه والبحرية ليستمروا بالعمل لديهم . ويذكر الحاج إسماعيل أن آل قاسم خسروا أموالاً كثيرة في الثلاثينيات والأربعينيات نظراً لتحويل إدارة تجارتهم لشبابهم الذين لم يكونوا يملكون خبرة كافية ولم يديروها على أسس صحيحة .

فقد كانوا يشترون التمور من التجار ويشحنونها بسفنهم إلى الهند ويدفعون قيمتها بعد سنة أو سنتين مما أدى إلى تراكم الديون عليهم واضطرارهم بعد فترة إلى بيع إحدى أهم عماراتهم[1] إلى الملا صالح بثمن زهيد وذلك بعد أن خسروا معظم تجارتهم . وقد اشتهرت عماراتهم بكبر حجمها وبنائها الجيد ومواقعها الممتازة ، كما كانت لديهم حوط كبيرة لخزن الأخشاب وغيرها من المواد . ويذكر الحاج اسماعيل أن آل قاسم كانوا يملكون العديد من المزارع الكبيرة المليئة بالسدر داخل المدينة والتي تحتوي على آبار ذات ماء عذب ، ويذكر أنه أثناء صباه كان يذهب مع والده لمزرعتهم مع أصدقائه من أبنائهم من الشباب الذين يتجمعون هناك أثناء الربيع . وقد تصاهر عبد الله بن جمال مع آل قاسم وتزوج ابنة الحاج قاسم فأنجبت له أبناءه المرحومين حسين ومنصور ومحمد .

(١) العمارة (وجمعها عمايِر) هي حوش عربي كبير كان عبارة عن مخزن ومتجر يستخدمه التجار وأصحاب السفن لتخزين وبيع مواد البناء وأنواع الأخشاب والبضائع الخاصة بالسفن وأدوات البحر .

الفصل السادس

السنوات الأخيرة واستمرار النشاط الاجتماعي

والتواصل مع رفاق الدرب الأوائل

أصدقاء الحاج إسماعيل وجلساؤه

الديوان القديم في الديرة

ديوان الحاج إسماعيل ورفاقه في السفر

السنوات الأخيرة مع رفاق الدرب

الفصـل السـادس

السنوات الأخيرة واستمرار النشاط الاجتماعي والتواصل مع رفاق الدرب الأوائل

أصدقاء الحاج إسماعيل وجلساءه

كان للحاج إسماعيل جمال عدد كبير من الأصدقاء الذين كان يودهم ويودونه ويشاركهم في الكثير من الآراء والتوجهات والمشتركات الأخرى . وكان يلتقي بكثير منهم يومياً سواء في ديوانه الخاص في الديرة أو في السوق أو في الدواوين الصباحية التي كانوا يقضون فيها جانباً من الصباح . كما كان عدد منهم يصاحبه في السفر أثناء فترة الصيف .

التجمع أمام الكاركة أثناء فترة العمل

اعتاد الجيل السابق من الكويتيين على التجمع وتبادل الأحاديث والأخبار متى ما سنحت لهم الفرصة بذلك ، سواء أكان ذلك في الدواوين أو في أي مكان آخر مناسب . وقد دأب كثير من أصحاب المحلات والمتاجر والعمايرو وغيرها من أماكن العمل على وضع كرسي خشبي مستطيل أو أكثر أمام محلاتهم ليستقبل كل منهم أصدقاءه لقضاء الوقت بتجاذب أطراف الحديث وإبداء كل منهم رأيه بما يطرح من مواضيع . وكان المار يلاحظ ذلك في كثير من أماكن العمل . وكانت الكاركة من الأماكن التي يتجمع أمامها على الكراسي الخشبية الموضوعة هناك - أثناء فترة العمل ، سواء في الصباح أو المساء أو حتى الجزء الأول من الليل - عدد لا بأس به من الأشخاص وخاصة أصحاب المحلات المجاورة في سوق التجار أو من أصدقاء المرحوم الحاج إسماعيل . وكان من بينهم المرحومين الشيخ عذبي الصباح وخليل القطان والحاج مكي حسين الجمعة وأحمد الفوزان وعيسى باش وعبداللطيف جوهر حيات والمعلم إسرائيل (إسماعيل كدو) وسيد حسن الزلزلة ومحمود أسد ششتري وعبدالعزيز المساعيد وشيخان الفارسي ويعقوب الفهد ومحمد الكندري وآخرين لم تسعفنا الذاكرة بتذكرهم . وكان كل منهم يأتي لفترة معينة ثم يعود لمحله لاستئناف عمله . واستمر ذلك إلى أن تم إغلاق الكاركة عام ١٩٦١م .

الديوان القديم في الديرة

لربما من الصعب علي معرفة الكثير من رواد الديوانية الذين كانوا يؤمونها في أثناء الفترة الأولى التي شهدت تسلم الحاج إسماعيل المسؤولية بعد وفاة والده عام ١٩٢٨م ، بعد أن أصبح مسؤولاً عن كل ما تركه والده من أمور بما فيها الديوانية . كما أني لم أكن في سن يؤهلني لحضور ذلك المجلس اليومي الذي كان يلتقي فيه بأصدقائه من الرواد في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي . فقد ولدت في عام ١٩٤٢م وأتذكر أنه كان يأخذني معه في بعض الأحيان إلى الديوانية وأنا ربما في سن السادسة أو السابعة من العمر ، حيث يتلقاني عدد من الرواد بالترحيب والمزاح والأسئلة المعتادة للأطفال عن المدرسة والألعاب وأخبار أصدقائي من أبنائهم وغير ذلك . أما في فترة الشباب فقد انشغلت بالدراسة ولم أتعود الذهاب إلى الديوان الذي استمر إلى نهاية عام ١٩٥٩م عندما تمت إزالته مع البيت القديم من قبل دائرة أملاك الدولة . وقد قضينا بعد ذلك ما يقارب السنتين في منزل مستأجر في منطقة الميدان إلى أن انتقلنا إلى منطقة القادسية في عام ١٩٦٠م . ونظراً لتفرق روادالديوان بعد إزالة منازلهم في الديرة أيضاً من قبل دائرة أملاك الدولة وسكنهم في مناطق مختلفة وصعوبة المواصلات في تلك الفترة وكبر سن معظمهم فقد صعب عليهم الانتقال من مناطقهم الجديدة إلى القادسية ، مما أدى إلى تقلص عدد الرواد المنتظمين بصورة كبيرة ، في الفترة التي تلت تلك المتغيرات ، واقتصر عدد الحضور بصورة منتظمة على عدد ممن سكنوا المناطق القريبة ، فيما عدا ليلة الجمعة

السيد عمران السيد أحمد الموسوي

الحاج إسماعيل جمال في السبعينات

عبدالرزاق علي جمال

سيد علي الزلزلة

فرج عوض بهبهاني

يلي أحمد ابراهيم

سيد عبد الصمد سيد زاهد

موسى أبو الحسن

عيسى أبو الحسن

(مساء الخميس) حيث يحرص الكثير منهم على الحضور . لكنه ومع مرور الوقت ووفاة عدد لا بأس به منهم وعجز البعض الآخر أصبح الديوان شبه خالياً مما جعل الحاج إسماعيل يتوجه إلى ديوان المرحوم الحاج جمال عبد الله جمال في منطقة بنيد القار ليلياً ليقضي الفترة التي تلي صلاة العشاء هناك حيث يتوجه بعدها إلى ديوان المرحوم الحاج أحمد العريان في نفس المنطقة .

وقد استمر كذلك خلال الفترة من منتصف الستينيات إلى وفاة المرحوم الحاج جمال في فبراير من عام ١٩٧٢م .ومن بعد ذلك أصبح يتوجه إلى ديوان أحد أقدم أصدقاءه وهو المرحوم السيد عمران السيد أحمد الموسوي في بنيد القار بالإضافة إلى ديوان المرحوم أحمد العريان حيث استمر كذلك إلى منتصف الثمانينيات ثم توقف عن الخروج ليلاً ، مما أدى إلى مجيء ما تبقى من رفاقه إلى ديوانه مرة أخرى بصورة شبه منتظمة حيث استمر الحاج إسماعيل في استقبال الباقي من الرواد من أصدقائه وبعض أبنائهم في ديوانه إلى أن توفاه الله في ديسمبر من عام ١٩٩٣م حيث دأب الكثير من أصدقائه على الحضور المتقطع بعد أن كبر سنهم وبدأوا بالرحيل الواحد بعد الآخر ، بينما – ولحسن الحظ والتوفيق من الله – استمر المجلس عامراً بأبناء وأحفاد الرواد الأوائل إلى يومنا هذا .

يوسف علي جمال

عبد الله المزيدي

عبد الله أبو الحسن

جاسم ماجكي

يوسف المزيدي

سيد عبدالرزاق الزلزلة

سيد أحمد سيد اسماعيل الموسوي

وسأحاول فيما يلي أن أعود إلى الذاكرة لأُعدد أسماء الرواد الأوائل رحمهم الله جميعاً ، وبمساعدة عدد من أبنائهم . فقد كان في مقدمة الرواد في الديوان القديم في المدينة كل من المرحومين السيد جواد القزويني والشيخ إبراهيم المزيدي وعبد الله ابراهيم المزيدي الذين كانوا يزورون الديوان ليلة واحدة في الأسبوع ، وأتذكر أن الشيخ إبراهيم المزيدي كان يأتي كل ليلة ثلاثاء (مساء الاثنين) . أما الرواد المنتظمين فكان في مقدمتهم كبار السن من آل أبو الحسن وهم المرحومين الحاج يعقوب أبو الحسن وموسى أبو الحسن وعيسى أبو الحسن وعبد الله أبو الحسن والسيد علي الزلزلة والحاج يلي أحمد إبراهيم والسيد عبد الصمد السيد زاهد

عباس آغا علي

عباس عبدالله ابل

جواد أبوالحسن

يوسف أسطى أحمد

عبدالله شريب

سيد مهدي سيد أحمد

خليل حسين جمال

علي النقي

سيد إسماعيل بهبهاني

وجاسم ماجكي ، ويوسف المزيدي .

كما كان من المنتظمين في الحضور المرحومين الحاج نصير عوض بهبهاني والحاج فرج عوض بهبهاني والحاج حسن نصير بهبهاني وجواد أبو الحسن وعباس أبل ومحمود خلف الشطي وسيد حسن الزلزلة وسيد عبد الرزاق الزلزلة وسيد أحمد السيد إسماعيل الموسوي وحجي عبد الرحيم والسيد مهدي السيد أحمد ومحمد علي بوفتين ورضا مشهدي وحسن مشهدي وحجي آغا مشهدي وعبد الرزاق المحميد وعباس آغا علي ومحمد حجي علي أسطى أحمد ويوسف حجي على أسطى أحمد وعبد الله شريب وعبد الحميد فرج وموسى فرج وعبد الكريم أبو الحسن بالإضافة إلى عدد من اخوان الحاج إسماعيل وأقاربه .

ديوان الحاج إسماعيل ورفاقه في السفر

اعتاد الحاج إسماعيل على السفر سنوياً تقريباً أثناء فصل الصيف منذ أوائل الأربعينيات إلى أواخر السبعينيات من القرن الماضي . وكان أثناء إقامته سواء في سفره إلى العراق أو إيران ، يستأجر أحد البيوت ويفتح له ديواناً يستقبل فيه أصدقاءه ومعارفه من الكويتيين وغيرهم صباحاً ومساء وأثناء الليل . فيلتقون هناك ويصبح الديوان مركزاً شبه دائم للكويتيين المتوجهين إلى تلك الديار للعطلة أو الزيارة أثناء الصيف ،

سيد علي الهاشمي

سيد طالب بهبهاني

يعقوب عباس أبوالحسن

حيث يقيم الدعوات والولائم بشكل شبه مستمر لأصدقائه وغيرهم من المسافرين الكويتيين . كما كان يحرص على إقامة وليمة العيد في الديوان إن صادف وجوده في الخارج أثناء عيد الفطر أو عيد الأضحى . وقد استمر في ذلك إلى نهاية السبعينيات من القرن الماضي حيث كبر في السن وتوقف عن السفر .

وكان في مقدمة أصدقائه الذين اعتادوا السفر معه أو زيارته في ديوانه كل من المرحومين يعقوب أبو الحسن وموسى أبو الحسن وعيسى أبو الحسن وعبد الله أبو الحسن وخليل حسين جمال وسيد عبد الصمد السيد زاهد ويلي أحمد ابراهيم وعلي حسين النقي وسيد إسماعيل بهبهاني ومحمد عبد الله جمال وابنه عبد الله ويوسف جمال وسيد طالب بهبهاني ومحمود خلف الشطي والسيد علي الهاشمي وفرج بهبهاني وأبناءه عبد الحميد وموسى ، والحاج حجي جوهر حيات وعبد اللطيف جوهر حيات وعلي حسين الأربش وغلوم أسيري وجاسم ماجكي ، وجواد أبو الحسن وعبد الرزاق المحميد ، والسيد عبد الرزاق الزلزلة والسيد مهدي السيد أحمد والسيد أحمد السيد إسماعيل الموسوي ومحمد أحمد القلاف وحسين علي جمال وعبد المحسن حسين جمال وعبد الهادي جمال ومحمود جمال وعبد العزيز عبد الرزاق جمال وأحمد العريان ويعقوب غافل العريان ومصطفى العريان وحيي علي باش وإسماعيل محمد حسين بهبهاني ومحمد إبراهيم المزيدي وعبدالله الشمالي وعبد الرزاق الشمالي وحيي الشمالي وعبد العزيز أسطى أحمد وسيد حسن بهبهاني وعبد الوهاب معرفي وأحمد باشا وأحمد شوكت وملا علي الجريدان وعبد الله شريب وعبد الكريم أبو الحسن وعدد آخر من أصدقائه وأبنائهم .

يعقوب غافل العريان

أحمد العريان

عبدالله الشمالي

محمد إبراهيم المزيدي

علي حسين الأربش

عبدالرزاق الشمالي

وقد انتقل جميع هؤلاء الأصحاب إلى رحمة الله تعالى ما عدا عدد لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة .

محمود خلف الشطي

حسين علي جمال

أحمد باش محمد علي باش

عبدالهادي محمد جمال

محمود حسن جمال

عبداللطيف جوهر حيات

عبدالعزيز أسطى أحمد

عبدالحميد فرج بهبهاني

موسى فرج بهبهاني

صورة التقطت في بغداد عام ١٩٤٨م للمرحوم الحاج إسماعيل جمال تجمعه مع أحد أقرب أصدقاءه وهو المرحوم السيد علي الحسيني الهاشمي . ويبدو في الصورة أيضاً عبد الهادي محمد جمال واقفاً ، وفي يمين الصورة محمد عبد الهادي جمال (الكاتب) وفي يسارها عبد الله يوسف جمال .

صورة تجمع الحاج إسماعيل جمال مع عدد من رفاقه في أحد منتزهات مدينة مشهد الإيرانية في أوائل الستينيات من القرن الماضي وهم من اليمين سيد طالب بهبهاني والحاج إسماعيل وسيد أحمد السيد عابد (عضو مجلس الأمة الأسبق) وسيد مهدي السيد أحمد .

سافر المرحوم سلطان مبارك عام ١٩٥١م وعائلته مع الحاج إسماعيل جمال وعائلته عام ١٩٥١م إلى إيران حيث قضوا هناك حوالي شهرين تجولوا في عدد من المدن . وتجمع الصورة الحاج إسماعيل و سلطان مبارك والكاتب .

السنوات الأخيرة مع رفاق الدرب

شكل توقف العمل في الكاركة عام ١٩٦١م نقطة تحول في حياة المرحوم الحاج إسماعيل جمال المليئة بالحيوية والنشاط . فلم يكن طوال حياته متعوداً على الراحة أو الكسل أو الجلوس في المنزل . وعند إغلاق الكاركة استمر في الخروج مبكراً صباح كل يوم ولكن ليس للعمل بل لزيارة أصدقاءه وقضاء الوقت معهم

سواء في محلاتهم بالسوق أو في الدواوين التي اعتادت فتح أبوابها أثناء الصباح . فقد استأجر له سائقاً من البصرة يدعى زيدان بعد أن قاد هذا الأخير السيارة التي توجهت بعدد من أفراد عائلة الحاج إسماعيل إلى الحج في نهاية الخمسينيات . وظل السائق مرافقاً دائماً للحاج إسماعيل لفترة امتدت من نهاية الخمسينيات إلى أواخر السبعينيات حيث سكن في منزل الحاج إسماعيل وكان يأخذه في جولاته اليومية إلى أصدقائه وأقاربه وإلى الأسواق والمناطق الأخرى دون كلل إلى أن تقاعد المرحوم زيدان عن العمل . فقد أصبح نشاط الحاج إسماعيل يبدأ في الصباح الباكر فيتوجه إلى مكان تجمع أصدقاءه في ديوان الحسينية الخزعلية حيث ينتظره هناك عدد منهم لقضاء ساعة أو أكثر في الحديث يتوجه بعدها من لازال يمارس العمل منهم إلى دكانه بينما يذهب الآخرون إلى زيارة أصدقاءهم في السوق أو لشراء حاجاتهم اليومية من المواد الغذائية وغيرها ثم العودة إلى منازلهم ، وكان ذلك المجلس يستمر من حوالي الساعة السابعة صباحاً إلى الساعة الثامنة .

عبد الله المتروك

حاجي حجي جوهر

حسين السلمان

أما الحاج إسماعيل وعدد من المجموعة فكانوا يتوجهون بعد ذلك إلى ديوان السيد علي شبر الذي ينعقد يومياً من الساعة الثامنة صباحاً إلى حوالي الساعة التاسعة والنصف حيث يتوجه الرواد بعد ذلك إلى أماكن عملهم أو العودة لمنازلهم حيث أن عدداً كبيراً منهم كان من المتقاعدين . وكان من جلساء الحاج إسماعيل في ديوان الحسينية الخزعلية اليومي كل من المرحومين الحاج يلي أحمد إبراهيم والحاج عبد الرضا شمساه والحاج عبد النبي شمساه والحاج عبد الله المتروك والحاج غلوم أسيري وسيد علي الزلزلة والحاج عبد الله أبو الحسن والحاج عبد الله الفرج والحاج حجي جوهر حيات والحاج حيدر معرفي والحاج حسين علي السلمان والحاج محمد حجي علي اسطى أحمد .

ويتوجه الحاج إسماعيل بعد انفضاض ديوان السيد علي شبر مع الحاج يلي أحمد سيراً إلى دكان المرحوم جاسم ماجكي في سوق الخضرة ليمكثوا هناك ما يقارب الساعة إلى ما قبل أذان الظهر ليتوجه بعد ذلك كل منهم إلى المسجد أو البيت .

غلوم أسيري

عبد الله الفرج

عبد الرضا شمساه

عبد النبي شمساه

جاسم ماجكي

ديوان السيد علي شبر ويبدو السيد منهمكاً في كتابة بعض الأمور لأحد الرواد بينما يبدو المرحومين الشيخ علي العندليب والحاج عبد الرضا معرفي (بومعرفي) وشيخ آخر إلى يسار السيد علي شبر

جانب آخر من ديوان السيد علي شبر في أوائل الستينيات من القرن الماضي . ويبدو على اليمين كل من المرحومين يلي أحمد إبراهيم وإسماعيل جمال وغلوم غضنفري

ديوان القادسية

بدأ ديوان القادسية في استقبال رواده بعد انتقال الحاج إسماعيل وعائلته إلى هناك عام ١٩٦٠م حيث دأب عدد من أصدقاءه الذين سكنوا في المناطق القريبة بزيارته كما ذكرنا سابقاً لكن ليس بالانتظام السابق لتقدمهم بالسن . وبعد وفاة الكثير منهم استمر أبناؤهم بالحضور ليلياً تقريباً . ومن المناسب هنا أن أذكر أن أحد الأصدقاء المقربين من الحاج إسماعيل ، وهو السيد علي السيد حسين الهاشمي ، نظم بيتين من الشعر أرخ فيهما تاريخ انتقال ديوان الحاج إسماعيل من مدينة الكويت إلى القادسية عام ١٩٦٠م فقال :

باليُمن شيّد إسماعيل بيتَ عُلاً ... يزكو لوفّاده دوماً منافعها

فالذكر من قبل والتاريخ ناقلها ... قواعد البيت إسماعيل رافعها

١٣٨٠ هجرية[1]

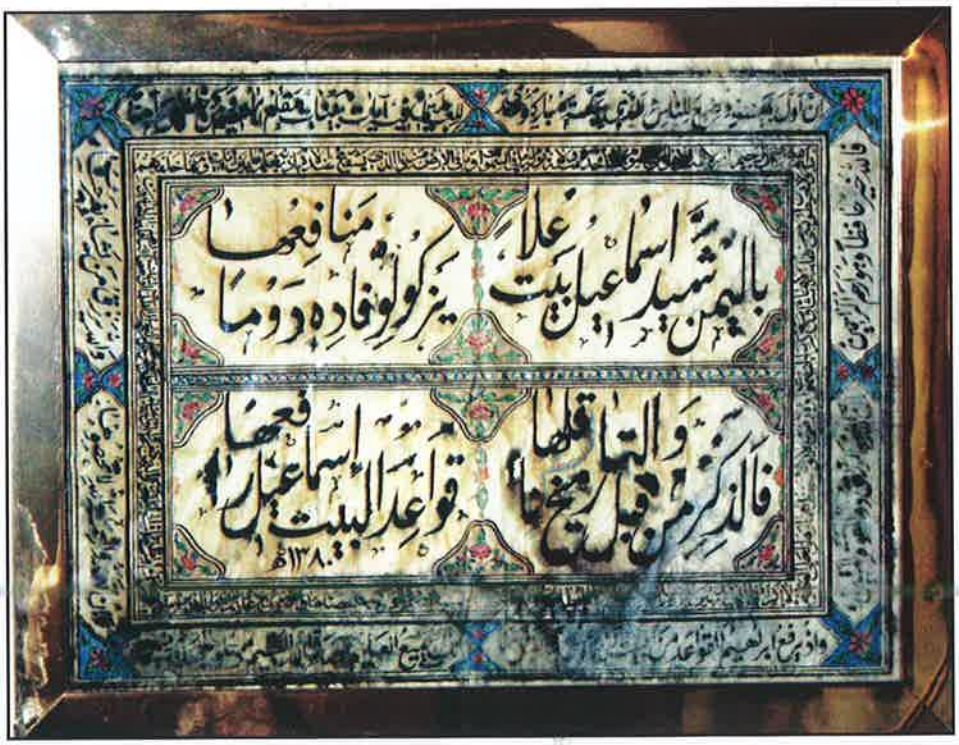

اللوحة التي رسمها السيد علي السيد حسين الهاشمي مؤرخاً فيها شعراً انتقال ديوان الحاج إسماعيل جمال من المدينة القديمة إلى القادسية عام ١٣٨٠ هجرية (١٩٦٠م) ، وقد زينها بالآيات القرآنية الكريمة والزخارف الإسلامية الجميلة

(١) عند جمع أحرف الجزء الأخير من البيت الثاني يصبح المجموع ١٣٨٠ (حسب حساب الجُمّل) ، وهي السنة الهجرية التي انتقل فيها الديوان من الديرة إلى القادسية (وتصادف عام ١٩٦٠م) .

وقد سنحت لنا بعض الفرص لالتقاط الصور لعدد من رواد ديوان القادسية من كبار السن وكذلك بعض أبناءهم وهم في ذلك الديوان .

وتضم الصفحات التالية عدداً من أولئك الرواد ، رحمهم الله جميعاً .

المرحوم الحاج إسماعيل مع المرحوم الحاج يلي بن أحمد في إحدى ليالي الصيف
في حوالي عام ١٩٦٢م أمام المنزل بالقادسية وهم يدخنون الكدو

كان الحاج إسماعيل من المعجبين والمحبين للمرحوم السيد مهدي القزويني وأخوه السيد جواد القزويني اللذان توليا الشؤون الشرعية والفقهية للشيعة في الكويت لفترة امتدت ما يقارب من نصف قرن (١٩٠٨م - ١٩٥٠م) . وقد استمرت العلاقة مع أبناء السيد مهدي إلى وفاة الحاج إسماعيل عام ١٩٩٣م . ويشاهد في الصورة الحاج إسماعيل يتوسط السيد مير محمد القزويني (يسار الحاج إسماعيل) والسيد مير علي القزويني أثناء زيارتهما له بديوان القادسية عام ١٩٨٧ .

الحاج إسماعيل جمال في ديوانه بالقادسية وعلى يمينه المرحومين صالح جمال
ويوسف جمال وعبد الله صالح جمال وعلى يساره السيد فاضل السيد علي الهاشمي (١٩٨٧م)

الحاج إسماعيل في ديوانه بالقادسية وعلى يمينه شقيقه يوسف جمال وعلى شماله عبد الهادي محمد جمال (١٩٨٦م)

من اليمين المرحومين عبد الرسول تقي الصفار والحاج إسماعيل ومحمود خلف الشطي ويوسف جمال في الديوان عام ١٩٨٧م

الحاج إسماعيل في ديوانه مع المرحومين عبد الله أبو الحسن ، سيد مهدي السيد أحمد وعبد الهادي جمال عام (١٩٨٩) في اليوم الثاني من عيد الفطر لعام ١٤٠٩ هجرية

الحاج إسماعيل في الديوان عام ١٩٨٩م مع كل من سيد هادي سيد علي الهاشمي وعبد الهادي جمال وعبد الله يوسف جمال ومحمد عبد الهادي جمال . (التقطت هذه الصورة بمناسبة مرور ٤٠ عام على التقاط صورة لنفس الأشخاص في بغداد عام ١٩٤٨م – ما عدا المرحوم السيد علي الهاشمي الذي حل محله بالصورة نجله سيد هادي (راجع صفحة ٣١٨)

صورة أخرى لرواد الديوانية عام ١٩٨٩م وهم من اليمين عبد النبي جمال وحسن نصير والحاج إسماعيل وجابر جمال وعلي جمال

صور لعدد من رواد الديوانية عام ١٩٩٠م قبل الغزو العراقي

المرحوم يوسف جمال ورياض القطان وعبد الهادي جمال وعبد الله يوسف جمال وعلي يوسف جمال

السيد علي جمال والمرحوم بارون بارون والسيد حسين النقي والمرحوم كاظم عارفي

سيد فاضل الهاشمي وحسن أسد ومحمد جمال وعبد العزيز جمال

المرحومين الحاج إسماعيل جمال والحاج أحمد هاشم ويوسف جمال

عدد من رواد الديوانية يوم عيد الأضحى المبارك عام ١٤١١ هجرية (يونيه ١٩٩١م)

السيد حسين بارون وأحد أبناءه وعلي جمال وعبد النبي جمال

المرحومين يوسف جمال وعبد الهادي جمال وعبد الله عيسى الوزان

سيد فاضل الهاشمي وعادل موسى فرج وعادل المتروك و صالح المزيدي يوم عيد الأضحى المبارك ١٤١١ هجرية (١٩٩١م)

محمد جمال وعبد العزيز الوزان وعبد المحسن جمال وعدد من الأطفال
يوم عيد الأضحى المبارك ١٤١١ هجرية (١٩٩١م)

عدد من رواد الديوانية في عام ١٩٩٢م يتوسطهم الحاج اسماعيل

مجموعة أخرى من رواد الديوانية عام ١٩٩٢م

عدد آخر من رواد الديوان ١٢/ ١١/ ١٩٩٢م .

السادة محمد زمان مقدم ورياض القطان وعبد الصمد فرج وجواد المزيدي يتوسطهم الحاج اسماعيل عام ١٩٩٢م

السادة صادق يلي ورياض القطان و عبد الرحمن معرفي و عبد الحميد فرج وحفيده

عبد المحسن جمال و عبد الرسول كرم وجابر جمال وأحد أبناء رواد الديوانية

المرحومين يوسف جمال وعبد الهادي جمال وسيد مصطفى سيد عبد الصمد وعوض محمد بوشهري

المرحومين كاظم عارفي والحاج اسماعيل والمرحوم و ابراهيم الحمر والسيد جواد المزيدي والسيد عبد الصمد فرج

المرحوم عبد الهادي جمال والسيد اسماعيل الموسوي والسيد رياض القطان

جابر جمال والمرحوم الحاج اسماعيل والسيد رياض القطان والمرحوم ابراهيم الحمر (١٩٩٢م)

المرحومين عبد الرحمن الصغير وحسن نصير وعبد الصمد حبيب الظاهر وبارون بارون (١٩٩٣م)

المرحوم أحمد عبدال والمرحوم طاهر البغلي والمرحوم محمود الشطي والسيد علي جمال

المرحوم عبد الله علي جمال والسيد محمد زمان مقدم والمرحوم عبد الرضا النكاس

المرحومين يوسف جمال وحسن نصير وعبد الهادي جمال تواجد يومي في الديوانية دون انقطاع

المرحوم الحاج اسماعيل مع المرحومين عبد الرسول كرم وكاظم عارفي وبارون بارون

الحاج اسماعيل قبل وفاته بسنة متوسطاً شقيقه يوسف جمال وصهره عبد الهادي جمال اللذان لم يفارقا مجلسه يوماً واحداً وكانا معه على الدوام إلى أن توفاه الله عام ١٩٩٣م

الحاج اسماعيل جمال وهو يتناول عشاءه ، متوسطاً حفيديه محمد عبد الهادي جمال وجابر عبد الهادي جمال عام ١٩٩٢م

وكان من عادة الحاج اسماعيل أنه لا يكاد يتناول أي وجبه إلا وبجانبه أحد من أقربائه أو أصدقاءه

نشاطات اجتماعية أخرى للحاج إسماعيل

لم يستطع تقدم السن التأثير كثيراً في نشاط الحاج إسماعيل إلى ما قبل وفاته بحوالي سنة حيث بلغ المائة وعام . فقد استمر في نشاطه اليومي في استقبال رواد الديوان ليلاً ، بينما كان يمارس الكثير من الأعمال التي تشغله وتملأ فراغه أثناء النهار ، إذ أنه لم يكن يطيق الجلوس بدون عمل . فمثلاً كان أثناء بناء منزلي بمنطقة مشرف عام ١٩٧٩م يزور الموقع يومياً ، وفي بعض الأحيان مرتين في اليوم ، وكان عمره آنذاك ٨٨ عاماً . ويشاهد في الصورة وهو جالس في وسط محيط المنزل قبل بنائه ، وفي الصورتين في الصفحة التالية وهو واقف أمام البناء بعد تشييد الهيكل الاسمنتي للمنزل .

الحاج إسماعيل أثناء الفترة الأولى من بناء منزلي في مشرف في نوفمبر عام ١٩٧٩م

الحاج إسماعيل وهو يتابع عملية بناء منزلي في مشرف عام ١٩٧٩م في مراحل مختلفة

صورة تجمع المرحوم الحاج إسماعيل مع المقاول والحارس والكاتب وجارنا العزيز منصور بندر في ساحة المنزل قبل اكتمال البناء (نوفمبر ١٩٧٩)

لم ينقطع الحاج إسماعيل جمال عن ممارسة هوايته المفضلة – وهي الزراعة – إلى أواخر أيامه . ويشاهد هنا وهو يعتني بالسدرة التي زرعها في منزلي أثناء فترة البناء

كان الحاج إسماعيل يحرص على زيارة المخيم الربيعي السنوي الذي كان يقيمه عدد من أبناء عائلة جمال وأصدقاءهم وأقاربهم في منطقة أم الرمم ، حيث يقضي هناك بعض أيام العطل مع القائمين على المخيم وعدد من أصدقاءه من كبار السن

الحاج إسماعيل أثناء زيارته لمخيم آل جمال وأصدقاءهم في منطقة أم الرمم في ربيع عام ١٩٨٨م . ويشاهد في الصورة مع أحفاده وأبناءهم

جانب من مخيم آل جمال في منطقة أم رقيبه في طريق العبدلي في ربيع عام ١٩٦٨م ويتوسط الجمع في الصورة العلوية المرحوم الحاج خليل جمال .

صورة أخرى لمخيم أم رقيبة

جانب آخر من مخيم آل جمال في منطقة أم رقيبه عام ١٩٦٨م وتشاهد في الصورة الأولى مجموعة منهم يصطحبهم عدد من الأطفال يحيطون بالجمال بينما يرى " زيدان " سائق الحاج إسماعيل في الصورة الثانية جالساً أمام الدوّه وبيده كوب الحليب .

كان مجلس الحاج إسماعيل لا يخلو من أحاديث الذكريات والعودة إلى الماضي وأيامه الجميلة حيث لم تكن أحاديثه تنقطع عن كل ما كان يدور من أحداث في أيام شبابه وصباه . وكان يدلي بآرائه ويروي ذكرياته فيما يخص الأحداث التاريخية التي مرت بها الكويت والمنطقة حيث عاصر الكثير من تلك الأحداث وشارك في بعضها كبناء سور الكويت . وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ السيد سيف مرزوق الشملان أجرى لقاءين مع الحاج إسماعيل جمال في عام ١٩٨٥م لتلفزيون الكويت في برنامج " صفحات من تاريخ الكويت" ، تحدث فيهما عن الكثير من الأمور التاريخية والتراثية والاجتماعية والسياسية التي عاصرها أثناء رحلته الطويلة في الحياة .

اللقاء الذي أجراه السيد سيف مرزوق الشملان عام ١٩٨٥م مع الحاج إسماعيل جمال ويشاهد عدد من آل جمال أثناء اللقاء .

استمر الحاج إسماعيل في نشاطه الصباحي اليومي بالذهاب إلى ديوان الحسينية الخزعلية الصباحي ثم إلى السوق إلى عام ١٩٨٥م عندما تم هدم الحسينية الخزعلية دون سابق إنذار ، مما أدى إلى توقف ذلك المجلس الصباحي الذي استمر لعقود طويلة ، فتشتت رواده وأصبح لقاءهم مع بعضهم البعض نادراً إلا في المناسبات . وقد أصبح

عملية هدم الحسينية الخزعلية في يوم الجمعة الموافق ٢٢/ ١١/ ١٩٨٥م

عدد منهم لا يغادر منزله بينما استمر البعض الآخر في قضاء جزءً من النهار لدى أصدقائه من أصحاب المحلات في السوق إلى أن بدأوا في الرحيل الواحد تلو الآخر . وقد واجه الحاج إسماعيل حدثاً محزناً آخر في ذلك العام وهو فقدان زوجته التي كرست حياتها كلها لخدمته والسهر على راحته والجلوس بجانبه وبيدها " المهفه" أثناء تناوله جميع وجباته . ولا زلت أتذكر آخر جملة نطقت بها وهي في أيامها الأخيرة في المستشفى حيث أوصتنا بالاعتناء به والسهر على راحته ، وكانت تردد " الله الله بوالدكم" . وكان وقْع وفاة زوجة الحاج إسماعيل عليه كبيراً . فقد تأثر كثيراً بوفاتها وخيم عليه الحزن لفترة طويلة ، إذ كانت – وبالرغم من كبر سنها – لا تترك له طلباً إلا ولبّته ، مما جعله أثناء حياتها لا يشعر بأي حاجة لا يتم تلبيتها . وقد قل خروجه إلى السوق بعد وفاتها تدريجياً إلى أن توقف تماماً أثناء الصباح ، بينما صار يذهب في بعض الأمسيات إلى ديوان السيد عمران الموسوي في الدسمة حيث يقضي بعض الوقت مع عدد من أصدقائه القدامى هناك . كما أصبح من الرواد الدائمين في شهري محرم وصفر لحسينية السيد عمران بعد هدم الحسينية الخزعلية . وقد أصبح شديد الحساسية في أواخر أيامه إذ صار لا يطيق الجلوس لوحده ويؤكد على رواد الديوانية بالقدوم مبكراً والبقاء معه لأطول فترة ممكنة من الليل . وكان من أقواله التي صار يرددها أن من مساويء طول العمر فقدان الأصدقاء والأحبه . فقد عانى من ذلك معاناة كبيرة بعد أن لم يبقى له من أصدقائه الأوائل أحد . وقد استمر على تلك الحال بينما لم يبخل رواد الديوانية في مواساته ورفع معنوياته .

ومن الأمور التي لا زلت أتذكرها جيداً صموده وصلابته أثناء الغزو العراقي الغاشم ، حيث استمر في فتح ديوانه صباح كل يوم ليؤمه أحباءه ومريديه الذين كانوا ينقلون له الأخبار أولاً بأول ويجيبونه عن استفساراته ، وكان يزورنا في منزلنا بمنطقة مشرف أثناء تلك الفترة ليطمئن علينا ويستفسر عن آخر الأخبار ويطمئننا بقرب تباشير النصر وبلوغ الفرج بطرد المعتدي ومعاقبته على ما اقترف من جرائم ، وكان عمره قد بلغ آنذاك التاسعة والتسعون . وكنا في تلك الأيام نستذكر معه الماضي لننسيه ما حل بنا من خطوب نتيجة للغزو الغادر . وكان يطمئننا بأن الفرج قريب وأننا سنشهد قريباً طرد المعتدي وهزيمته شر هزيمة .

الحاج إسماعيل جمال في إحدى زياراته لمنزلي أثناء الغزو العراقي الغاشم وذلك بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٠م

وكانت فرحته بالتحرير عظيمة حيث كان ينتظر بفارغ الصبر مع أبناء وطنه ذلك اليوم العظيم الذي طرد فيه المعتدي والذي هب فيه الشعب الكويتي في الداخل لاستقبال جيوش التحرير التي أعادت الحرية والعزة للمواطنين . وعندما بدأت الأمور في العودة إلى وضعها الطبيعي استأنف ديوانه النشاط ليلاً كعادته قبل الغزو ، حيث بدأ العائدون من الخارج بزيارته وتهنئته بالتحرير ، كما زاره عدد من الصحفيين الذين قدموا إلى الكويت لتفقد الأوضاع .

ومن بين الذين زاروا الديوان من الصحفيين الاجانب صحفيان هولنديان بتاريخ ١٩/ ٦/ ١٩٩١م بعد تحرير دولة الكويت بأربعة أشهر . ويشاهد أحدهما في الصورة الأولى وهو بجانب الحاج اسماعيل متحدثاً مع عدد من رواد الديوانية ، بينما يشاهد وزميله في الصورة الثانية وقد ارتدى الأخير الزي العربي .

استمر الحاج إسماعيل بعد التحرير في متابعة التطورات السياسية وما يدور حوله من أحداث سواء أكانت محلية أو دولية . وكان من أهم الأحداث المحلية بعد التحرير إجراء الانتخابات النيابية في أوائل عام ١٩٩٢م . وكان آنذاك يتابع نشاط تلك الانتخابات ويحضر الندوات التي كان يقيمها المرشح عبد المحسن يوسف جمال أثناء فترة الانتخابات .

المرحوم الحاج إسماعيل في الندوة التي أقامها المرشح عبد المحسن جمال بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٩٩٢م

أثناء فترة الانتخابات وبجانبه المرحوم حسين الحمر والسيد حسين النقي

ومن الأمور الواجب الإشارة إليها أن أحد أصدقاء الحاج إسماعيل الذين أحبهم واعتمد عليهم في كثير من الأمور على مدى أكثر من خمسة وثلاثين عاماً هو السيد علي دبك الذي كان مرافقاً شبه دائم للمرحوم الحاج اسماعيل منذ نهاية الخمسينيات إلى أواخر أيامه . فقد كان يزوره يومياً تقريباً في المنزل ويقضي له الكثير من الأمور والحاجات ويتابع وينجز له الكثير من شؤونه ويجلب له ما يحتاج من مشتروات ولوازم . كما كان الحاج اسماعيل لا يتناول وجبة العشاء في سنواته الأخيرة إلا بحضور السيد علي دبك إلى جانبه . وكان علي دبك يرافقه أيضاً في الكثير من جولاته وزياراته إلى أصدقائه أو الدواوين ، واستمر دائم الحضور معه في ديوانه سواء أثناء فترة الغزو أو في أواخر أيامه .

الحاج إسماعيل جمال في أواخر أيامه ويشاهد معه حفيده جابر وعلي دبك .

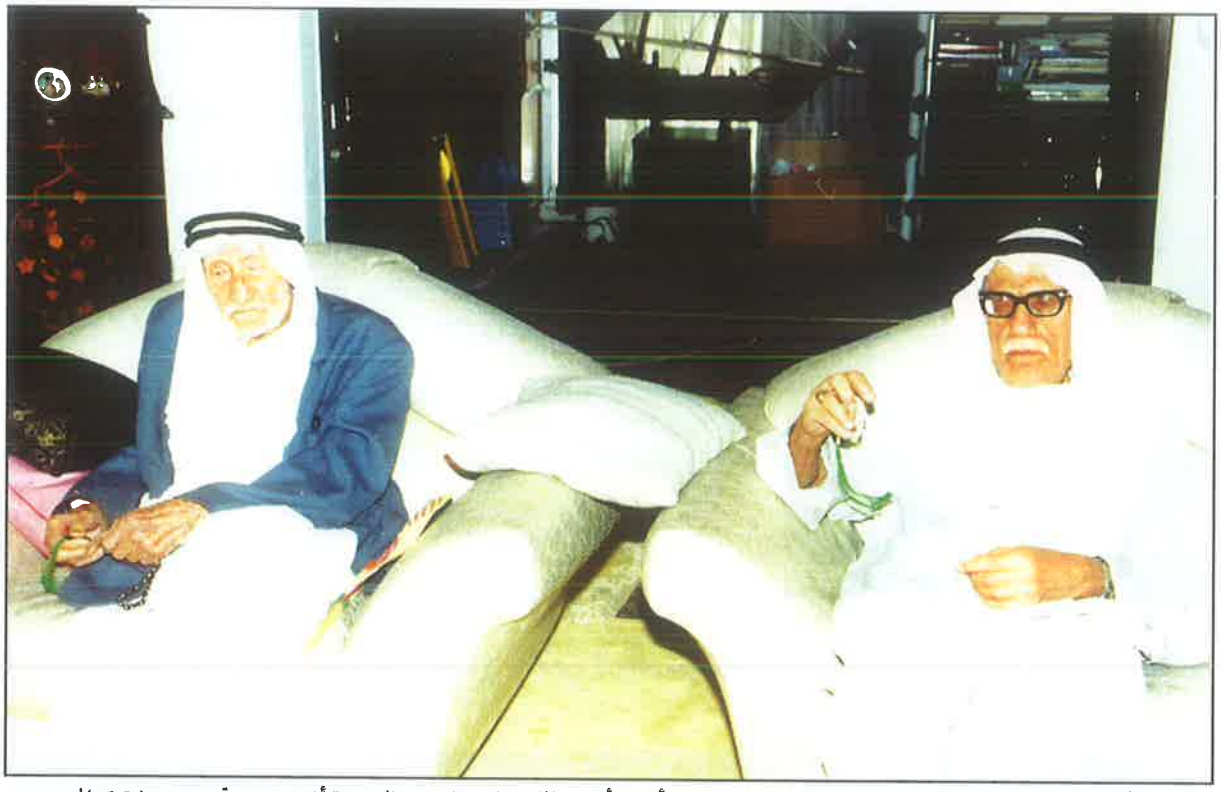

من أواخر الصور التي التقطت للمرحوم الحاج إسماعيل في أواخر أيامه وذلك قبل وفاته بحوالي ستة أشهر وهي تجمعه مع شقيقه المرحوم يوسف علي جمال في منزل حفيده جابر عبدالهادي جمال

من العادات التي ما انفك الحاج إسماعيل عن أشغال نفسه بها إمساكه الدائم "بالمهفة" التي دأب على استخدامها لتحريك الهواء وتلطيف الجو من حوله .

وبعد أن انقضت فترة الغزو وكوابيسه مرت الأيام سريعة بعد التحرير واستعاد الناس نشاطهم وحياتهم الاعتيادية ، ومن بينهم الحاج إسماعيل . لكن الكبر لم يتركه وشأنه ، فقد أخذ الضعف يدب في جسده والملل يسيطر على تفكيره إلى أن جاء شهر ديسمبر من عام ١٩٩٣م فاضطر إلى الذهاب إلى المستشفى الذي بقي فيه حوالي أسبوع فارق بعده الحياة بسبب الشيخوخة ، وكان ذلك في مساء يوم الخميس ليلة الجمعة الموافق الثاني من ديسمبر عام ١٩٩٣م حيث عاش حوالي سنة ونصف بعد التحرير . وكان عمره آنذاك قد بلغ المائة وسنتين . رحم الله الحاج إسماعيل جمال رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

استمر ديوان المرحوم الحاج إسماعيل جمال إلى ما بعد وفاته في استقبال الأدباء والعلماء والمفكرين من مختلف البلدان العربية . وكان من بينهم مفكرين من مصر وتونس والعراق وغيرها .

الشيخ حسن شحاته من المفكرين الإسلاميين في مصر أثناء زيارته لديوان الحاج إسماعيل جمال في يناير من عام ٢٠٠٣م .

المفكر الإسلامي التونسي الشيخ التيجاني السماوي في ديوان المرحوم الحاج إسماعيل جمال أثناء زيارته للكويت في ديسمبر من عام ٢٠٠٣م
وبجانبه المرحوم عبدالله محمد جمال والسيد عبدالكريم عبدالله أبو الحسن .

السيد عمار عبدالعزيز الحكيم أحد قادة التيارات السياسية الرئيسية في العراق أثناء زيارته للكويت في شهر مارس من عام ٢٠٠٤م يتوسط عدد من رواد ديوان ا لمرحوم الحاج إسماعيل جمال .

المفكر الإسلامي المصري المستشار الدمرداش العقالي الذي ألقى العديد من المحاضرات الإسلامية في الكويت أثناء إحدى زياراته في يناير من عام ٢٠٠٩م ، والذي كان من بين ضيوف ديوان المرحوم الحاج إسماعيل جمال .

الملاحـق

ملحق رقم (١)

تواريخ المقابلات مع الحاج اسماعيل جمال

التسجيل الصوتي	
الرقم	التاريـخ
١)	١٩٨٠/٦/١٩
٢)	١٩٨١ - ١٩٨٢
٣)	١٩٨٢/٩/٢٤
٤)	١٩٨٣/١/١٥
٥)	١٩٨٣/١/١٦
٦)	١٩٨٣/١/١٧
٧)	١٩٨٣/١/٢٥
٨)	١٩٨٣/١/٣١
٩)	١٩٨٣/٢/٦
١٠)	١٩٨٣/٢/١٢
١١)	١٩٨٣/٢/١٣
١٢)	١٩٨٣/٢/١٤
١٣)	١٩٨٢/٢/١٩
١٤)	١٩٨٣/٢/٢٣
١٥)	١٩٨٣/٢/٢٤
١٦)	١٩٨٣/٢/٢٠
١٧)	١٩٨٣/٣/٣٠ مقابلة مع السيد عتيج الفقعان
١٨)	١٩٨٣/١/١٣
١٩)	١٩٨٣/٣/٦
٢٠)	١٩٨٤/٢/١٧
٢١)	١٩٨٤
٢٢)	١٩٨٤/١٢/٣٠
٢٣)	١٩٨٦/٩/١٢
٢٤)	١٩٩٢/٦/١٢
٢٥)	١٩٩٢/٦/٣٠

التسجيل الصوتي المرئي (الفيديو)	
الرقم	التاريـخ
١)	١٩٨٤/٥/٢٧
٢)	١٩٨٤/٥/٢٨
٣)	١٩٨٤/٥/٢٩
٤)	١٩٨٤/٦/٣
٥)	١٩٨٤/٧/٨
٦)	١٩٨٦/٣/١٦
٧)	١٩٨٦/٣/٢٩ مقابلة السيد سيف الشملان الأولى
٨)	١٩٨٦/٤/٢ مقابلة السيد سيف الشملان الثانية
٩)	١٩٨٦/٤/٦
١٠)	١٩٨٦/٤/٩
١١)	١٩٨٦/٤/٢٣
١٢)	١٩٨٧/١/١٠
١٣)	١٩٨٧/٥/٢٦
١٤)	١٩٨٧/٥/٢٧
١٥)	١٩٨٧/٦/١
١٦)	١٩٨٧/١١/٢٧
١٧)	١٩٨٧/١٢/١٧
١٨)	١٩٨٩/٣/٥
١٩)	١٩٨٩/١٢/٤
٢٠)	١٩٩٠/٦/١٨

ملحق رقم (٢)

حساب الجُملْ

أرقام الأحرف التي كانت تستخدم في الشعر القديم لتوثيق تاريخ حدث معين

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	
١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

ملحق رقم (٣)

مخطط منطقة الوسط من مدينة الكويت القديمة

من الافكار التي استوحيتها أثناء الفترة الأخيرة من تدوين مقابلاتي مع المرحوم الحاج إسماعيل جمال فكرة تحديد مواقع البيوت وأصحابها في الفريج القديم والفرجان المحيطة ، مع وضع أسماء أصحاب تلك البيوت على مواقع بيوتهم . وقد استعنت بالتصوير الجوي الذي تم لمدينة الكويت القديمة عام ١٩٥١م ، وبدأت منذ ذلك الوقت- وكان الكتاب على وشك الإنجاز- بتلك المهمه التي توسعت باستمرار التقدم في تحديد البيوت والفرجان القريبة والمحيطة ، وأصبحت أضم فريجاً بعد آخر مع التوسع في كل اتجاه ، إلى أن وجدت من الضروري تحديد منطقة معينة نتوقف عندها حتى لاتكون المهمة متشعبة وشبه مستحيلة . لذلك اخترت التوقف عند منطقة الوسط من المدينة القديمة التي يحدها شارع الميدان شرقاً (شارع أبو عبيدة حاليا) وسوق التجار والسوق الداخلي غرباً ، والبحر شمالاً وفريج الصوابر وفريج الرشايدة جنوباً ، والتركيز على البيوت والفرجان في هذه المنطقة ، لعل الظروف تسمح لنا في المستقبل بإكمال المهمة لكامل مدينة الكويت بالتعاون مع المهتمين في هذا المجال . وقد أخذ ذلك العمل منّي وقتا وجهداً كبيرين امتد إلى مايقارب السنة والنصف اشتمل على مقابلات مع ما يزيد على تسعين شخصا من سكان تلك المناطق والفرجان ، مما أجل إصدار الكتاب إلى هذه الفترة ، لكني مع ذلك ورغم الجهد الكبير والمحاولات المضنية التي بذلتها لتسجيل أكبر عدد ممكن من البيوت ، إلا أن فترة العمل على المشروع تميزت بالتفاعل الكبير مع الموضوع خاصة وأن كل من التقيته كان يبدي كثيراً من الحماس ويشجعني على ذلك وينقل لي الكثير من الذكريات الجميلة أثناء فترة معيشته في المدينة القديمة . وبالرغم من كل ذلك الجهد والوقت إلا أنني أقر أن هناك مجالاً كبيراً للنقص والخطأ . كذلك أود أن أشير إلى نقطة مهمة جداً وهي أن أحجام البيوت المبينة في المخطط لن تكون بالضرورة متناسبة مع الأحجام الحقيقية للبيوت الأصلية نظراً للتعقيد الذي واجهته في تصميم البيوت القديمة وتداخلها مع بعضها البعض . لذلك اعتذر مقدما للجميع على الأخطاء غير المقصودة والنسيان ، راجيا كل من لديه أي تصحيح أو إضافة أو ملاحظات أن لايتردد في إبدائها لنتمكن من تصحيح الخطأ وإكمال النقص في طبعة قادمة إن شاء ا لله ، مع جزيل شكري وامتناني لكل من يساهم في تصويب هذه الأخطاء . وإني إذ أكرر شكري وامتناني للأخوة الأعزاء الذين ساعدوني في تحديد البيوت في هذه المنطقة أؤكد أنه لولا جهودهم ومساهماتهم الفعالة لانجاز هذا العمل لما وصلت إلى تنفيذ هذه الفكرة التي أرجو أن تساهم في حفظ تراث وطننا العزيز . وما توفيقي إلا بالله .

مصادر الصور والمخططات وبعض المعلومات

- سجل الكويت اليوم – دائرة المطبوعات والنشر – حكومة الكويت – يناير ١٩٥٦م
- تاريخ الكويت السياسي – حسين الشيخ خزعل – ١٩٦٢م
- تاريخ الكويت – عبد العزيز الرشيد
- التقويم العام لتواريخ ٢٠٠٠ عام – صالح محمد العجيري – ١٩٦٧م
- الكويت بين الماضي والحاضر – وزارة الإعلام – مطبعة حكومة الكويت
- الموسوعة الكويتية المختصرة – حمد محمد السعيدان – ١٩٧٢م
- من هنا بدأت الكويت – عبد الله خالد الحاتم – ١٩٨٠م
- تاريخ الكويت الحديث – أحمد مصطفى أبو حاكمة – ١٩٨٤م
- من تاريخ الكويت – سيف مرزوق الشملان – ١٩٨٦م
- مدينة الكويت القديمة – بلدية الكويت – ١٩٨٨م
- إصدارات ونشرات بلدية الكويت
- وزارة الإعلام – الكويت
- الكويت القديمة – صور وذكريات – د . يوسف يعقوب الحجي – مركز البحوث والدراسات الكويتية – ١٩٩٧م
- Kuwait by the First Photographers، By William Facey and Gillian Grant (199 8)
- موقع أيام زمان – العراق في قرن من الزمان – http: //AyamZaman. tripod. com /index. htm
- صور مكة والمدينة – www. alhazmiah wordpress. com
- قصر السيف العامر – لمحة تاريخية ومعمارية – الديوان الأميري – ٢٠٠١م
- صناعة السفن الشراعية في الكويت – د . يعقوب يوسف الحجي – مركز البحوث والدراسات الكويتية – ٢٠٠٧م
- فيصل الأول – الدكتور علاء نورس
- صور من مجموعات الأستاذ علي غلوم الرئيس
- وثائق وصور تعود للمؤلف

الفهرس العام

تقديم ٧
المقدمة ٩
علاقتي ولقاءاتي مع الحاج إسماعيل ١٢

الفصل الأول

العائلة والفريج وذكريات الطفولة ١٧
تاريخ الولادة والعائلة ١٩
أول رحلة للحاج إسماعيل خارج الكويت ٢٥
السفر إلى العراق ٢٩
الدراسة وذكريات تلك الفترة ٤١
البيت القديم ٥٥
هدم وتوسعة الديوانية ٥٦
إضافات وتجديدات أخرى في البيت ٥٧
شراء بيت العريفان المجاور وضمه إلى البيت ٥٨
توسعة حوش المطبخ ٦٠
مواد البناء وأنواعها ٦٢
لمحات من مدينة الكويت القديمة ٦٤
١ - المدينة القديمة ٦٤
٢ - الأسواق ٦٨

٣ – الأمن في المدينة ٧٢
٤ – عيش بن عمير ٧٤
٥ – وصول الشاي إلى الكويت ٧٥
٦ – طحن الحبوب ٧٥
٧ – الاستعداد لرمضان ٧٦
٨ – بناء قصر السيف ٧٧
٩ – زواج الشيخ حمد المبارك ٧٩
١٠ – اليهود في الكويت ٨٠
١١ – الكاركة ٨٣
– وثائق تخص الكاركة ٨٦
– منتجات الكاركة ٨٩
– صناعة الحلوى ٩٦
– معامل الهردة في الكويت ٩٧
– المناطق القريبة من الكاركة والمحيطة بها ٩٨
١ – المناخ ٩٩
٢ – الخان ٩٩
٣ – سوق خليل القطان (سوق اليهود) ١٠٠

الفصل الثاني

فترة الشباب والاوضاع السائدة آنذاك ١٠٣
١ – أعمال الكويتيين في الماضي ١٠٦
أ – السفر والغوص ١٠٦

ب – أعمال متنوعة أخرى ١١٢
ج – الاتجار بالأسلحة ١١٩
– قصة النوخذة عباس بن نخي مع المنور البريطاني ١٢٢
٢ – تحسن الأوضاع بعد توقيع معاهدة الحماية ١٢٥
٣ – تقلب الأوضاع الاقتصادية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ١٢٦
٤ – النفوذ البريطاني في الخليج والحرب العالمية الأولى ١٢٧
٥ – الأوضاع المعيشية في الكويت أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها ١٣٠
– الروبيات الهندية المستخدمة في الكويت ١٣٥
مجالات العمل التي مارسها الحاج إسماعيل في شبابه ١٣٩
١ – السفر للتجارة مع والده ١٣٩
٢ – الأعمال التجارية الحرة (رحلات المتاعب إلى الساحل الشرقي للخليج) ١٤٢
– طريق البحر من الكويت إلى البصرة والقصبة ١٥١
٣ – السفر إلى الهند ١٥٢
– سباق الدراجات ١٦٠
٤ – الذهاب إلى الغوص ١٦٠

الفصل الثالث

لمحات من النشاط الاجتماعي في الماضي ١٦٩
الحاج علي بن إسماعيل جمال (والد الحاج إسماعيل) : نموذج من رجال الكويت الأوائل ... ١٧١
ديوان آل جمال ١٧٣
رحلة الحاج علي بن إسماعيل جمال إلى الحج ١٧٦
زواج حسن (الأخ الأكبر للحاج إسماعيل) ١٨٠

حفلات الزواج في الماضي ١٨١
طلعات البر ١٨٣
مزرعة حولي ١٨٦
النشاط في مزرعة حولي ١٨٧
قصة طريفة ١٨٨
قصة طريفة من البر ١٨٩
وفاة الحاج علي إسماعيل جمال ١٩١

الفصل الرابع

إعادة تشغيل الكاركة وما بعد ذلك ١٩٥
العمل بالكاركة ١٩٧
الذهاب إلى الحج ٢٠١
إصلاحات وبناء إضافي في البيت القديم ٢٠٩
الهوايات ٢١١
١ - صيد السمك ٢١١
٢ - الزراعة والمزرعة ٢١٢
- الزراعة في الكويت ٢٢٣
- الجراد ٢٢٧
- الماء في الكويت ٢٣٠

الفصل الخامس

شخصيات في ذاكرة الحاج إسماعيل ٢٣٥

١ - الشيخ مبارك الصباح ٢٣٧

- توقيع إتفاقية الحماية ٢٣٩

- استقرار الوضع الأمني وما نتج عنه من تطورات ٢٤١

- قصة طريفة : الشيخ مبارك وسيد أسد الله ٢٤٧

- قصة أخرى . . القراصنة ! ٢٤٨

- آل سعود في الكويت ٢٥٢

٢ - الملك عبدالعزيز آل سعود ٢٥٣

- علاقة الملك عبدالعزيز بالكويت بعد وفاة الشيخ مبارك الصباح ٢٥٦

٣ - الشيخ جابر المبارك الصباح ٢٥٨

٤ - الشيخ سالم المبارك الصباح ٢٥٩

- بناء السور ٢٦١

- حراسة المدينة أثناء حرب الجهرة ٢٦٤

٥ - الشيخ أحمد الجابر الصباح ٢٦٥

- الشيخ أحمدالجابر الصباح وعبدالكريم أبل ٢٦٩

٦ - الشيخ خزعل بن مرداو ٢٧٠

- بناء الحسينية الخزعلية ٢٧٦

٧ - الشيخ موسى بن محمد المزيدي ٢٨٢

٨ - الشيخ محمد بن موسى المزيدي ٢٨٢

٩ - السيد مهدي الموسوي القزويني (١٩٠٨م - ١٩٢٥م) ٢٨٤

١٠ - السيد جواد الموسوي القزويني ٢٨٨
١١ - الشيخ إبراهيم محمد المزيدي ٢٩٠
١٢ - السيد علي الحسيني شبرَ ٢٩١
١٣ - الشيخ حبيب إبراهيم المزيدي ٢٩٢
١٤ - الملا عابدين بن حسين باقر ٢٩٢
١٥ - الأستاذ راشد الرباح (من أشهر أساتذة البناء في الماضي) ٢٩٥
١٦ - الحاج مراد بهبهاني (العطار) ٢٩٦
- آل معرفي ٢٩٨
- آل غالب ٣٠١
- آل قاسم ٣٠٦

الفصل السادس

السنوات الأخيرة وأستمرار النشاط الاجتماعي والتواصل مع رفاق الدرب الأوائل ٣٠٩
أصدقاء الحاج إسماعيل وجلساؤه ٣١١
التجمع أمام الكاركة أثناء فترة العمل ٣١١
الديوان القديم في الديرة ٣١٢
ديوان الحاج إسماعيل ورفاقه في السفر ٣١٥
السنوات الأخيرة مع رفاق الدرب ٣١٩
ديوان القادسية ٣٢٣
نشاطات اجتماعية أخرى للحاج إسماعيل ٣٤١

مخطط تقريبي للبيوت السكنية في منطقة وسط مدينة الكويت خلال فترة منتصف القرن العشرين
(مبني على التصوير الجوي لمدينة الكويت عام ١٩٥١)

بحث وإعداد: محمد عبدالهادي جمال ، تنفيذ: ندين محمد عبدالهادي جمال (٢٠١٢م)

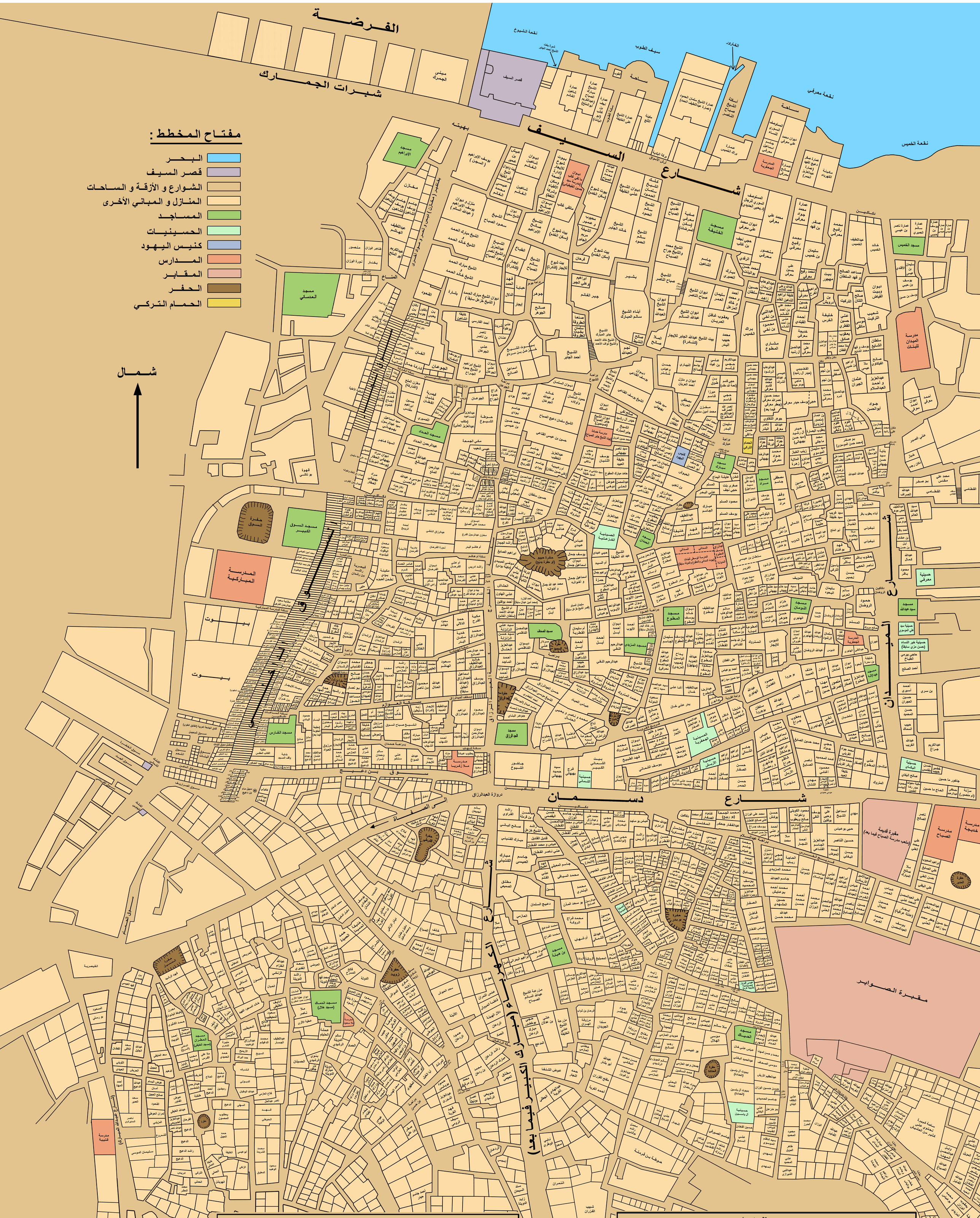
مفتاح المخطط :
البحر
قصر السيف
الشوارع و الأزقة و الساحات
المنازل و المباني الأخرى
المساجد
الحسينيات
كنيس اليهود
المدارس
المقابر
الحفر
الحمام التركي
شمال
الفرضة
شبرات الجمارك
السيف
شارع
بهبهة
نقعة الشيوخ
سيف الطوب
الخارور
نقعة معرفي
نقعة الخميس
مسجد الإبراهيم
مسجد العدساني
مسجد الحداد
مسجد السوق الكبير
مسجد الخليفة
مسجد مبارك
مسجد الطارس
مسجد الصحف
مسجد الدمساك (مسجد هلال)
مسجد المطوع
مسجد النومان
مسجد الحيالك
مسجد الحمادين
مسجد الحسينية الخزعلية
مسجد العيد الرزاق
مسجد سيد عبدالله
مسجد الحمد
مسجد سيد عبدالله
مسجد الحسينية
مسجد الحسينية البكاي
مسجد الحسينية المعمارية
مسجد الحسينية الإسكان
مسجد الحسينية الشمالية
مسجد الحسينية الأرض
مسجد الحسينية الشامية
مسجد الحسينية الشرقية
مسجد الحسينية الغربية
مسجد الحسينية الجنوبية
مسجد الحسينية الوسطى
مسجد الحسينية الجديدة
مسجد الحسينية القديمة
مسجد الحسينية الحديثة
مسجد الحسينية الأولى
مسجد الحسينية الثانية
مسجد الحسينية الثالثة
مسجد الحسينية الرابعة
مسجد الحسينية الخامسة
مسجد الحسينية السادسة
مسجد الحسينية السابعة
مسجد الحسينية الثامنة
مسجد الحسينية التاسعة
مسجد الحسينية العاشرة
مسجد الحسينية الحادية عشرة
مسجد الحسينية الثانية عشرة
مسجد الحسينية الثالثة عشرة
مسجد الحسينية الرابعة عشرة
مسجد الحسينية الخامسة عشرة
مسجد الحسينية السادسة عشرة
مسجد الحسينية السابعة عشرة
مسجد الحسينية الثامنة عشرة
مسجد الحسينية التاسعة عشرة
مسجد الحسينية العشرين
مسجد الحسينية الحادية والعشرين
مسجد الحسينية الثانية والعشرين
مسجد الحسينية الثالثة والعشرين
مسجد الحسينية الرابعة والعشرين
مسجد الحسينية الخامسة والعشرين
مسجد الحسينية السادسة والعشرين
مسجد الحسينية السابعة والعشرين
مسجد الحسينية الثامنة والعشرين
مسجد الحسينية التاسعة والعشرين
مسجد الحسينية الثلاثين
مسجد الحسينية الحادية والثلاثين
مسجد الحسينية الثانية والثلاثين
مسجد الحسينية الثالثة والثلاثين
مسجد الحسينية الرابعة والثلاثين
مسجد الحسينية الخامسة والثلاثين
مسجد الحسينية السادسة والثلاثين
مسجد الحسينية السابعة والثلاثين
مسجد الحسينية الثامنة والثلاثين
مسجد الحسينية التاسعة والثلاثين
مسجد الحسينية الأربعين
مسجد الحسينية الحادية والأربعين
مسجد الحسينية الثانية والأربعين
مسجد الحسينية الثالثة والأربعين
مسجد الحسينية الرابعة والأربعين
مسجد الحسينية الخامسة والأربعين
مسجد الحسينية السادسة والأربعين
مسجد الحسينية السابعة والأربعين
مسجد الحسينية الثامنة والأربعين
مسجد الحسينية التاسعة والأربعين
مسجد الحسينية الخمسين
مسجد الحسينية الحادية والخمسين
مسجد الحسينية الثانية والخمسين
مسجد الحسينية الثالثة والخمسين
مسجد الحسينية الرابعة والخمسين
مسجد الحسينية الخامسة والخمسين
مسجد الحسينية السادسة والخمسين
مسجد الحسينية السابعة والخمسين
مسجد الحسينية الثامنة والخمسين
مسجد الحسينية التاسعة والخمسين
مسجد الحسينية الستين
مسجد الحسينية الحادية والستين
مسجد الحسينية الثانية والستين
مسجد الحسينية الثالثة والستين
مسجد الحسينية الرابعة والستين
مسجد الحسينية الخامسة والستين
مسجد الحسينية السادسة والستين
مسجد الحسينية السابعة والستين
مسجد الحسينية الثامنة والستين
مسجد الحسينية التاسعة والستين
مسجد الحسينية السبعين
مسجد الحسينية الحادية والسبعين
مسجد الحسينية الثانية والسبعين
مسجد الحسينية الثالثة والسبعين
مسجد الحسينية الرابعة والسبعين
مسجد الحسينية الخامسة والسبعين
مسجد الحسينية السادسة والسبعين
مسجد الحسينية السابعة والسبعين
مسجد الحسينية الثامنة والسبعين
مسجد الحسينية التاسعة والسبعين
مسجد الحسينية الثمانين
مسجد الحسينية الحادية والثمانين
مسجد الحسينية الثانية والثمانين
مسجد الحسينية الثالثة والثمانين
مسجد الحسينية الرابعة والثمانين
مسجد الحسينية الخامسة والثمانين
مسجد الحسينية السادسة والثمانين
مسجد الحسينية السابعة والثمانين
مسجد الحسينية الثامنة والثمانين
مسجد الحسينية التاسعة والثمانين
مسجد الحسينية التسعين
مسجد الحسينية الحادية والتسعين
مسجد الحسينية الثانية والتسعين
مسجد الحسينية الثالثة والتسعين
مسجد الحسينية الرابعة والتسعين
مسجد الحسينية الخامسة والتسعين
مسجد الحسينية السادسة والتسعين
مسجد الحسينية السابعة والتسعين
مسجد الحسينية الثامنة والتسعين
مسجد الحسينية التاسعة والتسعين
مسجد الحسينية المائة
مسجد الحسينية الحادية والمائة
مسجد الحسينية الثانية والمائة
مسجد الحسينية الثالثة والمائة
مسجد الحسينية الرابعة والمائة
مسجد الحسينية الخامسة والمائة
مسجد الحسينية السادسة والمائة
مسجد الحسينية السابعة والمائة
مسجد الحسينية الثامنة والمائة
مسجد الحسينية التاسعة والمائة
مسجد الحسينية المائتين
مسجد الحسينية الحادية والمائتين
مسجد الحسينية الثانية والمائتين
مسجد الحسينية الثالثة والمائتين
مسجد الحسينية الرابعة والمائتين
مسجد الحسينية الخامسة والمائتين
مسجد الحسينية السادسة والمائتين
مسجد الحسينية السابعة والمائتين
مسجد الحسينية الثامنة والمائتين
مسجد الحسينية التاسعة والمائتين
مسجد الحسينية الثلاثمائة
مسجد الحسينية الحادية والثلاثمائة
مسجد الحسينية الثانية والثلاثمائة
مسجد الحسينية الثالثة والثلاثمائة
مسجد الحسينية الرابعة والثلاثمائة
مسجد الحسينية الخامسة والثلاثمائة
مسجد الحسينية السادسة والثلاثمائة
مسجد الحسينية السابعة والثلاثمائة
مسجد الحسينية الثامنة والثلاثمائة
مسجد الحسينية التاسعة والثلاثمائة
مسجد الحسينية الأربعمائة
مسجد الحسينية الحادية والأربعمائة
مسجد الحسينية الثانية والأربعمائة
مسجد الحسينية الثالثة والأربعمائة
مسجد الحسينية الرابعة والأربعمائة
مسجد الحسينية الخامسة والأربعمائة
مسجد الحسينية السادسة والأربعمائة
مسجد الحسينية السابعة والأربعمائة
مسجد الحسينية الثامنة والأربعمائة
مسجد الحسينية التاسعة والأربعمائة
مسجد الحسينية الخمسمائة
مسجد الحسينية الحادية والخمسمائة
مسجد الحسينية الثانية والخمسمائة
مسجد الحسينية الثالثة والخمسمائة
مسجد الحسينية الرابعة والخمسمائة
مسجد الحسينية الخامسة والخمسمائة
مسجد الحسينية السادسة والخمسمائة
مسجد الحسينية السابعة والخمسمائة
مسجد الحسينية الثامنة والخمسمائة
مسجد الحسينية التاسعة والخمسمائة
مسجد الحسينية الستمائة
مسجد الحسينية الحادية والستمائة
مسجد الحسينية الثانية والستمائة
مسجد الحسينية الثالثة والستمائة
مسجد الحسينية الرابعة والستمائة
مسجد الحسينية الخامسة والستمائة
مسجد الحسينية السادسة والستمائة
مسجد الحسينية السابعة والستمائة
مسجد الحسينية الثامنة والستمائة
مسجد الحسينية التاسعة والستمائة
مسجد الحسينية السبعمائة
مسجد الحسينية الحادية والسبعمائة
مسجد الحسينية الثانية والسبعمائة
مسجد الحسينية الثالثة والسبعمائة
مسجد الحسينية الرابعة والسبعمائة
مسجد الحسينية الخامسة والسبعمائة
مسجد الحسينية السادسة والسبعمائة
مسجد الحسينية السابعة والسبعمائة
مسجد الحسينية الثامنة والسبعمائة
مسجد الحسينية التاسعة والسبعمائة
مسجد الحسينية الثمانمائة
مسجد الحسينية الحادية والثمانمائة
مسجد الحسينية الثانية والثمانمائة
مسجد الحسينية الثالثة والثمانمائة
مسجد الحسينية الرابعة والثمانمائة
مسجد الحسينية الخامسة والثمانمائة
مسجد الحسينية السادسة والثمانمائة
مسجد الحسينية السابعة والثمانمائة
مسجد الحسينية الثامنة والثمانمائة
مسجد الحسينية التاسعة والثمانمائة
مسجد الحسينية التسعمائة
مسجد الحسينية الحادية والتسعمائة
مسجد الحسينية الثانية والتسعمائة
مسجد الحسينية الثالثة والتسعمائة
مسجد الحسينية الرابعة والتسعمائة
مسجد الحسينية الخامسة والتسعمائة
مسجد الحسينية السادسة والتسعمائة
مسجد الحسينية السابعة والتسعمائة
مسجد الحسينية الثامنة والتسعمائة
مسجد الحسينية التاسعة والتسعمائة
مسجد الحسينية الألف
مسجد الحسينية الحادية والألف
مسجد الحسينية الثانية والألف
مسجد الحسينية الثالثة والألف
مسجد الحسينية الرابعة والألف
مسجد الحسينية الخامسة والألف
مسجد الحسينية السادسة والألف
مسجد الحسينية السابعة والألف
مسجد الحسينية الثامنة والألف
مسجد الحسينية التاسعة والألف
مسجد الحسينية الألفين
مسجد الحسينية الحادية والألفين
مسجد الحسينية الثانية والألفين
مسجد الحسينية الثالثة والألفين
مسجد الحسينية الرابعة والألفين
مسجد الحسينية الخامسة والألفين
مسجد الحسينية السادسة والألفين
مسجد الحسينية السابعة والألفين
مسجد الحسينية الثامنة والألفين
مسجد الحسينية التاسعة والألفين
مسجد الحسينية الثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الأربعة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الخمسة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الستة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والستة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والستة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والستة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والستة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والستة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والستة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والستة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والستة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والستة آلاف
مسجد الحسينية السبعة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الثمانة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية التسعة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية العشرة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الثلاثين ألف
مسجد الحسينية الحادية والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الثانية والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية السادسة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية السابعة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الأربعين ألف
مسجد الحسينية الحادية والأربعين ألف
مسجد الحسينية الثانية والأربعين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والأربعين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والأربعين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والأربعين ألف
مسجد الحسينية السادسة والأربعين ألف
مسجد الحسينية السابعة والأربعين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والأربعين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والأربعين ألف
مسجد الحسينية الخمسين ألف
مسجد الحسينية الحادية والخمسين ألف
مسجد الحسينية الثانية والخمسين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والخمسين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والخمسين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والخمسين ألف
مسجد الحسينية السادسة والخمسين ألف
مسجد الحسينية السابعة والخمسين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والخمسين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والخمسين ألف
مسجد الحسينية الستين ألف
مسجد الحسينية الحادية والستين ألف
مسجد الحسينية الثانية والستين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والستين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والستين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والستين ألف
مسجد الحسينية السادسة والستين ألف
مسجد الحسينية السابعة والستين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والستين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والستين ألف
مسجد الحسينية السبعين ألف
مسجد الحسينية الحادية والسبعين ألف
مسجد الحسينية الثانية والسبعين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والسبعين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والسبعين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والسبعين ألف
مسجد الحسينية السادسة والسبعين ألف
مسجد الحسينية السابعة والسبعين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والسبعين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والسبعين ألف
مسجد الحسينية الثمانين ألف
مسجد الحسينية الحادية والثمانين ألف
مسجد الحسينية الثانية والثمانين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والثمانين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والثمانين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والثمانين ألف
مسجد الحسينية السادسة والثمانين ألف
مسجد الحسينية السابعة والثمانين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والثمانين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والثمانين ألف
مسجد الحسينية التسعين ألف
مسجد الحسينية الحادية والتسعين ألف
مسجد الحسينية الثانية والتسعين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والتسعين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والتسعين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والتسعين ألف
مسجد الحسينية السادسة والتسعين ألف
مسجد الحسينية السابعة والتسعين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والتسعين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والتسعين ألف
مسجد الحسينية المائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والمائة ألف
مسجد الحسينية المائتين ألف
مسجد الحسينية الحادية والمائتين ألف
مسجد الحسينية الثانية والمائتين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والمائتين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والمائتين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والمائتين ألف
مسجد الحسينية السادسة والمائتين ألف
مسجد الحسينية السابعة والمائتين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والمائتين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والمائتين ألف
مسجد الحسينية الثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الستمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والستمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والستمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والستمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والستمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والستمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والستمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والستمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والستمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والستمائة ألف
مسجد الحسينية السبعمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية التسعمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الألفين
مسجد الحسينية الحادية والألفين
مسجد الحسينية الثانية والألفين
مسجد الحسينية الثالثة والألفين
مسجد الحسينية الرابعة والألفين
مسجد الحسينية الخامسة والألفين
مسجد الحسينية السادسة والألفين
مسجد الحسينية السابعة والألفين
مسجد الحسينية الثامنة والألفين
مسجد الحسينية التاسعة والألفين
مسجد الحسينية الثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والثلاثة آلاف
مسجد الحسينية الأربعة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والأربعة آلاف
مسجد الحسينية الخمسة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والخمسة آلاف
مسجد الحسينية الستة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والستة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والستة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والستة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والستة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والستة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والستة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والستة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والستة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والستة آلاف
مسجد الحسينية السبعة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والسبعة آلاف
مسجد الحسينية الثمانة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والثمانة آلاف
مسجد الحسينية التسعة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والتسعة آلاف
مسجد الحسينية العشرة آلاف
مسجد الحسينية الحادية والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الثانية والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الثالثة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الرابعة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الخامسة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية السادسة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية السابعة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الثامنة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية التاسعة والعشرة آلاف
مسجد الحسينية الثلاثين ألف
مسجد الحسينية الحادية والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الثانية والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية السادسة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية السابعة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والثلاثين ألف
مسجد الحسينية الأربعين ألف
مسجد الحسينية الحادية والأربعين ألف
مسجد الحسينية الثانية والأربعين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والأربعين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والأربعين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والأربعين ألف
مسجد الحسينية السادسة والأربعين ألف
مسجد الحسينية السابعة والأربعين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والأربعين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والأربعين ألف
مسجد الحسينية الخمسين ألف
مسجد الحسينية الحادية والخمسين ألف
مسجد الحسينية الثانية والخمسين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والخمسين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والخمسين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والخمسين ألف
مسجد الحسينية السادسة والخمسين ألف
مسجد الحسينية السابعة والخمسين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والخمسين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والخمسين ألف
مسجد الحسينية الستين ألف
مسجد الحسينية الحادية والستين ألف
مسجد الحسينية الثانية والستين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والستين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والستين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والستين ألف
مسجد الحسينية السادسة والستين ألف
مسجد الحسينية السابعة والستين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والستين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والستين ألف
مسجد الحسينية السبعين ألف
مسجد الحسينية الحادية والسبعين ألف
مسجد الحسينية الثانية والسبعين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والسبعين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والسبعين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والسبعين ألف
مسجد الحسينية السادسة والسبعين ألف
مسجد الحسينية السابعة والسبعين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والسبعين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والسبعين ألف
مسجد الحسينية الثمانين ألف
مسجد الحسينية الحادية والثمانين ألف
مسجد الحسينية الثانية والثمانين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والثمانين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والثمانين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والثمانين ألف
مسجد الحسينية السادسة والثمانين ألف
مسجد الحسينية السابعة والثمانين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والثمانين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والثمانين ألف
مسجد الحسينية التسعين ألف
مسجد الحسينية الحادية والتسعين ألف
مسجد الحسينية الثانية والتسعين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والتسعين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والتسعين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والتسعين ألف
مسجد الحسينية السادسة والتسعين ألف
مسجد الحسينية السابعة والتسعين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والتسعين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والتسعين ألف
مسجد الحسينية المائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والمائة ألف
مسجد الحسينية المائتين ألف
مسجد الحسينية الحادية والمائتين ألف
مسجد الحسينية الثانية والمائتين ألف
مسجد الحسينية الثالثة والمائتين ألف
مسجد الحسينية الرابعة والمائتين ألف
مسجد الحسينية الخامسة والمائتين ألف
مسجد الحسينية السادسة والمائتين ألف
مسجد الحسينية السابعة والمائتين ألف
مسجد الحسينية الثامنة والمائتين ألف
مسجد الحسينية التاسعة والمائتين ألف
مسجد الحسينية الثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والثلاثمائة ألف
مسجد الحسينية الأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والأربعمائة ألف
مسجد الحسينية الخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والخمسمائة ألف
مسجد الحسينية الستمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والستمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والستمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والستمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والستمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والستمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والستمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والستمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والستمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والستمائة ألف
مسجد الحسينية السبعمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والسبعمائة ألف
مسجد الحسينية الثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والثمانمائة ألف
مسجد الحسينية التسعمائة ألف
مسجد الحسينية الحادية والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الثانية والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الثالثة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الرابعة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الخامسة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية السادسة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية السابعة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الثامنة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية التاسعة والتسعمائة ألف
مسجد الحسينية الألفين
مس